



التعني

مداوات ٢٠٠٠

مكتبة

د. محمد حسين مصطفى
د. مجلس الشيوخ السابق

سيرة حياة المسيح

وهو كتاب « سيرة المسيح الشعبية » A People's Life of Christ

لؤلؤه

الدكتور بترس سميت

ومعربته

صبيب سعيد

نشرت بعض فصوله في مجلة « الشرق والغرب »
وصدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية — ببولاق (مصر)
وكثدراتية سنت جورج (بالقدس)

S.P.C.K.

المبحث في طائفة النصارى المسيحية

تقديم

حول سيرة المسيح أهرق المؤلفون والكتاب في شتى العصور زبد قرائهم ، وقدّم المثاليون والفنانون عند قدميه روائع فقههم وبدائع خيالهم ، واخرج رجال التنوير والصالح أخضب اختباراتهم وارق أحاسيسهم . ولكن مهما بذل العقل وابتكر ، ومهما سما الخيال وازدهر ، ومهما تعمق الاختبار وأخضب ، فمن يمكن لقوى البشرية أن ترسم صورة صحيحة كاملة «للإنسان الكامل» الذي هبط من السماء ، ولثلث الاعلى الذي وضعته الانسانية قبلة انظارها

و بين الجهود الجبارة التي بذلها البشر في محاولتهم رسم هذه الصورة ، ما قام به الدكتور « برسن سميت » في اخراجه مؤلفه عن حياة المسيح تحت عنوان " A People's Life of Christ " — « سيرة المسيح لعامة الشعب »

وللؤلف كاتب شعبي محبوب سلك في كتابه مسلكاً مشوقاً . فهو يصف للمشاهد الطبيعية كأنها مرتسبة أمام ناظريه ، ويتحدث عن وقائع وأحداث بنظروها وملايساتها كأنها تمثلت أمامه ، ويسير بالقارىء سيراً وثيقاً حتى يأتي به أخيراً إلى أمجاد المسيح الحي وكالاته العليا

عاش المؤلف أولاً في أرنهائم رحل إلى كندا وانتقل إلى راحته الخالدة في سنة ١٩٣٢ في الثامنة والثمانين من عمره ، بعد أن خلف وراءه من ثمرات عقله واختبارات روحه ثلاثة وعشرين سفرًا من أضع المؤلفات التي أخضبت عالم الفكر المسيحي . وحسبنا دليلاً على ما لقي هذا السفر من الرواج والاقبال بين قراء الانكليزية — ان يعلم القاريء الكريم انه قد أعيد طبعه احدى وثلاثين مرة في ثماني سنوات ! وهو ما يرجح من أحب المؤلفات واعظمها ، واجدها تقوياً إلى قلب القارىء ، واعتمداً أثراً في نفسه

فهرس الكتاب

صفحة

الكتاب الاول — في البدء

- ٣ الفصل الاول — في البدء
 ١٠ « الثاني — العالم يتهيأ
 ١٥ « الثالث — العالم يفكر

الكتاب الثاني — في ملء الزمن

- ٢٥ الفصل الاول — في ملء الزمن
 ٣٢ « الثاني — الميلاد من عنواء
 ٤٠ « الثالث — عهد السبوة
 ٤٩ « الرابع — في الهيكل وسط المعلمين
 ٥٥ « الخامس — أليس هذا التبعثر ؟

الكتاب الثالث — العام الاول

- ٦١ الفصل الاول — للعمودية
 ٦٩ « الثاني — التجربة
 ٨٠ « الثالث — التلاميذ الاولون
 ٨٨ « الرابع — في قانا الجليل
 ٩٨ « الخامس — المسيح القاضب
 ١٠٦ « السادس — الحبر اليهودي
 ١١٢ « السابع — رأس الممدان في طبق

الكتاب الرابع — كفر ناحوم

- ١٢٥ الفصل الاول — الى كفر ناحوم
 ١٣٢ « الثاني — كفر ناحوم على شاطئ البحر

١٤١	الفصل الثالث - دعوة الاربعة
١٤٥	« الرابع - السبت الاول
١٥٢	« الخامس - لاكرامة لني في وطنه
١٦٠	« السادس - قم وامش ا
١٦٩	« السابع - حطتان
١٧٦	« الثامن - زحمته الجموع
١٨٢	« التاسع - يوم في كفر ناحوم
١٩٠	« العاشر - بدء الخلاف
٢٠٠	« الحادي عشر - ملكوت الله
٢٠٨	« الثاني عشر - موعظة الجبل ا
٢١٥	« الثالث عشر - الاثنا عشر
٢٢٣	« الرابع عشر - جنزة ناين
٢٢٩	« الخامس عشر - في الخلاه
٢٣٧	« السادس عشر - قيصرية فيلي
٢٤٥	« السابع عشر - الوداع ايها الجليل

الكتاب الخامس - ذكريات الطريق الى اورشليم

٢٥٣	الفصل الاول - ذكريات الطريق
٢٦٠	« الثاني - في اورشليم لأول مرة
٢٦٩	« الثالث - قصتان من أسبوع العيد
٢٨٦	« الرابع - تعاليم الطريق - اية الله
٢٨٣	« الخامس - الاخاء بين البشر
٢٨٩	« السادس - للمسولية
٢٩٦	« السابع - المحكمة العليا
٣٠٠	« الثامن - في اورشليم للمرة الثانية

صفحة

٣٠٦

الفصل التاسع — الميث يقوم

٣١٢

« العاشر — خير إن يموت انسان عن الشعب

٣١٧

« الحادي عشر — نهاية الطريق

الكتاب السادس — اورشليم

٣٢٧

الفصل الاول — لذلك في موكب

٣٣٤

« الثاني — اتهامات

٣٣٩

« الثالث — الخائن

٣٤٢

« الرابع — المشاء الاخير

٣٤٧

« الخامس — في البستان

٣٥١

« السادس — الهاككة اليهودية

٣٥٧

« السابع — الهككة الرومانية

٣٦٥

« الثامن — الملبسة

٣٦٣

« التاسع — الفصل المجهول

٣٧٨

« العاشر — القيامة

٣٨٣

« الحادي عشر — ذكريات شيخ

٣٩١

« الثاني عشر — تدريب الاربعين يوماً

٣٩٨

« الثالث عشر — السود الى الآب



الكتاب الأول في النبوة

الفصل الاول

في البدء

في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة
الله . وهنا نلحس حياة المسيح لأول مرة . والعادة الطبيعية المألوفة
ان تبدأ حياة المرء من اليوم الذي يخرج فيه من الرحم ويظهر شكلاً منظوراً امام
الاعين . اما بالنسبة لحياة السيد المسيح فلا مندوحة لنا عن الرجوع بافكارنا الى
الوراء ، الى عالم الاول الذي اتصل به ، الى العالم القديم الارثي الذي يحسب علمنا
هذا امامه حادثاً جديداً . وتقوم دعامة ايماننا على ان وراء هذا العالم الذي نعرفه ،
وراء الكواكب والسيارات وعناصر المادة والقضاء والزمن — العالم الحقيقي ، عالم
الارليات ، عالم الله والملائكة الالمهار ، العالم الذي يسدر عنه علماً هذا وسائر
العوالم الاخرى . ولما نستطيع ان نشهد ذلك العالم ولا ان نرسم مواقفه وامطرافه ،
ولم نكتحل اعيننا قط بمراى مدائنه الذهبية . ولكننا نوقن مع ذلك انه يحيط ما
منذ الازل . وقد جاء الينا من " هبط منه ، بالخبر اليقين عنه

أجل . قد انبأنا ان ذلك العالم ليس فقط متاهياً في القدماء ، بل أيضاً
متناهياً في السلف والاشفاق والاهتمام بالنشر . وستخلص من وجهة نظر الكتاب
للقديس ان أزوقة العالم غير المنظور غاصة بالنظارة الذين يرقبون باهتمام حياتنا على
الارض : « اذ لنا سحابة من الشهود محيطة بنا » . وقد أحس يسوع الهابط من
ذلك الوسط الاعلى بهذا الشعور عيه ، وأشار في اقواله الى الآب يرمقنا من العلاء
بظرات الحب والالم . وإلى فرح اسماء العظيم اراء حامله واسد يتوب على
الارض ، وإلى ابرهيم في تلك الحياة غير المتطورة يفرح ويتهلل ليرى يومه . وقد
جاء في رواية الانجيل المسكريم عن التجلي ان موسى وإيليا—وهما من عظماء رجال
الله القديسين في العهد القديم — نزلا من مجاهل تلك الحياة غير المتطورة ليتفتيا بربهما

ويتحدثنا اليه — عن ابي شأن ؟ هل عن فرعون والبحر الاحمر ؟ هل عن آخاب وكرم نابوت البزريعي وما الى ذلك من الشؤون التي دار حولها اهتمامها على الارض ؟ كلا . انما قد أمسكا تلك الرغبة العليا التي تحم بها النفوس العظيمة التي ترقص من كوى السماء - « نكلنا عن خروجه (موته) الذي كان عتيداً ان يكله في اورشليم » . أليس هذا دليلاً على مقدار الاهتمام الشديد الذي ملا قلبيهما وسائر الزملاء والحلّان وراء الستار — عن رواية القديس التي كان مرصفاً ان تظهر فصولها على مسرح الارض ؟

وهذا القول حديث العهد نسبياً لا يرجع الى اكثر من ائمتي سنة . ولكن بولس الرسول يقول لاهل افسس ان هذا الاهتمام كان منذ البدء ، وان مجي المسيح لم يكن حادثاً طارئاً ، بل كان قصد الله الازلي منذ تأسيس العالم أن تخلص البشرية على يدي المسيح الازلي فيحتسب الآب بين ذراعي محبة ابناء الارض الساقطين

وعليها اخذ ان يرجع في حياة السيد للمسيح الى الوراء ، الى أسد قطعة في التاريخ يضيها الادراك ، الى العمور البعيدة ، البعيدة ، قبل رواية التكوين عندما خلق الله في البدء السموات والارض ، الى لولية الزمن غير المحدود قبل ان يتم التجسد « عندما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك »

هذه هي رواية يوحنا التي جاء بها عن المسيح . وأحب ما لدي ان اتصور ذلك الشيخ العزيز اسقف افسس و « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » حالاً ليكتب قبل موته « سيرة السيد » والبطريرك التي أودعها ذكرياته القديمة المقدسة ولكن وراء ذكرياته عن يسوع ابشري — الذي عرفه في الجسد ، والذي أعبه خلال ثلاث سنوات قصاهامعه في روع فلسطين — يجثم ذلك الفكر العميق الخطير عن المسيح الازلي ، « الذي عاوجه منذ القديم منذ ايام الازل » — « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » — ثم يفكر الشيخ العزيز كيف ان ذلك المسيح الازلي لمحي حد النهاية بهذا العالم الناس مدى

الاجيال الطويلة قبل التجسد، وكيف انه في ذلك الماضي البعيد، والبعيد جداً، يوم لم يعكر فيه أحد « كان في العالم وكُنَّ العالم به ولم يعرفه العالم..... فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس..... كان النور الذي يثير كل انسان آتياً الى العالم » هذه كلها اسرار عريضة . ولا يستطيع الفكر البشري ان يبقى طويلاً في هذا الوسط الروحي الذي تنصي فيه كثافة المادة . ولا يسعنا الا ان مهمس لانفسنا بدهشة غائلين : « كان المسيح هنا دائماً ، وكل حصوره في الكون أمس هذا الوجود . وقد جاء عن طريق حلوله في الانسان بنور الضمير . ومنذ بدء هذا العالم كان وانقأ في وسطنا من لم نعرفه » وهذا ما عنيه القديس أوغسطينوس عند قوله : ان للسيحية كانت معانيد اخليفة - بل هذا هو الفكر الحريء الذي تحمض عنه عقل ترتوليان في قوله : ان المسيح كان بعد نفسه للتجسد مدى الاجيال الطويلة التي سبقت هذا الظهور العجيب

ويفكر يوحنا في المسيح كأنه كان في العالم قبل التجسد، يعلن الاله غير المتناهي في الطبيعة والمثل والصير . ولذلك نراه يستعمل اصطلاحاً مأثوماً لدى الفسخر اليوناني واليهودي في ذلك العصر، هو « كلمة الله » كما في قوله « في البدء كان الكلمة » . وهو اصطلاح يبدو غريباً في بادى الامر للدلالة على المسيح ، ولكنه عبر عن فكر الرسول وكانت له مزيته الخاصة اذ كل من معروف بمسمى مشابه لهذا في الفلسفة اليونانية والفكر اليهودي في ذلك العصر . وقد نستطيع التعبير عن معنى هذا اللفظ في عبارة موجزة بالقول انه يشير الى ما يعلن الله ويظهره . وترمي الفلسفة اليونانية من وراء لفظ « الكلمة » الى شئ هذا المعنى . لان البشر لا يرون ولا يلمسون مصدر كل الاشياء غير المحدود ، ولكنهم يعرفونه فقط في مظهره ، في العالم حولهم . ولذلك أطلقوا على هذا المظهر في تمثيل خيالي روائي لفظ « الكلمة »

وكيف يعلن الانسان فكره وهسه الباطنة ؟ بالكلمة التي يفوق بها . فيها يعبر عن نفسه ويتصل بهن ، ويكشف عن افكاره وأحاسيسه ، وينبئ عن لواته .

والكلمة الصادرة عن الفكر والارادة تحمل في نواتها العقل الباطني والاخلاق
 الدينية . وكلمة الانسان التي تخرج من فيه أنت تعرفه
 والآن كيف يعرف الانسان الاله الذي لا يتحصره الحدود ولا تراه العيون ولا
 تحيط به الافهام ؟ لا يعرفه الا عن طريق اعلان نفسه في ضمير الانسان ، وفي
 عجائب الطبيعة ، في الزوامة العاتية ، في ضوء الشمس المشرق ، في السموات
 الصافية ، في بهاء الفجر وحلله ، في جمال الارض وحلال البحر ، في سهول
 الخنطة النحبة الابوان — هذه هي مظاهر الله الخفية — هذه « كلمته » للنشر -
 وأية قوة تعلن هذه المظاهر كان يحسها الفيلسوف الوثني « الكلمة » الصادرة عن
 الكائن الاسمي

الى هذا الحد تطور الفكر الوثني . أما فكر الرسول فقد تطور الى مدى أبعد
 وأعمق . وهو قد عرف مظهر الله أتم واكمل من جميع هذه المظاهر . ولمدة ثلاث
 سنوات متتامة سار فوق سهول فلسطين مع شخص عرف الآن انه كان المظهر
 الأكل ، والكلمة الاولى للعالم من قِبَل الله . ولذا نراه يقول : « والكلمة صار
 جسداً » الكلمة الذي كلن منذ البدء يظهر الله في عجائب الطبيعة وفي أسرار
 الحياة قد جاز أحياناً في ملء الزمن الى مظهر اكمل وأتم « والكلمة صار جسداً
 وحل بيننا ورواينا مجده ، محمداً كما لوحيد من الآب ، مملوفاً نعمة وحقاً » . وكان
 هذا السرور العليا للمظاهر الخفية التي اعلن الله بها ذاته للبشر ، فيه لم تُعلن فقط
 قوة الله وعظمته ، بل اعص قلب الله الخنون ورحمته وعطفه ومحبه . هذا هو فكر
 الرسول عند وصفه المسيح « بكلمة الله »

* * *

وكان على العالم للسكين ان يحظر رديحاً طويلاً من الزمن قبل أن يبرع
 نور هذا الاعلان الكامل . ولست تدري لماذا طال زمن التجسد وتأخر الله في
 اعلان ذاته . ولكننا نعلم حق العلم ان الله كلن 'بمعنى جدي' العناية بهذا العالم البائس قل
 محي 'المسيح ، ونعلم ان محبته ستعوض على الانسان مدى الاندية ما قلته من قبل

وان قلب الفكر ليتجه بعطف واشفاق نحو العالم الوثني السكين قبل المسيح حيث كان للبشر اشواق ملتهبة نحو ابر والخير اسوة بنا نحن اليوم . وكان لم اسباب الحياة والجزع ، والآلام العقلية والجسدية والتعسية . ولم يكن لهم إله شقوق يهرعون اليه ، فكانوا يستسلمون الى الاحداث والفنون . واستنجد فلاستهم من مظاهر الطبيعة إلهاً حائلاً لكن الطبيعة لم تنبئ الا عن عظمة وقوة ذلك الخالق . وجسدت الشعوب المتعددة أحداها وطنها في « للشري » إله الآلهة (عند الرومان) وزوجه ملكة السماء . ولكن بالأسف لم تكن هذه الاسماء على مسيات عاقلة يلجأ اليها الانسان للتصلي للانتقال والصلاة

هذا كان شأن الشعوب المتعددة . أما القبائل المسيحية فكانت تفرع من قوى الطبيعة . فاذا سمع المسيحي رنين الزوابع والرياح، وخفيف الأشجار في الشجرات والأحراش ، وأصوات الرعد والبرق والبرد والثلج — رين في كهفه وعهد الى صنع الاصنام يستصرحها ويسترضيها لترفع عنه غضب الكائنات القوية . وكانت هذه الاصنام المصنوعة بالأيدي محولة منه لاعلان مظهر الله

ولا يسع كل مطلع على التاريخ القديم الا الشعور ان البشر في العالم القديم كانوا « يطلون الله لعلهم يلمسونه فيجدونه » ولم تكن فلمياتهم وخرافاتهم وأصنامهم الا مقياساً لما أمكنهم ان يلمسوه . حقاً انه لامر يستدعي العطف والاشفاق ان يحرم البشر من مرشد يأخذ بيدهم ويهديهم . فهل لله قلب يرق ويرني ؟ وهل هو على شيء من العدالة والشفقة والحبة ؟ وهل يسمع الام التكللي تبكي بحرقة قلقة كدها القدي اختطفه الموت ؟ وهل يُسمى الله تاسيلاً ؟ حقاً انه لامر يثير فينا الشجب . ولو لم يؤمن بان الله كان يعني بالانسان منذ الازل ، وانه سيعوض له يوماً ما في عالم آخر ما صاع عليه في هذا العالم — لو لم يؤمن بذلك لكانت اسراع الى الظن بأنها قسوة من جانب الله ان يترك البشرية التائهة في تلك الحالة التي تستحق الرثاء

وهكذا تعاقبت الاحيال العلوية للظلمة والله صامت لم يعط البشرية علامة ما . ولكن في كل تلك الارمة الممتلئة كان قصد الله يعمل في هدوء وسكينة

وبالسلب شقي، وكان المسيح يستعد لحادث «التجسد». وليس لدينا من المعرفة ما يكفي لأن نجميع خطاه في سير التاريخ، وليس لنا إلا أن نصد إلى الخلد والتخمين ونلجح وميضاً متقطعاً. فمن فقي اعلموا على مواكب الامبراطوريات القديمة من اشوريين وبابلين وفرس وأمازيغ ورومان، ونسمع انبياء القوم يتحدثون قائلين ان هذه المواكب كلها شطر من قصد الله الذي يعد من وراء ذلك تدبيراً عظيماً

وبوماً ما نلجح على مسرح التاريخ البشري وميضاً أكثر بريقاً من سواه، يوماً ما قبل التجسد تأقني سنة نرى داعياً شاماً فوق ربي سوريا توقفه آمال عالية فيُدعى ويُطلب اليه ان يقطع نفسه من وطنه الوثني ويصرها من بين عشيرته ليسير الى حيث لا يعلم. واستمع «ابرام» الى هذا النداء الهامط الى نفسه من الاله الارلي وسار الى هبته الالهية، سار الى حيث لا يعلم «ليجد طريق الرب» كما أنه يوحنا المعمدان في العهد القديم

هنا بلأ ترويض وتدريب الشعب اليهودي. هُزل أولاً من نقيع الشعوب ليسهل عليه تقني الوحي الجديد. وعزل عن عادة الاوثان والآلهة المتعددة التي دان لها أسلافه لكي يتعلم شيئاً حديداً عن الاله الواحد الحي. وترويض وتدريب هذا الشعب في معرفة الله مما لم يظفر به شعب سواه. وفي كل احوال تاريخ بني اسرائيل رنت في آذانهم أصوات الانبياء معلنة لرادة الله الصالحة. وتخلل نسيج ثوابهم خيط ذهبي لامع يبي، عن وعد مري عميق بحلول يوم مجيد، فيهم وينسلهم بتبارك كل أم الارض. وطهر مراراً وتكراراً في رؤى التنبؤات عن مستقبلهم شبح مبهم ربما بشري، وربما إلهي، في ألفاظ ومصطلحات شقي: ابن داود — ابن الانسان ابن الله — عد الرب. المحيب. لشير. امير السلام الذي ليس للملكة نهاية حل الله الذي يساق الى الذبح كشاة والذي وضع عليه الرب اسم حمينا

كل هذه الامور نبهت اذهان البشر وساقتهن الى الانتظار والترقب. ولكن دعم ذلك ظل الله في صمته ولم يحدث شيء ما. دالت دولة ملوك اليهود واهليهم

وحلت أيام السي المريرة ونشئت الشمس في كل انحاء الارض وسار العالم في طريقه
 العادي بين افراح واحزان، ومعارعات وحطايا. والله بعد صامت وليس تحت علامة
 في افق السماء !

واخيراً ، واخيراً جداً ، حل ملء الزمن . وحدث الحادث العجيب الذي ترقبته
 الاجيال . ومن عريب الامر ان العالم كلن وتفتت كأشبه يتأهب له . وكالحيط
 يستسلم بحده وجرده وهو لا يدري الى حركات القمر كذلك خيل ان الارض
 تستسلم وهي لا تدري الى حركات العالم الارلي . ولما بدأ ذلك العالم في الاستعداد
 لارسال المسيح ، أخذ عالم الارض من جابه أيضاً يتأهب لهذا اللقاء .



الفصل الثاني

العالم يتأهباً

واخيراً جاء ملّ الزمن . وتمحض في محييه عن حادث حل . فها هو ذا العالم يتأهباً . وكما تنلوج بطون المحيط بالمد والجزر من جرّاء حركات الجنب في القمر ، كذلك يُحيل إلينا ان الارض منحنية من جرّاء الحركات الناشطة في العالم الخالد . ولما بدأ ذلك العالم يتأهباً لارسال المسيح اخذ هذا العالم في الاستعداد . واد تلقى الآن نظرة الى الزمّاء ، بعد الحادثة باجيال ، لا يسعنا الا القول بان التاريخ كان يتشكل استعداداً لهذا المحي.

و يؤيد التاريخ انه عند محي المسيح كان في العالم شعوب ثلاثة هي صاحبة النفوذ في ذلك العصر — اليونان والرومان واليهود . كان اليوناني للتفت للمقول، والروماني الحبار المتسلط ، واليهودي المردول اعظم . هذه كانت الشعوب البارزة في العالم المتمدن يومئذ . ولم يكن للشعوب الاخرى أية قيمة . ولقد ادرك بيلاطس هذه الحقيقة يوم كتب عنوان الصليب « بالعبرية واليونانية واللاتينية » . وان كانت هذه الشعوب الثلاثة في الحيل الذي سبق محي المسيح قد تعاقدت دون دراية او قصد على ان تعد الطريق لهذا المحي ، ألا يكون هذا على الاقل نوعاً من انواع التباير الالهية للاستعداد ؟ ان الذين لا يحسون للمسيح حساساً قد ينظرون الى هذه الاحداث كلها كأنها مصادفات تاريخية . غير اني اعتقد ان المسيحيين الذين يقدرون هذه الاشياء ، يشعرون وهم يقرأون التاريخ ذلك العصر ، ان الله لم يرسل يوحنا المعمدان فقط « ليمد طريق الرب » وانما ارسل العالم كله . وهذا ما حدث فعلاً



وأول كل شيء يرى الروماني وقد أعد الطريق لحيه الملك . لانه قبل الميلاد بقرن واحد كان العالم ممزقاً ومشتراً شعوباً صغيرة متباعدة ، لكل شعب دينه

وعوائله وشرائعه وشكوكه وحروبته وحلوده القائمة ضد كل انساب احبي. وكانت البلدان غاصة بمصابات النهب والسلب. وكانت البحار موءودة بالقرصان. ونستطيع القول من الوجهة البشرية انه كان متعذراً قبل المسيح بقرن لاية دعوة تنعت من فلسطين ان تنعدي تخوم تلك البلاد الصغيرة. وكان متعذراً من الوجهة البشرية لتعاية جامعة ان تنساب انسياً سهلاً حراً الى كل انحاء العالم

وقبل حادثة الميلاد هيأ الرومان عالماً مشتتاً. فبدلاً من وجود شعوب مسعدة متاعدة تتبادل الريب والشكوك ألقى المسيح علماً مهاداً حلواً عن الحواجر والقيود. وكانت رومية قد أدمجت الدول للتناص في امبراطورية واحدة وحطمت القوميات الختمة والاديين التباينة وخلقت من الدول العلية مملكة عظيمة متحدة. وشقت الطرق الرومانية كل رفاع العالم للتسدين وصارت قوة القياصرة الحديدية السلام العالمي. وهكذا قد تهيأت الطريق لحيي الملك السلاوي. ويكفي أن نلقي نظرة على سمراة ولس الرسول الطليقة في كل انحاء الامبراطورية لئرى فصل اسلام الروماني، والطرق الرومانية، والوحدة الرومانية، على انتشار وديوع الدين الجديد



هذا ما فعله الرومان لتهيئة الطرق. غير ان الطريق للصلة لم تكن ذات شأن بدون لغة عامة شائعة تحصل رسالة الانجيل الى كل ربوع العالم الروماني. أما اليهود فكانوا يتكلمون الرومانية وعرف الرومان اللاتينية. وتكلمت اشعوب الاخرى لغات مصطرة اشبه بلغات بابل. ولكن عند اقتراب اليوم الذي جاء فيه المسيح قام اليونان — وهم لا يدرون — صحيحهم في اعداد الطريق امام الملك. وذلك لان اللغة اليونانية الجيلة اللينة كان قد أصبحت اللغة الرئيسية في الامبراطورية. فتمت كل الشعوب المحيطة بحوض البحر الابيض المتوسط اللغة اليونانية علاوة على لغاتها الاساية. وصارت ابونانية اللغة الرسمية في كل العالم للتسدين. فتهيأت الاداة لنقل التسليم الجديد وترويج

وثنا الدليل على ذلك ابتدأ في سفرات بولس الرسول . فسمعه يتحدث الى
الاقوام كلها عن اعمال الله المعجبة بلغة مبهومة سواء للرومان او الكورثيين او
المقابلين الوثنية في هساب علاطية



اليوناني والروماني واليهودي - تصامم الثلاثة في هيئة طريق الرب .
فالروماني مهد الطريق ، واليوناني هباً اللغة . ولكن ترى ماذا فعل اليهودي ؟
ومادا كان يُحظر منه في نهضة عدلية واسعة النطاق وهو محقق مرذول محتر من
الاحناس الغالبة عليه . ومحتس في زاوية صيقة من زوايا الامبراطورية للتعاونة ؟
ان اليهودي في عصر المسيح لئلا بارز لئلاسان صاحب ايد الطويل في اعداد
طريق المسيح . فهو مرثته مدى الاحيال الطويلة بين تلال فلسطين قد احتضت للعالم
بقول الله وتعاليم الحياة الروحية ونوات العصر الذهبي الذي سيحيي فيه الموعود
به . ثم حل ما حبه اليهودي بأساة السي . ونحن نرى هذه الحادثة — حين
نلقي عليها نظرة مدخلونهم — كأنها عمل معين بالوقت من اعمال القصد الالهي ،
شأن كثير من مآسي التاريخ الاخرى

وذلك لان السي شنت اليهود في كل اصقاع العالم . وكما ينقل البستاني
القنابل الصغيرة من مهادها الطبيعية ليغرسها في الارض المهيبة ، هكذا نقل الله
اسرائيل وبشره بين شتات الشعوب . ولم يعد مد السي الى فلسطين الاقلية
صغيرة . اما كثرة المسلمين معظم استقرار في اوطانهم الجديدة والمضي الآخر جاب
البلدان الاخرى سمياً وراء التجربة والكسب . ويقول مؤرخو ذلك العصر انه لم
تعمل منهم أمة بل انقشروا بين كل الشعوب واستأزوا القوة والتفود التجاري .
فكان لهم شأن يذكر في كل اجراء الامبراطورية . اما خروج الامبراطورية فكانت
لهم مستعمرات عطية في بابل والاسكندرية أشبه بمرکز القيادة للجنس اليهودي .
وكما هو شأن « بريطانيا العظمى » في هذا العصر كان شأن « اسرائيل الاعظم »
يومئذ . فقد كان عدد النازحين الى العالم اللتين أكثر جداً من البقية الباقية في

فلسطين . ولكنهم كانوا يحنون دائماً الى اورشليم ، كما يحن النفيون الى اوطانهم . ومن المستطیع ان تكون فكرة ص عددهم الوفير وتشتمهم في كل الاعماء باقلاء نظرة عليهم صد حسين سنة من الميلاد وهم يعدون امواجا الى اورشليم لحضور عيد يوم الحسين النسوي « فرنيون وماديون وعيلاميون والساكثون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وشنس وآسيا وغريجية وغلغاية ومصر وتواحي ليلية التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب »

كان اليهود في كل مكان ، والى كل مكان حملوا معهم دينهم وكتبهم الفلسفة كما قيل « لان موسى ، منذ احياء قديمية ، له في كل مدينة من يكرز به اذ يقرأ في الجامع كل ست »

وفي كل مكان ترام قد اعتصموا رجائهم القومي للعود به في السيا للتظفر بحبيته . وقد كان هذا الحبي منتهى آملهم التي اطلوت عليها موسهم . ولهذا فقط قامت اليهودية في العالم . اذ يقول التفود البري : « تبأ الانبياء فقط عن السيا ، ولا حله فقط خلق العالم » . ولسا ننكر انهم لم يعرفوا الميلاد الذي سيجي فيه السيا المتظفر . واعتنقوا افكاراً ضيقة غير روحية عه كنفذ ورافع لواء شعب اليهود . فلم يترقبوا نوراً يصي على الامم ولكنهم توقعوا محداً لشعب اسرائيل وحسب . ومع هذا كله فقد كان لوجود شعب صهمنا ينرس في الاوساط الوثنية هذه القنائد فصيل لا ينكر في اعداد طريق للثك السماوي

ومع ان اليهود كانوا شعباً مكروهاً فقد كان لهم قود واسع . لان جبروتهم من اسرار الوثنيين المفكرين — الذين لم ترق في اظلامهم فكرة تعدد الآلهة وعبادة الاوثان — أحسوا بمهادية دين قائم في وسطهم يدعو بآله واحد ، سام ، قسوس ، يقدر الاخلاق واتصرفات الدينية ويعا بالشر ويستمع الى الصلوات وهو قد أعد شيئاً عظيماً لمستقبل البشرية . ولذا انهم من الوثنية دخلاء الى الجمع اليهودي في كل مدينة . وكان خلا هؤلاء عدد أكبر من التثمين (الذين قيل عنهم في سمر الاعمال

«رجال اتقيا» مثل قائد لكث في العهد الجديد من اجتذبهم التسالم اليهودية ومالوا الى درس كتب اسرائيل القدسة فكانوا ككثنية حول المجمع اليهودي لحياة الامم المختصرة

وكان من اهم عوامل الاتصال ان الكتاب المقدس العبري قد تُرجم قبل المسيح بمئتي سنة الى اللغة اليونانية وهي اللغة الذائعة وقتئذ—فاستطاع ان يقرأه اليهودي والاممي على حد سواء . وألى فيه كلاهما إلهاً بارأ ، وشنعاً عظيماً موعوداً به ولو ان جمهرة اليهود قد أعيت سائرهم وجدت قلوبهم ، ولو ان فلسطين قد صلبت للسبا عند مجيئه ، الا انه يكتفيا الرجوع الى رواية بولس لنجد ان المجمع هو القرية التي تحت فيها بذرة الكنيسة ، ونذكر مقدار النفود القوي الذي كان لتلك الشعب للبعث في تهيئة الطريق امام الرب

وانه لفریب حقاً ان نتحد هذه الشعوب الثلاثة —وهي لا تدري لاعداد الطريق قبيل مجي « كلمة العلي » . وفي هذا لتليل على وجود يد إلمية تسيخ من هذه العناصر الكثيرة المتفاعلة نتيجة باهرة عظيمة



الفصل الثالث

العالم يفكر

ولكن الى جانب هذه التطورات الخارجية ، الجغرافية والسياسية ، كانت هناك ايضاً عوامل خفية داخلية لا تقل أهمية من العوامل الظاهرة ، عوامل جاشت في افكار وأحاسيس البشر في ذلك العصر . وقد كان العالم الذي ترقت بجي ، المسيح علماً تباعاً منهوكة ، حائر الغم ، مصى القلب ، حائراً مضطرباً ، كان في أشد احتضار الى من يأخذ بيده ويشدد حوز عزيمه . وليس شك في ان هذا القول يصدق على كل عصر سابق لحينه . انما كانت البشرية في نداء وتطور مضطرب ، وكان اصمير الانساني قد استيقظ لادرك كنه سلطاه وسيطرته ، فجم عن ذلك دقة الشعور والحس بحالة لا ترمي ولا تقنع ، وكثرة التضخيم في الصير البشري

والآن لنلق نظرة مرة اخرى على الاثناس الثلاثة التي ملكت رمام العالم في عصر الميلاد — اليونان والرومان واليهود :



كان هناك اليوناني التفكير ، الحائر ، الجليل بما جبل عليه من تشق للفن والادب والفلسفة وحب للجميل الرائع ، وبما امتلأ به من تصورات خيالية سامية . وإلى هذا اليوم ينظر العالم الضمدن الى الاعرافة نظرة الإعجاب والامتنان . ونحس مدينون لم بأفضل ما لدينا من ثقافة وتهذيب ، اذ كان لم فصل السبق في ميدان الثقافة

ولكن بالأسف قد طغت من الحرب العالمية الكبرى الأخيرة ما قد تجمعه الثقافة المسألة عن الدين ، وإن العالم لن يقدر على البناء بقوة الثقافة وحدها . واتي أنجيل أولئك اليونان القدماء أشبه بأهل باريس في هذا العصر بشعباً يرحح ويلهو في

خفة الحركة والروح . ويتبع نفسه بكل اسباب التمتع ، ولكنها متع سطحية فقط . اما قرارة الحياة فتستدعي العطف والاشفاق . وكانت أزمى أيامهم قد مضت وانقضت ورأى عن اليونان عصرها الذهبي وصاعته وحسنها السياسية فاضفوا ينفقون (وقلتهم في الخفة والاستهتار وما هو أشر منها وأضل سبيلا . وفشا بينهم الفساد والملاحة والتهتك كسرطان يتأكل في الجسم . ولم يكن في دينهم الجميل قوة ما تصد تيلر هذه اللوقات للمكرة . وكيف يكون ذلك وألهمتهم الجميلة فوق جبل « الاوليب » لم تكن أخلاقية حتى في أزمى أيامهم وأرعرها . فلم تكن ترى أحداً ما يقدم لها الصلوات الروحية !

وفي عهد السلاحة والقطرة كانت ألهمتهم حقيقية لم آمنوا بها ، ولم تكن ألهمه شريرة ، فكان « جو بير » الآب الطيب القلب ، والخالق العظيم ، وحارث ألهمتهم معهم في مصيق « ترمويل » حيث بذل الثلاث مائة المشهورون حياتهم في سبيل اليونان ، وفي سبيل الحق

أما الآن — أي قبيل الميلاد — فقد أمسوا حساً يائساً محنتاً . ومع انهم قد احتفظوا بالشكال وتماثيل ألهمتهم الا انهم اصابعوا كل ايمان بها . وأمست اساطيرهم القديمة روايات حرافية « وتسلق اليونان جبل الاوليب فلم يجدوا هناك ألهمتهم » . وهكذا كان العالم موحشاً في ظلم الشعب الاغريقي المسكين . ومن الطبيعي ان يكف الشعوب والافراد في ايام افئدة والسعادة الى الاستهتار والمذلات والتجليات الشعرية ولكن تأتي أيام تزول فيها هذه كلها . وفي ايام الاحزان والصيق يريد إلهاً من نوع ما تنزع اليه للاحتواء فيه . وحتى « جو بير » وروحه يؤذيان بمصر التمتع على شرط ان يكون الايمان بها حقاً . وبالحية الامل ان لم يكن الخلال كذلك !



والآن لتعلم الى الرومان : لم يكونوا في حالة انحطاط وتقهقر شأن اليونان بل كان عالمهم على جانب عظيم من الشجاعة والعظمة والكبرياء والقوة والسيادة . ولكن يقول المؤرخون ان هذه العظمة الظاهرية احست تحتها فساداً تافحاً . فالحيلة

العائلية كانت لا تطلق ، وكانت للظالم فاشية والقسوة سائدة ، وكان الشعب عالقاً في وهدد الانحطاط والوحشية ، فكانت أحب ملاحظتهم المذابح للريفة في ساحة المصارعت ، وكان الرق لعبة الامبراطورية . فبين كل ثلاثة يسيرون في شوارع رومية كنت ترى اثنين من العبيد الارقاء . وبين كل ثلاث نسوة أو ثلاث فتيات كنت ترى اثنتين خاضعتين لهوية السادة الفاشيين ولكل ميل شرير من ميول المشهورات البهيمية الجاهلة . وكان الصيد انفسهم في حافة الشتاء وامبؤس فهرع حيارم الى السحبة عند ظهورها ، وعلت أشراهم في رومية فساداً وفساداً وحرواً معهم صوقاً جديدة غير طبيعية من الرذائل والموتقات وأخذوا ساداتهم ، وأخذوا الاطفال معهم . وكانوا مصدر كل شهوة في عصر رومية الذهبى حتى ان الفتيان الرومان كانوا يشيخون ويفسدون بالردائل الكريهة وهم بعد بين العاشرة والعشرين من العمر . وبعد هذا العصر نصف قرن رى بولس الرسول يصف هذه الحالة الثالثة في الفصل الاول من رسالته الى رومية مشيراً الى القوم الذين اسلمهم الله الى التحلة في شهوات قلوبهم . وهانت ترى العالم الرومانى بكل ما فيه من كبرياء وعظمة ، عالماً مغطلاً موحشاً لكل رجل وكل امرأة ، عالماً يموتون اليه . وسين كان يحمل الحزن بانسان ما ، أو يشتم من نفسه ، لو تمور في داخله رجعت وميول نحو الحق ، لم يكن يحيد امامه إلهاً يعطي له الا الآلهة رومية والامبراطور الذي كان يعبده الرومان كأنه يمثل رومية . وتصور نفسك في مثل هذا المركز وفكر كيف كنت تشم ١١. ولكن ليس هنا نقطة الارتكاز . فان هذا القول يصدق اجمالاً على العالم الوثني في كل العصور . اما النقطة المركزية فهي ان خيار الرومان انفسهم سموها كل هذا وكانوا يرحبون بأية قوة تنسلمهم . وقد كان بين اولئك الوثنيين شخصيات نبيلة . ونحن نذكر كيف ان قادة الرومان في العهد الجديد مالوا الى المسيحية عندما احتكوا بها . وانه لم نواحي العطف والاشفاق ان تعرف شعور قادة الفكر انفسهم ازاء هذه الحالة . فقد كان ذلك العصر عصر العفاسفة ، يتفلسفون الطريق نحو الحق ويتسبون في الظلمات لعلهم يمشون على مرشد اخلاقي . وكان

الناس يصكرون تفكيراً حدياً . ويحاولون — وهم امام سماء حالية من الآلهة كسماء اليونان — إيجاد نوع ما من انواع الدين ليحيوا به . وكانوا قد تنوروا في معرفة اسرار الضمير وادراك مدى سلطته . وقد قال أحدهم ان الصمير شعاعة من الالهية في داخل المرء . وكانت هذه بلا شك خطوة واسعة الى الامام خطاها شعب وثني

ولقد اخراج فلاسفتهم الرواقيون تعاليم نبيلة : « اسمع وراء الفعيلة ، اصنع الى صوت الصمير ، لان الصمير نوع من انواع الالهية الداخلية . وربما حكان وراءه كائن عظيم . وحتى ان لم يكن فليكن ان تعني الى تداء هذا الصوت » أليس هذا موقفاً نبيلاً يفتنه شعب وثني ؟

أجل . جاء لوثك المفكرون باصل ما لديهم . ولكن لم تخرج جهودهم عن حد التفكير النظري . ولم يكن لديهم اساس مكين يقيسون عليه ديناً ما كما كان لليهود . ولم تقوَ ظنونهم وتأملاتهم النظرية على مصادمات الحياة وعثراتها . ولم تستطع نظرياتهم امتلاك عامة الشعب الذين لم يفهموها ولم تمس الا العقل الشرعي للمفكر وهو يحاول اخراج دين ما لنفسه . ولنا كان الفضل محققاً في هذه المحلوة

فشل الفلاسفة . ولكن أليس مما يسترعي النظر انه في الوقت الذي يسعى فيه الوثنيون لاحدراك النور — في الوقت الذي فشلت فيه اسمى الجهود التي بذلها العقلية الشرية العاطلة عن اية معونة خارجية — يجيء المسيح في هذه الازمة الفكرية في تلويح الشر ؟ !

وما هو شأن اليهودي وهو يمثل القسم الثالث من العالم يومئذ ؟ ربما يقال انه مهما كان الحال مع اليوناني أو الروماني فان اليهودي بما كسبه الشئدة لم يكن في موقف المرعب بمجيء المسيح

غير اني اخشى ان يكون هذا القول سائئاً فيه . لانه يحكم قط على اليهودي التصب التحزب الذي يظهر في العهد الجديد بمظهر السائد المقاوم . ولكن

كثيرين من افاضل اليهود وأوا رجاء النبوات مكملاً في يسوع ، فصاروا الاعضاء
النيورين الاولين في السكينة الاولى الناضجة

وكتابات ذلك العصر تدلنا على ان مفكري اليهود لم يكونوا راضين عن
دينهم شأن اليونان والرومان . لان اليهودي للتجول ميذاً عن رفاع فلسطين قد
اتسع مدى تفكيره بفصل احكامه بالشعوب الاخرى وميله الى علوم وآداب الامم ،
فلم يبق محصوراً في الدائرة اليهودية الضيقة . واحس وهو يحاط اصدقاء الوثنيين
ويسادقهم ان اليهودية التي عجزت عن ان تفتح أبوابها لأمثال هؤلاء الاصدقاء ان
يمكن ان تكون ديناً للبشرية فاطبة . لان «يهوه» كان إلهاً خاصاً بإسرائيل فقط
ولا يمكن لسائر العالم ان يصل اليه الا عن طريق إسرائيل بواسطة الملائكة ومراعاة
طقوس قديمة لشعب غريب هو مكرهة شعوب الارض . ولذا كان الموقف عرياً .
ويؤخذ من كتابات بعض اليهود في ذلك العصر انهم كانوا يحاولون اصلاح دينهم
وتوسيعه ليصبح ديناً للجميع

ولو أمكن ان تردهر اليهودية بما حوت من تعاليم لاهوتية شيلة وتصبح ديناً
جامعاً شاملاً للجميع لا فرق بين يهودي واممي ، يوناني او بربري ، عبد او حر ،
لكان ذلك عين المرام . ولقد ادرك اليهود للعكس ان هذا ما رمت اليه نبوات
القدم ، اذ سيأتي يوم يفتح فيه حذع يهوذا عن رهرة ناصرة يوحنا اريخا معطراً
ويُنشر على البشرية فاطبة عند مجيء المسيح المنتظر

بقي ان ننظر الى شيء آخر : هو ان الرجال الروحانيين النيورين امثال بولس
الرسول تقدموا التاموس . ويقول بولس نفسه ان التاموس مؤقت ومقصود به ان
يشمو ويتسع وهو معلم لاختياد الناس الى المسيح . وقد امان في اراحة اللثام عن شغوته
ومصارعته الروحية قبل الاهتداء كيف ان النيورين من اليهود كانوا يسمعون
ويجادلون لايجاد منهمد يقتربون به نحو الله . ولا امثال هؤلاء كان المسيح اكتشافاً
مفرحاً معرياً

ولعل اعرب ما في الامر كله وأدعاء لدهشة هو الانتظار الحار الذي كل عليه شعب اليهود قبيل مجيء المسيح . وأحرز على القول بان التاريخ البشري لم يحو بين طياته ظاهرة قوية منقعة كتلك ، الظاهرة النفسية العقلية ، ظاهرة الترقب العاصت والانتظار الحار الذي كلن عليه ذلك الشعب عند مجيء المسيح

وكان قد مضى على آخر الانبياء الذين تنأوا عن مجيء ، السبا المنتظر حمة قرون ولم يحدث شيء ما . وكان التوقع ان يسى اناس ، او تصعب الآمال المرتبة بعد حمة احيال، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وشهد التاريخ شعماً نيلاً وانها على اطراف اسامه يرداد ترقباً كلما طال الزمن . وقد غلبر في الفترة بين العهدين القديم والجديد نخبة من المؤلفات تميز كلها عن هذا القوق اشديد . وهك نبذة من احد الاسفار المسمى بـ « اخوخ » وكان هذا السمر دائماً منتشرأ في القرنين اللذين سبقا مجيء للمسيح . واكبر الفلن ان للمسيح استقى من هذا السمر القعب المحبوب الذي اطلته على نفسه « ابن الانسان » : —

« ورأيت في رؤياي من كان مع الابهدي الازلي، وسهه شه وجه انسان مملوءاً حمة . وسألت لللاك فقال لي : هذا ابن الانسان الذي يسكن فيه البر والذي يمثل كل ما حفي وهذا ابن الانسان سيكون عكارأ لبار وورأ للام ورجاء لمنظر في القلوب . وستحشوا اماله كل ركبة من سكان الارض . وهذا السب كان اختياره قبل تأسيس العالم والى الابد »

وتومى هذه الاسرار كلها الى رغبة الارتباب للثقة . وانت تلمسها نائمة ايضاً في فصول النشأر الافتتاحية . وكانت رسائل انبياء القدم قد تبنورت وصارت رجاء قوياً . وصار هذا الرجاء رعبة متسائلة دوماً عن يوم مجيء القائد المنتظر . ولما جاء يهودا الجليلي في أيام العشور والصرايب تمع خلق كثير آمليين فيه ان يكون السبا المنتظر . ولما جاء يوحنا الصدان فكر الجميع في قلوبهم عما اذا كان هو للمسيح أو غيره . ولما بدأ كرأته في البرية كان اول سؤال رُحِه اليه : « قل لنا . هل انت

المسيا؟ هل انت للتطهر؟» ولا يسع الباحث الا ان يشعر بانه في وسط مملوء بالتساؤل
والانتظار الشديد

لقد رأينا في فترة معينة من التاريخ الشرقي شعوب الأرض العظمى تهباً
لاعداد الطريق لحيء المسيح . قد رأينا الشعب اليهودي فاضية وانها على اصابع
القدم يترقب ويحظر ، والعالم كله في هوة عميقة يتلص قوة لا تشله
وعندئذ — وعندئذ فقط — جاء المسيح ! ا



الكتاب الثاني

في ملء الزمن

الفصل الاول

في ملء الزمن

وبعد ان مرغت هذه العوامل كلها من مهبها ، جاء لذلك ، « وفي ملء الزمن ارسل الله ابنه » من العالم الازلي الى هذا العالم . وها قد حشا في مراحل التاريخ البشري الى الحادثة الخطيرة التي كان كل التاريخ السابق بمثابة استعداد لها ، الحادثة التي ارالت شقة التباعد بين الله والاسان حينما جاء « هو » نفسه الى الارض في هيكل بشري ، « هو » الذي كانت مخرجه منذ القدم ومن الازل

وأول ما يسترعي النظر ويكاد يحكون بيد التصديق لاول وهلة ، تلك الطريقة العادية البسيطة التي تم بها هذا الحادث الخطير . فلو كان قد جاء في قوة واقتدار ، واشقت له السماء لكان ذلك منتظراً لا شذوذاً فيه . اما ان يجيء على هذه الطريقة البسيطة العادية فهنا وجه التفرقة واللمحة !

ولكن من ناحية اخرى ، أليست هذه هي طريقة الله في صنع كل عجايبه ؟ أليس هذا هو الاسلوب للألوف في اعمال العالم الازلي ؟ . . . في انبات اشجار البلوط الصخية ، في صنع الكواكب والسيارات ، في اعجوبة الفجر ، في غرائب الزرع والحصاد . هذه هي طريقة الله ، هادئة بسيطة ، لا تسترعي شيئاً من الانتفات . هكذا جاء يسوع في بساطة هائلة غير منتظرة . ليس في مجد وفخار وانشقاق السماء ، بل في رقة ولعاب وهنوء كالندى يتساقط في الليل ، او العجر ينسل لتدبير عياهب الطلمات . وها هو ذا حادث جلل لا يستوعبه الفكر البشري ولكنه ينفق مع أبسط عناصر الحياة . ويخيل للمرء كأنه يقرأ قصة قروية عادية حتى ليصب عليه ادراك ما فيها من غرابة وروعة

في بساطة وهنوء ، وفي حالة طبيعية ، صار المسيح انساناً !

وتبدأ مشاهد القصة في بلدة قروية صغرى تكتنفها جبال الخليل - وفي إحدى
طرقات القرية يقع النظر على حانوت مجوهر يبيع أمام منصته بالمشاور والقادوم
والأزميل ، ويسمى للتأصد والتأصد والحارث والاثيرة لصلاته في تلك النواحي .
يصل مجد ونشاط وفي غبطة وهناء وقلبه مغمى بأفكار خطوته والبيت الذي يسوي
أعداده للحياة الزوجية

وعلى مقربة منه في القرية تقطن خليته - مريم ابنة حنة - وهي فتاة
قروية ولو أنها من دم ملكي - تعمل في بيتها في الغزل وأعداد الخبز واستقاء الماء
من البئر عند المساء مع الفتيات الأحراريات في القرية . ونحن نتجلبها فتاة قد
أكتست بالجلال والوداعة والرقّة ، ونصورها لائقنا بوجه حيل رائع يتفق مع
جمال نفسها وصفتها

ومن ذا الذي كان يحلم يوماً أن تجري معجزة الأجيال في هذه الوسط الساذج
الوضيع ؟ إن العالم غير المنظور وهو يرقب مدى الأجيال استعداد الطويل ، يهبط
إلى الأرض لينظر على مسرحها رواية القضاء ويلعب أحداثها في مشاهد عتية على
مرأى البشرية . وفي ذات يوم أو ذات ليلة اضطربت لجأة غسية تلك الفتاة
الساذجة وهي تردد صلاتها ، وأكتنفها رهبة حارقة للطبيعة وظهر لها ملاك من
السماء وخرق أدها صوت من العالم غير المنظور :

سلام لك ! ابنتي المنيح عليها ! الرب معك !

وفي تلك الساعة وهي تحني هامتها في هيبة ودعش يأتيها الاعلان المائل .
ويبشها ذلك الصوت الغريب بأن رجاء إسرائيل ، ورجاء كل الأجيال الطويبة
سيكمل أخيراً :

« لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله . وها انت ستجلبين وتلدين
ابناً وتسميه يسوع . هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى وليس لك
نهاية . الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فذلك القدوس للولود منك
يدعى ابن الله »

فقول مريم : « هوذا انا أمة الرب . ليكن لي كقولك »
ثم عضي من عندها لللاك . وها يقل اللسان ، ويسدل فوق قلب العذراء
حجاب كثيف ، وليس لنا ان تلقى كلمة تعليق ، او تتطفل على صدق هذه القصة
القاسية التي لم تأت الا من طريق مريم نفسها



وبعد قليل نرى امرأة — قد أحيطت بسر هائل لم تعلمه امرأة سواها من
قبل — تصعد مسرعة نحو جبال يهوذا لتكشف هنا السر الى امرأة مثها . ولم يكن
في وسعها ان تقض مكنونات قلبها أمام احد ، حتى ولا امام خطيها . لان المرأة في
مثل هذا الظرف تودع سرها امرأة مثها . وقد كان لها ابنة عم تدعى « اليصابات »
روحة لكاهن قروي ، وهذه ابناً معها لللاك ايضاً بأنها ستشارك في اعطاء القصد الالهي ،
وكان آتياً الى العالم لطفل آخر سوف يكون منادياً ومهدداً لطريق المسيا

وجاءت مريم الى بيت الكاهن في جبال حرون . وتلاقت المرأتان
وروت كل منهما قصتها ، واخذتا تستعبدان التفاصيل في ذهون واندهاش . ولا يمكن
لأيهما ان تنسى الاحتمالات التي تدور حولها خلال ثلاثة اشهر وهي تنحط الى
شريكتها ، والى نفسها ، والى الله ، ليل سهار ، في ذلك البيت الصغير الهادي اقام
فوق سمع الجبل . اما العالم الخارجي فكان مشغولاً بكمالاته ومشروعاته ولم يدرك
شيئاً عن ذلك الحادث الجلل الذي كان مزعماً ان يظهر فوق مسرح الارض

عادت العذراء للباركة الى بيتها في الناصرة . ولم تعد اليه تلك الفتاة الطرونة
الخفيفة القلب التي تركته . فانه خلال الاشهر الثلاثة التي مضت كانت الفتاة قد صارت
امرأة عازبة في القامة الروحية ، وأصبحت في عالم جديد أكثر اتصالاً بالله تصكر
ملكاً على افراد في فرح ممزوج بالخوف عن ذلك السر الرهيب الذي أغلق عليه
داخل أحشائها . وحتى يوسف نفسه لم يعرف شيئاً . ولكن بعد ان مرت الاشهر
امتزج الفرح القاهل في عيبتها بقسامة من الألم وقد بدأت تقطن الى الريبة
للرعدة التي سوف تعمر قلب خطيها ، والتجربة القاسية التي تنتظره بالمصاد .

ويكفي ان تصور نفسك مقدار ذلك الالم عندما اراد يوسف «اد كان رجلاً باراً
ان يحلها سرّاً» ا

انقضت ايام الشتاء . وفي هزيع الليل عندما تهاوس الالهس البشرية بالعالم
الروحي ، هبطت رسالة الله الى ذلك الرجل المذب واستيقظ وفي نفسه مريح من
اليقين والحبل والنبطة بأحد مريم زوجته ويرعى في رقة وحزن تلك الام
المنزلاء «ومسيحها» الذي لم يولد بعد . أما مريم فلم تنس سهولة مراعاة تلك الايام
القسية لان مثل هذه الاختبارات تترك آثاراً في قلب المرأة

نسة اشهر تقصّت . وفي ذلك يوم وقد مالئ الشمس الى المغرب ، وأتت
وشاحاً من التور النعيمي على تلال بيت لحم بوتلالوت جبال موآب بلون قرمزي في
القضاء البعيد ، تقع العين في طريق الوادي على رحكب من المسافرين قد أصنام
السيرو بينهم شابة قروية تمتطي دابة وقد مدت عليها أكثار الاعياء وامسك روجها
الساثر الى جانبها بخود اللساة . «لانه صدرأمر من اغسطس قيصر بان يكتب كل
المسكونة فعند يوسف ايناً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة
داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتب مع مريم امرأته
المخطومة وهي حبل»

اقرب الاثنان الى بيت لحم ، الى بلاد كانت لا تزال حية بذكراتها
التاريخية . ففي المراعي المحيطة بهم انضمت راعوث منذ أمد بعيد بقايا السنايل في
حقل بوعز ، وفي الفجوة الى اليمين حارح ابواب القرية مدت ثلاثة من الشجبان في
مسيل احصاء الماء لملود من نثر بيت لحم ، وعلى مقربة من الطريق قبر تذكارى
يقسمه جميع ايهود عنده انطقاً رجاء حيلة يقرب «ماتت عدي راحيل في ارض
كنعان في الطريق اذ بقيت مسافة من الارض فدفنتها هناك في امانة التي
هي بيت لحم»

ولكن رغم هذه الذكريات كانت افكارها مغممة بأشياء اعظم من هذه
ستحدث قريباً . ويوسف يسرع ليعد ملجأ لراحة شريكه لان الاميال الاحيرة

كانت قد انتهكتها حدًا . وليس من الصعب في الأيام العادية إيجاد مكان للراحة لان الشرق الكريم يتميز الصياغة من الومجبات المقدسة ولكن للدينة كانت قد غصت بمجاهير الزافدين ، ولم يكن ثمت مكان للقادمين اليها ، حتى ولا في الخلف ! لم يكن هذا ذنب أحد من الناس . لان احداً لم يعرف من هو القادم الا الجمهور اساجد للطل من كوى العالم الاعلى الذي هبط منه ابن السماء . وحاشا لسكان ذلك العالم الذي تسوده المودة والمسرة ان يعيبوا علينا هذا التقصير ، وربما كانوا يستمتعون بسخرية غير مقصودة هذا الشهد : رب انكون يهبط الى عالمه الصغير ، وليس في هذا العالم مكان لايوائه ! !

واخيراً التحأ الصيدان الى كهف طبيعي متور في الصخر من الكهوف التي تستعمل مرطاً للماشية . وهناك وحيدة مفردة ، بلا يد شعوفة تستند وتشددها ، قاست تلك الام المنذراء آلام الخاض « وولدت ابنتها البكر وقطعت » ولم يكن معها انسان يقوم بالتقصير . واضجمته في اللذود وحوله المواشي ، وفي هذا الوسط نام نومة المشوقة الاولى !

هل دخل طفل الى العالم بهذا الشكل الوضع ؟

أليس هذا باعثاً على شدة حسنه ؟

لو كان المسيح ولد في قصر فخم تحف به الاميرات ورؤساء الكهنة لشوه شيئاً ما جمال هذه الصورة . وهذا الطفل الصغير الوصيع الذي لم يلحظه أحد ، يأتي اليها في عجره وصمعه بتداء حار قوي . كأنه يوكل نفسه اليها ، ويلتصص حساوتلقاها به ... في حالة تمس كامن الحس ، وبتداء يلمس مكن الصمير ، جاء المسيح الطفل الى العالم !



ولم تكمل القصة بعد . فما هي ذي الملائكة تهي ، ويظهر على المسرح عالمان ولا يعرفونك ان تلعب في حيلتك هذه الصورة كاملة لئلا تفقد مجاسها ويصبح معناها

تمّ هذا الحادث الجلل في الانسن . جاء رب المهد في الحياة البشرية ، في سناجة و بطريق عادي مأثوف هادي كندى الصباح . هل الجانب الارضي نرى زرية المواشي (اصطبلًا) ومدوداً والاشية في مراعتها وامرأة صيرة تلف مقلها في أقطه -- لاشي من الترابه في الامر كله حتى يبرق على المسرح نور العالم الذي جاء منه هذا الطفل ، حيث نرى في كند السماء فوق للذود والزرية ، الجمهور السايوي يهل لحيي المسيح

واذكر ان هذه قصة واحدة متسكة ، وصورة واحدة لحادث واحد : الطفل الالهي على الارض قد هبط من السماء فأحاطت به فوق رأسه حنود للملائكة تهتف له وتحييه يوم ميلاده

وان هذا الفصل من القصة ، صوت الاقبح للفرح في العالم الآخر ، لأشد فصول القصة أثرًا في النفس . فاجل انقام موسيقى السماء تنجوب أصلوها فوق سهول بيت لحم معلقة بشرى الفرحة لعالم قاطنة ! وما أوفر افراح الجماهير السويوة تطرب وتبتهج وهي تشد الشيد انخالا للأثوف في عالم السماء « المجد لله في الاعلى » !

وما لم نحفظ في أذهاننا دوماً بصورة هذا العالم الروحي القيور ، الفرحة الطروب تنيب عنا معالم جماله وحجابه . ونعسي صورة للملائكة من السماء محوطة بالصبا والسحب الى جانب صورة للذود والطفل على الارض . وهذا ان يكون ، فلن نرى تردد من جانبنا في حقيقة وجود العالم الاعلى في هذا الحادث يُذهب عنا معنى القصة كلها . وليس هذا مشهداً خيالياً فقط أحاط بافراح العقولة ، ولكنه حزن من قصة الطفل والافقة . والمصوران تماشين معاً . وكلاهما على قدم المساواة في الحق والصدق . والواحدة مكلفة للآخرى

ويسوع -- وقد كان ذلك العالم مسقط رأسه -- يصع العالمين امامه دوماً . هو يحكم عن السماء والملائكة والارواح كما تتحدث نحن عن مساقط رؤوسنا واصدقائنا الذين صرفهم . وعندما تقع عيناه على طفل صغير على الارض تقع عينه

في الوقت نفسه على ملاكه الحارس امام وسع الآب في السماء . وعند ما يرى حاملنا
يتوب على الارض يرى ايضاً فرح اللائكة في السماء . وبشر ان ذلك العالم الذي
حاه منه محيط به دائماً ويهتم كل الاهتمام بملئنا الارضي هذا
قلنا ان كل حول لله في الحياة البشرية ، وكل نهضة روحية ينهضها عالمنا
هذا ، تبدأ في ذلك العالم الاسنى قبل ان نعرف عنها نحن شيئاً . ونحن في ذلك
لللاه الاعلى قبل ان تظهر في هذا المسرح للنحضر . وادما ما فكرنا ملياً في
خطورة هذا الحادث العظيم - نحمد الابن الازلي - وكيف تهلت له السماء في
بادي الامر وتبعته باصوات السبيح عند ما انتقل الشهد الى مسرح الارض ،
استطعا ان تدر معنى الفرح لللائكي الذي عطر اجواء الارض بالشارة المفرحة
لكل البشرية « يولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » !



الفصل الثاني

الميلاد من عذراء

رأيت من الملائق أن أورد فصلاً خاصاً لميلاد المسيح العذراوي إذ قد طُرح للوضع في مناقشات عظيمة ونجم عنه شيء من اربوبية في بعض أسفول. ولا ينبغي هذا التساؤل من جانب غير المؤمنين فقط. بل يوجد قمر من المسيحيين أنفسهم يرمون أن التساؤل في عقيدة ميلاد المسيح من عذراء لا يؤثر شيئاً على الاعتقاد بالوهية المسيح. وربعه في أرائه الشكوك والشبهات يطالبون بحذف العبارة القائلة: «حبل به بالروح القدس وولد من مريم العذراء» من قانون الإيمان المسيحي

ومما كانت التية سلبية فإن المرء لا يسه إلا اعتبار هذا الموقف المهم خطأً هاملاً. لأنه لم يحدث ما يبرره. وهو يؤثر جداً التأثير على عقيدتنا بأوهمية المسيح. ولم نضع الكنيسة الأولى هذه العبارة البارزة في قانون الإيمان صدفة أو اعتباطاً. ولما في الترويج عبدة فإن من يصد إلى تفكيك عقيدة العشر في ميلاد المسيح العذراوي فكأنه يترع دعاية التعليم القاهم عليه التجسد

وأنه لمن الصعب معالجة هذا الموضوع في إيجاز. ولكن سأحاول أولاً بيان الموقف التاريخي وكيف أدمج هذا التعليم في قوانين الإيمان المسيحية. وأعالج ثانياً الاعتراضات والشكوك التي يبدىها البعض. وأيس أخيراً الأهمية الحيوية في الاحتفاظ بهذا التعليم في إيماننا

ونشأ أولاً بالموقف التاريخي:

حلال حياة السيد المسيح لم يفكر أحد قط من التلاميذ في هذا الموضوع. فإن التفكير فيه قبل إدراك الوهية للمسيح كان يحسب من الأمور اسخيفة السابقة

لاوائها والتي لا يمكن تصديقها . وإن تكلم الام العذراء «التي حفظت جميع هذه الامور في قلبها» يؤدي بنا الى الاعتراف ان روايتها لم تُنشر الا لعدد قليل من الاخفاء ، فكيف لا يكون ذلك الامر دقيق يتطلب طبيعته الجمع والاحاطة عن اذاعته في وقت كان ينظر فيه الى المسيح كمجرد انسان . ونحن مع توقيفنا لسر التجسد نسمح علينا جداً ان ندرك حقيقة الموقف يومئذ . ولكن التاريخ يسمح كل شيء ويؤدي لنا كل القريات للستيجة التي اذاعها اعداء المسيحية حينئذ . وهل تستطيع الام المباركة نفسها ان تنسى ذلك اليوم المشؤم القاسي ، يوم اوتاب خطيئها في طهارتها وعفتها وأراد ان يحلها سراً ؟ وكيف كان يمكنها ان تدفع في عالم مشبع بالشكوك والاعتراآت ذلك الاختصار القذ الرديد في ذاته قبل ان تدرك في نفسها ألوهية المسيح ومعنى الميلاد العذراوي ؟

ولا يغرب عن ابال ان التلاميذ قبلوا للمسيح في باديه الامر كائنات . وقد كان هذا هو التصد الالهي الذي اراده للمسيح . فانه كائنات اكتب عليهم واعجابهم واحترامهم وتدرجياً أخذت أحاسيسهم تنمق وتزداد في الدهشة والرهبة ، في الخيرة والتردد — وقد حاروا في أمرهم ولم يرد هو ان يجبروا معص عليهم ولكنه احتفظ بالسر الالهي . وحتى عندما لحوا وميضاً منه منهم ان يتكلموا . وحتى بعد التجلي أمرهم ان يصمتوا الى أن «يقوم ابن الانسان من الاموات» . ولم يبدأ اعلان ذاته الا قبيل نهاية حياته فقال لهم «انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي» — «انا والآب واحد» — «يوماً ما سآتي لادين الاحياء والاموات»

ولم يشرق عليهم خبر هذا الاعلان المائل الا سد القيامة ، والاربعين يوماً التي قصاها متردداً عليهم ، والصعود الى السماء ، ورسول الروح القدس عليهم . وبعد هذا كله أدركوا في رهبة وحشوع من كان ذلك الشخص المحيبي الذي قضى معهم ثلاث سنوات في فلسطين فكذب أحدهم «الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده ، مجداً كما لوحيد من الآب»

تم هذا كله دون ان يعطى أحد الى ميلاده العذراوي . واخبرهم لم يكن

قد عرف شيئاً عن تلك الحادثة العجيبة . ولكن عدداً أمييط اللثام عن ذلك السر
 الذين في جرّ أهل قبوله جاء لهم بثابة تأييد لا يملتهم وظهرت لهم خطورته ومناه .
 ولو كانوا قد عرفوه من قبل لما كان له في نظرهم من معنى . أما الآن فقد أراح
 هذا السر كل حيرة حول سر أوهيته . وجاء مؤيداً ومتناسقاً مع عقيدة التجسد
 وبالطبع قد أذيع هذا السر عن طريق الفناء مباشرة ، أو بواسطة أخصائها ،
 ربما الرسول يوحنا أو رميلائها من النسوة القديسات . ونحن لا نعرف شيئاً عن
 كيفية هذا السر ولا الدليل الذي اقتضت به الكنيسة بمصدق تلك الحادثة ، ولكننا
 نعلم ان «مريم ام يسوع كانت مع الاخوة» ، ونعلم ان هذا السر قد دأب في سنوات
 قليلة في كل أرجاء فلسطين ، وأنه بعد ان تداولته الالسن كحديث متواتر
 دونه في السر المكتوب النثير متى وصّله البشر لوقا ، وأن الكنيسة قد أذاعت
 هاتين البشارتين كأمرها لسان حالها وتعبيران عن عقيدتها . وقد أدمجت هذه
 العقيدة في أولى قوانينها . وهاك ما جاء في قانون الايمان الروماني المسماني الذي
 وضع حوالي ١٠٠ م : « ولد بالروح القدس من مريم العذراء » . ومنذ ذلك
 التاريخ ، وعلى مدى الاجيال المتعاقبة قد جعلت الكنيسة — في غير تبديل او تحوير
 او تردد — هذه العبارة اللطيفة التي قام عليها معنى التجسد في قوانين ايمانها .
 وحتى اليوم تأمر جميع ايمانها في كل رقع العالم بان يعلّوا عقيدة التجسد في تلاوتهم
 هذه العبارة : « وآمن يسوع المسيح ابن الآب الوحيد الذي جبل به
 بالروح القدس ، وولد من مريم العذراء »

واذا وضعنا الحوادث التي حدثت مع التلاميذ في ترتيبها المنطقي الطبيعي بعد
 ان مسألة الميلاد العذراوي لم تحضر على بال ، ولم تترك قط الا بعد الاقتناع بأوهيته
 وبتوهم هذا لم يكن لها نمت معنى . وهم عند ما عبدوا المسيح المساعد كاله هموا ذلك
 السر المائل الذي انطوت عليه هذه الكليات : « الروح القدس يحل عليك وروح
 النبي تظلك ، ولذلك القديس للولود منك يدعى ابن الله » . عندئذ ، وعندئذ فقط
 فهموا هذا السر الذي جاء مؤيداً ومتناسقاً مع حقيقة أوهيته

ولكن متى أعلن هذا أسر علانية ؟ لم يسم كتابه طويلاً بعد ان تناقلت
الاسن الرواية . اما أعلن عقب القيامة مباشرة . ويقول الاسناد « هوئك » اكبر
الثقة في تاريخ ذلك العصر وهو نفسه لا يؤمن بالميلاد العذراوي — « كان
هذا السر شاملاً بين جميع المسيحيين حوالي نهاية القرن الاول . واثبت لا بد وان
يكون قد دُون في فلسطين في السنين العشر الاولى بعد القيامة

وما هو الدليل على ذلك ؟ ان الدليل الوحيد الذي يثبت أية حقيقة تاريخية
بعد ان يكون قد مضى عليها سنوات طويلة اما هو شهادة ابناء ذلك العصر الذين
كانوا في موقف يؤهلهم أن يحكموا على صحة الدليل — وقد آمن الرسل بهذه
الحقيقة ووضعوها كمقيدة أساسية مؤيدة عن سيدهم وربهم

وان في تدوين البشيرة لوقا ومتى لهذه الحقيقة كحرمة من عقيدة الكنيسة ،
وقول الكنيسة لهذه الحقيقة وادماها ضمن عقائدها — يقول ان في هذا دليلاً
كافياً يؤيد هذا الاعتقاد . ولا ندرى كيف يفوت بعض الناس هذا الامر الواقع .
ومن يقرأ الادلة التي يدلي بها تاكرو الميلاذ العذراوي يظن ان لوقا ومتى هما
اشاهدان الوحيدان كأتهما قد كتبا نظريات من عقيدتهما لتؤمن بها الكنيسة .
ولكن لا يعرب عن الدال انهما كتبا عقائد الكنيسة نفسها ، وهنا محور الامر كله :

انه الكنيسة لم تؤمن بميلاد المسيح من هذه لاهة هذه المادة قد كتبت في
الانجيل . ولكننا بالعكس كتبت في الانجيل لاهة الكنيسة آمنت بها . وكلامه وراه
متى ولوقا الكنيسة كلها شهادة حاضرة مؤيدة

لو تذكر الناس ذلك واحفظوا توازن العقل وتوازن الشعور لما قامت هذه
الصعوبة التي يدلي بها جماعة للرتابين في زعمهم بان كتاب العهد الجديد الآخرين
لم يشهدوا للميلاد العذراوي كما فعل دانتك البشيران

والآن نعالج هذا الامر : ولننصف الطرف لحظة عن الاعتراضات التي يثيرها
للحصول . ونحن نجد ان اصعب مشكلة تنصدي لجماعة المتشككين من المسيحيين ان

البشيرين مرقس ويوحنا لم يعرضا لذلك هذه الحادثة . ولم يذكرها أيضاً بولس في رسائله الكثيرة التي حوت الشيء الكثير . فيقولون : أليس ذلك دليلاً على أنهم لم يؤمنوا بها ؟ وهذا الافتراض يبدو وجيهاً ولكن لا يثبت ان يزول بعد بحث وتحليله

ولندكر أولاً ان قبول الكنيسة لشارتي متى ولوقا كوثائق صحيحة في تعاليمها للجيل على وجود اعتقاد شائع ثابت . فلماذا ادن لم يشر اليه مرقس في بشارته ؟ انا اذ تعمقنا هذه البشارة من اولها نلاحظها نتحدث عن حياة يسوع الصالحة خبناً بالمعصية وسفرته الى الجليل . والبشير لا يمس شيئاً ما قبل ذلك التاريخ بينما لوقا يقول في مستهل رسالته : « . . . اذ قد تليت كل شيء من الاول » . ولذلك لا يصح افتقاد مرقس كشاهد حي أو اثبات لحادثة لم يتعرض لها

ولماذا لم يذكرها يوحنا ؟ لست أدري . ولكن لنذكر انه كان عالماً بنشر بشارتي لوقا ومتى ، وموثقاً بان ميلاد المسيح العذراوي كان من العقائد السليمة بها في الكنيسة . ولما قصد فقط ان يكمل ما قص في البشارة الاخرى وان يكتب ما لم يكتبه زملاؤه . واداً لم يكن هذا القول دليلاً كافياً فلندكر ان يوحنا نظر الى ميلاد المسيح من ناحيته السماوية وليس من ناحيته الارضية . وهو قد أشار ضللاً وحققاً الى حادثة الميلاد . ولكن عوضاً عن قوله ان يسوع ولد في بيت لحم اليهودية ، قال انه هبط من السماء العليا . وهذه هي مقدمة روايته التي تتماثل مقدمة روايتي متى ولوقا « في البدء كان الكلمة ، والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده » . فهل يؤخذ من هذا القول ان يوحنا كان معارضاً لاعتقاد الكنيسة في ذلك العصر ؟ أما عن الرسول بولس فلماذا ينسى المتراصون انه ليس لدينا أي أثر عن انجيل حياة المسيح الذي كان يشر به هو والرسول كل يوم ؟ وقد كان يركز بتعاليم خاصة عن سيرة المسيح وأشار الى ذلك في احلى رسائله بقوله : « انجيلي » — « . . . كيف ظلم يسوع المسيح من الاموات بحسب انجيلي »

وليس لدينا أي بيان عن ذلك « الانجيل » ، تلك السيرة التي كرز بها بولس

يوميًا. فإذا قال قائل: انه لم يكرر الميلاد العذراوي لا يمكن ان يتجسه أحد. ولكن هنا حقيقة حيوية تستحق النظر: هل لم يكن بولس كُتِب «انجيلًا» فان لوقا تلميذه ورميله اللصق له قد كُتِب «انجيلًا» وهو برهنة بولس. وفي كل السنوات التي قصاها في اتصال وثيق مع بولس كان بين يديه مخطوطتان: احدهما يومية نصت سيرة رميله وصديقه بولس، وهذه نشرت فيما بعد تحت عنوان «اعمال الرسل» والاخرى أكثر قيمة وأجل قدرًا نشرت اولًا ونصت سيرة حياة سيده المبارك. وكان من السلم به ان بولس قد اختاره هو بالذات ليكتب هذه السيرة، وان بولس كان شريكًا له في هذا العمل، وان تلك النشرة نصت تعاليم بولس نفسه حتى ان الكنيسة الاولى اطلقت عليها «انجيل بولس» وليس «انجيل لوقا». ونورد هنا شهادتين لاثنين من آباء الكنيسة في القرن الثاني — «ارانيوس» في بلاد القتل القائل: «وصح لوقا في بشارته الانجيل الذي كرز به بولس». و«تروتيان» في افريقيا القائل: «ان خلاصة بشارة لوقا تسبب عادة الى بولس». وانجيل لوقا هذا هو الذي يتفر بشعة على وتر حادثة الميلاد من عذراء ا

وحيال هذه الحقائق لسنا نشك انتم ان صحت الرسائل عن ذكر حادثة الميلاد ليس بذات أهمية. لان الرسائل قلما تعرضت لسيرة المسيح. وقد كانت مجرد رسائل خاصة كتبت لمناسبات خاصة لمعالجة شؤون حدلية ثارت يومئذ بين الاوساط المسيحية. والظاهر ان حادثة الميلاد لم تكن موضوعاً للجدل والحوار. وللرجح انه لم يتلوع في سميتها أحد ما

فصلت هنا أعقد الصعوبات التي يثيرها المرتانون للمسيحيون ألا وهي صمت بعض البشائر والرسائل. وارتك القاريء الكريم ان يحكم نفسه بما اذا كان لهذه الصعوبة أي تأثير في صحة العقائد. أما المحذون فيختصرون الطريق ويزعمون ان «الميلاد من عذراء لا يمكن ان يحدث بحسب الاحبار البشري». ونحن نعلم بذلك حدلاً. ولكن قولهم أيضاً: ان امثال للمسيح لم يوجدوا بعد. وكل ما يؤيده الكتاب المقدس ان الحادتين — الميلاد العذراوي وعجيء المسيح — لم يحدثا

في التاريخ الا مرة واحدة فقط . والحادثة الواحدة ترتبط بالآخرى . ومثل هذا القول لا يقع للمعد الكافر ولكنه يقطع عليه الحجة التي يقيسها صد لسيحيين . ولست هنا في مقام محاجة للمحدين الكافرين . لانه لا معنى لهذا الموضوع لدى الذين لا يؤمنون بالوهية للسبح



والآن تأتي الى النقطة الاخيرة وهي اهمية انشاء هذا التليم مدحاً في الايمان للسيحي . وقد أدنى بعض السيحيين — نمر قليل حنكاً منهم — رغبة في حذف هذه العبارة « جبل به بالروح القدس وولد من مريم العذراء » من قانون الايمان على سبيل القرصية لجماعة للرتابين

والنساؤل حول الميلاد العذراوي ليس حادثاً جديداً . بل هو قديم نشأ مع الكنيسة ويرجع تاريخه الى الزنديقي « كيرشوس » خصم القديس يوحنا . وثار أيضاً في أوقات مختلفة ، كما ثار أبساً في هذا العصر ، ولكن مع هذا الفارق : ان التصدي في العصور الاولى جاء من الحوارج ، من قوم وحدوا ألوهية المسيح . والفكرتان أي الوهية للمسيح وميلاده من عذراء — قد تمشتا معاً جنكاً الى حب وجرى الناس إما على قبولها معاً او رفضها معاً . أما في هذا العصر فالميل ينحى الى الفصل بينهما . ويرى بعضهم ممن يؤمنون بالوهية المسيح ان يُفرك باب موضوع الميلاد العذراوي مفتوحاً على مصراعيه

ولها محاولة تستحق الاشفاق من جانب الرتاب الذي يميل الى جبل العقيدة السحبية سهلة التصديق . ولكنك لست تقدر ان تجعل قانون الايمان المسيحي سهل القبول . وهو في الواقع أعظم شيء في انكون وأكثره بعداً عن التصديق — كيف لا وهو قائم على ان الله صار انساناً وان الكلمة صار جسداً ا

أحصل العقيدة سهلة الابل ان هذا الشك يزيد العقيدة صعوبة وتمقيداً . لان الفكر الذي من هذا الطرار لا يد ان يعود يوماً الى شبه ويسألها قائلاً :

وكيف صار الله انساناً؟ وكل مفكر عبق لا بد ان يواجه هذه الشكاسة و يسمى الى حلها

يقول لنا المرتابون ان الله يستطيع بسهولة أن يكمل التجسد حتى ولو كان يسوع الابن الطبيعي ليوستف و مريم . سلفنا حدلا . ولكن لماذا لا يكون ذلك عن طريق الميلاد العذراوي والادلة ناعمة على تأييده ؟ وانه سهل على الله أيضاً ان يكمل التجسد عن هذا الطريق . وهل التسليم روعهم يجعل الامر سهل القبول امسنا ؟ ولماذا نعد الى الحسد والتحصين حول ما كان يمكن لله ان يفعله ؟ ولماذا لا تقبل ما يؤيده الكتاب المقدس والكنيسة المسيحية وهو ما يتفق مع فكرة التجسد قلماً وقالباً

الآن حول افكارك . ايها القاريء - عن هذا البحث اللاهوتي، وعد الى التفكير الشخصي للماديء، وتأمل برهة وحشوع ودعشة في سر التجسد : كيف ان - الكلمة صار جسداً - الله صار انساناً - وان الذي تنازل ليصننا وعجه هو المسيح ابن الله الأدي الذي محاربه منذ القدم ومن الارل وبينها تفكر في الطفل المسيح الذي هبط الى الارض كما جاء في الرواية القديمة المحبوبة لتستقر نفسك ويقرر سلامك في ذلك الايمان القديم الساذج . لانه لم يحدث ولن يحدث شيء ما يعكر هذا الاعضاء . وما قالت به الكنيسة منذ الفين من السنين ، سنقى مستسكة به الى اقصاء السنين . « انا اؤمن بيسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، الذي جبل به بالروح القدس ، وولد من مريم العذراء »



الفصل الثالث

عهد الصبوة

عندما نستعرض سيرة أي عظيم من عظماء التاريخ يميل كثيرون منا إلى معرفة شيء ما عن عهد الصبوة، وما فيه من وقائع غريبة تجمع احاديث الطفولة الباذخة والالفاظ الطبيعية التي تخرج من الفم دون وعي أو تفكير، وتطور العقل والادراك، والحوادث السخري التي نستخلص منها عادة بوادر الظلمة للقبلة

وكثيراً ما فكرنا تفكيراً تمأزجه خيبة الامل لان ابشار لم ترو لنا شيئاً عن طفولة سيدنا وربنا . فهل جهل البشرون ذلك ؟ ولماذا لم ترو الام العذراء وقائع وحوادث صبوته كما روت لباس حادثة ميلاده ؟ ربما ضلت العذراء ذلك ولكن اسدقاءها في القرية نسوا هذه الحوادث لانهما كهم واهتمامهم باطفالهم دون اطفال الغير ، وان كان الارجح ان شيئاً من هذا لم تفعل . لان الشائرا تصوروا لنا امرأة تنظر وتتصحب وتفكر في حوادث الطفولة، امرأة عادية صامتة كسومة مستترقة في تأملاتها بحب ووقار حول هذا الطفل اسجيب وما احاط به من الاسرار في حادثة ميلاده الصغرى . وكانت ترقب باهتمام للنصير العظيم المده ولكنها لم تكن لتدري كيف يتم له ذلك فتتولاهما الحيرة والدهول . وكانت تستعرض امامها كل هذه الحوادث محاولة ان توفق بينها وبين آرائها « وكانت (مريم) تحفظ جميع هذه الامور في قلبها » والطاهر انها لم تتكلم عنها كثيراً

ولا يسع الباحث الا ان يعكر في موقف العذراء الام اراء ولها يسوع . هل حسبه « الها » ان الآب الازلي ؟

ان رواية الانجيل تحصل هذه الفكرة محالة . كما ان العقل لا يسلم بها . والا

كيف أمكن تربيته كصبي بشري عادي حاصلاً لوالديه «يتعلم في الحكمة والقامة عند الله والناس»؟ والألّا كيف استطاعت أن تؤمّه على توانيه في أميكل مع احار وعلماء اليهود؟ وكيف عجلت شؤونه كلها كطفلها الحاضع لها؟ ان فكرة «الوهيته» لو كانت عرفت في باديء الامر لمالت كل انسان وتعذر معاملته كصبي بشري . ولكانت الحياة العائلية غير محتملة وغير ممكنة . ولذهب هباء قعد التجدد الذي انطوى على ان يكون المسيح انساناً كاملاً ينمو تدريجياً في الحياة الشخصية والادراك البشري

كلا . ان المفروض لم تفكر في ولدها كله . قد عرفت انه المسيا المنتظر الموعود به ولكن اليهود كانوا يستقون افكاراً مهمة غامضة عن المسيا . عرفت ان ميلاده للسجري حمله فريداً عديم للتال وسكنها لم تُدرك سر «الوهيته» المائل الذي لم تظن اليه ولم تعرفه الا مؤخرأ

وحتى التلاميذ انفسهم لم يدركوا هذا السر المائل الا قبيل نهاية حياته . لان سر ألوهيته ظل مكتوماً أكثر سني حياته على الارض حتى يقسع له الحال لينمو انساناً كاملاً يتنوق اخبارات الشر . ويعرفه الناس كصديق بشري . وليجراً طرس على توجيه الاسئلة اليه . ولسمع يوحنا يده على صدره بغسة الحب والطف . وليبعد الاطفال الصغار حثاناً بين ذراعيه . وليقبل اليه المشايرون والخطاة في حسارة لا تكلف فيها . وكيف كان يمكن ان يحدث كل هذا لو عرفوا من باديء الامر انه «الله» ؟ !

ولسكت نراه بزم القام تدريجاً عن هذا السر كلما اقتربت نهاية الحياة . ونرى في الرسل شعور الدهشة والغيرة يترأيد . وراهم يذهلون احياناً ويصمتون امام تعليمات عازمة عن هذا السر المائل . ولكهم لم يغطوا اليه ويدركوه تماماً الا بعد موته وقيامته وصعوده بمجد وارساله الروح القدس . عندئذ أخذوا يرجون بدكرتهم الى الراء خلال ثلاث سنوات تقضت في صحبته ويتمجبون كيف

أسكت هيوهم عن معرفة ما عرفوه الآن بأن « الكلمة صار جسداً وحل بيننا
ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمة ورحمة »



وهل لنا ان نقدم ونقرر خطوة الى الامام ؟ ونحن الآن على لرص مقدسة
نواجه اسراراً حائلة . ولكن لا يسعنا الا التفكير فيها . ورضب جد الرغبة ان
نفسها مقدر ما تصل اليه أفهامنا . وترى ماذا كان شعور الطفل الالمى عن نفسه ؟
وإزام علينا قبل كل شيء ان تؤمن بناسوته كما تؤمن بلاهوته فقد صار
« انساناً تاماً » مثلاً في كل شيء ما عدا حماقتنا وعصياننا وخطيئتنا . وكان العبي
يسوع غلاماً بشرياً . ونحن نتعجب ونسائل قائلين : ترى متى بدأ هو نفسه ان
يدرك « نفسه » ويعرف الاعماق التي لا عور لها داخل « نفسه » ؟ ألم يحدث ان
ساوره أحياناً خلال صلواته في عهد الصبوة شعور الرهبة . وأحس — ولو إحساساً
صغيراً — بطلعة مسية وبالم من الثور والجمال يفوق كل شيء مما رأى على
الارض ؟ ألم يعطى الصبي الى حقيقة نفسه وبهم دعوته وسبب مجيئه الى هنا ؟

نحن نعلم ان قبوله البشرية وحلودها الصيقة معناه الاعتقاد من ادراكه
الكامل لحقيقة عظمتة في العالم الازلي . ولولا ذلك لما استطاع ان يكون انساناً
كاملاً . ولكن غيراً على شيء آخر ، ويخاضعنا فكير بان سر يسوع نفسه كان
مستكناً في « عقله الباطن » بشكل ما من الاشكال بينما كان يشعر بحسب ادراكه
الهادي السيقظ انه علام بشري طبيعي . وقد دارت أبحاث كثيرة مؤخراً حول
ظواهر « عقلنا الباطن » وما فيه من مستودع الذكريات النفسية الجماعية « على هامش
الشعور » كما يقولون . والتي تبرز بين آونة وأخرى عند حدوث استغزار فجائي يدقها
الى الظهور في ملامحنا المادية . وقد قرأ أحياناً عن طفل صال يعيش وسط قبائل
الهنود او في دار رحل فقير مدة عشرين سنة واذا بأزمة خاصة تثير اعماق نفسه
وتستعر بجالة غامضة بمس الذكريات القديمة التي تحمل الى وعيه شيئاً كريماً نبيلاً

ووسطاً جيلاً مهذباً وأماً تطلعه بمحبتها في اللامي السعيد . وربما نستطيع القول أن
 شيئاً من هذا القليل يصدق على اسفل الالهي ريب الناصرة
 ولستأ نحبه عدم احترام من جئنا أن نقول مثل هذه الافكار بحيلتنا .
 ولكن يليق منا ألا نذهب الى أمد من هذا



وعلى أية حال ، ولو انه لم يكون الا القليل عن هذا القور في حياته ، الا اننا
 قد تصور لاهتنا مشاهد طفولته ونشأته فيها . ونستطيع في ذلك بما لدينا
 من المعرفة عن الوسط الذي عاش فيه . وندع الخيال يلصق به يد الوفا والاحلال .
 لا سيما اذا لاحظنا في الانقاط التي فاه بها في السنين المتأخرة ما يلحق الى ذكريات
 صبوته

فكّر أولاً في الناصرة موطنه ، واقدس بقعة على هذه الارض بمسبابة ذكريات
 طفولته وشبابه . وكان معروفًا دائماً امام الناس يسوع الناصري . وهذا هو
 القصب الذي سمر على الصليب . والذي كلم شاول الطرسوسي من السماء هو «يسوع
 الناصري الذي أنت تضطهده»

وهل تريد ان تلقي نظرة على الناصرة باديء ذي بدء ؟ أمامي الآن
 فلسطين : أنظر شمالاً فأرى على يساري البحر الابيض المتوسط برقه الستة
 الى مسافات بعيدة . وإلى يميني نهر الاردن يجري في خط موار . والآن تصور
 وادياً فيضاً يمتد وسط هذه الخطوط ويمتدق جبال فلسطين من البحر الى
 الاردن . هذا هو وادي يرحيل والبلاد التي تقع شماله هي الجليل . ثم قف في
 منتصف هذا الوادي وانظر شمالاً فتواضح طريق الناصرة للودية الى مدرج مستدير
 طبعي في الجبال

في ذلك المدرج الطبيعي الجاثم فوق الجبال درج وترعرع الصبي يسوع
 وآآن أسوره لك في ذلك العالم الصغير يقيناً مني ان مشاهد
 الصبوة اكبر عون للانسان . وأرى أمامي في مكثي صورة كبيرة لتلك المدرج

الجبلية حيث يقع نظري على الجبال والادوية التي وقع عليها ظر يسوع ،
والخول وللرارع التي سار عليها، وتلك المدينة الجبلية الصغيرة المتكئة بلونها الابيض
فوق اكتاف الصخور السوداء المحيطة بها . واني استطيع ان اتميله جاثلاً سائراً في
وسط هذه المشاهد

ودعم آثار الدمار والتخريب التي خلفها الحكم التركي فان الظواهر الاصلية
الطبيعية لتلك القاع لم تتغير الا قليلا عما كانت عليه في عصره . وقد وقعت عيناه
على الطرقات الصيقة للموحة التي تراها الآن وللتنازل الصغيرة القائمة خارج البلدة
بين الخول ، والحدائق والكروم المنبسطة على اكتاف الجبال والادوية الخضراء
للطعمة في فصل الربيع باهرار السوسن وشقائق النعمان البيضاء ورتائق الوادي وغيرها
من الازهار الجبلية للتسعة الالوان والتي تكسو شمالي فلسطين جبالاً رائعاً خلافاً .
وهناك أيضاً تقع العين على ممرات الجبال التي سار فيها، والجبل العالي المتطاوول وراء
البلدة حيث كان يرى في الايام السافية الاديح؛ طابور وحرمون وجبال جبليوع التي
مات فوق رباها داود ويوناثان . وتنبسط أيضاً امام عين الزائي هضاب الجليل
وورؤها على مسافة بعيدة مياه البحر الابيض المتوسط الزرقاء . وفي هذا الشرق
الذي لا يعتريه التغيير والتبديل ترى حتى اليوم الاولاد يصرخون في
الطرقات وترى القتيات يستقن للناء عند مؤ القرية . وترى في الطرقات
الفلحين يحملهم الجفابة وهم يعرفون بعضهم بعضاً . لا بل تقع العين ايضاً
على فس اطيول الهواء التي تحدث عنها واكثرها معروف لدينا مثل القنبرة والدج
والصعور الاحمر وأي فصاده وغيرها من الاطيال التي تعرف فوق جداول المياه ،
وايضاً اسراب الصافير الرحيمة التي كان يباع الاثنان منها بفلس وقال عنها المسيح
ان الآب السماوي يحيي بها !

هذه هي الناصرة موطنه . وهناك في كوخ انهار في احدى تلك الطرقات
عاش المسيح غلاماً طبيعياً في أسرة بشرية طبيعية . وقد كان في ذلك البيت اطفال
آخرون . وانت تذكر القول اناس الذي كان ينقته به اهل القرية الذين عرفوا

حرفة الامسة ولم يلبوا نبوته فكانوا يقولون . « أليس هذا هو النجار ابن مريم ؟
 أليس اخوته يقرب ويهوذا وسيلا ؟ أليس اخواته معنا هنا ؟ » ونحن لا نتعرض
 هنا للبحث الذي تلهو حوله كثير من الجدل فيما اذا كان اولئك أطفال مريم أو
 أطفال يوسف من زواج سابق . فقد كتب المشي . الكثير حول هذا الموضوع دون
 حلوى ولم يؤد البحث الى نتيجة ما . ويكفي القول هنا انه شب معه في البيت
 اخوة واخوات له

واتنا لنحتاج في هذا المقام الى مجهود فكري خاص ونحن نفضل بافكارنا من
 الامن الاولي الذي يحارجه منذ القدم ومنذ الأزل، الى ولد صغير في الناصرة يذهب
 بالرسائل لاهه وينظف حانوت النجارة من قمصات الأخشاب ويلب مع اصحابه
 واتراه في السوق الامام عينا التي يلعبها صبيان هذا العصر في عالم الصبوة الذي
 لا يتغير ، ويشدو بصوت رحيم بما يشه الانشيد التي تتعالى بها أصوات اولادنا اليوم
 والارواح ان كثيراً من اللاسطات العارضة في امثاله واقواله جاءت عن ذكريات
 طفولته . فثلاثاً أرى يوماً ما صبياً يعيد الى المش برفق وحنان عصوراً سقطت من
 عته ، علماً ان هذا الطائر الصغير لا يسقط الى الارض بدون علم الآب . او أرى
 زوجة عامل في احد اكواخ الناصرة قد اضاعت قطعة صغيرة من التقود القيسية في
 نظرها فأشعلت مصباحاً وكنت البيت كله وقشيت حتى حثرت على الفلوس . او
 أرى امرأة في بيتها تكيل ثلاثة مكابيل من الدقيق لخبزها الاسبوعي وخبر اسرتها
 الصغيرة وتخرج الخيرة بالحق ، واذا بولدها الصغير يصع اصبعه في العينين ويسأل
 عما تفعل وكيف يحدث الخير فعله . واظن ان المسيح تذكر احلى ذكريات طفولته
 عندما قال « يشه ملكوت السموات حميرة وصفتها امرأة في ثلاثة مكابيل من
 الدقيق حتى اختبر الجبين كله » . وما أكثر الاحوال التي تومض فيها هذه
 الذكريات الصغيرة في هقولنا حين نتمى الاحداث الكبيرة !



ولم يأت الطفل يسوع الى العالم مردداً بحرفة غير محدودة فكان عليه ان

يتعلم حتى خاتق ديه . وقد جادته بالطبع أولى تماثيله الدينية عن أمه . وهذه هي
 الهة الخاصة التي انحصر بها الله الالهات في العالم أجمع ولو ان المسؤولية في
 عرف اليهود تقع على الآب . وتأمل ايها القاريء الكريم في تلك الساعات
 للفتنة عند ما كانت مريم تنوم طفلها وتعلم الصلاة وتحدثه عن الاب وقلبها مشبع
 بالفكر عن المسيح العظيم الذي ينتظر لطفلها . فيا مريم ايها الام المباركة - بل ايها
 الام انتي تقوم تكاليف هذه النعمة - طوبى لك بين النساء !

وقد كان اليهود حذراً حريصين على تلقين التعاليم الدينية . وحتى في بلد وثني
 ونحت ولابية أب ونمي نذكر انه قيل عن تيموثاوس «انك منذ الطفولة تعرف
 الكتب المقدسة» وكان تعليم الطفل الديني يبدأ بمجرد ان يعرف التكلم ، فيتعلم
 أولاً قانون الايمان اليهودي ، وانشاد بعض للزامير السهلة ، وقصة اعمال الله مع
 اسرائيل كدرس تاريخي

وكل شيء حول الطفل كان يلمه الدين مثل عشاء السبت ومصباح السبت
 والجمع الاسبوعي والحفلات السنوية وعيد الحصاد وعيد الاسابيع ويوم الكفارة
 وعيد القصح يوم كان يترك الاهلون قراهم للحج الى اورشليم في كل سنة . وها انت
 ترى الطفل يسوع محاطاً بالفكر وحادث عن الله كأنها نسيج في حياته اليومية .
 وتدرجاً وعلى النظام الشرعي «كان الصبي ينمو ويتقوى بالروح مثلثاً حكمة
 وكانت نعمة الله عليه» وكل يوم «كان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة
 عند الله والانس»

ولما بلغ السادسة من العمر كنت تراه ذاهباً الى مدرسة الجمع في البلدة يتعلم
 على يدي معلم (حاحام) ديمي . وكان اليهود في ذلك العصر يعطون اهمية شديدة
 على للدرسة وكان محرمًا شرعاً السكر حيث لا توجد مدارس لتثقيف الاحداث .
 أما قوام التعليم فكان الكتاب المقدس حتى يبلغ الولد العاشرة من العمر
 وها انا أرى الصبي الصغير ذاهباً الى المدرسة مع اخوته واخواته . وأراه جالساً
 مع اترابه على الارض في نصف دائرة يتلقى على يد معلمه كلمة الله

ولما عرف القراءة كانت الاسفار المقدسة اهم المؤلفات او ربما المؤلفات الوحيدة التي وصفت تحت إمرته. وبدكر كتّاب اليهود بعض كتب الاحداث مثل قصة التكوين . ونحن نمقد جازمين ان الاساس الذي بُني عليه تعليم ذلك الصبي منذ الطفولة انما هو المؤلفات الصالحة التي تشبعت بها حياته من الاسفار المقدسة . وكل نود ان يكون الحلال هكذا في كل بيوتنا وأسرنا !!



اما بالنسبة له فمن تعلم ان عالم الله بكل محتوياته من افضل الاساليب للتجفيف والتهديب . فعلاوة على كلمة الله للسطورة في الاسفار المقدسة أحاط به أيضاً الكلمة غير للسطورة بكل بهائها وجمالها - كتاب الطبيعة والاشجود السامنة التي كانت يعيها القاطنوا الكتاب المقدس ويتحدث عنها له الآب السماوي . ونحن نشعر انه كان ممتكاً بشعور حاس ينشئ بمحصرة الآب معه . ونعلم ان بين الله وقس كل طفل صلة إلهية حميمة مدعشة سرية . فكلم بالاولى مع ذلك العقل القريد - العقل الالهي !

أسرح الطرف في خريطة الناصرة المعلقة على جدار عرقي فيسرح فكريه نحو ذلك الصبي واتمله جاثلاً فوق سعوح تلك التلال بين احضان الطبيعة الجميلة التي هي أروع مظاهر الله . مقيماً نظره على تلك الروابي المكسوة بالبساط السنمي الاحمر ، والجداول الباسمة بشعور وضاحة ، والشمس الحديدة تشرق بأوارها الذهبية لتثير السكون ثم تنلغ في أعماق اليم بمجد قزمي ، وعلى الارهار والاطيار والحيوانات انني أحبها وسر بها وشعر أيضاً ان الآب السماوي سر بها وأحبها . وانت تشعر هذا الشعور في تلميحاته التي تقوه بها عن الطبيعة في أقواله . وتحس ان الله وراء كل هذه الخوفات التي يحبها ويعتي بها . فهو يحب الحلال الصغيرة تلعب وتجرح في الحقول . ويرعى الحروف الوديع الثائث الذي يصل عن القطيع . ويعلم اطياف الهواء التي لا تكند ولا تنزل . ويرى الصفور الصغير الذي يسقط من عشه . ويكسو الحقول خضرة ونفزة وينبت لرهار البرية فوق سعوح التلال ويكسوها جمالاً

يعوق جال «سليمان في كل مجده». وبعد ما كان الفلاح النصرى يبلى مدار الخنطة في الارض كان يرى المصي ان الحياة من قبل الله تنبت بطريقة معجربة «اولا نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملآن في السنبيل»

وهل يمكننا ان نجد حقلاً استمتع الطبيعة واحبها ورأى الله فيها كما فعل ذلك النسي النصرى؟ ما اجمل ان نربي اولادنا هكذا وان يرى الله يتحرك ويسل في حياة الطبيعة ونزق باحترام ووقار الزهرة تصنع اكلامها. وشعر ان ايناء طائر صغير او الفوس بالقدم على زهرة ناصرة هو من قبيل انفاذ اسم الله باطلا ان بث هذه الافكار في فوس اولادنا النضة خير وسيلة لتعليمهم الدين بأسلوب طبيعي حذاب وتعيمهم ان صطف الآب المحب الحنون يحيط بهم على الدوام

أجل. كان يسوع صبياً طروباً سعيداً في عهد صوته الطليقة الساذجة التي قصاها في الناصرة قل ان يصعد على قلبه البريء شعوره بخطايا البشرية وآلامها



الفصل الرابع

«..... في الهيكل جالساً وسط المعلمين.....»

وفي

رواية الانجيل نجد صمتاً طويلاً قد أمتد الى ثلاثين من السنين . ولم يقطع ذلك الصمت الطويل الاحداث واحدة وقمت في دور الشباب لئلا يلعن الصبي الثانية عشرة من العمر . وان المرء ليعجب ويشاء قائلاً : ما هي الحكمة في ايراد هذه الحادثة بالذات ؟ وهل تشير الى بلوغ أزمة معينة في طور التقدم والرفي ؟ أم هي انطالع الاول الذي مرّ بحياته مشمراً لانه المسيح الهابط من فلك السماء ؟

وقد كانت العادة ان يصير الصبي اليهودي عند بلوغه الثانية عشرة من عمره « ابن الناموس » في حفلة أشبه بخدمة التثبيت أو أية خدمة اخرى تجري في أية هيئة مسيحية لقول الحدث ضمن عضوية الكنيسة الكاملة . وكانت الحفلة تذكيراً بان دور الطفولة قد مضى وانقضى واخذ الحدث يحمل على منكبيه تبعات الدين ، وله ان يذهب الى الاعياد والحافل مع كبار السن . ولنا قيل عن يسوع « وكان ابواه يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح . ولما كانت اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كمادة العيد »

وان الالهمية للمعطة لهذه الحادثة تدعو الى اهتمام جدي . فما اننا نرى صيماً مفكراً صامتاً يترقب منذ شهور حلول هذه الفرصة ، قد أزمع الرحيل — وفي نفسه عوامل من التأثير الشديد — مع رهط من حجاج الناصرة في الطريق المتدني السهل . وعند كل مفرق تقع عينه على جماعات جديدة يترايد بها هذا الركب للسافر وسط اماكن تاريخية حافلة بذكرات الالاء والانبياء . فهي « شوم » يذكرون ايليا، وعند « جبعة » يذكرون صموئيل، وعندما تقع أعينهم على اورشليم من بعيد يرضون اصوات الحمد قاطنين :

« اورشليم الجليل حولها . والرب حول شعبه من الآن وإلى الأبد »
 « فرحت بأفانثين لي الى بيت الرب تذهب . تقف ارحلنا في ابوابك يا اورشليم »
 « اسألوا سلامة اورشليم . ليسترح محوك . ليكون سلام في ابراجك . راحة
 في قصورك . من اجل بيت الرب المنا القمص لك حبراً »

وانه لمن الصعب علينا ان نمسور لافسنا افكار ذلك المصي اليهودي
 للتحس — وبالأخص ذلك المصي بالذات — عند ما رأى لأول مرة اورشليم
 للقدسة . ولم تكن هذه المدينة في نظره مجرد عاصمة لارض الوطن ، ولا مجرد بلد
 حافل بالذكريات التاريخية . بل كانت المدينة المقدسة المتصلة بدينه وصلواته وكتابه
 القدس واقدس الازمنة في حياة بني حننه . ولما دخل الجليلح الوافدون من باب
 دمشق أحسوا بأنهم في مدينة الله العلي

كان ذلك اليوم مأثوراً مذكوراً . وتزايد انعماءه وخشوعه طيلة ذلك الاسبوع
 كله . وحسبك ان تفكر في شعوره الحشوعي الذي ملأ جراحه عندما دخل
 الهيكل العظيم القم ، بيت الآب ، ومركز عاصمة اسرائيل في العالم كله . وان
 تفكر في شعور الحلاس والاستغفر الذي ساوره عندما وقفت عينه على الجموع
 للشكاكة — التي تزيد عى المليون عدداً — من اليهود النسيورين الوافدين الى
 المدينة المقدسة من كل فج عميق ومن كل امة تحت السماء . وقد اردحت
 هم طرقات اورشليم ونسبوا مصاريهم فوق سفوح التلال . وجاءوا كلهم لفرض
 واحد هو ان يعبدوا الآب في هيكله للقدس ! لاشك ان هذا النظر أثار فيه
 مكامن النفس

تأمل ايضاً في تلك الآية للأثورة وقد اقامت كل أسرة — او مجموعة من
 الاسر — فريضة القمص « في علية » . وقد كانت هذه الفريضة مدى القرون
 الطويلة تشير الى « داته » تعبيره ينظر الى خروف القمص يُذبح والى القطير غير
 الخمر والاعشاب المرة توكل ، يوم كان مفروضاً ان يسأل الولد المخير — وربما
 كان السائل في تلك الآية يسوع نفسه — أبويه السؤال الطقسي للألوف : « ما هذه

الطلمة لكم؟» فيجيبه انكاراً في وقار وخشوع: «هي ذبيحة فصيح للرب الذي
عبر عن بيوت بني اسرائيل في مصر وخلص بيوتنا». لا شك ان هذه المناظر كلها
قد اثارَت في نفس الصبي افكاراً غريبةاً

وهنا جاء ذكر علماء واحبار الهيكل. وتذكر الرواية نوع خاص حديثه
معهم. ويقول التلمود اليهودي انه كان من عادة اعطاء مهندريم الهيكل ان يحسوا
في الاعياد فوق الشرفات ليعطوا الشعب وكان تعليمهم بسيطاً سهلاً يساح لكل
انسان حضوره واقراء الاسئلة. ووربما حدث ان ذلك الصبي كان يجهل وسط أروقة
الهيكل الضخمة والدهش بملأ عينيه والمؤثرات المختلفة تتراحم في عينه وبنته ألقى
نفسه وهو لا يدري في الشرفة

وفي لحظة نسي أمه وصحبه وكل شيء. حكيك لا وهمه الفتية تنوق الى
المرفقة وقد صمرت واقضرت من جراء الصبغ الذي احتسبها فيه جهل حير الناسرة
الربيعي المجهول. كيف لا وهو هنا امام علماء الامة الاعلام الذي عرفوا كل شيء. 11
في ذلك اليوم أصبح يستمع في اصغاء تام. وفي تلك الليلة أتسوره جاثلاً في
اعناء المدينة يبحث عبثاً عن رفاقه. واقترض ان امرأة حوثاً قد صطقت على ذلك
الصبي التائه فلأونه واعطته طعاماً. وفي اليوم التالي أراه حالاً مرة أخرى في المكان
صينه يستمع ويحكر. ويسأل أحياناً اسئلة تدل على الرغبة في المعرفة. وأخيراً يلحظه
العلاء كبار السن فيهنمون بأمره حتى «يهتوا من همه وأجوبته»

وبالنسبة لما فعله من اولئك الاحبار اليهود لا تتوقع منهم كثيراً لا بقاط عقلية
صبي صغير. ولكن الامر يتوقف الى حد كبير على الصبي نفسه ثم ان أشد علماء الدين
تشاكاً معسطلحات العلم الجلفة قد يدكرون في بعض الاحيان انهم كانوا يوماً ما صبية
صغاراً. وربما قد رأوا في عقل ذلك الصبي التائه الوثلب ما يشير افضل ما في نفوسهم
نحوه. ولم يكن خيرة اولئك العلين مجرد علماء دين وسميين بل كان بينهم عقول
مفكرة ونفوس نبيلة ولا تزال صفحات التاريخ العبري مردانة باسماء انبل قادة الدين
في ذلك العصر امثال «هليل» و«شمائي» و«عالميل» الذي صار فيما بعد معلماً بولس

والذي نلاحظه ان يسوع لم يفكر كثيراً فيما بعد عن اولئك الطغاة بسفة عامة .
ولكن هنا في هذه الحادثة رى بينه وبينهم تقاماً متبادلاً . فهم احتفظوا فيه قوة
التفكير كما يحفظ هو فيهم قوة التساؤل والاعجاب . وان الباحث لا يسمع الا التساؤل
مستترياً عن افكاره حيال التعاليم التي سمعها او الاسئلة التي ألقاها عليهم . وقد
كانت اشياء كثيرة اراد ان يعرفها - ربما عن قصد الله نحو اسرائيل ، او رجالهم
في الدنيا ، ومعنى عيد الفصح ، او ربما عن الألم والخطية القاتمين حنباً الى حسب
مع حجة الآب . وكما نود كثيراً أن نسمع اسئلته والاجوبة عنها . وهي كانت
بلا شك أم شيء . في الموضوع لذا اعتبرنا هذه الحادثة بمثابة أزمة فاصلة في حياة
السي . ولكن الارجح ان تشير لوقا قل معلوماته في هذه الحادثة عن مريم
العذراء وهي لم تأت الا في النهاية لتبحث عنه ولم تسمع شيئاً مما دار بين ولدها
وبين أبحار الهيكل

وكما نود ان يكون بين اولئك الاحبار من أدرك كنه افكار ذلك السي .
والظاهر انهم استلوهوا استماعه واسئلته حتى ان الوقت مرّ سراعاً فظل ثلاثة ايام
ويوسف ومريم يبحثان عن السي في كل مكان حتى وحدها أخيراً «وسط المعلمين
يسمعهم ويسألهم»

ولما ابصرته مريم « اندعشت » والارجح انها اندعشت اذ رأت ولدها
الحجول يتحدث مع العلماء الكبار . ولكن اصل اندعاشها يرجع بالاكتر الى
رؤيتها غلاماً في حالة غير حالته . ولجت في عيه نظرات جديدة . شيء ما طرأ عليه
أجل . رأى اورشليم ، والفصح ، وهيكل الآب ، وملايين الشرقيين أمامه ،
وتساؤل العلماء الاعلام . وذكر هذا الشيء الاخير بالذات يدل على قيمته الخاصة
ولو ان نص الرواية لا يوضح لنا عن ذلك . وعلى أية حال فان حادثاً جديداً طرأ
بلا شك على شخصية ذلك السي

ثم سؤال مريم المذنب : «يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟» سؤال ما أقر به الى
الطبيعة ! سؤال تسأله اي أم بعد ان تكون قد قصت ثلاثة ايام تبحث عن ولدها

الثاني وفي نفسها شقى الاحتمالات والقروض وبعثت تجده بنته ملياً طرماً لم
يمسه أذى . والظاهر انه لم يفعل الى قلق أمه عليه . وقد كانت الأم العشرية
المكينة تفكر طول الوقت في تمب الاسرة وقتها . ولم تنثور الى الافكار العبيقة
السرية التي كانت تتحاب عقل ذلك الصبي

وفي حواره نجد الكلمات الاولى التي دونها الانجيل على لسان المسيح .
وهي تدل على قدر عنايتها وولدها وتقينه التعليم عن الآب . وربما يؤخذ منها انها
كانت قد أحيته من قبل عن ميلاده المجزي وعلاقته الخاصة بالآب : « لماذا
تدهشين يا أمه ؟ ألم تعلمي انه ينبغي ان اكون في ما لأبي »

ولكن هذا الجواب يعني أكثر من ذلك . اذ يحيل علينا انه يتكلم الآن عن
نفسه كأنه قد أصبح الى حد ما بمحل عن حياتها ، وكأنه قد بدأ يفكر افكاراً لا
تستطيع أمه ان تشاطره ايها . ونحن نذهب الى المجلس في حشوع ووقار فنقول
ان الضرورة السكامة — غريزة « الارلية » - قد أخذت الآن تستيقظ في نفسه
فتثير الفتاوة عن ادراكه وتشعره بأنه يختلف نوعاً ما عن الشر الخيطيين به وعن
الاطفال الذين كان يلعب بهم والابوين الذين تعدهم بالترية والرعاية . وان هو
عقل العقل يحجى تدريجاً وغير منظور اشبه بالمعير في الشجيرة ابان الربيع . وقد
تحدث أحياناً أزمت باردة في ذلك النمو التدريجي . وحتى الولد العادي في الثانية
عشرة من عمره قد يحتار لحظات خطيرة في حياته — كما يذكر النعمس منا عند
الرجوع الى ذكريات الصبوة — عدد ما يعتقد الله نفس الصبي النعمة في سكون
وتكلم فلا يعرف الكدار شيئاً عنه . وما يحدث لاي صبي بشري في الثانية عشرة
من عمره يحدث ايضاً بلا شك باعق معنى لتلك الصبي الالهي ونفسه انضه عرضة
لثورات اسبوع الفصح للوقتة للاحاسيس والموالحف

ولا شك ان العذراء قد ادركت شيئاً من هذا اذا تقول الرواية : « فلم يفهما
الكلام الذي قاله لها . . . وكانت أمه تحفظ جميع هذه الامور في قلبها » . ولم
تكن هذه المرة الاولى التي لم تفهم فيها أمه كما سرى فيما بعد . ولم يكن بد في

أحريات حياته ان يقف معزداً في افكاره لا يدانيه أحد فيها . أما الآن فقد كانت وحدته أشد وطأة عليه — ان يفكر وحيداً في عزلة عن حوله وهو بعد ولد صغير في الثانية عشرة من عمره . هنا نرى بداية وحدة يسوع !!

* * *

وهذا كله يتقوى شأن العارة الثانية : « ثم رل معها وجاء الى الناصرة وكان حاضماً لها » ولو حدثت هذه الاحداث اسي عادي وتزامت في محيطه هذه الافكار العليا لكات كافية لان تنمره من الحياة القروية البليدة . ألم يكن خيراً له ان يتى مع الطاء والمطين في اورشليم ؟ ألم يكن افضل له ان يقى في بيت أبيه ويتعلم ويعمل الاشياء الطيبة « فيها لايه » . لو كان عمل ذلك لما كان ثمة عصاة عليه ولقلنا ان هذه الاسباب القوية المقدسة تبرر هذا الموقف . ولكن الحبي الالهي قد تعلم — وهو بذلك يعلم — ان الطاعة الساذجة والحرف غير المستجة قد تكون احياناً اشرف واقدس في نظر الآب . وحديرنا نحن الذين نصبر من اعمالنا اليومية للمة ان نذكر بان هذا كان أيضاً نصيب المسيح في الحياة

وقد كانت الحياة اليومية للمة للصخرة وقتئذ « عمل الآب » في نظر المسيح . لانه كان قسط في الثانية عشرة من عمره . وبلا شك كانت الحياة البتية الساذجة وخصومه لأبويه اصل استمداد للمستقبل . فلا مؤثرات غير طبيعية . ولا نمو مبكر قبل الاوان . ولا مذاعة ولا اعجاب . انما تدرجت هذه الحياة النضة تدرجاً طبيعياً عصباً في ظروف عادية حاوية من عوامل البعث والنفاد . وشب الصبي رجلاً مجهولاً دون ان تنجبه اليه الاقنار كأنسان غير عادي . وربما لم يكن يعرف وقتئذ ان العنابة الالهية — التي ظهرت مؤخراً في تكفله بالعلة أمه الازملة — سبقه ثمانى عشرة سنة أخرى في تلك الحياة القروية المجهولة

وهكذا عاد الصبي الى موطنه بالناصرة — وقلبه عامر بالاستئلة الجديدة وعينه طامعاً بالهبة الجديدة لينمو نمواً متناسقاً يهيئه لخدمته العامة لاجلنا نحن البشر ولابل خلاصتنا



شاب البصرة

الفصل الخامس

« أليس هذا النجار ابن مريم ؟ »

الآية نخطو خطوة واسعة الى الامام . ثمانية عشر عاماً قد مضت . فلتلق نظرة أخرى على موطئه بالتاصرة . قد بلغ الصبي « الالهى » دور الرحلة . ومات يوسف النجار فألفت الازمة الوحيدة بحرها بين ذواحمي ولدها المحبوب . وما كان أكثر سلوتها ان تجمعه قريباً منها في حزينها ! وما كان أطوعه ولداً ان يقف الى جانبها طيلة هذه السنوات التي قصتها وحيدة حتى أنت الخاتمة — عند آلام اسليب حين استودعها الى عناية ورعاية أصدق وأحب تلاميذه : « يا امرأة . هودا ابنتك » — « يا يوحنا . هودا امك » ١١

وانظروا انه كان مفروضاً عليه ان يعمل بيديه لاعالة أمه . وربما كان الاخوة والاخوات قد تزوجوا وتركوا دار أبيهم . حتى قال عنه الحيران في التاصرة الذين عرفوا مكانته : « أليس هذا النجار ابن مريم ؟ » وهكذا نستطيع ان همك في يسوع عند بلوغه طور الرجولة ككتاب يعمل في حاجات التجارة لاعالة أمه الازمة



تأمل في اتضاع يسوع كلمة الله وروحه ! عامل يشتغل في صمته ، يحار يكسب عيشه بعرق جبينه ! وهل تريد ان تعرف شيئاً عن وجهة نظره في التجارة والتعامل ؟ تصوره يحاراً يصنع الحلايث والانيار وثق انه كان يصمم صالحة خالية عن كل غش . فكان يأتي اليه الفلاحون الذين يريدون الامانة في المعاملة

هنا نراه قد علم الحس الشرعي كرامة العمل الامين في عيني الله . وقد كان الناس في عصره — كما هم الآن — ينظرون الى العامل كأنه في مستوى وصيع منقطع . حتى ان جيرانه في التاصرة رمقوه شذراً وسخروا منه فالتين : « أليس هذا النجار ؟ »

وفي هذا يقول شيشرون اقليدسوف ال روماني في ذلك العصر : «ان الصنعة اليدوية وصيعة متحلة . ولا يمكن ان يتشئ حانوت الصانع مع اي شي ' سبل في الحياة» . اما يسوع اصابع قد رفع من مكانة العمل الامين الشريف حتى ليستطيع ان يجار في حانوته ان يشر برمائه مع سيده وربه

واذكر ايضا انه كان قروصاً على يسوع بحكم صنعه ان يتعامل بالنقد ويتاح الاحشاش ويبيعها بعد صنعها ويساوم مع رباثه . وفي هذا قد علمنا المسيح ان الحياة العملية قد تكون مقدسة . وان عملية التعامل بالنقد لا تقل كرامة عن حمل السيف في يد الرابطن يدود به عن حياض الوطن . وان منصفة البيع والشراء ، ومنصفة للكتب قد تقيان سليميتين من الفس والاشم كذبح الله

وهنا قد هنية في حانوت النحر . وتصور الاولاد انصغار مهرعون اليه بلا خوف وسط قماصات الاششاب لان يسوع أحبهم ورَّحب بهم . ويقول عنه الانجيل انه كان مرضياً في عبي الله وعيون الناس . ونحن ناثقون انه كان محبوباً ايضاً من الاطفال الصغار . ونعلم ان ذلك النحر أحب الاطفال حوله ولا شك انه كان من عادته ان يروي لهم الافاصيص والامثال . لان حياته بعد ذلك دلت على انه أحب هذا الضرب من التعليم . وليس معقولا ان يمتنع عن تعليم الاحداث بهذه الطريقة في هذا الدور من حياته . وليس من شك ان الاحداث تعلموا عن محبة الله وعنايته من روايات وامثال ذلك الحانوت أكثر مما علمتهم اياه التعاليم الدينية في مجمع القرية على يد الحبر القروي



وقيل ختام هذا الدور من حياته ، وهو على وشك الدخول في طور خدمته الحماوية ، لسا مجراً على تتبع الافكار العلية التي جاست في نفسه ، وهو يعمل بيديه في الحانوت سهاراً ، او يصعد فوق جبال الناصرة مساء للاختلاء متأملاً على افراد سر مستبته ، أو يقصي الليل كله مصلياً كما فعل في أخريات حياته وعن لا يسعنا الا ان ننظر عن بعد الى حياته للشعة بروح الاستسلام

وانكار النفس والشركة التمتلعة مع الآب . وتصوره عائشاً في صلة يومية مع شعراء
 وانبياء أمته . وليس ثمة شيء آخر يعمق فينا شعور التوفيق للعهد القديم أكثر من ان
 سرف كيف نظر اليه هو . وكان هذا الكتاب كل ما لديه من الاسفلو القدسة .
 وفي كل حياته كان الكتاب القدس مصدر تعليمه وتهذيبه وأساس دعوته . فسلم
 جذلاً لكل ما فيه من تعاليم أساسية جوهرية واتخذ كطريق مهد للحجبه . وابعز الى
 تلاميذه ان يبحثوا بين شأياه عنه . واستعان به ليربر بشته وانارة سر صليبه .
 وفوق كل شيء عذى حياته من محتوياته . وفي أزمة حياته الهائلة وطد نفسه
 عليه باعتباره كلام الله ووصيه

وهكذا مرت السنوات المأدبة حتى طلع يسوع الثلاثين من العمر . وعنده
 حلت أزمة الحياة . وجاءت ساعته !

وكانت البلاد وقتئذ في هرج ومرج . لانه بعد خمسة قرون تقصت في صمت
 رهيب طهرني آسر في اسرائيل . وكان الناس يصيحون « هل انت ايليا ؟ » وذلك
 لان القوم اعتقدوا باب ايليا سيحي ثانية . وعده بحيث تكون اقدام للسبا على
 الاواب

كان وقتئذ يوحنا المعمدان قد أيقظ ثائرة القوم منادياً فيهم قائلاً : « توبوا لان
 للسبا قادم ! قد اقترب ملكوت الله ! وانا هو الرسول الموعود به الذي سيعد الطريق
 امام وجهه !

وكانت هذه الثورة قد بدت على بعد سبعين ميلاً عبر وادي الاردن . وكان
 القرويون يذهبون زراعات ويحيثون بالاخبار الى اوطانهم . فثارت الناصرة كلها
 وكان هذا الموضوع حديث القوم ومدار اهتمامهم

سمع يسوع هذه الاخبار . وفي ذات ليلة التقى جانباً كل آلات التجارة للسرة
 الاحيرة . وكان هذا نهاية سنين طويلة قصاها في الترقب والاستظلال

« حيث جاء يسوع من الجليل الى الاردن ، الى يوحنا ليتمد منه »

الكتاب الثالث

العام الأول

الفصل الاول

العمودية

عم هنية الى الورا— ثلاثين سنة الى الورا—الى اليوم الذي نهضت فيه المراء بعد ظهور اللاك لها « ودهت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا ... وصلت على اليمابات . فلما سمحت اليمابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها كانه يقدم وهو بعد في جوف أمه واجب الخضوع والتعظيم لسيده للقل الجاهم في مستودع المراء

ولد اطفالان وبين الواحد والآخر أشهر قلائل ، وبيننا نحن فكر في صورة المسيح في الناصرة تحولت نظرنا الى صبية اخرى كانت تترعرع في بيت ذلك الكاهن الشيخ فوق جبال جبرون

ويوحنا شخصية هامة في حياة السيد المسيح . كيف لا وهو الحلقة الاخيرة من سلسلة انبياء برزت شخصيتهم كعفن الجبال للصالية في الحق تاريخ اسرائيل ، انبياء جاءوا واحداً تلو الآخر لاعلان ارادة الله للقدس والاماع الى يوم محي . الرب

ويوحنا عظيم بحق — « لم يبق بين اللودين من النساء اعظم منه » كما قال عنه المسيح — وهو لذلك يستحق ان نرد له فصلا بل فصولا . غير اننا نؤثر هنا ان نتركز ابصارنا في الشخصية المركزية . وأما هذه الشخصية الاخرى فمرسما عرضاً وبلون باحت اكتمالا للصورة الاصلية التي نحاول في هذه الصفحات ان نبين جمالها . وقد قيل ان أحد مشاهير الفنانين رسم على لوحه صورة المشاء الرباني وعند ما أشار اليه بعضهم الى لسة قنية جميلة في الصورة أخذ ريشته وحطها على اللوحة وأخفى معالم الصورة خشية ان تحول الانتظار لحظة من صورة المسيح نفسه ولكن كنا لا نعلم الا القليل عن صبيوة وحدانة يسوع فانتا نعلم عن يوحنا أقل

منه . وقد كان اعداد الاتبين على نطين مغايرين . فالمسيح الذي كان مزماً ان يحاكيها تماماً في كل شيء . كأنه واحد منا تعرض في وسط غايي قروي مع كل أصناف الناس . وأما انبي الذي سار أمامه وأعد طريقه لنا في عزلة وانفراد ونحن نصوره علماً صامتاً وحيداً ، مبكراً في البلوغ العقلي شأن وقد وحيد لشيخ عجور ، ملو احوة ولا اخوات ولا رملاء ولا حلال . يأخذ عن والديه للمير الذي كان ممداً له . وينم في وحدته وعزله وهو هائم على وجهه في البرية ، مأخوذاً بالتأمل والتفكير العميق

وزاه في رجولته ناسكاً زاهداً ، متكففاً عن الناس ، متهاياً حيناً أيغفلها روعة الاحلام والآمال ، متضخماً قطع نفسه عن كل الروابط البشرية ، متكرراً على نفسه عومة الحياة السائفة ، ساعياً لاحصاء نفسه والسيطرة عليها بالصوم والتأمل ، مرتدياً رداءً من البر ، ومتندياً بطعام المستحدي من جراد وصل بري . وقد قصي كل وقته متأملاً في نبوءات امته الذين بواسطتهم كلم الله البشر في أيام القدم . وكان أهد اقوالهم الى رجل في مزاحه ككاثتهم الحافية في التبيكت عن الخلفية والدعوة الى الثورة . ولكن لم يكن هذا كله الا بمثابة حاشية فقط لتلك الفكر المركزي الذي تشعبت به نفسه في النبوءات ، ذلك الفكر القامض الذي كان كخيوط متقطع تظل نسيج النبوءات ملته ثمانية قرون . وهو حلم بحلول عصر ذهبي ، ومحبي ، ملكوت الله ، يوم يظهر على مسرح التاريخ البشري عظيم قادم . ومن هذا المسيح حاك رؤى للمستقبل . وكان شاقاً عليه ان يحيل مسيحاً كهذا من عوالم الخيرة وانتاقص . حتى اسماء الذي أحب نبوته لم يجد فيه عوناً كبيراً لان المسيا للتطر كان في عرفه «عبياً . مشيراً . إلهاً قديراً ليس للملكه نهاية» . وهو أيضاً «كشاة تناق الى الذبح والرب قد وضع عليه اسم جميعنا» - ان بحث محبي المسيا لمن البحوث المخطوطة بكثير من الخيرة وانتاقص

وقد عرف عن نفسه أن يبه وبين الملك القادم علاقة ما علمصة . وليس شك ان والده الشيخ قد روى له رسالة الملاك التي تلقاها عن مولده وقوله عنه « ينفذ

امامه روح ايليا وقوته . وليس شك انه أدرك خطورة هذه الميالة لانه كان عالماً بالنسبة القديمة القائلة : « ارسل ايليا امامه » ، وبالفكرة الخيالية التي كانت ذاتية بين عامة اليهود يومئذ والقائلة : « ان يوماً ما سيمود ايليا . وعند ظهوره تحسون اقدام السبا على الابواب » فلا غرابة ان تكتنف حيلة ذلك الانسان الرصانة والجد الرحيب . وقد أحس في نفسه بانه الرقيب المدل لا تنتظر السبا ، فكان يرقه كمن يرقب انبلاج الصبح في ظلمة الليل البهيم

وان الانسان يشعر بكثير من الحطف والاشفاق نحو ذلك الانسان في ثيابه البربرية الخشنه ، دائماً فوق معازل الجبال وفي منتصف البرية الجرداء الى جانب البحر الميت ، دائماً على انفراد مفكراً في مشا كله المحيرة ومحالداً لوقفات الشك واليأس عندما تهجم عليه . وليس له من يشجعه أو يمتدحه . أما عن نفسه فلم يكر شيئا : « انا صوت صارح في البرية » ولتعبه لم يطلب شيئاً . ولكنه فتح الابواب للآخرين . وللمعد الاكبر لم يتمد هو نفسه . ولم يستمتع غبطة الزمالة مع يسوع كما فاز بها غيره . وحين كان يصل الآخرون لحلي ، لللكوت التي نأدى بها كان هو مطالعياً الرأس ليشقى فوق عنقه سيف الخللاد في راية من زوايا السحن ! نفس وحيدة تستحق كل عطف واشفاق ! ولكن هكذا درب الله أعانم انبيائه والمنادين باسمه . هي وحدته وعزلته ، وبواسطة ايمانه الساذج في الله ، قد تم له النقطه الروحية العميقة والايماح الراسخ في رسالته وعدم المبالاة بالناس مما جعله أهلاً لان يعد طريق الرب . وفي وحدته ازداد يقيناً بحضرة الله وبالعالم غير المنظور الذي كان مزعماً ان يحيى منه السبا المنتظر

وأخيراً جاءت ساعته فيقول الكتاب : « وفي اسنة الخامسة عشرة من سلطنة طليار يوس قيصر اذ كان يلامس السنطي وانياً على اليهودية وهيرودس رئيس ريع على الجليل وفيلس أخوه رئيس ريع على إيطورية وكورة تراخونيس ولسانيوس رئيس ريع على الألبية . في أيام رئيس الكهنة حان وقياها كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية . فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالاردن يكرز بمسودية

لخفرة الخطايا. كما هو مكتوب في سفر اقبال اشعيا: «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبيله مستقيمة» (لوقا ٣: ٤ - ٥)

كان الشعب الذي جاء اليه يوحنا شعباً ناعساً مدوساً تحت موطى القديم ، قد اقتضت عليه ثقلاً يد غريبة كانت منه موضع الكراهة والفص . والاسماء التي وردت في الصارة المتنبئة تنبئ عن حقيقة الموقف . فطيباريوس قيصر حاكم امبراطوراً ظالماً شديد الوحشية . وكان يبلطس البطي اسوأ من سبقه من الولاة متخذاً موقف الازدراد والتحقير حيال وسلاوس الشعب وحبرته الدينية . وكان رؤساء الكهنة مرة في وظائفهم . ولم تكن عامة الشعب بأحسن حالا . وكانت فلسطين قد حطرت عزيماتها وحيل أن روح اسرائيل القديمة قد ماتت . ولم يكن ثمة دليل على الحياة الا في جماعة الوطنيين في الانحاء الشمالية . وهم الوطنيون المعتاة في هضاب الجليل الحرة الذين كرهوا النير الاحمر وحسب بمخيلاتهم أحلام عن أيام السلطة الثائرة يوم كان الرب ملكهم . ومما يستحق الذكر هنا أن يرب اولئك المعتاة كان أحد اخوة يسوع — سمعان الذي لقب لهذا السب « بالثيور » . وكانت تلك الجماعة العاصية مصدر قلق واضطراب للحكومة . لانهم راموا ان يحيي ملكوت الله بالسيف وفاتهم ان من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ . ومع ذلك لم يجد لهم رجاء وظلوا يملكون النفس بان ملكوت لا بد آت يوماً ما

ودم سوء الحالة وحرج الموقف كان ذلك الأمل دائماً بين الشعب . وقد قلت هنا « خيّل أن روح اسرائيل القديمة قد ماتت » ولكن كان ذلك ظاهرياً فقط لان وراء مظاهر الموت والاصحلال رسب في الاعماق رجاء قوى حافز بالخلاص للتنتظر كما ترسب الجفوع لليرة في أحلق تلوج الشتاء — رجاء قد يمتد الى الحياة بأية عزمة فعالية ناهضة

والامر للدهش حقاً في تاريخ ذلك الشعب هو ترقبهم الماتت الشديد في ذلك العصر . ولم تظهر في تلويح أمة أخرى ظاهراً أقوى وأشد من موقف اليهودية قبيل مجيء المسيح . فكان قد مضى على آخر نبى انبأ عن مجيء المسيا

حسة قرون ولم يحدث شيء ما . ومع ذلك نرى هذه الفكرة ماثلة للقلوب عند ظهور يوحنا المعمدان : « . . . الجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا ابنه للمسيح » وكان أول سؤال ألقى عليه بنسيف : « قل لنا . هل أنت إيلياء الذي سيعيد الطريق ؟ هل أنت للمسيح ؟ هل أنت الآتي ؟ »

وهذه الاسئلة تشعرا اننا في وسط ترقب حار شديد . وبفترة رن في البرية صوت قائلا : « قد اقترب ملكوت السموات » وبدأت اورشليم تنضطرب وتضطرب . وتكهرب الجو بالاشاعلة المزعجة ، وتاقلت الالسة حديث فمسك قديس متشفح ظهر فوق الجبال ، رجل عظيم محوط بالاسرار تطبق عليه رؤيا ايلياء المعروفة . يرتدي ثوبا من وبر الابل ومسطقة من الجلد في حقويه . وبعد تداول الحديث عنه قتلا عن رأوه ارتفعت في المدينة اصوات هائجة تقول : « لقد سمعناه ورأيناه ! انه ايلياء قد عاد ثانية ! » وهو يفضح خطايانا ويدعونا الى التوبة ! ويأدي بملكوت الله ! وروي العجب العجائب عن شخص آت من بعدا »

وفي مئتي شهر من الزمن عم هذا الاضطراب الفكري كل الاعماء وسرعان ما اردحت الطرقات ملحجاج يتساقطون نحو الاردن - من رجال ونساء - من قرويين وحضرين - من تجار وعشارين ، وجنود وقلاحين ، وكتبة وفريسيين - ورى للمسيح نفسه سدد يسيد الى اذهان القوم ذكرى هذا المرح والمرج بقوله : « ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ؟ »

* * *

كان عصر ثورة فكرية واضطراب في فلسطين . ولم يكن يوحنا داعيا الى التوبة فقط . انما كانت هذه التوبة استمدادا لحادث حل سوف يحدث ، أشبه باليوم الذي ظهر فيه شعب اسرائيل نفسه في برية سيناء استمدادا لسبع صوت الله . وقد كانت هذه التوبة متصلة بمجيء المسيا حتى لقد كان يوشع مثل سائر يقول : لو تاب شعب اسرائيل يوما واحدا فقط لجاء ابن دلود للتتظر رن صدى صوت ذلك للنادي القاتل : توبوا . توبوا لانه قد اقترب ملكوت

السوات ! أنظرون لن مجيء هذا الملكوت أمر حين ؟ أترعمون انكم مستطون له
 في استنكاتكم الحقاء السية ؟ توبوا ! استملوا ! هذه هي الازمة الفاصلة لامتكم
 وشمكم . قد وضع القأس على اصل الشجرة . فاحترسوا لتلا تقطع وتقى في النار .
 اطرحوا صكم الربا والمظاهر الكاذبة للفتنة ! واتمروا آثاراً تليق بالتوبة . لان
 المسيا قادم . ورفشه في يده وسيتقي يده . و يزل القمع عن التبن . ويغير الحق
 من الربا . ولا تقولوا في انصكم لنا ابرهم أب لان الله قادر ان يقيم من هذه
 الحجرة اولاداً لابرهيم

« كلا ! لست انا المسيا . لست انا فلك النبي . ما انا الا صوت صاخر في
 البرية : أعدوا طريق الرب . اقدمه على الابواب . وهو الذي لست مستحقاً ان
 أحل سيور حذائه . وانا قد حش لأعدكم لاجله ، وأعدكم فقط بالماء للتوبة . اما هو
 فيصعدكم بالروح القدس وتار »



وكان يوحنا يحول من مكان الى آخر صاعداً شمالاً بمحاذاة صفة نهر الاردن،
 والجمع تزايد حوله . وكان قد وصل في قيواله الى « بيت عبرة » على مسافة
 عشرين ميلاً من الناصرة . وفي ذات يوم نزل اليه من الناصرة شاب قروي
 ووقف بين الجموع دون ان يلحظه أحد ...
 وهذا ما رآه يسوع :

انسان يتحس بتظلم الشر من عينيه، بوجه ناعل قد أعياه الزهد والتقص،
 واقفاً على ضفة النهر يسكب نفسه سكيناً . وحوله جمهور من الناس وقد بدت عليهم
 أمائر الثورة الفكرية والمغيرة والقساؤل . واستولى على كثرتهم عاطفة دينية أحاذة
 يشنون أبين الثورة للضاعد من قرارة النفس الثابتة، لان اليه « خرج اورشليم وكل
 اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن معترفين بخطاياهم » — هذا ما رآه
 يسوع

أحد يراقهم يوماً بعد آخر . وفي ذات يوم يد ما فرع يوحنا من معبودياته

ووقف منهدماً أقبل إليه يسوع حائساً في الماء . واني ألقى نظرة على وجه المصداق
ويسوع مقبل إليه فإذا به تملأ أسارىه . ويلو ذلك الوجه للتحسس علام الحياة
والنفس وحس الاستطلاع . وتقرأ في عينيه هذا السؤال ، في دمر واندهال : « من
هذا ؟ »

ولادتهما قد تلتقيا في الطفولة ، ولكن انطأهما لم يتلاقيا في الرجولة
بدليل قول يوحنا « لم أعرفه » . والمرجح انه لم يسكن يدري ما اذا كان السبا
موجوداً على الأرض أم سيحيى من السماء مقتنة قوة ومعد عظيم . ولكنه أحس
على أية حال روح التأثير العميق في حضرة ذلك الانسان للآكل أماله . وثارت
في نفسه عندئذ أحاسيس غريبة

رفع يسوع عينيه وتوس في وجه يوحنا . وعندئذ عرف ... عرف من كان
يحلم به خلال هذه السنوات الطويلة التي قضاها في عزلة . عرف من كان يعرف
أذاته ليتسمع وقع اقدامه . عرف السبا — رجاء اسرائيل . قد جاء !

أستطيع ان تصور نفسك مدى الاضطراب والذهشة والاتضاع في عقل
يوحنا ، ومدى التغيير الذي طرأ على نبرات صوته . منذ مرة كان يخرج من فيه
قذائف التأنيب والتعنيف لتصيب أشد القريبيين محرقة وكراً قائلاً لم : يا أولاد
الافاعي ! أما الآن فقد خاتمة شجاعته وثقته في نفسه فقال : ما هذا ! انت ! اما محتاج
ان اعتمد منك . وانت تأني الي ! »

أما يسوع فأمره في رقة ان يكلمه به . الحق انه لم يكن في حاجة لان يعتمد
لثبوتة . وانما كانت هذه العمودية لكي يتنمى المسيح في ملكوت الافس الامية
كما كثر الناس انماعاً فقال : « اسبح الآن لانه هكذا ينبغي ان تكلم كل بر » .
فوضع يوحنا يديه على رأسه وغطسه في الماء . وعندئذ بدأت مهمة المسيح اعامة .
واختتم حياته الخاصة وشرع في الدور الجديد . وأضحى القروي الوضع المتخرج
من حانوت النجار بالنامرة ، « مسيا الله » من تلك الساعة

وهنا حدث حادث لم يشه أحد . فانه عندما خرج يسوع من الماء وهو

يسلي — ربما الملاة المحبوبة : « اهانا . . . ليأت ملكوتك . لكن مشيتك » —
تفتحت كوة السماء وهبطت رؤيا كحكمة استقرت على رأس يسوع وسمع صوت
قائلا : « هذا هو ابي الحبيب الذي به سررت » وعرف يوحنا عندئذ عن يقين
انه قد وجد المسيح

وحدث مرة بعد ذلك ، في ساعة من ساعات اليأس الفظم ، ويوحنا موق في
زاوية من زوايا السجى — ان جال الشك بنفس يوحنا . ويذكر هذه الحادثة أحد
تلاميذه بعد موته عندما بعث باثنين منهم ليبالا المسيح قائلين : « هل انت هو الآتي
ام نتظر آخر ؟ » أما الآن فلم يكن ثمة شك لانه قال لمرأة للصوم الحاشدة :
« في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه » . وحين رأى يسوع للمرة الثانية بعد
التجربة صرخ قائلا : « هوذا حمل الله »



الفصل الثاني

التجربة

أصعد يسوع إلى البرية ليُجرب من إبليس . وكانت هذه الحادثة بعد
مهم المسودية توما . وعندئذ يتبدل الشهد فيتحول من مظاهر خارجية إلى
اختبار داخلي . من المسودية إلى التجربة . من الور إلى الفللة . سد كوة السماء
المفتوحة بعد سماع رنين صوت الآب، أصعد المسيح توما إلى البرية ليُحرب من
إبليس

ووصف التجربة في الشائر يدل على أنها لم تكن مجرد حادث بل كانت
أزمة خطيرة شديدة في حياة يسوع . والظاهر أنه كان يُمكر في عمله الخطير
الموصوع أمامه ، ويمارح مشاكله الكثيرة لعله يجد لنفسه مخرجاً فكانت تصارعه
تلك القوات الشيطانية الماثلة بمحاولة تخرجه وتصلبه والمهدة به من خطة سيوره .
والذي صار انساناً ليؤمنس ويشيد ملكوت الله، عليه ان يشرع كائنات في مصرعة
وهزم قوات ملكوت الشر

وذاث يوم روى السيد لبعض تلاميذه قصة تجربته، وربما رواها مما انطوت
عليه من حقائق عميقة أمد من أن تحيط بها مداركهم . وربما وصفا في أسلوب
سهل على أذهانهم . ولكن حتى بعد وضعها في هذا الأسلوب السهل لا يسع الزم إلا
التهنئة أراء تكييفهم لها . فهل اختاروا كما اختارنا نحن ؟ وهل افصحوا عن هذه
المهيرة وألقوا عليه أسئلة اخلوا عنها أجوبة كما فعلوا في ذلك السر الآخر عن
الثمر الحيّ النازل من السماء (يوحنا ص ٦) ؟ لست ندري . وربما كان المقصود ان
تقف امامها حائرين ونحاول حلها باقتنا

* * *

ومصطلم في أول مرحلة بتؤالين على جانب من الصعوبة . فهل تتخذ القصة كما هي في طاهرها - وبحريتها الدقيقة وتصور روحاً شريراً ، وأصواتاً مسموعة في الهواء ، وكأننا قوياً حالكاً منظوراً للبن يحمل يسوع بالجسد الى دروة الجبل وفوق جناح الهيكل ؟ أم هذا وصف محزى فقط يصف صراعاً داخلياً في النفس ؟ وهل تصور لأغتنا انساناً وحيداً منفرداً بين صحور البرية غارقاً في التأمل ، وانها على حذر خلال أربعين يوماً برق فيها قوى الشرير عبر المنظورة تهجم على نفسه ، مفكراً في عمله ومهمة حياته فيبذل فكرة بعد أخرى تعرض له ، وهي فكر بمسححة في ظاهرها ولكنها مصطلمة بسفة الشر ؟ ان البعض ليشعر ان هذا المعنى أقرب الى الحال الطبيعي وهو أشبه لما يحدث لنا . نحرشه أقرب شيء الى التجارب التي تتصدى لنا

ان كلا الأمرين واحد لدى يسوع من الوجهة العملية . لان نفسه الحساسة تدرك الشرير فوراً ، منظوراً كان أو غير منظور . وفي ظني انه من الجائز لنا الاحد بأحد الرأيين على شرط ان ندرك بان المقترحات التي قدمت له جاءت اليه كتجارب حقيقية ، وانها قامت ليس في نفسه المعصومة عن الخطأ بل حادثة من مؤثرات خارجية وهذا يأتي بنا الى سؤال اشد خطورة من الأول : كيف يمكن ان يُجرب الرب يسوع بأية تجربة ما وهو بلا خطية ؟ فان التجربة لنا تنطوي على حالة شريرة فيما تميل مع هذه التجربة . اما انسانية المسيح فكانت معصومة . هل كانت تجربة المسيح ان عراكاً ظاهرياً فقط ، خلوّاً من أي صراع حقيقي أو خطر فعلي ؟

حاشا لله . والأما هو الهراء لي في تجربتي انا ؟ وانا أعلم حق العلم ان تجربتي ليست عراكاً ظاهرياً طارِعاً ، فأني مشجع لي في تحويل نظري للاستعانة بمتنصر بالملي عظيم في سلاح لامع يهر الأعداء لن تنال منه السهام مثلاً ؟ وادكر ان جاءني مرة شيخ عجوز من اللعدين وقال لي : « إن كل مسيحيكم هو الله فان تعاربه ليست عراء لي » . وقد صيكن من الصعب أن أجبه جواباً مقنعاً . لاني أحسست ان في نفس ذلك الشيخ غريزة طبيعية توافقة الى ان ترى الى جانبه صديقاً شريكاً حياً

جاز دوراً من أدوار التجربة للريرة التي يجورها هو نفسه، يشعر معه و يشاكره كأخ
أكبر ومحتر محضك

ومع ذلك هل يمكن ان يُجرب حقاً المسيح للعصوم عن الخطأ؟ يعطي الكتاب
للقديس جواباً إيجابياً صريحاً

والآن لنفكر في هذا الامر : العصمة عن الخطأ لا تعني بالضرورة ان اسباب
الاعراء لا تصطر بالذل . ولكن معاً علم الاستسلام الى اسباب ووسائل الاعراء
الخطئة ، ونشئت الارادة بالاحلاص والولاء حيلما . والفرق عظيم واليون شامع
بين تجربة عصرية تعرض للانسان من الخارج ، وبين فكر حيث سرر جاتم
في النفس . فالتجربة ليست شائعة بالكرامة . ولعل "أمر وأسعد ذكريات الحياة هي
ذكريات التجارب التي فاز فيها المرء بقوة ارادته . ولو ان هذه للأسف قليلة جداً!
ومع ذلك كله فاننا في توفيرنا للسيد المسيح تأوي كل الاباء ان يخل به
أحس" ولو بمحد الاحساس بتجربة ما . وما هذا الا لأننا ننجز عن ادراك مدى
اخلاء نفسه في صيرورته انساناً . وبينما يذكر انه «آله من آله» خفيق منا أيضاً ان
نذكر انه صار انساناً كاملاً لأجل البشر وخلصهم . والذي علب التجربة هو
الانسان وليس الله . ونحن ننازل قائداً الأكبر ليكافح معنا ويحارب الى جانبنا
ألقى عنه الاسلحة اللامة ووقف معنا كجندي في صف القتال . ولم يعف نفسه
من شيء ما ، ولكنه حارب مثلاً

وسواء فهمنا هذا أو لم نفهمه فالكتاب يعلمنا ان يسوع بانتماده الطبيعة البشرية
أخذ معها كل اشواق هذه الطبيعة وميولها ورغائبها التي تقسح فيها الطريق الى
الخطية . وهو قد أحس ألم الجوع كما أحس آثا . وأصناف العطش على الصليب
توسل لأجل جرعة من الماء . وتقلص جسده امام وحزات الألم . وتمحست
روحه أقدس الألام العقلية في حشيانا . وطبيعي ان تهجم عليه التجربة عندئذ
فيطلب ان تعبر عنه هذه الكأس ان امكن . ولولا ذلك لما حسب للسبح اسماً .
وهكذا نرى ان طبيعته للعصومة عن الخطأ كانت عرصة تجارب أليمة كان انصراف

فيما قاسياً وقد فاز فيه ببدل مجهود حق وماذا يقول الكتاب : «في هذا تألم مجرباً لكي يمين المحربين» وأيضاً «ليس لنا رئيس كهنة غير قادر ان يرثي لضعفائنا بل محرب في كل شيء مثلاً لا خطية» . ولم تكن هذه الحادثة بالثبات أولى تجارب المسيح ولا آخرها . هي كل حياته السابقة كان عرضة للتجارب مثلاً . وكذلك كان بعد هذه الحادثة لان ابليس طرده «الى حيب» . وحتى في حشمتاني كانت التجربة محيطة به : «ان امكن لصبر عي هذه الكأس» . ويقول لتلاميذه هي اخريات حياته بلهجة مؤثرة : «انتم الذين تبتم معي في تجاربي» . ولكنه فار فيها كلها

هذا ما نستطيع ان نفهمه بمجهودنا الفاحزة والآن نتمد الى القصة دلتنا:

اتصور يسوع في ذلك اليوم صاعداً من الاردن وضه تقاذما للثورات الصمقة . كيف لا وهو يحور الآن ازمة روحية هائلة . هنا صوت من السماء ، ومسحة الروح القدس ، واشعور بالقوى المارقة للطبيعة ، وبداية مهمة الحياة المحطية ، وانصرافه من هذه الساعة «فيما لآتيه» . كل هذه شؤون تراحت في العقل والقلب وسهله الافكار «أصعد يسوع بالروح الى البرية ليحرب من ابليس» ليس مدفوعاً بقوة من نفسه بل حاصماً لارادة الآب للقدسة

وفي وسط هذه اللاليل والمواطف المتراحة يحس للرء يميل الى الاضداد عن الناس والانزواء للتكوير والتأمل . واني اراه يتسل من وسط الجموع الواقعة على ضفاف نهر الاردن ويهيم وحيداً بين الأعراش الى جبال البرية . وهناك يتقضي الليل كله لا يلوي على شيء ولا يندري شيئاً . حتى يستيق من هواجسه ويجد نفسه بين صخور وكهوف البرية مع وحوش القلابة

هناك قضى أربعين يوماً — كما يقول الشيرلوكا — محرباً من ابليس . وهنا أريد ان محصر افكارنا في هذه الايام . لان كثيرين منا يتجاهلون ما حدث فيها بالاهتمام فقط لا تلاها من الاحداث وهذا خطأ محض . وكلما فكرنا فيها اذكرنا ان الصراع العقلي في حلالها بلغ أشده حتى انه لم يشعر بانه قصاعاً صامحاً لا غداء .

وهل يمكن للقل أن يتصور الجهد العنسي الذي يصل بالإنسان إلى حالة كهذه مدى
أربعين يوماً؟

وحين يكون الإنسان رازحاً تحت عبء عقلي كهذا يسعى كل شيء حوله ولا
يفكر في الجوع. وإذا كان يسوع قد صام في حتام هذه المدة وأحس بالجوع أفلا
نظن عندئذ أنه قد غلب في هذا الصراع الذي بلغ منتهاه؟ وإن تعدد التجارب
التي عرصت له يدل على أنه أحس بالفرج بعد الميق وبالراحة بعد التعب. وبالطاقة
وعاد إلى الوعي بعد انقضاء هذا الصراع وشعر بألم الجوع؟ بل هنا دلالة على أن في
الكون عالماً روحياً غامضاً بقوة شديدة غير منظورة محيطاً بنا ومصارهاً الإنسان
والله. ويخاطبني أحياناً الفكر بأن لهذه الأربعين يوماً القمصل في إضافة العبارة:
« لا تدلنا في تجربة. لكن بحثنا من الشرير » إلى صلاته التي أحبها

و يسوع لم يرو لاي إنسان فإن ما عاناه من النزاع الروحي التامس في هذه
الفترة. واعتقد أنه لن يمكن التعبير عن هذا الصراع بألفاظ تدركها أذهاننا. وإني
أجرؤ على أن أتصوره خلال الأربعين يوماً لا يمي شيئاً في الأرض وروحه مأخوذة
إلى عالم الروح في مصارعة عيفة قاسية معنية. أتصوره بعيداً عن مدى إبطارنا
وأفهامنا. والجوع هو العلامة الأولى الدالة على رجوعه إلى عالمنا، وربما عندئذ فقط
بدأ دور التجربة الذي نستطيع أن فهمه.

بعد أربعين يوماً أحس بألم الجوع الشديد الذي نجر عن إدراكه، والذين
فلسوا ألماً كهذا مدى أيام طويلة يقدرون شيئاً من هذا الموقف، ولم يكن يسوع
بطبيعته متشعراً مندرجاً مثل يوحنا المعمدان. وفي تلك اللحظة تلق جسمه البشري
السليم توتراً شديداً للعلماء. والحجارة البعثرة في النور الضئيل تفكر الجائع بارغبة
الحب، وربما كان الأحياء الشديد مدعاة أيضاً إلى شكوك عذبة، وكان قد أصابه
هلا الجوع الشديد، وكان وحيداً منعزلاً مع الميس، ونحن نعلم أن الأحياء والوحدة
والوحشة تعمل كثيراً في إيحاء الشكوك وإبليس كل شيء صالح لئلا الشك والخيال
البعيد عن الحقيقة

وفي تلك اللحظة — لحظة الأعياء والجوع — تبدأ المعبة الأولى التي دوسها الإيجيل: «ان كنت انت ان الله ا» ان كنت انت؟ هل واثق انت؟ ألا يمكن ان يكون ذلك المعدن البري المتعصب محرقة؟ ألا يمكن ان يكون صوت السماء والحكمة للخدمة مجرد «هوس» لا اصل لها؟ قبل ان تبدأ هذه للهمة وتضل الآخرين جرب نفسك. حرب ان تخلص نفسك من الجوع والموث. ابن الله ان كنت ان الله قل لهذه المحاربة ان تصير حرباً

ولماذا لا؟ يبدو هذا الطلب لأول وهلة جائراً معقولاً. فهو قد أحس — ربما لأول مرة — بقوة غير محدودة. وهنا التجربة. لماذا لا يحرب هذه القوى القائمة الطبيعية؟ لقد استخدم هذه القوى في بلد في اشباع الحسة آلاف ونحويل الماء الى حمر. فلماذا لا يعمل الآن؟

وها حذاع هذه التجربة. فقد كان من الحفاقة ان يقترح عليه انليس فكرة حاطة خطأ صريحاً، وهذه التجربة ليست حماقة في طاهرها. ألسنا نشعر كلنا ان اسوأ تجاربنا هي التي نحرب فيها انفسنا بل نطلب ايها اعمالا محبة. فيقول للرد لنفسه: أو اوافق انا بان هذا خطأ؟

ومع ان المسيح كان في حالة الأعياء الشديد والجوع الصني فهو لم يشأ ان يعمل ذلك. لماذا؟ لا يسعنا هنا الا الحزن والتخمين بروح الوفا والمشروع. فعل كل ذلك لانه أصد الى البرية بالروح ليجور هذه المحنة الالمية فلا يلبق به ان يكسر من شدة هذه المحنة؟ ام هل كان ذلك لانه لم يرد ان يستخدم لراحته القوة التي اختبرها لحمة الآخرين؟ أم لانه أراد ان يوكل بمسه كلية الى عناية الآب فلا يعمل شيئاً سعه لخير نفسه؟ واد قد أدخل نفسه وخضع لاحكام الطبيعة البشرية وضعفاتها لتشجيعنا نحن لم يرض ان يصنع المعجزات لراحة نفسه والتفريح عنها. لان هذا الصنيع يخرجه عن طبقة البشرية وان فعل ذلك الآن فلماذا لا يفعله مرة واخرى ليقند نفسه من الفقر والحاجة والتشريد، وقد كان ابن الانسان الفقير الذي لم يكن له من يستند رأسه؟ ولماذا لا يهرب من نزعات جنسيته؟ ولماذا لا يخلص

نفسه عندما عرضت له تجربة كهذه فيما بعد وسط آلام الموت عند ما قيل له . «إن كنت ابن الله فخلص نفسك وأزل من على الصليب»
 كلا! خلص آخرين وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها لا صدئذ ولا في هذا القام .
 ولم يكن يسوع قد أشرف على الموت من قبل كما أشرف عليه ابن هذه التجربة...
 وتمرص بنا نحن أرملة في الحياة قدر فيها أن رصي انفسنا ونجعل الحياة
 سهلة خفيفة ونكسب المال لأرزاقنا وأولادنا إذا لم تشدد في الحسوع لإرادة الله
 المقدسة . وقد نقول : «يجب أن يعيش الإنسان» . ولكن في هذا الاتصا يتحدث
 اليا يسوع من البرية وكأنني به يقول : «يا بني؟ أنا اعرف تجربة العامل الكلدود
 في كسب النيش وقد حترتها بعسي . فعلم مني . وأولى بالإنسان أن يموت من أن
 يخنق الحق ويهلكه»



والآن تأتي التجربة الثانية :

بالإيمان بالله وبقوة كلمة الفلسفة انتصر يسوع . وهذا يناله الشيطان على
 ارضه وفي موطنه—إن كان إيمانك هكذا في الله فاطهره ، واطرح نفسك من فوق
 جناح الميكل على مشهد من أحبار اليهود وجوع العابدين . وهذا وحده يظهر
 إيمانك الكامل . وهو علامة أكيدة على أنك المسيا لأنه مكتوب منذ القدم « أنه
 يوصي ملائكته بك وعلى أيديهم يحملونك حتى لا تعلم بحجر رجلك »

وكيف نغفل هذه التجربة ؟ هل أخذ الشيطان الخلق واصعدنا بالجسد فوق
 جناح الميكل ؟ نحن نعلم عن قوة عالم الروح ما يكفي لحنا على تصديق هذا . ولعل
 هذا القول صورة تشبيهة فقط للتعبير عن تجربة روحية دقيقة عرضت عليه ؟
 لا شك أن المسيح كان يسكر في صفة حياته . ولا بد أن ادراكه سر قواه
 الحارقة للعظمة كان تجربة شديدة له . فكيف يستطيع أن يحمل إلى العالم المضطرب
 لتب رسالة منكموت الله ؟ هل ييسط راية هذا اللكموت وحوله اجتاد اسماء تحت
 امرته ؟ وهل يغور بولاء الناس وخصوصهم له بأظهار قواه المعجزة دهاء واحدة ؟

ترقب الناس المعجزات دليلاً لا يثبت دلتاوي للسيا و ملون هذا الليل ان يقبلوه .
 ورامم بدتذ يطلبون مرة بعد اخرى آية من السماء . فهل يعطيهم لأن الليل الذي
 لا يُدعى؟ وهل يجيء؟ لم كصانع معجزات، على كل شيء . قديراً؟ انه لو ألقى بنفسه
 من العلاء في وسط الجحور الخائفة او فعل شيئاً من هذا القبيل ، يقبله الناس
 ولا جدال بالهتاف والتمجيت ويخرج من الهيكل في موكب منتصر متوحاً بالمعجزات
 والناس يحنون الرقاب عند قدميه في الطريق !

وقد يهيس الحرف في اذنه : « هذه فرصتك . ان كنت ابن الله فاطرح نفسك
 الى اسفل . واطهر ذاتك حليماً للقادر على كل شيء . وأصبح بقوة ملكوت الله التي
 تظن انك بها تغلوت الاساية . وهكذا تصل الى غايتك بدون ألم ولا اعطاء »

أليست هذه تجربة حقيقية لابن الانسان ؟ ليست لاجل نفسه بالطبع . فحقق
 الشيطان عرف ان اعوانه لراحة نفسه او تمجيد ذاته لن يجد الى نفسه سيلاً . ومثل
 هذا العلم لا يسطاد الا اسئالا فقط . أما هو فقد جاءت عوايته كأنها لاجل اسئال
 الفقير المكتوب الخاطيء الذي قد يجيء اليه على عمل ملكوت السماء ! ولا شك
 ان يسوع فكّر في معصرة كهده والا لما نظر اليها كعجزة محوبة اليه ولا شك
 انها ألفت شيئاً في روعه في تلك اللحظة على الاقل

ولكنه عرف ان النهضة والايمان قيمان . ومباغة الناس بالمعجزات لا تسمو
 بهم بالضرورة الى حالة الفصل . وهو قد جاء ليرمح الناس ليس قوته بل بمحبته .
 ونزل ليعطي محبة الله وعطفه وآله الرقيق ونصحيته . فإذا لم ترح هذه كلها الانسان
 فلا يرحه شيء آخر سواها . وهكذا نرى المسيح قد نظر الى الامرين : في الجانب
 الواحد ألم وضنك وخيبة واعطاء وصيل . وفي الجانب الآخر ترقب اسرائيل
 الطويل بالسيا سيقادهم بالقرور المبين من مقدس الهيكل

واختار المسيح أسد الامرين :

فكّر في المعجزة فقط لينبذها وفي سبيل اداء الواجب هو لا يهجم عن ان
 يلقي بنفسه من فوق جناح الهيكل لو من فوق ذروة الكون . ولكن ما لم يصكن

الإنسان في طريق الواجب من الخطأ المحض إن يتحدى الله ليومي ملائكته
به . وقال يسوع : « مكتوب لا تجرب الرب الهك »



« ثم اصعد الى جبل عال وأراه جميع ممالك السكونة في لحظة من الزمان » .
ربما « في الجسد او خارج الجسد » أخذ الشيطان السيد الى جبل عال و قوة
روحية معجزة أراه كل ممالك السكونة ومجدها

ولكن ربما يعني هذا القول ان يسوع فكّر في هذه اللحظة في مشروعاته
القبلية لتأسيس ملكوت الله . وجالت مخاطره رأى أحلامه يوم يأخذ العالم الوثني
ميراثاً له وإقاصي السكونة ملكاً له . هذه هي ملكوته الموعود بها . تخفي البرية
عن نظره ويظهر العالم بأبعاده وحاله تحت ضوء الشمس بما فيه من مدائن وقصور
وحبوش وشعوب غنية عظيمة ، كلها تسجد لسانها الذي خلقها

هو يتوق الى تحقيق هذه الرؤيا ليحيى الى عالم شرير بالسادة وانبل ! ما
أحمد عالمًا يكون المسيح ملكاً له ! ولكن كيف يتم له ذلك ؟ يقول الشيطان :
« لك أعطي هذا السلطان كله ان سجدت أمامي »

والظاهر من هذا ان يسوع جُرب ان يفعل شيئاً حسه حصواً وسجوداً
للروح الشرير . كأن يؤسس ملكه بالقوة والعنف كما فعل غيره من رعاة الأديان .
أو أن يفعل هذا في غير عناء وينقنه عاجلاً بشيء من التراخي والتساهل
والتخالف مع قوات العالم الأخرى سمع القوة الرومانية . أو مع الكنيسة والفريسيين
فكل التهمات المملوكة قد كُتبت على هذا النحو . وبهذا فقط يمكن دمج العالم
والتغلب عليه

وما قاله المحرّب يسوع حق لا مراء فيه . ونحن نستطيع ان نرجع شعراً كبيراً
من العالم وإبعاده لو قمنا بدفع النسي للديتوان . والكنيسة لم تكن بمنجاة من هذه
التجربة وحاولت القلبة على العالم أحياناً بالتراخي والتساهل والسلاوة مع من كانوا
سادة لها

أما يسوع فلم يرض التساهل والمساومة مع عالم شرير . وهذا الرفض حداه الى عملية بسيطة أليمة ، عملية الحبة وانكار الذات والاستسلام وتكريس نفسه للناس بدون حى لو تمير ليعملوا به ما شاءوا ، عملية طويلة مصنية يستغرق اكتسابها احياناً كثيرة . والآن بعد انقضاء ألفي سنة لم يكل نصها مد . ولكنها ستكون . وربما تصبح ممالك هذا العالم ملكاً لالهنا ومسيحه وهو يتسلط عليها الى الابد . والشيطان يعرض على المسيح طريقاً مبدأً سهلاً مختصراً بدلاً عن طريق الواح الطويل الوعر الصني على ان يدفع فقط ثمناً صنيلاً هو الخسوع للشر . ولكن حيلة كهذه لم تجز عليه : « اذهب يا شيطان . انه مكتوب لقرب إلهك تسجد واباه وخدم تصد »

* * *

الآن قد قرعنا . فإذا تعلمنا ؟

١ - ان ربنا الذي خترف له تقصيراتنا يستطيع ان يعطف علينا في تجار ما « في حكل الاشياء محرب مثلاً ولكنه بدون خطية » . وكونه لم يستلم لتجربة لا يقتل شيئاً من عطفه . فلنفرض انفسا احوة ثلاثاً يحاولون ممّا تسقى جبل عال . وبلوغ آخر مرحلة في الفوز مائة درجة . وبعد خمسين درجة حانت قوتي ووقفت عند حدي . واعي الآخر يعمد الى سبعين ثم يقف . هذا يستطيع ان يشاركني ويعطف عليّ لانه أدري بما قاسى . اما الاخ الاكبر الثالث فيحاول وهو يلهث الى جانبنا ان يعطي خواطرننا ويأبى الاستسلام . تدركه الظلمة ولكنه يثابر ويجهد . الفرق يصيب عليه واقاسه تنقطع ولكنه جاد في التسلى واخيراً بعد ألم وصراع يجور في المرحلة الى متهاها . أليس يستطيع هذا ان يعطف عليّ كالأخ الذي فشل في منتصف الطريق ؟ وهو قد تألم أكثر من الاثنين !

٢ - وهذا الاخ الاكبر فعل ما لم يفعله الآخر أراني ممكنات الفور . وهذا هو الدرس الثاني في التجربة . ويسوع للتصبر في البرية يقول : « ايها الاح للسكين الخاطر الحروب ا تمل تمر ا وهذا في مكتنتك وقوتك . قد خلوت نفسك

واستسلمت الى القول العاطفي عن قوة التجربة وألم الفشل . ولكن اسأرك ان
هنا جين منك وليس هو الحق . كن رجلاً ا حرب مرة ثانية بقوني . فقد أنقذت
البشرية ، كاضحت وناقضت كاسان لا حول لي ولا طول مثلك سوى الايمان
بالله . وكان كفاحي أشد هولاً من كفاحك وقد هرت . ولاني هرت في الكفاح
الشديد والمركة الفاصلة، تلك مستطيع ايضاً ان تفور في كفاح اقل ومعركة اصغر
ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تحمله . وهذا مثل لما يحدث
لصبيحة الضعفاء ايضاً بعد كل تجربة يكون الفوز حليها



•

الفصل الثالث

التلاميذ الاولون

من الزمن تقضى ، وفي كثير من راحة النفس والشعور بالفرح
اسبوع بعد الصيق ، حود من البرية الفاحشة الحرداء ، والصراع مع
أهالة الفكر — لتنتع خطى السيد في علاقته البشرية العادية مع القرويين السادجين
في الجليل الذين أحبههم وأتخدم له اصداقا.

ولولاد كريات الشيخ المجوز يوحنا، التي استعاضت بها ذاكرته سد حنين
سنة ، لحرمها من قصة شقيقة وقعت في الاسبوع الذي عقب التجربة ، يوم التقى
للسيح تلاميذه الأولين . وتذكر لنا بشائر متى ومرقس ولوقا أهم الحوادث في سيرة
السيد . وهي تمثل التاريخ الجليل ، الانجيل العالم الذي نطقته الكنيسة الفتية الأولى
شفوياً ثم سطر سدياً في هذه الأسفار المكتوبة التي بأيدينا . ولكن في قصصهم
وسرد حوادثهم ثمرات من الفراع . هنا يتفعلون مرة واحدة من حادثة التجربة الى
فترة الخدمة في الجليل دون الاشارة الى ما تحلل هذه المدة من الحوادث

ولكن في احسن البينة كان تلميذ شيخ يقرأ هذه الرسائل ، وعلق وهو يقرأ
بملا في غيظه هذا الفراع . وأتخيله يقول لنفسه وهو يقرأ وصف التجربة : آه !
لقد نسوا تلك الأيام الشيقة التي عقب التجربة ! واذا يقرأ وصفهم عن دعوة
التلاميذ تسارع اليه افكاره قائلة له : اتهم لم يذكروا شيئاً قط عن كيفية معرفتنا به
نحن التلاميذ لأول مرة

وقد حلت خيالات يوحنا الرسول بذكريات لم تتوفر لدى الآخرين ،
ذكريات عدة حرة عن تلك السنين الثلاث التي قصاعا على اتصال وثيق بيسوع .
واذا استعادها الى أغنيته رواها لشعه ، وبد أن رواها لشبه دوما في بشارته

وبين تلك الذكريات البارزة قصة وقعت بعد ظهر يوم الخميس سنة خلت — هو اليوم الذي انتهى فيه سيده لأول مرة . وذلك هو اليوم المأثور الخالد في حياته فكيف يتخالف عنه . ولما نراه يسجل ذكريات الاسوع الذي عقب التجربة في صورة رائعة وبمع في وسط السورة ذلك اليوم المأثور في حياته ويحيطه بهالة حمراء . ولعله من الشيق ان نذكر ان ذلك اليوم كان سداً على الارحح لأنه يسرد احداث أربعة أيام متتالية ثم يأتي بعد ذلك في اليوم الثالث عرس قانا الجليل . وكانت العادة المألوفة عند اليهود ان تقام اعراس العذارى يوم الأربعاء ، فكأننا نحصى الأيام من يوم الأربعاء رجوعاً الى الوراء حتى يوم الخميس السابق



ألقى نظرة على الشاهد كما رسمها الشير: اليوم الاول هو يوم الخميس كان يوحنا في ذلك اليوم مع يوحنا المعمدان في بيت عبرة . وكان قد جاء مع جمع من رفاقه الشبان مسوقين بشوق لسموا النداء السامي من النبي الجديد . وهم قد لبسوا هذا النداء وصاروا تلاميذاً له ولبسوا معه حتى يحلّ فصل السيد فيجرحوا الى الصحرة وكانت رسالة معمدان البرية قد أثارت القوم حتى اضطر الفرسيون في اورشليم الى أن يبعثوا بوهدي من قبلهم ليستجلبوا الخبر . وقد وصل ذلك الوهد يوم الخميس على الارحح قبل أن يرجع يسوع من البرية بيوم واحد . فالتقى بهم ذلك للبعوث العظيم وصارهم كل شيء فلم يخف عنهم شيئاً :

— قل لنا من أنت ؟

— أنا لست المسيح !

اذن من أنت ؟ أأنت البلياء ؟

— لست هو !

— أأنت ذلك النبي ؟

— كلا !

- اذن قل لنا من أنت لنعطيك جواباً لمن أرسلنا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟

- انا صوت صارخ في البرية قوماً طريق الرب كما قال اشعيا النبي
- ما بالك تعتمد ان كنت لست للسبح ولا ايلياء ولا النبي ؟
- انا احمد الله ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفوه



«وفي البدء كان يوحنا واقفاً مع ترمس أخصائه وبنفة رفع عيبيه فطرح من بيده على منحدر الجبل يسوع قادماً من الطريق الذي احتضى فيه منذ ستة أسابيع .
 رآه شحاً نحيلاً سهوياً قد أصعبه الازدحام يوماً في البرية وعلى عيائه وفي عيبيه عبطة من العالم الآخر . وكان للمعدن قد تمخير في سبب احتضائه وها هو الآن يراه مرة أخرى ويعرفه ويومئ اليه قائلاً : «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم . هذا هو الذي قلت عنه ... قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه...
 وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله»

وهنا يشر اسقف أممس الشيخ وكأن دم الشاب يعود يجري في عروقه اذ يدرك كيف اتهم قلبه في ذلك اليوم الذي اتهم فيه لأول مرة من تألق اسرائيل ان يراه مدى الأجيال ، الذي كان مرعاً ان يرفع خطية العالمين



والذكريات تتوارد وتتلاحق : فهي البدء ايضاً ، في سبب طهر يوم السبت ، كان يوحنا وزميله اندراوس يتحدثان مع معلمهما يوحنا عن يسوع . وانهم لكذلك واذا به يمر امامهم في الطريق الحاذي لصمة النهر . وهنا أصدور المعدن وقد قبض في ثورة نفسه على فزع زميله الشاب قائلاً له : «انظر ! هوذا حمل الله ! حمل الله ! » ولم يدروا معنى هذه الكلمة حتى رأوه مبهوسهم معلقاً فوق رابية الجلجلة . ولكن في تأثر عاطفي غايب اذ «معهم التلميذان يتكلم تما يسوع» . ولعل المعدن نفسه هو الذي شجبه على ذلك . فلم تدنمه صلة شخصية تربطها به ، وهو لم يكن الا للتادي للمهد لطريق الرب

وها انا أرى الشابين الصيادين يهبطان الى الطريق ، في حذر وخجل وحوف

وخرج موقف ، مؤملين ان ينشرها يسوع بالكلام . أما هو فاذ قد سمع صوت الحطى التفت الى الوراء ورآهما يتبعونه ، كما يلتفت مدى أحبال التاريج ليلقي نظرة على التسليمين الخاضعين للحادين الذين يرغبون أن يتبعوه . وفي اشتاق وتشجيع يسألها قائلاً : «ماذا تطلبان ؟» ولعله أراد أن يختبرهما ويوعز اليهما أن يسألا قلبيهما ماذا يريدان . وهو لا يعيب الحل أو الصف أو البلادة أو أي شيء آخر متى أحس المرء في داخله انه يطلب الله حقاً ويحى الى خدمته بقلبه

وهما حرت الشابين القرويين حيرة فلم يعرفا بماداهما : «يا سيد أين تمكث ؟» وعندئذ عرف يسوع ماذا يطلبان فأجابهما : «تماليا !» واتخذاهما الى مسكنه الموصيع الصغير ومكثا معه ذلك اليوم . واذ يرجع يوحنا بدأ كونه الى نصف قرن يستمد كل شيء تملأاً «وكان نحو الساعة العاشرة ! (أي الساعة الرابعة)» فكيف يسى حادثة كهذه وقد كان لها فيما بعد أعمق الأثر في نفسه حد اذ مكث مع يسوع عصارى ذلك اليوم في صيافته الوصية يتحدث اليه ويسأله ويستمع اليه وهو يجبرهم عن متاعب البشر وخطاياهم ، وعن مشروحاته وآماله الخارة في تأسيس ملكوت الله . وما أن يختبئيهما اليه بقوة عطفه حتى يشرا في التحدث بجعل من آمالهما واشواقهما ولعله قال لهما في تلك الفرصة ما صككن منتظراً منه «سأدعوكم يوماً ما الى معاوتي والوقوف الى جانبي»

وفكر الآن في دينك الشابين وهما عائدان تلك الليلة يشخران في طريقهما تحت أضواء الكواكب اللامعة وقد اتفقت فيهما لواعج التيرة وامتلاً قلباهما بحب شديد حيال ذلك الصديق الجديد «أجل . هما يتبعانه ، ويتبعانه حتى الموت !» قد تبدل العالم كله في نظرهما . ولم تعد الارض كما كانت من قبل



«كان اندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثني» - يقول يوحنا هذا في كثير من التواضع والخشعة لانه لم يشأ ذكر اسمه . ولشد ما كان اعظام اندراوس من هذا اللقاء فاسرع واباً أخاه «يا سمعان قد وجدنا للمسيح !» ولم يعبدا عنه

يوحنا بل قد رأيته بأغستا . وطوبى لمن يقولون من أعماق احتشائهم : قد وحدها المسيح ! بل طوبى لمن يمجثون بأخر ليراه مسم !

« جاء به الى يسوع » . وهكذا انحط بطرس — المنهور للندفع المظوف — في سلك هذه الجماعة . واذا تفرس يسوع في وجهه أعطاه لقباً جديداً . ولله كان صعيد الثقة بنعمه بسبب انتداعه وتقلبه وعرف يسوع ذلك في دخيلة نفسه فقال له : « يا سمعان بن يونا . انا اعرف كل شيء عنك . ستكون يوماً ما قوياً حيث امت صعيد . وستدعى يوماً صفا أي اسخرة » . على هذا الخط يشدد السيد عزائم الشر فيرى بيد نظره ما سيكون عليه الانسان في المستقبل

يمترح يوحنا في خيالاته ذلك للشهد البعيد . وكان بطرس قد مات منذ أمد والضعى بالسيد في عالم الارواح . ولكن التلميذ الشيخ ما رح يحمل في مخيلته الآثار التي اضطمت على محيا يسوع وهو ينظر الى بطرس في ذلك اليوم . كما يذكر ايضاً نظرات يوم آخر بعد ذلك اليوم ثلاث سنين ، يوم « نظري يسوع الى بطرس ، فخرج بطرس ومكى كساء مرأ »



وأما في اليوم التالي فيعزم صورة الطريق الى قانا . وكانت طريقاً جميلة تحفها الأزروع على الجانبين . وهنا يصوب يسوع وجهه شطر الجليل فيقف في طريقه عند قانا لحضور حفلة عرس . ويذهب معه الاصدقاء القتيان الثلاثة . لان موطنهم على مقربة من تلك القاع وقد دعواهم ايضاً الى ذلك العرس . وفي الطريق يلتقي يسوع هيلس واكبر الظن انه عرفة من قبل . وكان لهيلس صديق حميم يدعى شتايل من سكان قانا ، وكان يهودياً ورعاً قديماً ، رجلاً عادياً مفكراً ، يعيش في شركة مع الله . وليس شك انه تحدث مراراً مع فيلبس عن رجاء اسرائيل وسرعان ما وصل فيلبس الى قانا حتى أسرع الى صديقه الحميم .

— اسمع يا شتايل ! قد وجدنا الذي كتب عنه موسى في التلموس والابياء

— من هو ؟

- يسوع بن يوسف الذي من الناصرة !

ولكن شنائيل يرتب في الامر لانه لم يتوقع ان يجيء المسيح بهذه الطريقة العارضة . ولعله كان رجلاً متقدماً في السن ، حريضاً حذراً ، فلم تستغره أقوال هذا الشاب المتحمس . ولذا سمعه يجيبه مثل كان دائراً على اللسنة في ذلك العصر

أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح ؟

وفيلبس لا يدخل معه في جدل وحوار . ويكفي بالقول : « تعال وانظر ! »
احل ، تعال وانظر . فهذا خير جواب للجماعة المترابين ، أهل الشك والريبة في يسوع . وكأن فيلبس قد أحس ان مجرد لقاء يسوع يمدد سحب ريبته ، وان ظهرة واحدة او كفة واحدة منه ، تتسامى فوق كل حجة ودليل . ولذا يجيب : شنائيل لروية الزملاء الآخرين « واذا رأى يسوع شنائيل مقبلاً اليه قال عنه هوذا اسرائيلي لا غش فيه »

وتستجود تلك البطرة على شنائيل وتمتلك منه ، فتربطه رابطة روحية مع من يكلمه . وهناك قوة عريضة خفية تتعارف بها الانفس الصادقة في كل العالم وبعد هنية يقول له : « من أين تعرفني ؟ »

— « أعرف كل شيء عنك . قبل ان دعاك فيلبس وامت تحت التينة رأيتك »
وكانت هذه الكلمات مثار دهشة له . ولم يكن اساسها مجرد معرفة حارقة بتلك التينة . فان هذا لا يعطل دهشته القوية ، واستسلامه التام التجائي متدبراً باعترافه الصحيح . واستطيع ان أتخيل ما يعطل هذا كله : فانت ان احيت نفسك بين اعصاب تلك التينة حيث لا تراك عيب انسان ، وحيث تسكن نفسك في خلوتك مع الله ابان ازمة روحية عميقة . وانت ان عرفت من نظرات يسوع واقواله انه كان علماً بدخائل افكارك وديب منك وحديث نفسك في خلوتك . وانت ان أحسست سطف منه وتقدير لاشواق نفسك الخفية البغينة إن عرفت كل هذا ، أفلمت تدهش وتصرخ مع شنائيل نفس هائجة : « يا معلم انت ابن الله ! انت ملك اسرائيل ! »

اجل ، كان ابن الله. ولكنه سر مؤقداً أن يخفي لاهوته وراء قناع ويكون مع اولئك الزملاء كواحد منهم . ويجب عن نفسه بالقلب الذي أحبه واعتبر به طليعة حياته — ابن الانسان — ابن عامة الشعب — « الحق الحق اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يعملون ويترلون على ابن الانسان » . وليس من السهل ان نستنبط علاقة هذا الجواب بالحديث الدائر . على ما نعلم انه كان من عادة اتقياء اليهود في حواراتهم اليومية ان يتأملوا في أحزاء معينة من العهد القديم . ولعل تفكير شتايل تحت التينة في ذلك اليوم دار حول رؤيا يعقوب وملائكة الله صاعدة نازلة . وفي هذا التعليل شيء من الانفصاح عن مدلول هذه الكلمات ، وعن اليقين الذي امتلأت به نفس شتايل بان الواقع امامه عرف كل اسرار قلبه وحفايا نفسه



وكم يحلوني ان افكر بان ذلك التلميذ الشيخ اعتبر بتلك الذكريات الحبوة لا يام شانه ، وان الله في قناع بشري علم الذين لذلك النمر من اصغياته وبعثاره الاولين ، ليس من طريق اثبات الوهية ولا عن طريق اراءهم بما أعد للحظة من سوء التصير ، بل بمحضته لم ومصادقته ايامهم ، وتعارفه بهم . واقصة كلها تحدثنا عن سحر حلال ، وعن جاذبية بشرية عريضة انصف بها يسوع . وبقوة الادراك القريرية رجبت به القلوب الصادقة وأجته . وهل كان في وسعها أن تفعل غير ذلك ؟

كان هذا يومئذ ، وهو كائن اليوم . فان اولئك الشبان ليسوا الا غمادج للجواهر غفيرة لا تحصى مدى الاجيال المتعاقبة ممن اتصلوا به بقوة جاذبيته الروحية ، وسحر شخصيته الفاتكة . وعلى هذا النمط يفوز يسوع بولاء الوادعين ذوي العقول السليمة المفكرة . ونحن لسنا نقدر ان نرى يسوع حياً كما فعلوا هم في يومهم . غير اننا ندرس حياته وسيرته ، والسعي الى معرفته ، قد يجتهدنا اياه حتى به ، ورمع في أن نكون اقرب منه اليه ، كما فعل ذلكم النمر من شباب فلسطين . ومضى بلقا الى دور معرفته ، قبلنا لنا أمثلة أخرى رآها مائة في قصة حياته .

فإن الطريقة التي سلكها التلاميذ الأولون في اداعة دينه هي الاتيان بزميل لم الى عرفان رسالته . وإن قل شكل ما هذا المصنع فلا ريب أن يحيى ملكوت الله سرافاً . وقد قرأت مرة عبارة غريبة كتبها كاتب قديم : « لو وُجد مائة من المسيحيين الحقيقيين للبدء بهم في هذا العام ، وجاء كل منهم بصديق واحد الى معرفة المسيح في كل سنة ، لأصبح العالم كله حاضماً عند قدميه في مدة خمسة وعشرين عاماً ! » ولم اصدق هذا التقدير لأول وهلة فصكفت الى الارقام أستشيرها وألقيت ان في العام التالي يتضاعف العدد الى ٢٠٠ ثم الى ٤٠٠ وإلى ٨٠٠ وإلى ١٦٠٠ وهكذا يتضاعف في كل سنة . وما أن نحجي السنة الخامسة والعشرين حتى يكون الرقم ١٦٠٠ مليون - وهو عدد سكان الكرة الارضية . فإعظم ما يقوله الصديق الى صديقه ، والزميل الى زميله ، والام الى ولدها اما الامهات . عليهن بركات الله — من الفريديت في هنا . لان كل أم تقريباً تعرب في ان يعرف ولدها المسيح . وعن طريق الامهات الفاصلات بلغ ملكوت المسيح الحذر الذي وصل اليه الآن



الفصل الرابع

في قانا الجليل

وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك . ودعي ايضاً يسوع وتلاميذه الى العرس »

والظاهر من اهتمام ام يسوع بهذا العرس وأوامرها للجسام انه عرس في الاسرة . وان العريس أو العروس تمت بصلة القرابة الى يسوع . واني أتصور تلك العروس الضراء القروية، وقد ارتدت قاناً ناصع البياض واكليلاً من الآس فوق شعرها، غفيرة لان يسوع شرف عرسها . والراح انما عرفته منذ الطفولة لان موطنها كان قريباً على مسيرة اربعة اميال من الناصرة . وربما كانت احدى الفتيات اللواتي سمعن قصصه وامثله في حانوت التجار . والآن قد أرادت ان يشرف ابن خؤولتها عرسها ويشاطرها افراحها وقد أعجبت به وأحبته كأخ اكبر وذاع صيته كعلم مرسل من الله . فذلك دعي يسوع الى العرس

جاء مقللاً بالآراء والتدابير الجسام والتبعات الخطيرة . جاء حاملاً فوق منكبيه مصير البشرية . لبي الدعوة وجاء الى العرس راغباً في ذلك

وقد يصور البعض يسوع ، انساناً يذهب الى العرس من قبيل الجماسة او اداء الواجب لئلا يسمه بشخص حامل لباس الكهنوت الرسمي يلقي كلمة على الصيوف للدعوى . فإياك ان تملق ذلك !

كان موقف يسوع في هذه الحالة طبيعياً معطوياً على العطف والمحبة والمشاركة . جاء لانه أحب ان يجي ورغب في ذلك . وليس في العالم من استمتع الحياة كما فعل هو . قد أحب الحياة بكل ما فيها . استمتع الطبيعة بتناثرها الجميلة الخلابة . أحب الاطفال الصغار . أحب الاصدقاء ولم يكن في غنى عنهم . أحب

حفلات الانس وأوقات السلى مع الغير خصوصاً الفقراء حتى حبه القريسيون
أكولاً وشريب حمر وصديقاً للمشارين جيلة الاموال والحطلة . «كان هذا من
قبيل الفصح والنجمة، ولكن لم يكن في وسعهم ان يتحنوا عليه كل هذا التحجى لو لم
يكونوا قد رأوه فرحاً ملوياً في عشرته واثنائه بالنس ومواكبتهم

نرى يسوع ازاهر السعادة والبطة أى ذهب لانه كان هو نفسه سعيداً مفتطاً .
صحك بملء قلبه في الاوجاع . أحب اللقاء بالناس . وكان من عادته دائماً الدخال
السرة في قلوب البتشين لانه كان مسروراً . وأسعد الناس في هذا الصرحم الذين
يخدمون غيرهم ويشقون الآراء للبهمة عن الله وتطوي جوانحهم على قدة كاملة فيه .
هم الذين يذهبون في التنازل الى أسد مدى ويتقون بالنصر في الحتام . هم الذين
يوقتون للوت ما هو إلا ميلاد لحياة أكل وأرقى ، وان الشر لا بد أن يولي
الادبار يوماً ما . وان كنا على شاكفة يسوع لا مناص لنا من ان نكون سعداء ا
أصف الى هذا كله غبطة في عمله وهو يرفع الساقطين الى حياة القداسة والبر .
ويبدل شقاء النفوس فرحاً وبهجة . ويشمر لن العالم اللاماني الفرح القدس يرقه
منظرات العطف والاشفاق وهو يتسمع تهليل ملائكة الله تشاطره الفرح عند رؤيته
خاطلاً ينيب الى بر الحياة

ولست ادري من اين جاءت الفكرة الشائمة من محيا يسوع اليوس الكتيب
لا شك ان رواية الانجيل حل من هذا الوصف . وأعطها جاءت من نبوة اشعياء
القائلة : «رحل اوجاع وعثر الحزن» ولطالما أظهر الرسامون والقصاصون هذه الفكرة
في صورهم حتى حيل لنا انها من حواص سيرة حياته وهي مفصلة لهذه السيرة
التي تحبها البشر والسرور . أحل لقد اضل احرائنا وحمل لوحاتنا وهذا ما نعترف
به شاكرين له . اما الشعور مع الآخرين وللوت لاحتهم لا يمتي معالم الفرح في
النس الكبيرة . بل الى الحية للضحية واسكار الذات هي فرح في حد ذاتها لمن
كان مثله . وفي اعتناى ان الاستعداد للوت لاجل الآخرين قد اضاف عصراً
آخر الى فرح يسوع الساخلي

ونستطيع القول من الوجهة البشرية ان اشراخ الصدر والفرح الساحلي وحفة الروح هي التي هزنت عليه مهمة الحياة . ولم يقد هذه الروح قط حتى في أحلك أيام حياته . قتل نزاع جشعاني ثلاث ساعات فقط نراه يذكر تلاميذه بالمعادة التي استمتعوا بها . وكانت أمنيته الأخيرة ان يلبث معهم هذا الفرح بعد معارفته الأيام وان يصحكون كاملاً فيهم . وقد كان يسوع وتلاميذه — في الأيام الأولى على الأقل — نفحة من الزملاء الذين لم يشهد العالم اشد منهم فرحاً وأكثر عبطة . وقال يوماً وانقله عالم روح الحكاهة والطرب « نحن أشبه بهيمة في حفلة عرس يقضون شهر العسل في بسطة وانشرح لان العريس معهم » . وسأله مرة القريسيون ذور الوجوه العاسية قائلين . « لماذا لا يصوم تلاميذك » فأجابهم يسوع : « لا حاجة بهم للصوم والنواحي فأتنا سعداء فرحون وابناء العرس لا يصومون طاملاً العريس معهم ، ولكن تأتي الأيام فيها يؤخذ العريس منهم ، عندئذ يحل وقت الحزن هنظفر حتى نحين اوقات الشدايد والحزن » كلاً لم يصحك المسيح عابس الوجه ونحن نعلم ان شخصيته كانت جذابة ، والوجوه العاسية للكتابة لا تحبذ اليها اسداً لانتا لا يميل اليها . وهو اقاتل لتلاميذه « متى صمت فلا تكونوا عاسين »



وكان الله معلماً ذاته وصفاته في يسوع . فاذا ما رأيناه مقتبلاً في حفلة الاس هذه ، لنذكر عندئذ المسيح ذا الطبيعة الالهية الرحمة الشفقة ، ولنذكر ان الله يحب الانشرح وسعادة الحياة . وهنا في قاما الجليل نرى يسوع الارلي الاندي في شكل بشري طبيعي يفرح مع جماعة من القرويين ويشارك الزوجين في افراحها . وهنا نرى الله يشعر مع البشر . ولا شك ان الله يعنى قتل كل شيء بتداسة الحياة وتبليها ولكن الله ليس انشبه بكاهن مترفع يهتم فقط بالكنايس والوعظ وحدمة الاسرار المقدسة ويتكف عما في لوقات الطرب والهوى . كلاً ان الأب السماوي يعنى بكل ابنائه هو يشاركنا في كافة الاحاسيس البشرية والتع في الحياة وهو يقدس ويشارك كل الصلات التي ترمط الانسان باحبه الانسان — هو يعني باطليار السماء السابعة

في القماء ، ورنابق الخجل البرية ، وبالخللان الوديعسة ترح وتلعب في الراعي والمروج ، وبالامثال الصغار يلعبون في الاسواق والخللا . يرحب الله ان يستمع الحياة فهو الذي خلق الموسيقى والقرن ، وهو الذي وهبنا روح الكنية والصحة ، والذي يشرح الصدور انتمكن من التلعب على وعورة ممالك الحياة . وامت اذا ادخلت السرة البرية في قلوب جماعة من الناس فكأنك تفعل ارادة الأب المني في السماء . ألا يكون القديس بهجاً وسهلاً في حالة كهذه . أليس جذاباً لاطفالنا ان تأخذهم وجهة نظر المسيح هذه ؟



والآن قد حدث بالعرس في قانا الخليل حادث شاذ ، ولذا ذكر انه عرس قروي ، وان القوم فقراء تؤثر التفتت على مولدهم المالية . وفي وسط الفرح والمرح يكتشف بعضهم ان الخمر قد نفذت . وربما يعن البعض ان هذا حادث زهيد ولكن لتصور حالة تلك الفداة القروية وهي تحمل في المستقبل ذكرى ليسة زفافها وقد نفذ الخمر ووقفت واهلها موقف الخجل والحزني امام المدعوين . عرف يسوع شدة تأثر تلك الاسرة القروية . والقرويون عطيشهم بقابهم شعور الخجل والعار عند تقصيرهم في واجبات الضيافة في موقف كهذا

اسرعت اليه امه وعمست في اذنه قائلة — وربما لم يسمعها سوى يوحنا « ليس لهم خمر »

هل انتظرت منه ان يمنع معجزة ؟ لسا ندري . ولم يكن المسيح قد احرى بعد اي عمل معجزي . وللفطنون ان يهزى المعجزات في موقف ارفع مقاماً وأكثر لياقة من حفلات العشاء . وربما لجأت اليه امه لانه كان من عادتها ان ترجع اليه كلما اشتد بها امر ، لان يوسف كان قد مات ، وكانت قد أيقنت انه لا يصح عن اللعنة اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . وعلى أية حال فانه ايمان لا بأس به ان تلجأ الى المسيح في اوقات الاضطراب حتى ان كست لا ترى عندئذ منفذاً للمعجزة وحوالب المسيح يدل على انها ألحت عليه ليعمل شيئاً ما . فأجابها ببارة تدمو

في طاهرها ثقيلة على السمع « ما لي ولك يا امرأة ». ولكن رواية الانجيل لم تذكر
 إلا الاقفاط المارية دون الاشارة الى نبرات الصوت او نظرات العين المليئة بالحنى
 العميق . وكلمة « امرأة » التي تبدو ثقيلة على السمع كانت اصطلاحاً في اللغة للألوفه
 يومئذ يستعمل للدلالة على الاحترام والعطف وهي الكلمة التي استعملها اوجسطس
 فيصير محابلاً للملكة كليوباترا . ويؤخذ من آداب اللغة اليونانية القديمة ان السيدات
 دوات الحمد الرفيع سكن يناطبن بهذا القبط . وهذه هي الكلمة التي خاطب بها
 يسوع مريم المجدلية عند القبر وهي الكلمة التي تنوحت بها شفتاه المائتان على
 الصليب عند قوله : « يا امرأة هوذا انتك » . ونلاحظ ايضاً ان الام لم تظهر اي
 استعصا لانها رأت ما في بريق عييه من العطف . وان لم تستطع ان تفهم فقد
 استطاعت ان تتقن ، ولذا تراها تأمر الخدم قائلة « مهيا قال لكم فاصبروه »

كلاً لم يكن يسوع ضجوراً من امه . الا ان جوابه كان بمثابة مذكر لها بان
 تغيير ما قد طرأ على ما بينه وبينها من صلة ، وعليها ألا تنظر اليه الآن كما نظرت
 اليه من قبل عندما كان في البصرة « خاضعاً لها » لان عليه الآن مهمة خطيرة وله
 افكار لا تستطيع ان تشاطره اياها فلا يجب ان تتدخل فيها الصلات الشخصية .
 وقد كان هذا درساً قاسياً طالما ألقى على مريم مراراً وتكراراً وهي لم تفهم بعد جوابه
 الجريء الذي قال لها وهو صبي يافع « ألم تعلم انه ينبغي ان احسن في ما لاي »

والظاهر ان يسوع توقف هيبه ص عمل المحزنة . لانه لم يكن قد شرع بعد
 في حياته العامة بل كان واقفاً على عتبتها . فالحده بالمعجزات كان له بمثابة اتحاد خطوة
 قاسية وتعدّ لحدود حياته الخاصة للبدء في معركة الحياة العامة التي انتهت عند
 الجلجثة . هل كان ارشاد الاب ان يبدأ الآن ، وان يبدأ بدافع شعور الحب
 ليسترجع جبل اسدقائه ؟ ونحن نجد عادة في مثل هذه الحوافز العاطفية ارادة الله
 معلنة لنا

وفي لحظة استقر على رأي . منذ اسبوع كان قد أبى ان يحول الحجارة خيراً

لسد جوعه . أما الآن فقد ارتضى ان يحول الماء حراً ليصون مشاعر اصداقائه
من الجبل

«املاًوا الاحران ماء» مثلاًوها الى حاقها، ثم قال: خذوا وقدموا الآن لرئيس
الخطبة قمعوا . ولما حاق رئيس الخطبة حلم لاء الذي صار حراً ولم يكن قد عرف من
اين جاء ، التفت الى الرئيس بدون ان يكلف نفسه ان يسأل من اين جاءت
الحرق شأن كثيرين مما هم يتناولون هات الله بدون ان يمحوا مصدرها . وقال
« قد اقيمت الحرق الجيدة الى الآن »

وهل نظن ان الرئيس والعروس انشائين قد نسيا ما صنع بهما ابن خاتهما يوم
زفافهما ؟ و ربما ألمح بعضهم يومئذ الى تلك الفتاة العروس ان حلة رفاقها كانت
اشهر حلة في التاريخ النسري . كيف لا ونحن نقرأها بعد مرور ألفي سنة كالقصة
الاولى التي هي بداية مظهر الله للانسان

وقد كان هذا العرس يعني فاصلاً في تاريخ يسوع . لم يكن فقط بداية حياته
العملية العامة بل كان ايضاً بداية اعلان ذاته للناس وهذا هو شعور الرسول يوحنا
حين قال « هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل والمهر مجده قلن
به تلاميذه »

ويبقى بنا ونحن في صدد «بداية الآيات» ان نقول كلمة عن معجرات المسيح.
ويزعم البعض ان المعجرات حبر عثرة في الانجيل وانه يسهل عليهم تصديق القصة
لو حلت من عناصرها المجزية . وربما كان الامر كذلك . ولكن البشورين لم
يكتبوا ما يناسب عقائد البشر وآرائهم انما سجلوا القصة كما عرفوها ولم تكن
المعجرات حبر عثرة لهم

ولقد أصّر انصار العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر قائلين : « ان الطبيعة
تعمل وفقاً لنواميس ثابتة مقررة ولا ترى فيها أحداثاً خارقة لهذه النواميس ، لذلك
يجب ان ننظر على الاحل عين اشك الى أية قصة معجزة » . اما انصار القرون
العشرين فقد اظهروا شيئاً من التواضع في هذه المرامم وهم يصرون انهم انما

يعرفون نتائج الاحداث وللظاهر الطبيعية ولا يعرفون شيئاً عن علل هذه الملوّلات او الارادة التي تسيدها، لان وراء القوة لارادة ما . فان سلم العلم باسكانية حادث منقطع النظر كالتحسد مثلاً فهو يسلم ايضاً ان تلتحق به احداث اخرى منقطعة النظر وهي التي سمينا للمحزات . والكون امام العقل للفكر بوقار ، والشاعر بالهشّة ، مموده بالاسرار والقوامض . وفي هذا يقول الاستاد العالم و يتيان « اما انا فلا ارى امامي الاّ المجزات ، وكل ساعة من ساعات النور او الظلمة معبرة قائمة امامي »

وكيف اظهرت هذه المعبرة مجده ؟ اظهرت من هو . اظهرت رب الطبيعة . ولست املن ان التلاميذ قد ضيوا كل ذلك عندئذ لانهم كانوا قد عرفوه منذ ايام قلائل . اما الرسول يوحنا عند التوبة الى هذه القصة بقي عليها نظرة بعد السلب والقيامة وبعد خمسين سنة قضاهما متأملآ في ربه وسيده وهو الآن قد عرف من هو . وقد كتب في مستهل شارته « في ابدء... كان عند الله . كل شيء به كان وغيره لم يكن شيء مما كان » — هو خلق العالم وهو يطوي الحصاد ، ويحول المياه حراً في الكروم منى الاجيال . وادكر اني كنت يوماً مسافراً في وادي هر الرّون بسويسرا واستعدت في محبتي معبرة قانا الجليل وكان للطير بهطل في ذلك الوقت وقد اكتست منحدرات الوادي بالكروم واحذ الماء يتساقط منهمراً . وبعد شهر يجيء الكرامون ليجنوا هذا الماء وقد تحول حراً ثم يؤخذ الحرق الى خللات ومآدب العالم ويتذوق رئيس للأدبة طعم الماء الذي تحول خراً وهو لا يدري من اين هي . ويقول في نفسه : « هذا العظم اللذيذ ، هذه النكهة الفسكة ، انما تتولد عن حرارة الشمس وطبيعة العنب وتفاعل عناصر الارض الكيماوية في محضرات هذا الوادي » . هذا كل ما يقوله ولا ينظر الى ابعد من ذلك . ولا يدرك قط المجد العظيم الذي يكتنف الحياة العادية حيث يجري الله مجاريه ومسمراته في حقول الحنطة وفي الكروم حيث يتحول الماء خراً

ان المجزات تعدد بالون حين نعلم ان محمد الله العظيم يحيط بنا دائماً ، والصانع العظيم يظهر لنا نفسه في المعبرة لأجل قصر حتى نذكر انه يصنع ويعمل بعد ما نخفي للمجزات عن انظارنا . وشأن المعبرة ان تحصل المجد الخفي منطوراً للاعين . والحادث

المخلوق للعامة بين ثنا ان الاشياء العادية هي من الله ايضاً — اشبه عومير العرق الذي يظهر لنا في لحظة وحوود القوة الكهر بائية الهائلة العامة في الكون

قد بدا للتلاميذ فيما حد ان المسيح اظهر مجده في هذه الحادثة . ومع ان المعجزة قد اظهرت مجده الا ان هذا لم يكن السبب الاول والامم الذي حمل على صنع المعجزات . ولم يكن المسيح في استعجال لاطهار ألوهيته بالمعجزات بل بالاسرى كان حريصاً مقتصداً في صلا . ولم يكن شأه في صنع المعجزات اكرامه القوم على الايمان به . ولكن لانه إلهي قد استخدم القوة الالهية ككلاً وأى مناسبة لتدريب وتعليم تلاميذه وبالاكثر للترويج عن البشر واسعادهم . فاذا احتاج جمع صاحب وطلب معجزة كآية فانه يقرعهم بصيف القول : «جيل شرير وفاسق يطلب آية» . واذا طُلب اليه ان يصنع من المحطورة حبراً لاشباع نفسه يأني ذلك بشم وباه . اما اذا تعرضت فتاة عروس للمجري والحجل امام صاحبها . اما اذا تشكلت ارملة تايين في ولدها الوحيد . اما اذا اصيبت امرأة كمرناسوم بالحق واشرفت على الموت . اما اذا اغرقه شحاذ اعمى على قارعة الطريق وصرخ اليه ان ينقذه من شقوته عندئذ يصنع المسيح المعجزات بدون ابطاء ولا توقف

وهذه المعجزات قد اظهرت محمه وثى كان ذلك غير المقصود منها . فالشاعر لا يقرض الشعر ليظهر للسلطان به شاعر . والمحس الكريم لا ينعج الحبات والطلبات ليطن بانه كريم حواد . ولكن العمل نفسه يظهر ذلك من تقاء ذاته . فيسوع قد يصنع المعجزات ليثبت انه إلهي ، ولكنها قد اثبتت ذلك للقلوب الصادقة التي استطاعت ان تحرفه

ثم ان المعجزات في حد ذاتها ليست من الاساليب للستجة لاعلان الله . والفكر الذي ينظر الى قوة الله كآسمى درة في تاج الحمد الالهى انما هو فكر سطحي عقيم يحتاج الى كثير من التهذيب والتشذيب . وما القوة الا اقل مظاهر السلطة الالهية شأناً . ولما صرخ موسى لله قائلاً : « ارني محلك » قيل له : « أحيز كل

حدثني قدامك « فكان اعظم مظاهر مجد الله ليس قوته بل جوده وصلاحه وعقله ومنه وكرمه ورحمته . طرعية في اقاذا اسرة من مأزق الخجل والخزي في حفة عرس لمي اعلان لمظهر الله انل واعظم من القوة التي ملت في تحويل للاء حراً

وعند ما نقرأ ان المسيح دعى وتلاميذه الى هذا العرس ألسنا نود لو يصي المسيح الى افراحنا ويمتد الشان والفتيات لهذه الخدمة الخالصة كما يستعدون لخدمة الشركة للخدمة مثلاً ؟ ولست ادري كيف استعد الزوجان لعرس قانا الحليل . ولكنني اعلم ان الزواج عند اليهود في عصر المسيح كان امراً خطيراً ولم يكن مجرد طرب ولهو، وكان معروفاً على الشاب والفتاة ان يستعدا بالصوم والصلاة والاعتراب بالحطاي . وان تشغل افكارها بالله طيلة الوقت . ومن الاقوال للثورة عن احبار اليهود قديماً ان الله همه بارك الكأس عد رواح اويونا الاولين ، وكان الملايكة جبرائيل وميخائيل (الرايين) الاشابين لها ، وانشدت جوقة الملايكة اشودة الزواج !

وخدمة الزواج في الكنيسة المسيحية تسو الى أدنى من ذلك . فهي تشير الى ان المسيح كرم الزواج وحمله بصورة واجرائه للصبرة الاولى في قانا الحليل . وتعتقد ان الزواج رابطة مقدسة تمثل الاتحاد السري بين المسيح وكنيسته . ولذا يجب الا يؤخذ اعتباطاً عن غير وعي لو تكبير بل بروح الوقار والخشوع والطمعة وخافة الله . فحين يهب الله قلب الشريك الى شريكه . وحين يتسلم الرجل حياة المرأة ودية بين يديه . وحين يتسلم المرأة حياة الرجل ودية بين يديها ليعيشا معاً في حائتي السراء والضراء واليسر والعسر الى ان يرقق بينهما الاجل . حين يحدث كل ذلك نشعر انها ساعة خطيرة في الحياة . نشعر به يجب ان ترفع عن الشريرة وخفة الروح وتعتز ببلد والزانة والحطورة ذاكرين ان الله الآب يهب سعادة ورحم اسائه وينطق عليهم من تعالاه طول حياتهم

وشتن بين زواج ورواح :

بين زواج يمتد بعد سنوات قلائل عقيماً مجرداً . وبين زواج يبتى فيه
المحبان في حب وثيق مدى الحياة . والفارق بين الاثنين ليس فقط وجود الحب من
عدمه إنما الفارق هو وجود الله . ولما نصبح اشباب ان يقصوا الايام قبيل الزواج
في صلوات وتفكير وعزم . فان هذا يجعل الحياة الروحية أكثر سعادة . ومتى حل
يوم العرس ودعي اليه يسوع ، كما دعي في قانا الحليل ، ارداد بهاء ورواة



الفصل الخامس

المسيح الغاضب !

بصر عرس قانا الجليل، صعد يسوع الى اورشليم لمصور عيد الفصح. والطريق اليها محاذية لبحيرة الجليل الزرقاء، والراعي الخضراء، والكروم الناعمة التي كانت تعرف يومئذ - بكروم الامراء. وقد ذهب المسيح أولاً الى كفرناحوم شمالاً حيث كان يقطن نفر من تلاميذه على صفاف البحيرة، وحيث كان يسهل عليه الانضمام الى احدى قوافل الحجاج الصاعدة الى اورشليم للعيد. وحاء في الانجيل ان أمه واخوته كانوا معه حتى كفرناحوم. وهناك بقي أياماً لم يحدث فيها شيء جوارب. وكان في وسعنا ان ننقل ذكر هذه الزبارة، لولا ان ذكرها يوجه انظارنا الى بلدة كفرناحوم بالذات، تلك البلدة الجميلة الجائحة على ضفاف البحيرة والتي صارت فيما بعد موطن يسوع « ومدينته » ومرصده خدمته في الجليل، وسرحاً تمثلت فيه أشهر قصص الانجيل

ومن هناك صعد الى اورشليم للعيد حسب عادته كل سنة منذ المرة الاولى التي ذهب فيها في عهد صباه. مع هذا القلق؛ هو لم يعد الآن الساجد العابد الفردي ولكنه للصلح القومي يذهب الى بيت أبيه لبدأ خدمته العامة في العاصمة اورشليم ولو انه لم يكن قد أعلن نفسه بعد كالسيا المنتظر. والعاصمة في كل أمة هي المركز الذي يتكون فيها الرأي العام. ولعل هذا هو السبب الذي حدا به الى الظهور بظهوره العام لأول مرة امام رؤساء شعبه والجاهلير الحاشدة القادمة من كل أنحاء المعمور

ولو كانوا قد عرفوه في اورشليم لكان اتجاه تاربخ الشعب الى ناحية أخرى كما

قال انني ملاخي . هو يأتي بعنة ال هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي
تُسرون به»

ولكن أسفاً ! لم يُسروا به هذه المرة . ولم ندر شيئاً عن زيارته للمرة الثانية.
وفي المرة الثالثة صلبوه ! !

* * *

ولم تكن أشعة الديمقراطية قد برزت بعد . ولم يكن الشعب أية قوة أو نفوذ.
انما كانت كل القوة والامتيازات في أيدي طبقة الكهوت الارستقراطية وهم الكتبة
والغريسيون وكانوا قوماً قد أعمى التحرب والنمص مصائرهم وارتسوا الدين الذي
درجوا عليه ، وفي أيدي طبقة من الارستقراطية السياسية هم جماعة
الميرودسين الذين اقترنت مصالحهم الشخصية بمصالح هيروفس وكان من واجبات
هذا الاخير بصفته ممثلاً لامبراطور رومية ان يبقى الشعب في خضوع تام

وقد اعترفت هاتان الطبقتان على ان يبقى القديم على حاله شأن كل الطبقات
للمتازة في عصور التاريخ . والآن يظهر في الميدان مصلح عيود وثائر ديني يأتي ان
تبقى الاشياء على حالها ويميل مصلحه نحو الشعب . فهو لا يحب هذه الطبقات
للمتازة لما جعلت عليه من الظلم ودعوى التبرير الذاتي واحترار الفقراء والمسنودين ،
وينص طواغيم الدينية الخوفاء وافكارهم الضيقة عن الله . ولذا لم يخش شيئاً في
اعلان طوية نفسه ضدّهم بكل صراحة وبسالة ، فكان لابد من قيام نزاع
بينهم وبينه

وفي هذه الزيارته ليكل أورشلّم يذكر الانجيل حادثتين فقط هما تطهير الهيكل ،
ومجيء ميثوديموس الحبر اليهودي اليه تحت حنج الظلام

وكان الهيكل شعراً مقدساً في نظر كل يهودي . والى المدينة المقدسة وهيكل
الرب انجحت انظار كل اشخاص اسرائيل البشريين في انحاء الأرض . كيف لا وهناك
مركز عبادتهم القومية . اما مائسة يسوع فكان الهيكل هو الشمار المنظور لمصور
الآب . وقد سبق ان قال وهو صبي في الثانية عشرة من عمره «ألا تغلبت امة

ينبغي ان اكون في ما لأني» وقد أحب بيت الله وعار على كرامته. وسنة بعد أخرى وقع نظره على ما يُتَرف فيه من سيئات تُدس كرامته بأهانت عواطف نفسه وسط آفات العابدين الاتقياء. وربما كانت هذه الفكرة ماثلة لقلبه وهو مقبل الآن الى أورشليم

وكانت مطامع رجال اسكهنوت قد حولت الهيكل الى ادارة لتبادل النقود . وكان النساء الخارجيجي الجليل سوقاً للماشية لأبناء حنن رئيس الكهنة فضوضاء السوق ورنين قود السيارفة وثغاء الاعنام وحوار الثيران -- هذه كلها ارهت هوس العابدين في الهيكل . وكان كل شيء متركاً للكسب والربح ونال الهيكل نصيباً كبيراً من هذه الارباح المادية الفادرة فزادت بذلك ابرادائه

ومحن نمل كصيف تُغفل السوءآت ويتغاضى عنها حين تصادف هوى في النفوس ويدخلها عنصر الكسب المادي . وكان ضرورياً بالطبع ان توجد اسواق للماشية وصيارفة لاستبدال النقود . اما الفاضح الأخرى ان تُجندع الجماهير الساذجة تحت سقف بيت الرب . وان تُقلق حواضر العابدين بالجلبة والفضوضاء . وان تُجني الميئآت للسؤولة في الهيكل الارباح الطائلة من وراء هذه المعاملات المادية في اسبع والشراء واستبدال النقود . ولا شك ان الشعب نفسه حبل من هذه الخمازي . والذي نطمه ان سوق الهيكل لم يكن مقبولاً في نظر العامة . ولكن تعود القوم عليه وسكوتهم سنوات طويلة على هذه الحالة الخبيثة يدلان على فقدان روح الوفاة والخشوع الحقيقي في العبادة



والبشر يوحنا يحمل في محبته د كرى احد الايام في اسبوع الفصح . فاندبنة عاصة بمحوم الروادين ابها وطرقها تنطع بالاثوان الزراعية . وحول الهيكل جماهير غفيرة من الرواد في ازليتهم القومية الخذاية . وقد وفنوا ليس فقط من نواحي فلسطين بل من كل أمة تحت السماء . هناك اجتمع خيرة الأتقياء من جنس

اسرائيل، من كل حذب وصوب في المكان القدس ليعبدوا الله. انه لمنظر آخاذ يشير
قلب المسيح ا

ساعة بعد أخرى يتلى الهيكل ويفرغ ، و يتقدم نحو مدخله افواج العابدین
كل فوج في دوره . وترى العين في فناء الأم الخارسي الجليل المكشوف تحت
القبة الزرقاء بأروقته القمحة وأعمدته للنحوتة اهائلة فوحاً ينظر دوره يدخل للمادة.
ولكن للالسية تدوس ارض هذه الفناء ، والسيارة والجباة يحشخشون يتوادم ،
والبلغة يسامون باصوات منكزة عالية يسمع صلاها في قدس الهيكل فيه

وهناك ترى قوماً يأخذون هذه المناظر والاصوات كعادة ألقوها ، وقوماً
يصجون وينتون لمول ما يرون كما ملوا منذ سنوات . ويقول الشيوخ الواهلون
من بلدان بعيدة : «لم يكن شيء من هذا في يومنا» ولكن لم تمتد الشكوى حد
التنمر المكبوت والنيظ المكود خوفاً من الكهنة

والآن يظهر عند الباب فجأة هرج ومرج . وتنبه الانظار كلها الى النبي الشاب
اتقدم من الجليل لان الناس كانوا يتحدثون عنه ضللاً . والجليليون الذين قدموا
معه أدعوا عنه الشيء الكثير . وراحت اشاعات عن علاقته بالمسلمان الشهير .
وأخذ الناس يتحدثون عن المعجزات التي أجريت في المدينة . واستولى عليهم
الدهول وحب الاستطلاع

هنا يدخل يسوع . ليس يسوع الوضيح التوديع الذي نراه في الصور ، ولا
يسوع الصديق الصدوق كما عهدناه في عرس قانا الجليل . انما يدخل يسوع آخر
غير هذا — يسوع العابس المكفر الوجه القوي الشكيمة . يدخل الى الفناء عاصباً
محققاً كأنه ملك قادم ليؤدب صيداً عصاة آتئين . ويلتفت الى رؤساء الهيكل ينيظ
وعصب . وفي صمت رهيب يوجه اليهم عبارات اتأنيب اللادع قائلاً : «ارفضوا
هذه من هنا ! لا تجلوا بيت أبي بيت تجارة !»

ولا يجب ان تغزعهم هذه الجرأة . فينظر اليه القوم في ذهول وعلع . «بيت
أبي !» من هو ذا الذي يشمل هذه الالفاظ ؟ الذي يجراً على آخاذ موقف التحدي

الشديد حيال قادة الميكل ؟ وكانت نظراته وهو يطرد اللاشية ويقب موائد الصيرفة، نظرات شحوص سامي للقيام رفيع النفس كأحد أنبياء القدم. اما السلطات قد فرغت من هذا التحدي وحل عليها سات لم تستطع المقاومة. واني أنجيل أحد الكتبة أو القريسين يتقدم اليه محتجاً قائلاً : «مكتوب انه هكذا ينبغي ان نسد المناء. مكتوب انه ينبغي ان تقدم الذبائح على مذبحه» فيحييه المسيح الجاثق بصوت الرعد : «أجل. ولكن ينبغي بيت الصلاة يدعى. وأنتم جثثوه مغارة لصوص !»

قد أسىء الى قادة الميكل اساءة أئمة. وأصاب سلطة القريسين بمحمد طاهر امام الملأ. وبات عوارث تجارة الكهنة وجريهم وراء المسادة. وفضلت ان يسوع للمسيح قد قضى على نفسه عملياً في أورشليم في ذلك اليوم وعرف هو نفسه ذلك. فانه بعد سنتين في مثل هذا الوقت تأمروا عليه في هذا المكان ببيته قتلته. وتحرى هل كان يعكر في ذلك عند ما طلبوا اليه آية يقوم : «آية ية تر بها حتى نعمل هذا ؟» فاجابهم يسوع (مشيراً الى هيكل حسده) : «انقصوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه»

والظاهر ان أحداً لم يفهم كلامه في ذلك الوقت. وطل الامر لفرأهم. ولكنه بقي في أذهنهم حتى قال عنه اعداؤه عند المحاكمة : «هدد بأن ينقص الهيكل» وفي الجلثة سمعوا منه قائلين : «يا ناقص الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام. خلص نفسك». وبعد قيامته تذكر التلاميذ وهموا معنى قوله «في ثلاثة أيام أقيمه»

هذه هي الطريقة التي بدأ بها يسوع خطفه العامة لم يبدأها سياسياً حذراً. كلا. فان سياسة الحذر صائفة في مجيها ولكن توحيد ظروف لا يصلح فيها الا النسب للتقد كالتار. وفي عصبه لم يجرأ أحد على الوقوف في وجهه. اما الشعب الداهل فكان الى حاسه وقد غلبه الفرح اذ رأى شخصاً يعمل ما لم يجرأ هو على فعله. وكانت الى جانبه أيضاً سائر الدين أصابتهم نذعات تأييه لانهم عروها في دخيلة أنفسهم انهم حاضرون. وكان لهذا التحدي الالهي الحارق أثره في ضمائرهم

التي أحست إلى حين وجوب البر في عبادة الله . ولا تنسى فوق كل شيء نظرات عيني المسيح التي تغورت إلى كوامن أفئدتهم ، والتأثير الذي أحدثه فيهم «غضب الحل»

غضب الحل !

وليس تحت غصاصة ان تفكر في هذه الناحية من اخلاق سيدنا . ونحن عهدنا المسيح في الصور التي يرسمها الفنان بريشته شخصاً ودعماً بشوش الوجه

وان حصر افكارنا فقط في وداعة المسيح ومحبه قد يصور لنا صورة خاطئة ذات ناحية واحدة لا تروق في نظر ذوي الزواج الطار الذين يشعرون ان المحبة التي لا تتسع للنصب احياناً شيء . فلا طم تعافه النفس . ويشعرون ان الغضب البري الذي يتشناه الناس انما هو عنصر من اخلاق الرجل القوي الحازم . وامثال هؤلاء على حق لان يسوع الذي تثل فيه كمال الرحولة نار عصبه بين آونة واخرى

ونحن نعلم من يسوع ان الغضب من صفات الله . ولكن يجب ان نعلم منه كيف يجب ان يكون الغضب في حياة الرجل القوي . لان كثيراً من غصنا هو الصنف منه ، ليس القوة — هو حدة الطمع وسوء الخلق وجور العاطفة التي تعجز عن السيطرة عليها . وكثير من غصبا مرجه حب الذات والانانية لان شخصاً ما اساء اليها . وكثير من عصا قاس لا يلين ولا يرحم ، ومر لا أثر فيه للعذوبة ، وحاقدا لا ينفرد ولا يسي

ولتقف ها هنية امام المسيح الناصب . نراه ينضب لانه يرى الطمع والجشع والمادية تستغل السطاء . ثم ينضب لان قراً من متعصي اليهود ذوي العقول الصيقة يفرضون قواعد عقيدة لحفظ يوم ست تحول بيته وبين ابناء شخص مريض متألم . « فظفر حوله الهم ينصب » (مر ٣: ٥) — ثم ينصب حين يفكر ان احداً من الناس يثر الاصابر « خير له ان يعلق في عنقه حجر رحى ويفرق في لجة البحر » (متى ١٨: ٦) — ثم ينصب كالنار اللتهية ويخرج من فيه لواذع التهكم والتأنيب حيال مظالم ورياء القوم الذين حجبوا الله عن انظار الناس

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيين المرائون لانكم مثل القصور المصطنعة ! ويل لكم لانكم تحصلون اساساً واحداً وانتم لا تسمون الاحمال باحسب اصابعكم ! ويل لكم لانكم تطوفون البر والبحر لتكسبوا دحيلاً واحداً متى حصل تصنونه اما لجسم اكثر منكم مصاعفاً ! ويل لكم ايها القادة العميان ! ايها الحيات اولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة ستم ! » (انظر ص ٢٣ من المجيل متى)

هذا هو يسوع الوديع الحليم حين ينصب ! واذا اردت ان ترى النصب الحقيقي في روحه وورثته ، اذا اردت ان تعرف وجهة نظر الله حيال الظالم والمكر والرياء فانظر الى المسيح الفاضل !



ومن أين جاءت فكرتنا عن المسيحية الرحة التي تصب النصب خطأ في أية حال ؟ ان انصب من صفات الله . ويليق لنا ان ننصب . وكلما تمكنت حيناً صعدت النيل والكرامة كلما كثرت حالات غضبت . انما ليكون هذا النصب على مثال غضب المسيح !

(١) واطل — ايها القاري الكريم — انه لم ينصب قط ازاء اسامة لحقت شخصه . فكان للناس ان يفعلوا به ما شاموا . يذبذونه ويحترقونه ويهرأون به ويعصفون على وجهه ويسرونه على الصليب . وفي وسط صرخات الاستهزاء وهو مطلق فوق مسطرات الجلجلة يكرر في عواطف التوعاء للمهاجرة الصاخبة فيقول « يا ابنه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون الآن » — أما ان يرى الباعة والتجار يذنبون كرامة بيت الله ، أما ان يرى المرائين يتقنون على عامة الشعب احكام الدين ، أما ان يرى الاقوياء يظلمون الضعفاء ، أما ان يرى مخلوقاً ينري فتاة الى الفساد والخيلة

عند ذلك يتعمر مرحل غصه !

هنا هو يسوع — ليس في دخيلة حسه أية كراهة شخصية . فاذا ضربه احد على خده الايمن يحول الايسر ايضاً وهو يأمر ان تفعل ذلك لو كانت الصعقة على

خذلك انت . اما اذا كانت المعصية على خذل شخص ضعيف عاجز -- فهذا شيء آخر عنده !

(٢) وأعلم أيضاً أن غضبه إنما هو الوجه الآخر لمحبه . فهل ينظر أحد ان غضبه لا ينفق ولا يتسلق مع محبته ؟ ان محبته هي اساس عصبه . فلا نه أحب للظالمين كره الظالمين . ولانه أحب تلك الفتاة الساقطة كره الذي أعراها وعمره بها . ولانه أحب ان يرى الناس فرحين في حفرة الآب صور لواقع اننا يجب نحو المراكين الذين حطوا من شأن الدين

(٣) واعلم يسوع حاص -- لتعزية نفسك وتشجيعها - ان غضبه يتمزج دائماً بالنعوس . فهو يستعيط ضد المعاصاة والاشرار ، ضد المراكين والقساة ، ضد اللعنيتين والتمردين . ولكن أية بادرة من بواذر الحزن والدم توقيط كالمن عطشه ورقته . فلفظالم والرائي يردد بأمثال الادانة والشهير . ولثائب المحاهد البائس الذي يبدو منه بادرة الصلاح الاولى يقدم امثالاً اشبه بالحروف الصال والابن الضال !

هذا هو عصب يسوع . فاعصب ما شئت ان استطعت ان تكون مثله في عصبك !



الفصل السادس

الحبر اليهودي

تصور ما حدث في اورشليم من المرح والرج في تلك الليلة التي تحدى فيها المسيح حجرة حياطة الهيكل وعلوه الشريعة امام الشعب اليهودي قاطبة . هو كما علم شاب يقف في وجه ذوي السلطان والقائم الارمح في الهيكل والامة ويتهم علانية بأنهم لصوص غادرون ! تصور شخصاً يعطن تهمة شنيعة كهذه في كرامة اكبر هيئة يجلبها موطنه ! ألا تقوم البلاد وتقدم امام حادث كهذا ؟

ثق ان الحديث في كل اسرة داخل بيوت اورشليم ، وبين أية جماعة من اللذة في الطرقات — دار في تلك الليلة عن حرارة ذلك النبي اثاب وما آثار من اشعور في الهيكل . وليس شك ان اشباع النظام القائم كانوا معادين مستعدين . ولكن كثيرين — حتى بين الفريسيين انفسهم — تأثروا من جراء هذا العمل وحسبوا صاحبه على أية حال رجلاً قديماً وصريحاً قوياً لا يهاب شيئاً في نصرة الحق . وقد تهاست الالسن وتوحشت فيه شيئاً أكثر من هذا في اللسقل . وكان الجليليون قد حملوا معهم اشاعات كثيرة عنه . وثرى هل أذاع يوحنا ورملاؤه ما قاله فيه العمدان وما تنبأ به عنه ، وقد كان لكلمة العمدان وزنها وقدرها في ذلك الوقت ؟

ربما فعلوا ذلك . ولو اني ارجح انهم لم يفعلوا . والحصل ان يسوع نفسه نهىهم عنه . لان معمراته والاقوال القائمة عنه كانت محرحة له وقد حدث حوله طبقات البشر التي لم يردّها . لان شعب اورشليم — كشعب الجليل — غطروا الى ملكوت الله مبدئياً كملك للبر . ولكنه قل كل شيء ملك قائم على

قوة وعظمة شعبهم ورجوع مجد اسرائيل الثالث، يوم يكون الرب نفسه ملكاً عليهم،
وسياً قائداً لهم في قوة رمنية وثابتاً عن الله القدير
ومنى كان الجو مكهرباً بأفكار كهده فانه لا يصعب ان يصف حوله حاميهم
تخرج مركزه وتنحس لرؤية شخص يرفع كرامة الامة، ولكنها تنظر في برود وغير
مبالاة الى القصد الحقيقي الاسمى - الى ترقية النفوس البشرية من الوحشة الروحية.
والظاهر انه انفراد عن الناس في اورشليم ونحاشى اذاعة اسمه قبل الاوان. ومع ذلك
لم يكن بد للناس من جميع الطبقات ان يفكروا عنه. ويروي لنا البشير يوحنا قصة
مأثورة من هذا القليل .

« كان انسان من القرى اسمه نيقوديموس رئيس لليهود » وكان هذا
الانسان بين المفكرين في مجريات الاحوال ، واحس عميل نحو ذلك النبي الشاب
رغم العداء الذي ابداه له وملاؤه الاحبار والرؤساء . لو ان ان يشتري به ويتحدث
اليه افراد ذلك المجد وعيرة ، ولكنه حان حائر ، من رجال الكهنوت الرحيمين
الحافظين على القديم ، وليس من السهل على رجل من هذا الطراز ان يثير الشبهات
حول نفسه ، فيتمسك متروكاً في الليل تحت اشعة القمر العمياء في شهر الصباح وقد
حبا نفسه في عذابه الطويلة واتضح الجبابر الظليل في الطريق لكي لا تبصره
العيون . الى ان يصل اخيراً الى البيت الذي يقم فيه يسوع ربما مع تلميذه يوحنا
واستطيع ان لرى يوحنا يقود الزائر الكريم الرفيع الى الطبة الصغيرة الفقيرة
التي يسكنها مع سيده. وراه يبقى هناك مصفياً ، ذا كراً الاشياء التي سوف يرونها
يوماً ما للعالم . والواقع انه لم يدوس الا مذكرات محصورة حداً ، وعليها ان قرأ بين
ثنايا السطور وشخص الحديث للطول على قدر ما نستطيع

والذي نستنتجه ان نيقوديموس هذا اراد ان يسمع عن ملكوت الله الذي جاء
يسوع ليقيمه والذي امتلأت به جثة افكاره . وقد ترقب الحبر اليهودي - شأن
غيره من بني حننه ملكاً زمنياً يزعمه به مجد اسرائيل وتلو كرامة الشعب .
ويكون بالطبع كل اسرائيل المولد فرداً من افراد هذا الملكوت . وجلست في نفسه

آمال ان سيحير يسوع هذا السيا المتظر . ولما كان هو نفسه رجلاً شبيهاً وحكيماً
 وذا مقام عظيم رفيع في اسلم الديني، فربما حاربه الظن ان نساخه ومؤثراته قد تعجدي
 حقاً للشباب الضيور المتحمس الذي ملأ يلص بدوره هذا الصاح بطيش وتهور . وإن
 كان في نية يسوع اثناء ملك كهذا الذي يترقبه الشيخ ، فسوف يكون هو من
 أحلامه ومناصريه

وإن كان في نفسه اية فكرة للتصعيد والصبح فان رغبة يسوع الرزينة
 الهادئة قد ردت الى نفسه لاول وهلة . ونحن نراه يحاطب الشاب القروي بمتعهي
 الاحترام والتبجيل قائلاً : « يا معلم . نعلم انك قد أتيت من الله معلماً . لان ليس
 احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل ان لم يكن الله معه »
 ولما استطيع الا الحسن والتحمين حول ما أراد ذلك الحبر، لان المسيح فاطم
 كلامه كأنه عرف ما دار مخدوه فاجابه على مستثته قبل ان يسألهما . « الحق الحق اقول
 لك ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله »

وبمن نفترض انه شرح معنى قوله هذا بأسهاب فقال : — يا معلم اسرائيل —
 ان فكرتك خاطئة . وقبل ان تبادي في الحديث دعني اضع الامور في نصيها .
 فهذا للكهنة الذي تصبه ليس ملكاً سياسياً علياً قوامه القوة الزمنية والزلايا
 الاخرى . انما هو ملك تلتف تحت لوائه ائس المؤمنين رجالاً ونساء من ذوي
 البادي، السمية الخلفين لله في قرارة قلوبهم . ولذلك تمس الحاجة الى شيء
 آخر غير للولد والامتيازات اليهودية : ما لم يولد الانسان — يهودياً كان او اممياً —
 ولادة جديدة ، ولادة من فوق ، من روح الله ، فمن يحسب في عداد ائس المؤمنين
 ولما ندري ما الذي يحير العالم اليهودي للعكر في هذا الكلام ، فان فكرة
 الولادة الروحية الثانية لم تكن مستربة لدى اليهودي . وقد كان يعتبر الاممي عد
 اعتناقه اليهودية كأنه ولد ولادة ثانية . وربما كان مبعث الحيرة في نفس ذلك
 العالم قول للمسيح : ان كل انسان — حتى اليهودي — يضطر الى الولادة الثانية ولكل
 امرائيلي في نظر الحبر نصيب في الحياة الاخرى . اما يسوع فقد عني شيئاً آخر .

فذلك يدعش الشيخ ويقول: «لست افهم . كيف يولد الانسان وهو شيخ ؟»
وأما يسوع فلم يبين «كيف» ولكنه يلجأ الى اختصارات العالم نفسه فيقول
له: «انت تعلم الفرق بين الجسدي والروحي ، بين الانسان الطبيعي الذي يعيش
لعالم والانسان الروحي ذي القلب المتصل بالله، والآل للولود من الجسد جسد هو ،
واما المولود من الروح فهو روح . والعقل الروحي ، والشوق للبداءء العليا في
الحياة ، لا يميّزان صدفة او بحكم انهم الطبيعي ، ولكن روح الله هو الذي يفعل
ذلك ، واما «كيف» يتم هذا طيس في وسعك ادراكه ، لان مؤثرات روح الله
حرة طليقة وعامسة كالريح . أسمع هذه الريح التي تهب بين الاشجار ؟ انت
لا تعرف من اين تأتي ، ولا الى أين تذهب ، وهكذا كل من ولد من الروح ،
وملكي هو ملك انفس ولدا من الروح ، روح الله »

أما الحير اليهودي فلا يفهم ويسأل قائلاً: «كيف يمكن ان يكون هذا ؟»
فيجيبه السيد: «انت معلم اسرائيل ولست تعرف هذه الامور ؟ وادالم
تستطع فهم هذه الاوليآت التي بموجبها يصير الانسان روحياً بعمل روح الله فكيف
تفهم اذا ذهبت مك الى الاسرار السبوية العميقة ؟ وانا لا استطيع الا ان ارويها
قط قطيس أحد صعد الى السماء وأدرك هذه المرفة سوى ابن الانسان الذي هو في
السماء . عليك ان تتعلم اشياء كثيرة مذهشة قبل ان تستطيع ان تفهمني
وتفهم ملكي ، فلت آتياً كما تظن للتربع فوق عرش ملكي لاطهار مجد الله ولكني
آتٍ للحل صليب الامار لاطهر محبة الله وتصحيته ، لانه كما وضع موسى الحية في
البرية ليخلص اسرائيل ، هكذا ينبغي ان يرفع ابن الانسان »

والآن تصور حالة ذلك الشيخ العالم اليهودي وهو صاغ الى هذا الكلام ، امام
ذلك الشاب القروي المجهول الذي لم يتكف في المدارس ولا اعترفت به السلطات
الدينية، الذي يقف منه الآن، في هدوء وريانة و يقين، موقف المعلم الرئيس مدعياً
انه من السماء وعرف بمشورات الله، وانه نور العالم ومصدر الحياة الابدية . وليس

شك ان شعوراً قد خاطره عندئذ بان ذلك الشاب اما أن يكون فريسة الخداع
والضلال أو أن به روحاً من الله

هذا كل ما ورد في الرواية . ولنا تدري كيف انتهى الحديث لان الظاهر
ان الكلمات الختامية في الرواية من تعليقات يوحنا عنه . ولنا تعلم كيف تلقى
العالم اليهودي هذا الكلام ، هل فهمه أم أشكل عليه ومضى حزيناً . كنا نود ان
نعرف ذلك لأنه يبدو لنا شخصية محلصة في السعي وراء الحق رغم حذره وجهنه
وهما تكن النتيجة فانه لم يتطعم علاقته يسوع ونسج عنه بعد ذلك مرتين ، وفي
كل مرة يظهر صداقة للسبح ويظهر هذا الحذر بينه في التعجب اليه . سمع عنه
مرة عندما مراد رؤساء الكهنة ان يطعشوا يسوع فدافع عنه نيقوديموس بحذر
وقال : « ألهل ماموسا يدين انساناً لم يسمع منه أولاً » . ونسج عنه في المرة الثانية
عند موت يسوع لما أخذ يوسف الرامي الجسد لدفنه « . . . وجاء أيضاً نيقوديموس
الذي أتى أولاً الى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مرّ وعود . . . » جاء في هذه
المرّة أيضاً متخفياً يحمل هدية الطيب وهي الشيء الاخير الذي يستطيع عمله تكريماً
لذلك الصديق الشاب الذي أحب به ولو ان الموت قد أثبت له الآن فشل دعوته

* * *

وهكذا يلعب نيقوديموس دوره ويخفي ، وانه لجدير بنا ان نتف هنية
حيال السؤال الذي حير لب ذلك العالم القوقر :

وستطيع القول ها ان للانسان الطبيعي كفاية ان يرقى الى مرتبة الانسان
الروحي كما ترقى اللودة ونصبح فراشة . وليست كل دودة تتطور الى فراشة ، كذلك
لا يتطور كل انسان طبيعي الى انسان روحي . انه يستطيع ذلك ولكنه لا يفعل ،
ولا بد بلوغ هذه المرتبة كما يقول يسوع - من اتصال شخصي بالله واحياء
روح الانسان بسبات روح الله ، وقد يصير الانسان الطبيعي طيراً حسناً من
الانسان الطبيعي كما تصير اللودة نوعاً أرقى من اللودة ، ولكن أرقى انواع اللودة

ليس فراسة لانه قد ضل^٤ سبيل التطور الحقيقي ، وافضل طراز من الاسان الطبيعي
ليس اسانا روحيا لانه في اعتقار الى لمسة روح الله المحيية
وقد أشار يوحنا المعمدان الى شيء من هذا التلميح فقال : « انا استطيع ان
اعدكم ، انا اعدكم بماء لتوبة ، ولكن الآتي بعدي هو الذي يستطيع ان يهبكم
الحياة الروحية ، هو يعدكم بالروح القدس وتار »
ورما يضل الى بسنا كما بدا لتيقوديموس ان هذا قول شديد الوطأة .
ولكن ألا يليق لنا ان نذكر فيه طائلا ان يسوع يصير عليه هذا الاصرار ؟ يشنع
كثيرون منا ان يطوروا الى طراز أرقى من البود ، وان يرتفعوا الى مرتبة أرقى
وافضل للانسان الطبيعي ، وروح الله الطامح يتخطى ويرتفع . وكل ما يحيط بنا
يشبه بالنسب الذي مستشفه ، اسمه باويع الخفيف الذي يهب حيث يشاء ، لكنك
لا تعلم من أين . « لا تعلم » وهنا معقل الرجاء . فلا يجب ان تقصر نسبة الله الحرة
الطليقة على التقديسين الاقياء دون سواهم ، فاما تلك نأ جدي جاني الطبايع
ترعرع في بيت تسوده الشرور والآثام ، تلقن ان يحلف ولا يسمي ، ولكنه مع
ذلك محبوب من معشر زملائه لتضحيته وتكرانه لذاته ، ويبدل نفسه اخيراً على
مثال المسيح لينفذ غيره ، قتل عندئذ ان كل عمل صالح كامل يهبط من السماء ،
وتكرر عندئذ فيما يقوله المسيح عن نسبة الله الخفية : « لست تعلم » !



الفصل السابع

رأس المجدان تهدي في طبق ١١

سنا ندري مدى الزمن الذي تصاد يسوع في أورشليم عقب عيد الفصح ونشئت جماهير الرواد كل إلى موطنه . ويخيل اليها انه لم يقصر رسماً طويلاً . لان أورشليم لم تكن مستحبة كثيراً ومدائن الرؤسات الدينية وأما كن العبادة الرئيسية تكون عادة مشوبة بروح التعصب والاعتداد بالذات وخاصة لتفوذ رجال الدين . والواقع ان أورشليم التفت حوله من حراء المعجزات التي صنعها ومع ذلك قيل ان « يسوع لم يأتهم لانه عرف جميع اسس » . والذي أقترعه في معنى هذا القول انه فهم أنهم سيحبونه حتى يعرفوا النتيجة ليس إلا ، ومع في الواقع لم يريدوا ما أراداه هو . ولم تكن طريقته طريقهم وعارضت آراؤه آراءهم . ولما تبنوا حقيقة الموقف رضوا عليه عقبهم وصلبوه

وقد نراه يهرع الى الريف مع تلاميذه . وربما جال معهم مدة ثمانية أشهر من خدمته العامة متقللاً في هدوء بين القلاحين والقرويين في اليهودية . وليس لدينا بيان واضح لهذه الفترة وما صنع فيها من المعجزات وما تقوه به من التعاليم السامية . ولست ندري لذلك سبباً . ولكننا قد نمزوه ، بحسب ما تدركه افهامنا البشرية ؛ الى ان فصل الصيد كان قد انقضى وعاد يوحنا لسله في الجليل . والذي نعلمه ان السنة الاولى من سني حياته النسلية كانت سلاماً وهدوءاً وقد غمض علينا الكثير من حوادثها . وكانت السنة الثانية عاصفة هوجاء . اما السنة الثالثة فكانت محنة واضطراباً وموتاً

ونعتقد ان هذه السنة الاولى كانت أسهى واسعد سني حياته . وقد بدأت

صيفاً في الريف وأحب يسوع حياة الريف . وكان هو وزملاؤه الشبان سعداء ،
 حلت نفوسهم من ألمّ والفناء . ولم تكن لبيهم هود ولكن كرم القوم وحسن
 النسيافة والترحاب اغناهم عن النقود . واني أتصور ذلكم الثمر القليل يسرون على
 أقدامهم في الطرقات الرابية يستمتعون مناظر التلال والرى المأكنة وخرير المياه
 الجارية يتحدثون إلى السفار الذين كانوا يخرجون من الأكواخ لتحية وتوديع
 السابرين والسامعين . وربما كان يمترض طريقهم أحمى كنفهم أو أبرص بائس في
 مكان قصي عند مفترق الطرق فينال البرء من يديه . وربما كانوا يستريحون عند
 قرية فوق التل حين يدرّكهم الكلال ، اذ لم يكن داعٍ للصلاة . والأثر الذي
 كان يتركه المسيح وراءه دائماً هو ان الله صانع هادى . يصل في كونه متباطئاً في
 غير محلة لان الابدية ممتدة تحت قدميه . وكان على المسيح ان يحيا حياته و يسوع
 المسيحية في لغة ساذجة مفهومة هي لغة العمل اليومي والراحة من العمل . وصكان
 القرويون الذين سمعوا أخباره من أورشليم يلتمسون حوله في المساء فيحدثهم ويروي
 لهم أمثاله وقصصه اللذيذة رافعاً أفكارهم وقلوبهم إلى محبة الله . وربما كانوا يدعونه
 معهم للعشاء . وفي الكوخ اندي يحل فيه ضيفاً كان ينتهي منه كل تكلف أو صمت
 بارد محرج . وربما تذكر له ربة الدار ولدها المريع فيذهب إليه ويضع يديه عليه
 فيبرأ وعندئذ يرتبط به قلب تلك الأم إلى الأبد . وفي طلي ان هذه هي الطريقة
 التي بدأ بها يسوع الكرازة بملكه واذاعة رسالته ، فانه لم يطلب هادى . دي يده
 بالولاء والاحلاص ، ولم يبتك على خطية . ولكنه اكتسب ولاهم بالجادية الروحية
 في حياته . ووكد الخطاة في حضرته لو يكونوا على شاكلته

وسد رمز ، حين بلغتهم الاشارات بان صبيهم الكريم قد صلب في المدينة
 وقام ثانية من الاموات — نعرفت تلك الام وأولئك القرويون ان صبيهم هنا
 كان قد نزل من السماء على الارض لينزل الله للشرية ، أهلا تصغر قلوبهم بمقائد
 مستحبة من محبة الله وصدافته للانسان ؟

قرأت مرة في كتاب لثلاميذ للدرس ان للهجي والتلميد وللانسان العطري

الناذج في كل مكان — بلقيس: أحدهما إله محبوب والآخر إله محبوب — فالأول يُسجد للأعجاب ، والتكريم له لانه إله صالح ومحبوب وقادر على صنع الافعال الالهية . واما الآخر فيمدد للحرز والاحتياط منه فقط لانه عظيم قادر غير مستتر في أعماله وربما لا يوتي بدوره
ولست أشك في نوع الفكرة التي استقناها لوثك القرويون والفلاحون عن الله من يسوع ومظاهرة



وأدّ حتى خطواته في قرى الريف خلال ذلك السيف نجد أنفسنا — على غير انتظار — وقد افترضنا من يوحنا الممدان على مسافة مئة أميال في البرية. والذي يتخيله الانسان ان مهمة يوحنا الممدان قد انقضت في اليوم الذي عُد فيه للشيخ ومادى بين تلاميذه «بمصل الله الذي يرفع خطية العالم» . وربما كانت هذه فقط مهمته ، وهو الآن ينتظر النداء ليقبض عن عمله . وهذا النداء هو تهليل الشعب وسير الامة وراء خطوات الشيخ

ولكن هذا النداء لم يُسمع له صوت. وقعت شهور لم ير فيها شيئاً ولم يسمع الا الذر اليسير عن المسيا الذي انتظره كل حياته . لم تظهر علامة يؤخذ منها ان يسوع قد اعلن نفسه وأحرى المسيا فداء في اسرائيل

وهكذا تراء ينتظر هذه العلامة لينتحي عن عمله. وها هي آتية أسرع مما توقع وعلى غمط غير ما توقع . فان هيرودس والفريسيين كانوا يدبرون الامر . وفي اثناء ذلك راء مستوراً على العناية للهبر والتوبة ، والمناداة بملكوت السماء بنهت أشد وأقوى مما ألقه اناس فيه منذ ذلك اليوم المأثور الذي شهد فيه المسيا على ضفاف الاردن . والارجح انه تحدث عن يسوع اكثر من ذي قبل بعد ان رآه ، حتى قاتل الناس بعدئذ عند ما ذاع صيت يسوع «يوحنا لم يفعل آية واحدة . ولكن كل ما قاله من هذا كان حقاً»

يسمر يوحنا في مهمته مع ظاهرة واحدة تدل على انها تقارب نحو النتهى :

فان الجوع لم تعد تبعه وأخذ نفوذه يشعل وهدأت العاصفة التي استقبله بها الناس . وبدأ تلاميذه يشعرون بالثيرة لاجل معلمهم . فنذ اشهر كان العالم يتبعه وكان أعظم قوة في اسرائيل . ولكنه وقف وهو في أوج مجده وعره وأومأ الى شخص آخر أعظم منه . ومن ذلك اليوم بدأ سقوطه والمخاططة ، وتلاميذه لم يفهموا مغزى ذلك . وهم يسمعون الآن صوت النبي الحديد للترايد . واهضت الجماهير من حولهم فقلقت نفوسهم لانهم أحبوا معلمهم الجريء الصامت الذي أحبه الناس حاكماً وتصل الامور عند حدها حلت يوم في براعمهم مع يهودي عن التطهير . والمرح ان ذلك اليهودي كان مع يسوع وكان يصل مقارنةً بخط من قدر يوحنا للمبدان فلم يستطع تلاميذه صبراً حيال ذلك وامرعو الى معلمهم قائلين : « يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الاردن الذي امت قد شهدت له ، هو يعدد والجماهير يأمون اليه »

عندئذ فقط عرفوا حقاً عظمة المعلم الذي تبعوه . ولم يكن من قبل أحد أعظم منه في ساعة مثله واندحاره اذ يحميم بقوله : « حساً . قد اقتضى رمي . وعد ما أذهب أنا يحمل من هو أبهى مني الذي كنت أنرقه . أتم أنفسكم تشبهون لي التي قلت لست أنا المسيح بل اني مرسل امامه . ما أنا الا صديق الرئيس المتواضع يكمل فرحي به . وها أنا أصمت ولكن في هذا الصمت المحيط بي أسمع صوت الرئيس . لذلك أنا أفرح . هو يريد وأنا أقص . اخذ فرحي هذا فد كل »

رجل عظيم حقاً هو الذي يعلأه شعور كهنا . والآن يتحى للمبدان عن عمله . وهذه هي الكلمات الأخيرة التي تروى عنه بأنه فاه بها علماً . وبعد ذلك شهر نراه قعيد راوية مظلمة في السجن يترقب ساعة للوث

* * *

وها نلاحظ انه عند هذه النقطة تبدأ البشائر الثلاث قصة حياة المسيح العملية في الخليل . وهي الخدمة الوحيدة التي غني بها الكتاب لانه لم يكن لهم شأن مع اليهودية وأورشليم الا حين تسعوا حطوات سيدهم عند ما صعد ليوت . وكلهم

يبدأ روايته عند نقطة واحدة: «ولما سمع يسوع ان يوحنا أُسْلِمَ انصرف الى الجليل
لانه علم ان القريسيين سمعوا انه يصير ويعد تلاميذاً أكثر من يوحنا» ومعنى هذا
انهم كانوا يراقبونه وان القصص عليه سوف يعقب القبض على يوحنا حالاً . وهذا
لا يتفق مع التداوير التي وضعها . أحل سوف يقصون عليه ويقتلونه ، ولكنه لم يرد
ذلك الآن لان ساعته لم تأت بعد

ولذلك ختم خدمته التي سُر بها في تلال اليهودية ، ومضى الى الجليل مجتازاً
السامرة . وهنا توقف هنيهة لتلقي نظرة على حاتمة يوحنا المبدان

* * *

كانت القلعة السوداء التي رجع للمبدان في إحدى خباياها أحد حصون
فلسطين القبلية وكانت قائمة على كومة من السحور الرمادية اللون ، العابسة ، اللطلة على
مياه النحر الميت الراكدة . هي مكان لائق لان يكسر قلب الانسان الجريء
الذي ماضى بقوله الحق في وجه القريسيين والكهنة وأعطى للزنى اسمه الحقيقي وهو
ان الزاني كان ملكاً عظيماً . وهنا طلل المبدان طليقة شهرور الحيف سحياً في
راوينة المظلمة وهو الذي تعود كل حياته عيش الخلاء يستشق نسيم السماء الطاهرة .
وفوقه على مسجرات الليل قام قصر هيرودس لليلك . وعبر مياه البحر السوداء يقع
نظرة على مشاهد صبرته والبرية التي حاهد فيها بأفكاره مع الله ، ومهد أحلامه عن
السيا ومكوث الله ، مكوث الله الذي طال امد انتظاره ، والسيما والحماة للقلعة
التي لاسته في نهر الاردن !

وكان احياناً يأتيه تلاميذه في السجن حاملين اليه أخبار العالم الخارجي . ولم
يهبه من هذه الاخبار شيئاً سوى اخبار سيده وربه . وكان اولئك التلاميذ قد
تبحروا عقب القبض عليه وقد اطاع منهم مشورته وتبعوا يسوع الى الجليل . الا
انهم كانوا حيارى وقد غلبهم اليأس . لانه لم يحدث شيء ذو بال . فالمسيا لم يظهر
بعد قوته ، ولم يعمل شيئاً لاستعادة عهد اسرائيل الضائع . فكانوا يبحرون يوحنا
كيف انه كان يحول بين اناس والجواهر تستمع لاقواله ولكنه لم يبدأ كثيراً

بالشخصيات التي حسبها اليه حتى معه الفريسيون : «صديق الممارسين والمطاعة»
 وكانوا يعبرونه أيضاً عن تعاليمه البسيطة الباذخة والأمثال والتقصص التي
 رواها لهنس . ويقول أحد التثيرين بعد إحدى المعجزات التي أحرها المسيح في
 إقامة ابن أرملة تايين أن تلاميذ يوحنا حانو اليه وأخبروه بهذه الأمور
 أما السحين الصامت فكان يصني اليهم مفكراً وهو مطرق الرأس . ولم يعطوا
 كثيراً إلى الاضطراب الذي كان يخفيه بين حواصمه . وبعد ذلك قليل يحدث
 حادث غريب مذهش ، رواية كان يصعب تصديقها لو لم نجني عن المصدر الذي رواها
 وهنا ننقل لحظة إلى الجليل حيث ذهب يسوع . فتشهد في الجوع السائرة
 خلفه شخصين عليهما الحمية وبدأت عليهما آثار الاعياء من السمر وعند ما يقتربان
 يصمت يسوع اليهما وفي لحظة يصرعان ما في قلوبهما من القلق والاضطراب : «يا معلم .
 يوحنا للعمدان ارسلنا اليك لتسأل : هل انت هو الآتي ام نتظر آخر ؟»
 «هل انت هو الآتي ؟» تأمل أيها القارئ الكريم — في هذه العسرة ا
 الذي جاء لبيادي بالمسيح قد ساوره الشك ! تأمل في أمانة قول هذه الرواية ببساطة
 لا يشوبها الاصطعاع ! وتأمل في آلام الشكوك التي طفت على فم الشخص
 الذي يبحث بهذين الرسولين !

فإذا عسانا نقول ؟ هل كان يوحنا ضعيف الايمان ؟ هل اضاع ايمانه ولم يعد
 بعد مستحقاً لأن يكون للتادي وللمهد لطريق المسيح ؟ كلا ! ان من يزعم هذا
 الزعم لا يعرف شيئاً عن طبيعة الشك الذي يحالج المرء أو عذاب النفس العظيمة
 التي تخرج حقيقتها

اني أتصور ابن البداية الذي ألف الحرية والغلاء يعتمد تلك الحامية للظلمة
 العابسة بحرّها الذي يقطع الاقواس . أتصوره رجلاً حساساً رقيق المزاج قد طغت
 على أعصابه عوامل الوحشة والوحدة والقيود . واعتقد انه يصعب على أحق الفنانين
 وأثبت الاديان ان تتخذ ديمان الانسان من الشك في زلوية مظلمة كتلك التي
 اقتحمها للمدان . وقد حامت عليه أيام لامعة بهجة استطاع ان يسمع فيها صوت

المريس ولكن حلت به ايضاً أيام الحيرة والقلق . لان يوحنا كان يترقب حدوث أحداث حاسم . وأراد ان يرى قبل موته تحقيق أحلام حياته . ولكن يسوع يسير ببطء وتؤدة . وفي أعمال الله البطيئة في هذا العصر كما كانت في أيام يوحنا عليك لايماننا

وليس كثيراً على النفس العظيمة للشوحشة التي ارتكزت في حياتها على رؤيا النساء ان يساورها الشك في النهاية حين تواجه الموت !

وعلى أية حال قد أحسن في الالتقاء الى يسوع نفسه . و يسوع الذي جاز التجربة قد فهم سر الامر وعرف ما تحدته الحيرة في النفس فارسل الى عبده الامين الناس رسالة يهيم منها اكثال النبوات التي عرفها كلامها : « اذها وأخيرا يوحنا بما تسعان وتنظران : الصبي يصرون والرج يشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والورثي يقومون والساكين يشرون »

ونحن لا نعرف شيئاً سد ذلك . والذي فترضه ان يوحنا استعاد شجاعته واسترد آماله . والروح انه استحي من شكوكه وأحس انها ستعطي من قدره امام ربه . والذي رجوه ان يكون أحدهم قد ألمه قبل موته ما قاله عنه للشيخ عفا ذهب الرسولين : « لم يتم بين الملودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان »

تأمل في هذا القول الذي وصف به السيد عبده البائس في نفس الوقت الذي أحس فيه ذلك السد بالجل والحري . وأمس به نفسك في قلبك له يقول كلمة طيبة كله عنك حين تكون انت خجولاً من نفسك

لا نخشاهم ، الى يسوع البتة في شكوكك الأمين توحيرتك . لان الشك خطيئة قطع متى اكتسبت به ووقت عنده . فانك اذا لم تقدر ان تؤمن لا يسلك الا ان تشك ولكن حذار ان تقى عند هذا الحد وتكتفي بذلك . بل اذهب الى صديق أمين واكشف له عن حيرتك ، الى راعيك ان كان ممن تثق فيهم وتركن اليهم . وخصوصاً الى سيدك وربك . وكن صريحاً وحريصاً معه . وهو يفهمك جيداً . ومتى

استطاع الانسان ان يعمل ما فعله للعبدان ويذهب الى المسيح بشكوكه فان ايمانه
لا يتورده الخطأ الى حد كبير



والآن يستطيع العبدان برحاء محمد ان يشد نشيد النصر ولو كان الموت منه
قلب قوسين أو أدى . وكان عليه ان يجوز بمص الاخبارات الغريبة قبل ان
يدركه الموت اذ يباعه يوماً للملك هيرودس بزيارته في السجن . ويوماً آخر يدعو
ليتحدث اليه في قصره . وتتوثق بينهما للفرقة . وهيرودس هذا شخصية غريبة
مركبة من مريخ محتلط ، فهو دنيء ، وخش زنيماً ، وشهواني فاس . ولكن به شيئاً من
الخير والصلاح . فان الله خلق الانسان على صورته . وأشر الناس فيما لم يطمس
معالم هذه الصورة طمساً كاملاً . وتلك الشعاعة الضئيلة من الصلاح الكامنة في
الانسان هي الشيء الوحيد الذي يستطيع به الله ان يمسك بالانسان صنع يديه
وفي هيرودس لم يكن شيء كثير من الصلاح حتى يتمكن اسماكه منه . لان
تاريخ الاسرة التي انبثت شائن ، والوسط الذي عاش فيه شرير . ومع ذلك ربما لم
يكن كل شيء شريراً . وان كانت أحاطت به الآن امرأة تعمل على جذب
نفسه الى الحميم قد كانت في حياته من قبل امرأة أخرى عكس ذلك —
ليست أمه . فانا نقرأ في سفر أعمال الرسل ضمن اسماء رجال الكنيسة
ومناين الذي تربى مع هيرودس . وهذا يحملني على التنكير في تلك المرأة للتواصية
التي تولت تربية دينك الولدين فاذا باحدهما يميز زانياً ظلالاً سعاكاً . ويصير الآخر
كلروزاً بانبجيل للمسيح اومن يدري ربما كان هيرودس مديناً لها بشعاعة الخير الضئيلة
الباقية في نفسه ؟

أحب هيرودس يوحنا واستيقظ صبيته على يديه . فانا نقرأ بانه سمع كلامه
فرح وفضل اشياء كثيرة مسيه . ويقول البشير مرقس ان من الاسباب التي حملته
على القاء يوحنا في السجن دغته في اقاده من الكاثد الحبيثة التي كانت تحميها له
الملكة هيروديا . لان هذه قد كرهت يوحنا فقدر ما يمكن لامرأة هائلة في كرامتها

ان تكره اساءة . و اذا لم يستطع بشر ان يحب كما تحب المرأة فلا يمكن ايضاً لاي انسان ان يكره كما تكره المرأة . وليس للحجم ثورة واحتدام اشد من ثورة واحتدام للمرأة للهانة ! وكانت هيروديا هذه قد خانت عهد زوجها الاول وسكت حائل دسيسة صده مع أخيه هيرودس بينما كان هذا راثراً في بيتها . وقد سمعت بذلك روجة هيرودس الفتاة العربية فهرت الى بيت اميها وانطت مكانها في القصر هيروديا الحاتنة . وقد عرفت هيروديا وجميع من في البلاط الملكي ان هذا اسي الجريه قد اعلن جهرة امام اللا لزوحها الملك انه لا يحق له الاحتفاظ بها . ولذلك حقت عليه وكنت عيظها ونحيبت انصرمة للارتفاع به



ثلاثة شهور تقست . وحلّ يوم عيد ميلاد هيرودس فاصيئت القاعة الكبرى بالقصر بالاوار للتلاثلة وجمع الملك حوله فقرأ من سادة الجليل والكبراء والقواد والاعيان . وانصرف القوم الى الجون والحلاعة والسكر والسكر حتى رنت اصوات الموسيقى والمطاف وصيحات الطرب في آذان السجين وهو في حايته . وفي ذروة النشوة ارادت هيروديا ان تثير في قوسهم شهوة جديدة فارسلت انتها الجميلة سالومة ثؤانس السيوف . وكانت سالومة مطمح انظار الحشعات وحفلات الانس فهي تستطيع ان ترقص الرقصات الشرقية للهيبة للمواطف بما لا يتاح لفنائة يهودية كريمة ان تفعله . وينظر القوم حركات تمايلها ودلالها فترفع الحناجر والأكف باصوات الاستحسان وانطرب وينتشي الملك التمل حتى ليقيم امام صيوقه بان يعطيها ما تطلب ولو الى نصف للملكة

تذهب الفتاة لاستشارة امها ثم تعود الى الجماعة الصاخة وقد ارتسمت على حياها طرة ناسية . وهنا تهناً ثائرة للارحين الصاحكين السكارى ويعودون الى صوابهم حين يسمعون الفتاة تقول بصوتها الرنان : « اعطني هنا على طبق رأس يوحنا المعمدان »

ودعم شرم وانهم يتولأم الاضطراب والحجل . فهم يعلمون ان هذا النبي

يحببه الشعب ويعلمون أيضاً لماذا تطلب هيروديا رأسه . حتى هيرودس بين كؤوسه يكاد يعود الى صوانه من هول هذا المطلب . ولكن هيروديا قد افلحت واوقعت الملك أخيراً في شبكها محبوكه . ولم يدب مجال للهرب أمام وعده وقسمه « فاعتم الملك ولكن من أجل الأقسام والتكتئين معه أمر ان يعطى . فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن ! »

« اعتم الملك » . وقد ارداد غه بصدح حين سمع لعنات الشعب تنفض عليه كالصواعق لان يوحنا « كان عندهم مثل نبي » . وذلك الصير الذي دفعه للانصاف الى يوحنا وفضل اشياء كثيرة مسببه قد حرره الآن هزة عنيدة وهو واقف على جرف الهاوية . وسواء أكل ناعماً ام مستيقظاً لم يرح يوحنا مخيفته . وكان ذلك الوسع الثالث للطغخ بالهماء محققاً في عيديه نيل نهار . ولما سمع بصدح عن المعجزات التي صنعها يسوع دفعه ضميره في هلع ورعب الى ان يصرخ قائلاً : « هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الاموات » فقالوا له : « انه ايليا .. » انه بي او كأحد الانبياء » اما هو فصرخ قائلاً : « كلا ! هنا هو يوحنا الذي قطعت انا رأسه . انه قام من الاموات ولذلك تعمل به القوات ! »

هذا كان شأن الصير الثامر مع هيرودس لذلك !

وأخيراً جاءت المصوى ليوحنا ليحتفل عمله

جاءه في ضوء القمر تداء الخللاد ليخرج من زاويته . وحملت الرأس تخطر منها الدماء امام نواظر المرحين للعربدين واخذتها القنقة تحفة رهيبة لامها الشريرة . ثم تقدم التلاميذ ورموا الجسد ودفنوه واتوا واحبروا يسوع . وهكذا جاز النبي الجريء الى العالم عبر التطوير يترقب محي . ر به الذي حظي لقاءه بعد ستين من ذلك التاريخ يوم نزل المسيح القافر للنصور من فوق الصليب الى الهاوية ليصكرز للموتى بالحيه ويرفع رايته ويقم صليبه في عالم الراحطين ، العالم المحوط بالاسرار الغامسة . ويمتد التقى يوحنا مرة ثانية « بحمل الله الذي يرفع حطية العالم » !

الكتاب الرابع

كفرناحوم

الفصل الاول

الى كفرناحوم !

اللاه تأتي الى أرمه اخرى في قصة المسيح ، الى المرحلة التي اعتبرها البشيريون اختتام القصة بالفعل ، الى بداية خدمته العلنية في الجليل . ويضع البشيريون لهذه المرحلة علامة للانهاء عنها : « ولما سمع يسوع ان يوحنا أسلم انصرف الى الخليل وابتدأ يكرز ويقول : « توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات »

وعند الخدمة العلنية هي التي عي بها البشيريون دون سواهم . وكل ما تقدمها اعتبره اعمالاً تمهيدية نهية . أحدثت القصة ذاتها وقد سبق ان قلنا نظرة على هذه الاعمال التمهيدية — من اعتماد طويل لجيئة ، الى القصد الاول في العالم العلوي الذي جاء منه ، الى البوابة اليهودية الكثيرة التي انبأت عن عي . السبا ، الى العالم الوثني وهو يعد له عن غير قصد السرح ليلعب دوره عليه . ثم القينا نظرة على مولده وصبوته ورحلته كنجار شاب وآماله واحلامه للمستقبل . ثم اليوم العظيم الذي خرج فيه من عرثته ، الى معبوديته وتجرته ، الى لقائه الاول لتلاميذه الثمان ، الى زيارته الاولى لمدينة اورشليم ، الى رحلته السعيدة فوق تلال اليهودية التي انتهت بالقبض على يوحنا المعمدان

كل هذه الاحداث انما كانت تمهيداً في نظر البشيرين لقصة ذاتها . فهم يشيرون اليها ويبدأون بها ولكن القصة بالذات تبدأ عند هذه النقطة المعينة وقصتنا الجديدة تأتي بنا الى مدينة جديدة ليست بالضرورة من امهات المدن التي تخيلها افكارنا عن يسوع . وتوجد اربع مدن بارزة في حياته : هي بيت لحم حيث ولد . والناصره حيث درج . واورشليم حيث مات . وتلك المدينة الصغيرة —

مدينة الصيادين التي قضى فيها أكثر من سنة مركزاً لحياته الجبلية — كفرناحوم
القائمة على ضفاف بحيرة الجليل



وللمصادر الرئيسية التي نستقي منها اخبار ووقائع هذه القصة الجبلية هي
الانجيل الثلاث الاولى . ولنا هنا ملاحظة لا بد ان نبينها وهي ان هذه البشائر
لا يصح ان تكون « سيرة » حياة السيد . بل هي بالاحرى مجموعة مذكرات
حوادث واحاديث اخترت في عقول التلاميذ الاولين ولم تكتب دائماً في
ترتيب متتابع

وليس لدى الجليل الاول من المسيحيين سيرة مكتوبة بالتتابع عن حياة السيد.
وقد عرف كثرتهم اهم تلقوا كل أحد في الكنيسة اجراء متفرقة مثل « انجيل
اليوم » الذي يميم في الخدمات الكنسية ، وسموا القصص التي تداولتها الجماعة
تقلاً عن الذين رأوا وسموا الرب . وقد عرفوا ترتيب الحوادث من البداية —
التجسد والمسدودة والتجربة . كذلك عرفوا الحوادث في النهاية — الرحلة الى
اورشليم والمحاكمة والصلب والقيامة والممود . اما عن الفترة للتوسط في حياته فقد
عرف البشيرة حداثتها المتفرقة واحاديثها المتنوعة دون ان يتمكنوا من تبويبها
وترتيبها ترتيباً زمنياً . وكان نتيجة ذلك ظهور البشائر المكتوبة التي هي سجل
الانجيل غير المسطور الذي تلقاه المسيحيون الاولون . وتبين انبشائر الثلاث الاولى
بواحي سيرة ربنا كما تلقها المسيحيون في الاقليم الذي عاش فيه البشير الكاتب ،
مضافاً اليها المعلومات التي استقاهها الكاتب من شهود العيان او من مصادر اخرى



والاول بشارة كتبت هي بشارة مرقس . وهي تسجل بانفساح واسهل حوادث
الايام الجبلية . وليس في ذلك من عراة اذا تذكرنا انها مأخوذة عن القصة التي
رواها الرسول بطرس . وللمعلوم لدينا ان معرفة مرقس الشخصية بحياة السيد
سطحية ولكنه كان على اتصال وثيق بالرجل الذي عرف تفاصيل هذه الحياة

أكثر من سواه . وكان بطرس صديقاً حميماً له وقد دعاه « مرقس ابني »
وهنا تثبت الاقرار الذي يلزم به جبهة الطاء وهو مقتبس عن « بايلاس »
اسقف هيرا بوليس عقب موت يوحنا .

« كتب مرقس — ترجمان بطرس — بدقة وإن لم يكن بترتيب كل ما رواه
بطرس عن المسيح . لأن مرقس نفسه لم يسمع السيد ولم يكن بعيداً له بل
لبطرس الذي اعتاد أن يلقي تعاليم تناسب حاجات سامعيه وليس كرواية مرتبة
منسقة وهكذا لم يحطى مرقس . لانه اهتم بشيء واحد هو أن لا يترك
شاردة ولا واردة سمها ، وإن لا يكون شيئاً خطأ »

ويمح لنا ان نسي كتابه انجيل بطرس . ونستطيع ان نجد فيه اشياء صغيرة
هامة تنشأ عن بطرس من وراء الستار . فثلاً عما تذكر عن يسوع في
كفرناحوم وهو مقيم في منزل بطرس وتقرأ انه ذات يوم قام ونهض للعصاة « في
الصبح باكراً جداً » نستطيع أن نصور لاهساً كيف يروي بطرس القصة ويذكر
الصلاة التي سمها في ذلك اليوم من السيد وهو يتنقل في الفرقة المجاورة

وعلم ايضاً من المصدر حينه ان متى كتب باللغة الآرامية الوطنية مجموعة من
الاقوال السيد توسع فيها هو وغيره حتى صارت الانجيل الحالي الذي بيدنا وقد
أودعها ايضاً كثيراً من اللوات التي جمعها مرقس

وخترض ايضاً ان لوقا تلقى انجيله أولاً في مجمع هذه المنطقة ولكنه استعار
اللوات الكثيرة من متى ومرقس والمصادر الاخرى التي يشير اليها في الفصل الاول
من بشارته . وقد تلقى الشيء الكثير من التلاميذ الآخرين الذين انشئ بهم في
مرافقه للرسول بولس ، الذين عاونوه خصوصاً في بياته عن ذكريات الطريق
الى اورشليم

ومجد في البشارة الثلاث الاقوال وافعال السيد متلازمة متفقة مع بعضها ولكنها
ليست بترتيب واحد حتى ليصعب علينا ان نروي قصة خدمته في الجليل على
نمط متتابع

والآن لنبدأ بقصة الخليل :

في سنة ٣٧ م. في الاقليم التاخم لبحر الخليل ، وفي كفرناحوم القائمة على
البحر وهي بمثابة الوطن للركري

خمساً الفصل السابق برحطه من الجنوب وسط قرى اليهودية ورأيناه يصعد
شمالاً الى الجليل مدماً أسلم يوحنا . ولكن بدلاً من ان يقبض ، تباطأ قليلاً في
الجليل لتلقي نظرة على حاتمة يوحنا للعبدان . والآن تريد ان تشي خطواته في
مشاهد خدمته النامة على ضفاف بحر الجليل

ولا شك انه جرت أحداث كثيرة في طريقه الى الجليل سوف لا نسمع عنها
شيئاً في هذه الحياة . ولكن يذكر يوحنا حادثة حدثت في مرورهم من السامرة الى
الجليل وهي حادثة للراة السامرية عند البئر

وامن انهم عندما وصلوا الى فحوم الجليل عند مفترق الطرق ودع زملاءه
(ربما بطرس واندراوس وفيلبس ويوحنا أيضاً) . وكان هو ذاهباً غرباً ربما الى
موطنه في الناصرة . واما هم فكان عليهم ان يذهبوا شرقاً الى موطنهم للصيد . وكانوا
قد تقييوا عيبة طويلة وتركوا اعلمهم ولم يكونوا قد تلقوا دعوة لمهتهم الخاصة . وكل
ما في الامر انهم راقوه بضمة اشهر في غبطة وسهجة واستمتعوا عشرته ورمالته فوق
التلال والربى فلم ينسوا قط تلك الايام اللذيذة التي قصوها معه

واي انصوهم عند النخوم يودعونهم ويذهبون جاذلين الى موطنهم في كفرناحوم
وكانت قلوبهم مليئة على الاقل بالآمال — وان لم يكن بالوعود القاطعة — على
انهم سيملأونهم يوماً ما في مهمة النطية ، وربما عرفوا انه بعد قليل سيذهبهم الى
بحر الجليل

ولا شك انه كان ضمن رناحه ومن وسائل تهديهم وتدريبهم ان يكونوا
بيداً عنه بضمة اشهر . لان يسوع كان يحترم شخصيات الآخرين ولم يرع الناس
ارغماً ولم يأخذهم على عرة ولكنه أعطاهم فرصة للتأمل والتفكير . وقد كانت
هذه الفترة كافية للتفكير . واي انصوهم عاكفين يوماً على الصيد مترقبين مجيئه

متحدثين عنه فيما بينهم ومفكرين ومتزايدين في محبة وشاكرين بفرقه. ولكن هذا كله بمثابة استمداد لهم لمهتهم العظمى في المستقبل

سار يسوع عرباً بمفرده في طريق الناصرة وهو يخفي الآن عن الانظار. وليس من يروي لنا ما حدث خلال تلك الاسابيع. وقد كان وحيداً منعزلاً على قدر ما استطاع الانزواء عن الناس لان صيته كان قد ذاع وقتئذ وكان اهل الجليل يروون أحداث اورشليم في العصح لانهم كانوا في العهد. واطن ان المسيح قد اراد الخطوة ليصير برامحه. ولا شك انه كان يروي في الجموع واحتفالات القليل اشياء هيبية عن الآب وفكرة ملكوت الله على الارض للحجرات التي كانت تحيط به في الليل، ولكن لم يُسيطر شيء من هذه الامور كلها الاً حادثة واحدة وردت ضمن ذكريات يوحنا:

ذات يوم وصل به اللطاف الى ملبة قانا واطمه اقام مع «ثنايل الذي من قانا الجليل» الرجل الذي كان قد اجتذبه الى زمرة اصديقاته في تلك الزيارة للأتورة منذ شهور. وأستطيع ان اتصور ثنايل يرحب به فرحاً ويستقبله بأشاً في البقعة التي رآه فيها. واتصوره في اليوم التالي يطوف به لرجاء بستانه وللقعد تحت شجرة التينة حيث حلت عليه الازمة الروحية. وهل نشك انه لقي ايضاً ترحاباً في ذلك اليوم من عروس قانا الجليل التي حوّل في عرسها الماء خمرًا!

لم يطل به وقت الراحة لان اخبار محبته كانت قد ذاعت وثارت لها كل لرجاء الجليل. وعلى بعد عشرين ميلاً كانت كفرناحوم تتوقع محبته بفارغ الصبر لان التلاميذ الصيادين الشبان كانوا قد حملوا معهم أحباراً مثيرة. واذاخروا بين الناس ان الشحص الطائر الميت قادم الى بلدتهم فأحيوا بذلك موات الرجاء في قلب القعد الكسيع في آلامه، في قلب الأم ورضيعها المريض. وأمل الجميع خيراً على يد الثاني الاعظم

وهما تروى قصة ذكرها يوحنا. فهي اثناء اقامة يسوع في قانا الجليل في ذلك اليوم مع ثنائيل وعروس قانا على بعد عشرين ميلاً من كفرناحوم كان لخرن

حياً على أحد بيوتات تلك البلدة الغالية، مقر العلبات النسية. اذ كان بين ساكنيها «نبيل» أو قلّيد من قواد هيرودس له ابنٌ وحيد على فراش الموت، وكان قد بلغه إشاعة يحيى يسوع ولكنه علم أنه سيحيى على مهل. وقد يصور القارىء لنفسه لوحة الام واصرارها قولها: لا تنتظرا هو الآن في قانا. من يدري ربما اذا جاء ينقذ وحيدنا من براثن الموت!

وفي تلك الليلة رآه مسرعاً الى قانا مائلاً امام المسيح: «يا سيد هل تستطيع ان تأتي؟ ولدي يحضر!»

وقد كان من حبة آمال السيد ان الذين قعدوه كانوا يفعلون ذلك رغبة في الحصول على الشفاء. والظاهر ان احداً لم يبعأ برسائته وملكوته ولذا نراه ينظر الى الرجل أسفاً كثيراً وهو يمثل امامه الرأي العام الخرد عن الروحانية ويقول له: «ما لم تروا عجائب وآيات لن تؤمنوا»

أما الأب المسكين فلم يفهم. ولا يريد ان يفهم: «تعال يا سيد قبل ان يموت وحيدى!» ولم يشأ المسيح ان يردّ هذا الطلب وفي لحظة سرت قوة فكره الى ذلك البيت البعيد وحلق في عبي الرجل للطلب وقال: «اذهب انتك حي». وفي تلك النظرة لمح ما جعل الشك في نفسه مستحيلاً. وفي الصباح التالي عند ما أقبل فرسانه الى كفرناحوم تلقى الرسالة من زوجته وسألها قائلاً: قولي لي متى شي الغلام؟ فاجابته: صباحاً يا مولاي الساعة الساعة فارقتك الحلى

وقد عرف الصابط الميرودسى ان في تلك الساعة عينها قال له يسوع «ابنك حي» فلئن هو وأهل بيته. وكسوا اكثر من حيلة ولدم. وصارت تلك العائلة التي لم ترّ وجه المسيح تلاميذه الاولين في مدينة كفرناحوم عن طريق الامتنان لهذا الصبي الجميل. وعن طريق هذا الامتنان يحصل الله على خيرة تلاميذه «ماذا أرد للرب من اجل جميع حسناته التي صنعها بي؟»

وهكذا ينتهي دور قلّيد هيرودس وأسرته ولكن قد يجرأ الباحث على الادلاء بفكرة قوامها الخدس والتخمين فقط:

يُذكر في قصة الانجيل بعد ذلك اثنان من رجال هيرودس: منان الذي تربي مع هيرودس والذي كان زميلاً لمرسول بولس . وقبل ذلك قرأ عن «يونا امرأة خوري» وكيل هيرودس التي خدمته بجلالها ، والتي ذهبت الى القبر في صباح يوم القيامة لتزور على المسيح للآث . وقد تساءل الانسان عما اذا كانت هذه هي بعينها زوجة قائد هيرودس وام ذلك الولد المسكين الذي كان مريضاً بالجنون في كفرناحوم لان الامهات كنّ كما هي الآن — أول من اجتنبهن للمسيح

* * *

و بعد قليل أتبع لاسرة ذلك القائد النبيل ان تشكر السيد شخصياً . وقع العين بعد بلدة قانا على طريق البحيرة تتلوى فوق التحدلات الى كفرناحوم وسط أرض وعرة حلوية لها حقلها الحاصل حيث تمتدح الاعشاب البرية عن أزهار بدبية في فصل الربيع . واستطيع ان أتصور ذلك «النبيل» يستحث جواده على السير ليود الى ولده . واستطيع ان أرى السيد نفسه بعد أيام قلائل يسير في هذه الطريق عينا يبدأ خدمته العامة في الجليل وعلى مسافة اميال يظهر من ثغرة في التلال منظر البحيرة ممتدة تحت سفوحها، وكوردين وبيت صيدا وكفرناحوم مشبكة كمنفود من العنب على الضفة الغربية . وأتصور بطرس واندراوس وفيلبس وغيرهم يأتون لللاقاته في الطريق، وبعد اُسكان كفرناحوم جماعات لرؤية مواطنيهم وهم عائلون برقة العلم الغريب عن بيتهم

وهناك أيضاً جُل من جبهة الاموال يدعى «مقي» يؤدي وظيفته في الطريق العام د بما في ذلك اليوم عينه الذي وقد فيه ذلك الطارق الغريب . وبعد سوات تذكر متى هذه الزيارة وأدرك أهميتها فكتب في بشارته «..... وأنى فسكن في كفرناحوم التي عند البحر في تخوم زبولون وختالم . لكي يتم ما قيل باشعيا النبي القتال ارض دبولون وأرض ختالم طريق البحر عبر الاردن حليل الامم . انشب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً . والجالسون في كورة الموت وظلاله اشرق عليهم نور »
هكذا جاء يسوع الى كفرناحوم

الفصل الثاني

كفرناحوم على شاطئ البحر

كفرناحوم على صفة البحيرة : هي تلك المدينة الصغيرة ، التي اشتهرت بصيد الاسماك في ولاية الجليل ، والتي اتخذها يسوع موطناً ثانياً له ، والسرّح الذي تمثّل على أديمه أشهر القاصيص وروايات الانجيل . هي بقعة من الارض نالها من شرف الذكوري وعجد التاريخ ما لم يتوفر لبقعة مساها . « وانت يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبعيت الى اليوم » ولكي يسهل عليك تتبع خدمة يسوع في الجليل ، لاندح لك عن رؤية الجليل ، ورؤية البحيرة ، ورؤية كفرناحوم^(١)



والجليل هو الحصنة العالية الى ناحية الشمال بين الجبال . وكان الشمال والجنوب يشعان الواحد الآخر . وأهل الشمال في مستوى أحط في نظر أهل الجنوب من دليل القول « انه لم يحم نبي من الجليل » — « أمن الناصرة يمكن ان يكون شي صالح » وقد احضر أهل يهوذا ثقافة أهل الجليل . وعزأوا بلهجتهم وكلامهم . وكان الجليلي في اورشليم معروفاً في ذلك العصر بلهجة كلامه (كما يعرف الصعيدي مثلاً اذا جاء مدينة القاهرة) . ولهذا اسبب عُرف بطرس وقت محاكمة المسيح « انت جليلي فان لعنتك تظهرك »

(١) وقد أجمع غالبية علماء الكتاب المقدس على أن الحرائب التي يطلق عليها اليوم « تلحوم » في الناحية الشمالية الغربية من البحيرة هي موقع كفرناحوم القديمة

أما أهل الجليل ، سكان المضارب الأحرار الذين جبلوا على العزة والكبرياء ، قد استأزوا من هذا الموقف . ولم يكن استمرازم بدون سبب ، فهم الوطنيون المتحمسون الذين لم ترصخ رقائهم لذل القاصيين ، فيما خنع أهل يهوذا وارتقصوا الظلم والامتهان . ويقول صهم يوسيفوس : « لم نحل بلادهم من الاطال البولس » . ويقول التلمود اليهودي : « امتأزوا عن أهل الجنوب بحرصهم على الشرف والكرامة أكثر من المال » . ولعل هنا هو اسب الذي حنا بالمسيح الى ان يتخذ الجليل مهداً لكرائته . لانه ، وهو جليلي ، رحل الى الجليل بعد مصموديته وخير اورشليم وأهلها ، وجذب سمعة اشتهر في نواحي يهوذا . ولطه كان يفصل في تلك الفترة بين الشمال والجنوب . ولما استقر على رأي ودأ للوعد « جاء يسوع الى الجليل يكرز بشاراة ملكوت الله » . ويقول قد كل الزمان واقرب ملكوت الله . فتروا وآمنوا بالانجيل »

وكان الجليل فخوراً بحيرة السيم وورقه الوفير فهو « لرض اشير وشتالي » حيث توفرت المياه الجارية في الانهار المحدرة من جبال لبنان ، والقائنة في السيوف المتضجرة من بطون الجبال

وكان الاقليم زراعياً خصيباً حفل بالقرى والضيع للثأرة ، تحوطه شعوب وام عنية ، وتثشق سهوله أشهر الطرق المروقة في العالم القديم . ولم يكن دحان السكة الحديد قد ملأ يد على روعة تلك الطرق وجمالها الطبيعي

تلك الطرق البيضاء العظيمة ، الخائفة بالالوان المتناقضة ، المكتظة بالحركة للمسترة — هي أحى ما في الصورة من جبال . فهناك طريق القوافل الكبرى بين دمشق والحر الابيض للتوسط ، طريق البحر للشهور الذي اشار اليه اشعيا بقوله « طريق البحر ، عبر الاردن ، حليل الام » . وكان الرومان قد صدوه ومهلوه . وفرضوا المكوس على المصانع السائرة فيه . وفي احلى محاط ذلك الطريق عند كفرناحوم جلس متى العشار يتقاضى للمكوس والضرائب — وهناك الطريق الشرقي القادم رأساً من بلاد العرب — والطريق الجنوبي الكبير التارل ، الذي

سار فيه التجار للدبايون قديماً يوم حملوا يوسف معهم في غفلتهم وباعوه الى
 فوطيفار رئيس حرس عاهل مصر ، الطريق الذي اكتسب كل يوم منذ عصر ابراهيم
 بنو اهل التجارة الحمة جالفاً والحرد والموظفين الرعيين والسافرين من بلدان كثيرة
 وكان تلك الطرق الرئيسية القصل في وصل الجليل بالعالم الخارجي . وربما
 فكر يسوع في هذا عينه يوم اختار لجليل مسرحاً عاماً لخدمته . ويقول سائح شهير
 في هذا العصر : « كان منظر تلك الطرق الارية المظلمة أشد الاشياء استمارة
 انصبي في الجليل ، ليس فقط لانه قد وطئها اقدام الآباء الاولين ، وسارت على
 أديمها مركبات اشود ورومية ، بل لان في هذه الطرقات الصاعدة والنارية وقع نظر
 يسوع على تلك الاشباح الحائلة التي سجلها في أمثاله وقصصه . فيها سار التاجر
 الغني الذي كان يسمى وراء الآلى ، الغنية . وفيها رحل الملك ليتسلم ملكه . وسار
 الصديق في رحلته ، وفاجأ رب الدار عبيده ، وعاد الابن الضال من الأرض البعيدة .
 أجل ، « الأرض البعيدة » فلشد ما تشعب عمق معنى هذه الكلمة التي قالها المسيح
 مراراً وانت واقف في روع الجليل الى جانب إحدى الطرق الرئيسية ، تلك
 الطرق التي حملت الارحل الطائفة المتسارعة من مواطن اشير وعتالي الودعة للتدنية ،
 الى مدائن فيديقية للتهشكة الفلسفة ، الطرق التي اتسنت في عصور القدم برومية
 وبابل !

ولذلك هند ما رسم صورة يسوع في الجليل لا مناص من أن تفكر في ما
 وراءها ، في تلك القبائل البعلية الرافلة في مرجها ، والبلاد المشرقة في مهبجتها ،
 والحيلة النشطة في حركتها الدائمة ، واحتاس الشعوب والامم السائرة جيئة وذهاباً
 على مسرح الحياة ، والى « البلاد البعيدة » . ويهدأ يسهل علينا فهم حياته المزدهرة
 الحافلة بالألوان المتكاثرة ، والجاهور التي كانت تتألب عليه للاحاطق به في كل
 ازمة خطيرة

بل علينا أن نشهد بحيرة الحليل ، قلب هذا المشهد . وكذا الوطن الذي اختاره
 نفسه ، كفرناحوم الجائحة على شاطئه . تلك البحيرة

والقو أولاً نظرة على بحيرة الجليل : انظر الى واد عميق ، وعميق جداً ، يقطع فلسطين كلها من شمالها الى جنوبها . وفي بطن هذا الوادي يسير نهر الاردن . وهناك في هذا الوادي المنيق ، على مقربة من نقطة ابتدائه في الجليل ، وعدد سمح الجبل ، وفي منخفض يهبط الى ثمانين وستائة من الامتار تحت سطح البحر - تنبسط بحيرة الجليل ، بحيرة صغيرة قلغ مساحتها حوالي اثني عشر ميلاً في ستة أميال . والله ليصحب على المرء أن يتصور انه حول تلك البحيرة الصغيرة مُثَلَّت أدوار قصة الانسانية !

والسائح اليوم لا يراها الاً مكاناً بلياً أحرد ، عليه مسحة من الجمال البري الماري . ومن حوامي الأسف حقاً أن يد التفسير والتبديل عشت به الى حد كبير . فان لمة الحكم التركي قد دعت هذا الاقليم صوراً طويلاً . فالحصى من الوحود رحال الجليل الدوازل الأشداء ، وديس على القلاحين ككلكل الفلم والاعساف ثانت في قومهم حدوة النشاط والعمل . وقطعت الاشجار الناقسة في غير رحمة ولا شفقة . وكل بلد يسكنه شعب مفلوم منتصب ، وكل أرض تترى عن أشجارها ، مصيرها أن تسمى كما أمسى الحليل !



وقد عرا العالم المسيحي رحة الخجل مدة ألف سنة . وهو يرى الارض للقدس التي سار في ر بوها ابن الله ، هباً في أيدي القساة الظالمين . ومنذ ثنائي مائة سنة نهض بطرس النلسك وأخذ يستحث فرسان العالم المسيحي للقيام بالحملة الصليبية الاولى . وقد عتب تلك الحملة الاولى ثانية فثاثة الى اسابعة . وقد سجل التاريخ لتلك الحملات أروع افاصيصه واقتربت بذكرى الانطال الذين تفتت العصور باصماتهم امثال « فردريك رباروسا » و « ملوين بيت للقدس » والسلطان صلاح الدين ورتشود قلب الاسد . بل قد سجل لنا التاريخ حملة صليبية للاحداث في العصور الوسطى ، قصة جميلة أحادة عن فر من الصبيان التحسين حرحوا من اوطانهم وسط هتاف الجماهير ليقتوا الموت في الطريق ، أو يقتوا في اسر قرصان الجزائر

وقد بادت الحروب الصليبية بالفشل. وظلت الارض للقدس في قبضة الاتراك. ولكن حادثاً خطيراً حدث بعد ذلك. فانه بعد الحملات الصليبية السبع، وبعد فشل امتد الى ألف سنة — بشت انكاثرا بحملتها الصليبية الثامنة، وفازت انكاثرا في هذه المرة! وانا نميش في عصر حافل بالمعاني حقاً. فانا في نهاية الحرب العظمى، وسط حلف النصر، وقرعة عروش الامبراطوريات المتناثرة، لم نر الى هذا الحدث الجلل في الارض للقدس الصاعك. قد كسبت الحملة الصليبية الاخيرة لواء النصر. وتحررت الارض للقدس من قيود الاسر. وعادت الى فلسطين مرة اخرى فرصتها في الحياة. ومن يدري ما تبطنه الايام في المستقبل: أنعيد فلسطين قصة عهدها القديم؟ أيسوطها مرة أخرى ذلك الخنس الذي عاش فيها من قبل؟ أترى ثانية نصير حنة الرب، الارض الجميلة التي عرفها يسوع في حياته على الارض؟

لان في عصر يسوع كان الجليل غير الاقليم الحالي. فقد حدثنا عن جماله يوسيفوس وغيره من الرحلة. وكان في البلاد المارية الآن عن أشعارها غابات واحراش، وكان بدل المسقعات جنان فيحاء، وكان بدل الضياع الوسيعة المتناثرة كما تراها اليوم مدائن زاهرة تحتل على صقاف البحيرة. ولا يرى السائح اليوم الا ضعة من الزوراق الصغيرة، وقد كان في ذلك العصر اسطول للسيد، وصنادل للثك وقالاته، وورارق الزهرة من مدينة طبرية العظيمة وغيرها من المدن

وكانت تجارة الاسماك ناشطة راهرة، واشتهر سمك البحيرة في اورشليم ومدن سوريا ورومية قسما. وازدهرت النباتات والزروعات حول البحيرة حتى كانت تحسب معجزة من المعجزات. لان الطبيعة كما يقول يوسيفوس قد جمعت في تلك البقعة نباتات من كل الزقاق والاصقاع. فلي شاطئ البحيرة الحار عت هواكه المالح الحارة. ثم يتدرج القفس فتعدد معه انواع القواكه والثمار بحسب الجو للالئم لثمها، وتثمر تلك الاشجار للتنوعة عشرة اشهر في السنة. ويقول أحبار اليهود: ان الرب الاله خلق سبعة بحار، ولكن بحر الجليل هو مسرة نفسه!

فالبلد الذي يصفه الشير في قصته ليس هو فلسطين القراء كما نهدم اليوم، بل هو الأقليم للشرق اللامع، بهجة العين وعبطة الفؤاد

* * *

والآن لنصع كغرناحوم في الصورة: فارجح بمحيطك الى عصر المسيح، وقف عند حافة البحيرة حيث كانت تمشأ الاممك لتصلبرها الى الدائن الكبري. وأوقع بصرك شمالاً الى حال حرمون وقمها للكسوة بتيجان التسلوج البيضاء. ثم انتقل في رورق الى حة الشمال في محاذلة الشاطئ انجري. فخر في طريقك بقرى زاهرة لا يبتينا من أمرها شيئاً. وبعد ان تقطع ستة أميال تحميء الى طرية المدينة البيضاء الجنية، موطن هيرودس، وعاصمة الجليل السياسية— وهي مدينة طرونة مبهجة، تتمرح فيها الوثنية مع اليهودية، ترى في طرقاتها الجنود واللوطيين في ثيابهم الرسمية اللامعة، ورجال اسلاط الملوكي في عظمة وخيلاء— ترى فيها الماهرات للصوغه وحوهين، ومباهج الحياة الرومانية الجنية الآتمة التي تظهر فتحتها عادة في الاماكن الواقعة على مجاري المياه. ووراء المدينة مصحة عمواس التي كان يحميها المرضى الاعيان اللومرون من كل انحاء البلاد للاستشفاء في ينابيعها الحارة. فان أنت تولاك شيء من العنش لكثرة الرضى الذين سحتهم قصة كغرناحوم، فاذكر ان مصحة عمواس كانت على مسافة بضعة أميال من هذه المدينة

واذ ترحل من طرية شمالاً الى الزاوية الشمالية الغربية من البحيرة ترى الجروف العالية وقد أخذت في الانحدار لينبسط أمامك سهل جنيسارت الحصب. وعند بداية هذا الانحدار تقع قرية محدل وهنا تدخل مريم المجدلية في القصة. وعلى مسافة ميلين تقع كوردين وبيت صيدا وكغرناحوم، وهي مدن ثلاث متاحة لبعضها ذكرت معاً— فالويل لك يا كوردين! الويل لك يا بيت صيدا! وأنت يا كغرناحوم! المرقعة الى السماء! »

ثم ألقوا الرسالة على بضعة أمتر من الشاطئ، حيث روارق الصيد النشيمة، القعبة في شكلها، تتدافع في الماء، والبحارة يتصايحون معاً، والأطفال يتصاحكون

و«ينوب القلاع في الرمال . وانت تقف هنا حيث حدث يسوع سامعيه يوم
اجتمع اليه جوع كثيرة حتى انه دخل السمية وحلّس والجمع كله وقف على
الشاطئ» فكلمهم كثيراً بأمثال»

ومن هذه البقرة التي أنت واقف عليها ترى امامك مدينة كفرناحوم بين
أشجارها وجنائها ، وعلى منحدر الجبل فوقها ثكنات الحرس الروماني التي كانت
مكرهة الشعب . ولكن قائد الثكنة صديق موال ، قائد وثي يطف و يميل الى
دين الله «يجب أمتنا وهو يني لنا الخمج» . وفي طرقات المدينة تقع العين على الخمج
الابيض الذي بنه ذلك القائد لشعب اليهود ، والذي كرز فيه يسوع مراراً عديدة
أيام السبت . وعلى سفوح التل دور العطاء والكبراء ، وسط حدائقها التبعث .
هناك سكنى يا يرس رئيس الخمج ، الرجل الشريف الذي كان له ابنة مريضة . وفي
دار من تلك الدور الجميلة دخل يسوع لعشاء مع سمعان القريني الذي يوم دخلت
عليه امرأة خاطئة «وعسلت قدميه بدموعها ومسحتها بشر رأسها»

والآن ارض بصرك وراء هذه الطرقات الصغيرة للقوية والحوايت للفتوحة ،
وراء تلك البناء الصغيرة المكتظة بالشرع الرمادية للطوية . هناك ترى بيت صيدا
ومنتاها مدينة الميادين وقد كانت في الواقع حراً من كفرناحوم . وفي هذه المدينة
يسكن رندي الشيخ العجور ، ومعلم الصيادين . وهو يملك عدة من روارق الصيد
مع ولديه يعقوب ويوحنا وأمه سالومة التي سنعرفها فيما بعد أما طليحة «لم ولدي
زبدي» تسعى لان يحتل ولداها مكانة رفيعة في الملكوت

وهناك ايضاً دار سمعان بطرس التي كان يقطنها مع أسرته ، ومنه حماته وانخوه
الشاب اندراوس . واحلق سطرلك في تلك الدار لان وراء احدى نوافذها اسرفة
الصغيرة المقدسة التي كان يقم فيها يسوع كلما جاء الى اورشليم . ومن سقف تلك
الدار دُعي الرجل للعلاج بحال امام يسوع . وفي فائه عند مدخل الباب احتج
جمهور كفرناحوم يوم اتى ذلك الكسيح العليل امام ناظره
ثم انظر ايضاً الى اليمن ، حيث تمتد الطريق الرومانية البيضاء ، طريق البحر ،

من دمشق الى البحر الابيض المتوسط ، وتدور حول شواطئ البحيرة الشمالية .
التي سار فيها اليوم كله حود ومسافرون وقوافل سورية تحمل للتاجر الشرقية الى
أوربا . وكان الرومان يجهون الضرائب على تلك للتاجر . هناك تقع عينك في ذلك
الطريق ، عند اقترابها من المدينة ، على شعار النسر الذهبي منطاولاً فوق دار
الحماية حيث جلس متى بن حلي للمروف لنا يأخذ العشور والضرائب



ثم دُرّ الى الجين وارسل بصرك عبر المياه ، الى المنظر الذي رآه بطرس كلما
فتح باب داره ، المنظر الذي نلّ مرسوماً في مخيلة الرسل عند ما فكروا بهدئ في
سرد قصة يسوع في الجليل

وعبر البحيرة ، على مسافة ستة أميال ، ترى العين بلاد الجديريين الوعرة ،
تبلى في منحدرات ومرتععات في الاخق . وهناك رست السفينة في كل مرة
كان يذهب فيها المسيح مع تلاميذه الى الشاطئ الآخر . وفوق تلك الجبال قصي
مرة للجليل كله يسلي الله . وهناك التقى به المحبون الماشم في القبور . ومن فوق تلك
للمحدرات الجرداء «اندفع قطيع الخنازير من على الجرف الى البحر ومات في المياه»
وقال الناس ان الشياطين قد مستها . وفي الدحية الجنوبية ارض حاصور ،
حروشة الامم ، للمروعة في تاريخ اسرائيل ، حيث سارع سبيرا رئيس جيش ملك
كنتم الى شيمة يا عميل امرأة حابر القيني ليبل شغنيه المحترقين . وفي الناحية
الشمالية «موضع الخلاء» وتقول التقاليد انه للكان الذي احتشد فيه الحمة آلاف
الذين تنوعا يسوع يوم أخذ تلاميذه وقال لهم : «تعالوا أتم منبردين الى موضع
خلاء واستريحوا قليلاً»

وفي مياه البحيرة الساقية كدّ التلاميذ لكسب عيشهم . وهناك جلس يسوع
في السفينة يعلم الجموع ، وهناك اجريت معجزة صيد السمك الكثير ، وهناك إيان
احدى الزوابع العجائية العاتية استولى الدر على التلاميذ خاء السيد الى نحلهم
ماشياً فوق الماء ، وهناك ايضاً في صباح اليوم التالي للقيامة ظهر هم اسيد الذي

كانوا قد رأوه مملوياً فصرخ يوحنا زملائه : « هو الرب ! » فارتدى طرس منذر
الصيد واندفع اليه كالسهم خائساً في اللاء

ارسم هذه الصورة جيداً في محبتك : مدائن العيد المزدهجة والزوارق راسية
على مراقبها الصغيرة ، مياه البحيرة الزرقاء وقد اكتشفتها التلال والآكام من كل
حذب ، أرض الحدويين الوعرة الحرداء في السحبة المقابلة — تصور كل هذا في
محبتك ففهم قصة الانجيل عن يسوع في كفرناحوم



الفصل الثالث

دعوة الاربعة

يذكر الشير مرقس دعوة الرسل الاولين في مستهل قصة كفرناحوم .
والظاهر ان بطرس الذي يُعنى بهذه الحادثة كل العناية قد أتباع
اتها كانت بداية الاشياء . ونرى أمامنا قصة مختصرة عاجلة ، يردّها الشير متى
ينسها وفصفا . أما كنيسته اسطورية فقد كان لديها بيان لوفى عن هذه القصة يرويها
لنا الشير لوقا . فلا مناص لنا من سبك الروايتين معاً :

وليس شك انه كان من بواعث العسطة لدى الاصدقاء الصيادين انشبان ابن
يلتقوا بسيدهم المحبوب مرة اخرى في ذلك اليوم عند محيى الى كفرناحوم . غير ان
افراح اللقاء ومستزمات اصيافة لا تليق الدعوة للخدمة الى الواجب والعمل . ولما
رأى الصيادين بدلية او اثنين يخرجون مع شركائهم الى عرض البحر للصيد .
وكانت ليلة نحس للصيادين وكان البحر قد خلا من أسماكها ، وتمزقت الشباك
وامتلأت بالمال . وفي الصباح التالي ترى سفيتين واثنين على الشاطئ .
« والصيادون قد خرجوا مبها وعصوا الشباك » . أما يسوع فكان قد خرج الى
شاطئ البحيرة وازدحم حوله سكان المدينة يتسألون في دهشة ، ويلحون عليه لسماع
كلمة الله . ولم تكن قد أخذتهم مدحى مطالبته بالمصبرات لانهم كانوا يشعرون
بالحياء امام ذلك القريب الطارق الذي لم يعرفوه بعد . أما يسوع فاراداد جاك لم
وهم على هذه الحال ، لان لديه صماً للشريعة اعظم من مجرد ابراء الاوصاف الجسدية
وها أنا أراه قد دخل احدى السفيتين وكانت لسمعان . وطلب منه ان يبعد
عن البر قليلاً . أما الجموع فقد وقفت على الشاطئ . تمتد انظارهم الى البحيرة
المتعكسة عليها اشعة الشمس ، وإلى الجبال المسفراء للتاخة لها . ومن السفينة
أخذ يطعمهم

وبعد أن فرغ من التعليم حدث حادث : فلما يسوع يقوى على التكبير في صغار الأشياء حتى وهو مهلك في أفكار الأمور . وهو لم يسأل أولئك السبادين الثمان والثلثة للصنعة التي قصوها في حده عقيم غير مستج . وقد عرف يسوع أثر هذا القتل في نفوس طبقة المال الفقراء . «ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعده الى صمن والقوا شباككم للصيد . فأجاب سمعان وقال له يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً . ولكن على كلمتك ألقى الشباك» ولم يكن هذا مجرد استسلام من رجل مصي يائس . فانه قد عرف السيد حتى المرفة . وكأنه يقول : «لم نهر ببحير اليلة الماضية ، ولا ندل بواند الحلال على نور اليوم ، اما وقد أمرتنا أنت فهذا شيء آخر»

«ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً فصارت شباكهم تنحرق . فأشاروا الى شركتهم الذين في السفينة الأخرى ان يأتوا ويساعدوهم . فأتوا وملأوا السميجين حتى احدهما في السرق . فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتي يسوع قائلاً اخرج من سفيتي يارب لاني رجل خاطيء . إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أحلوه . وكذلك ايساً بقوب وبوحنا انا ردي اللذان كانا شركتي سمعان . فقال يسوع لسمعان لا تخف . من الآن تكون تصطاد الناس» (لوقا ٦: ٥-١٠)

ولا يفر من ص البال ان تصداً واحداً تخلل هذه القصة ألا وهو تقرب الرجال الذين كان مزمعاً أن يبعدهم بتعريض مشروعه الخطير . وكان قد بدأ فعلاً بان يدرهم ، وأن يدهلهم ، على أن يريد من هذا التحويل في المستقبل . وفي ذلك اليوم ما كانوا قد صلتوا بعد الى ان هذا الذي ملأ شباكهم صحر قوته وارادته هو بيمينه الذي خلق السمك وكل المخلوقات التي تسبح في البحار



وتلك الصرخة « اخرج من سفيتي ! » - أليست تنم عن حقيقة بطرس المتدفع ، وهي أشبه بقولته المصطربة التي طاهها بعد وهو فوق جبل التجلي ،

يوم لم يدرك ما قال . والحق ان هذا الطلب آخر ما يفكر فيه بطرس . وما هذا القول الا رعدة نفس مأخوذة متأثرة تشعر بصفها أمام رغبة هذه القوة ، وخطيتها بمحصر هذه القداسة الظاهرة البسيطة . وكان بطرس قد رأى الكثير مما ولّغ هذا الشعور الرهيب تجاه يسوع . أما الذي دفع بطرس الى ان يمر عند قدمي يسوع في ذلك اليوم فهو شيء آخر غير معجزة صيد السمك الكبير .

وفي أحوال كثيرة لا بأحدا يسوع هذا بالقولنا وكلماتنا . وما ان يسمع من بطرس « اخرج من سميتي يا رب لانني رجل حاسي » حتى يقول له . « لا تخف من الآن تكون تصطاد الناس » . وفي هذا دليل على ان يسوع كان يرمي الى غرض أسد . من مجرد اتعويض عن ليلة صادفهم فيها نفس الطالع في السيد . فهو كان قد بدأ يدرهم لتوقع أيام حافلة بأسباب الحياة والفشل . وكانت الدلائل تنبئ عن قليل من الحظ في الصيد ولكن يسوع كان معهم فاستلأت شياهم حتى تفرقت . ومن هذا أراد أن يفتهم امثلة . ولهم تذكروا هذه المعجزة فيها بعد كمثل من امثلة التشجيع والاسعاد : « من الآن تكون تصطاد الناس » . بل لهم تذكروا المعجزة يوم الحسين ، يوم وقف بطرس سادياً في الجمع الحشد في مدينة اورشليم ، بين الذين صلبوا سيده ور به ، فخرج ثلاثة آلاف من الاعداء . امثلة الشاك حتى تفرقت ١ واستطيع ان اتيهم تلك الليلة مهوتين مذهولين ، متسائلين وقائلين : ألمه هو نفسه معنا هذه الليلة بشكل غير منظور ؟ انذكر يا بطرس تلك الليلة في كرم ، يوم كنا لا نتوقع العفر بشيء من السمك ؟ ألمه كان يقصد ما نراه اليوم في قوله : تصطادون الناس . وقد قال انه سيكون معنا دائماً . هل كان معنا اليوم ؟ وهل عادت تلك الايام القديمة ؟



« من الآن تكون تصطاد الناس » وليس شك ان بطرس عرف ان هذا تلميح الى الدعوة التي كان مرماً ان يتلقاها . وليس شك ان ذاك الذي ارتقى عند قدمي يسوع مثقلاً بعبء خطايه قد نهض وهو أكثر لياقة لهبته القدسة .

ولكن لم تكن تلك الساعة فرصة ملائمة للدعوة الخطيرة . ولم يكن اولئك يومئذ قديسين متكفين ، على استعداد للانتقال في الرؤى والاحلام الروحية . فقد كانوا صيادين مهملين في اعمالهم . عليهم ان ينظفوا سفنهم ، ويصلحوا شباكهم ، ويسندوا رسالات الاسماك في عبواتها الى طبرية ولورشليم . وبعد ان فرغ القوم من هذه الاعمال كلها التفت يسوع الى سمعان واخيه اندراوس وقال لهما : « هلم ورائي فاحطلكم تصيرون صيادي الناس » ثم انتقل الى السفينة الاخرى حيث كانت اشركاه يصلحون شباكهم المتخرقة حيث رأى يعقوب بن زبدي ويوسا اسلمه « فديعاهما الوقت فتركاهما زبدي في السفينة مع الاجري وذهبا وراه »

وقد قبلوا هذه الدعوة لا كجرد تلاميذ ، متعلمين ، بل كساعدين ودملاء له في خدمته وعمله . وكانت تلك خطوة اخرى لما بدأه معهم يوم التقي بهم على صفاة الاردن منذ ستة شهور ، يوم جلس اثنان منهم معه في غرفته الصغيرة واستمعا الى آرائه الحاسية عن مستقبل العالم ، هبيل امامها العالم كله

هنا بداية ملكوت الله ! ألم تكن بداية صيغة هزيلة ؟ وماذا عساه يقول عنها رجل العالم المادي اذ يرى خسة من الرجال يمشون في الطريق في قرية صغيرة ، في رواية من روايا العالم ، احدهم تنقد في قبه نار الحاس وهو ينظر الى نفسه كمرسل لتأسيس ملكوت الله . واما الاربية الآخرون هسيادون ، جهلاء ، قد وقصروا تحت سحر جاذبيته دون ان يدروا اني يذهبون او ماذا يعملون . واما زبدي الشيخ العجوز الحائر فمحلس في سفينة مع الاجري يهز رأسه المحنكة متسائلاً متى يعود اولاده الطائشون الى رشدهم ويرجعون الى عملهم

ولكن انق نظرة اليوم على نور التاريخ الحديث ! « حقاً ان جهالة الله احكم من الناس ، وصف الله اقوى من الناس ! »



الفصل الرابع

السبت الاول

يذكر البشير مرقس في العمل الاول من اشارته بياناً عن امست الاول الذي قصه للسبح في كفرناحوم ، يوم طهر علانية للمرة الاولى في الجمع ، ويوم أعلن في الجليل الفرض من بعثه . وكانت الخدمة الصباحية في الجمع تبدأ عادة في الساعة التاسعة . وكان الناس يأمنه كما يقول اجبار اليهود « يذهبون على عمل الى الجمع ويرحون على حل الى بيوتهم وهم يحكمون » . وها انا أرى القرويين في ذلك الصباح يسرون في كل الطرقات للزوجة الى الجمع الابيض القائم على التل . وهم لا يختلفون عن أي جمع من سكان القرى في هذا العصر الا في ملايهم التي ارتدوها . ها انا ارى الفلاحين والصيادين يمشون زرافات مع افراد أسرهم . وبينهم « رندي » الشيخ العجوز في ثياب الست مصطحباً زوجته وولديه الاكبرين يعقوب ويوحنا ، واندراوس سائرًا مع بطرس وأسرته وربما كان السيد نفسه مع هذا الفريق . وكان ايعاز « بارس » رئيس الجمع من المدينة العليا والقائد الذي كان ولده مريضاً بالحصى في كفرناحوم ، يصحبه بلا شك زوجته وأم الولد ترى وتسمع ذاك الذي اهد فلة كبدتها من الموت . . . كانت الطرقات عامرة بالمرور في الزمان راحية وكان الجمع في ذلك اليوم بالذات حافلاً بالجموع حتى ابوابه الخارجية لانهم عرفوا ان ذلك الصيف القريب سوف يكون هناك . وقد كان من عادة رئيس الجمع ان يدعو أي راثر غريب ذا شهرة للحطانة والوعظ والآثام في الجمع . ولو اتسع لي المجال لاعطيت القارىء بياناً وافياً عن تفاصيل الخدمة : يغف رئيس الكهنة ويبدأ بالملوات . فاصم الى الصلاة الافتتاحية كما طرقت اذني يسوع في ذلك اليوم :

«مبارك أنت يا رب . ملك العالم . يا من اشأت النور ونظمت الظلمة . يا من
تسبح السلام وتحقق كل شيء مبارك الرب الهنا لاجل ايجاد صنع يديه .
ولاجل مصادر الانوار التي جعلها لحمة وتسيحه . آمين »
ثم الصلاة الثانية :

« محب عظيم قد أحسنا ايها الرب الهنا . وبشفعة متدقة قد أشعقت علينا
يا ابانا وملسكنا . لاجل آياتنا الذين اكلوا عليك ارحمنا وعلمنا . أثر اسرارنا
نلموسك وحد قلوبنا لتحبك ونخاف اسمك . لانك انت اله تد لنا خلاصا .
وقد اخترنا لك من بين شعوب الارض مبارك الرب الذي من فيض محبته
قد اختار شعبه اسرائيل آمين »

وهكذا تسبح الصلوات . ويعقبها تلاوة قانون الايمان اليهودي القديم : « اسمع
يا اسرائيل : الرب الهك رب واحد . » الخ . وبعد قانون الايمان تدوي اجابة الشعب
بصوت عال . ويشترك فيها يسوع و بطرس و بولس مع الجماعة الحافظة :
« حقا انت الهنا والله آياتنا . ملكنا وملك آياتنا . محلمنا ومخلص آياتنا
الرب يملك العالم الى ابد الابد مبارك الرب محلم اسرائيل . آمين »
وانت تستطيع ان ترى يسوع والجماعة كلها يحمون رؤوسهم عند البركات
التي تبدأ هكذا :

« مبارك الرب الهنا ، اله آياتنا ، اله ابراهيم واسحق ويعقوب مبارك
انت ايها الرب ، فرس ابراهيم مبارك انت ايها الرب يا من نهي للوقى
انت قدوس واسمك قدوس آمين »

هكذا يجري نظام الخدمة الطقسية . ثم يعقبه «الدرس الاول والثاني» وبعد
الفراغ من الخدمة الطقسية «خدمة القندلس» يرى الكاهن يتقدم الى المذبح ويضع
كحل وقار وخشوع « حرج » سفر الشريعة ثم سفر الانبياء . وبعد قراءة سفر
الانبياء تلوذ العظة اذا كان في الجمع حبر من الاجلار او شخص له شهرة دائمة .

وها أرى الكاهن ينظر بعينيه الى الزائر الكريم الجالس في مقعد بطرس ويقول له : « ايها السيد : انا كل لنبيك كلمة نصح للشعب فحصل بالقلوب »

يقدم يسوع والكل يترقبونه بفارغ الصبر . ويبدأ بقراءة التوراة من سفر الانبياء . وكان يودعوا لوتور لدينا بيان واف لليلة التي اتقاها . ولالرجح ان ذلك لا يحجب علينا لوعرها فقط كيف نبحت عنها . لان الشائر تذكر لنا تفاصيل كثيرة من اقواله التي تقوه بها ، مبعثرة وغير مقترنة بدون تعيين الزمان او المكان . فمثلاً قد جمع البشير متى — وكان همه الاكثر مصرفاً الى تدوين اقواله — عدداً واحداً من هذه الاقوال بعد ذكره للوعظة على الجبل . وليس من المحتمل ان تكون الاقوال التي استقرت اربعة فصول من بشارة متى قد قيلت في وقت واحد . لانه لم يكن من عادة المسيح اتقاء المظلات المطولة . واذا اقبيا نظرة خلال اجراء تلك الخدمة الاتحاحية في مجمع كبرناحوم نرى مرقس البشير يصف الشطر الذي قام به المسيح بهذه اللفاظ « ... بهتوا من تعليمه لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالسنة »

وبعض هذه الاقوال التي تذكرها الآت تبدو لنا متعقة تماماً مع عهده الاتحاحية عن رسالته في الجليل . والذي تنصوده انه قد اعلان ملكوته اراد ان يدفع عن نفسه تهمة لصقت به بانه ينقض الناموس .

« لا تظنوا اني حثت لاقص الناموس او الانبياء . ما حثت لاقص بل لا كل » ثم سلطان هادي . ودين يرفع هذا الناموس القديم ويسمو به الى معنى اسمي وانبل . وفي هذا العمل من الجرأة والاعتماد ما فيه :

« قد سمعت في الناموس انه قيل للقدماء : لا تقتل . ومن يقتل يكون مستوجب الحكم . واما انا فاقول لكم ان كل من يغضب على اخيه باحلاً يكون مستوجب الحكم . قد سمعت انه قيل لا تزن . لا تحب . تحب قريبك وتبغض عدوك اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم ها انا اعلن لكم معاني ارقى واعنى لهذه الواميس كلها »

وانه لسلطان حرىء مقدم ان يقول معلم « اما انا فاقول لكم . . . » واذا صبح ما قلناه عن حديث كفرناحوم استطعنا ان نفهم مغزى قول الشير مرقس عن جمهور كفرناحوم : « هتوا من تعليمه لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة »

ويسوع لم يفرع قط من تلك المظلة ، لانه وهو ينكلم حدث تشويش واصطراب . اذ كان في الهيكل رجل مجنون به روح نجس ، رجل له شخصية مزدوجة - شخصيته وشخصية روح نجس متسلط عليه . فاحذ بصرخ . « آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري ؟ اء اعرفك من أنت ، قدوس الله ! »

وتستطيع ان تصور نفسك مقدار المرح والفرح الذي ساد في ذلك الهيكل والنسوة الخائفات والجلوع ينتصب لقرى ما الخبر . ولكنهم حين يعطرون الى يسوع يعادهم الهدوء والطأينة حالاً . لان عبيد المحدثين الرحومين ندمرضان هذا الخلق الناس فيخرج من فيه كلمات قوية بسلطان شديد صارم لهدم قوة الروح الشرير « اخرس واخرج ! »

« فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه . فقهروا كلهم حتى سأل بعضهم سحاً قائلين ما هذا ؟ ما هو هذا التعليم الجديد ؟ لانه سلطان يأمر حتى الارواح النجسة تطيعه ! »

* * *

ولم يته السبت بعد . وسار الجمهور للتحرير من الخمج الى بيوتهم في ذلك اليوم وهم يتحدثون عن الامور التي رأوها وسمعوها . وارى يعقوب ويوحنا ساترين مع السيد ومع بطرس . والذي يعلنه من كتاب اليهود انهم رجع تشبههم بفكرة حفظ السبت نشأاً شديداً ، كان من العادات القالة على الكرم والسخاء اقامة الولائم في ذلك اليوم . والظاهر ان يعقوب ويوحنا كانا مدعوين لشهداء في بيت بطرس لقائه السيد . فانه يسوع عن طريق اليباء « الى بيت صحن والندراوس مع يعقوب ويوحنا »

ولم يكن غذاء السبت قد أمد بعد . وكان البيت في حالة ارتباك واضطراب .
لان الحمى - وهي لمة ذلك الاقليم الحار للتاخم بحيرة الجليل - كانت قد سعت
مئات على ربة البيت حملة بطرس . فدخل السيد ووضع يديه عليها « فتركها الحمى
حالا وصارت تحلمهم »

وبعد ذلك حان ميعاد راحة السبت وكانت القوانين شديدة اذ كلن معروضا
ان يراعي الناس الهدوء التام حتى غروب الشمس . ولكن حتى « اذ غربت
الشمس » لم ينته الشهد . وكان السكان في منزل بطرس يتسمعون وقع اقدام
القادمين واحاديث المتهمين واصوات الجمع الحاشد وظفروا فاذا « المدينة كلها مجتمعة
على الباب » . وعلى اسفل والى حوائط اللياء حول الشباك المعلقة على اسفل
اجتمع المحومون مطروحين على حصر من اسوار والامهات بالمطبخ القوية المربعة ،
والرجال يقدون اولادهم الميئين ، والحائين تحسهم الايدي القوية منعاً لمياهم ،
ويسوع عند ابواب يشهد هذه المتناظر كلها

منظر أيم قانس منظر يثير كرامن الحس والاشفاق . عند الباب احتجت
الحبة الرحمة والعطف الحنون ، والرعة الصادقة للثوث والاسعاف ، الرغبة التي
تحمل البشرية ابانة لتباس مع الله . احتجت هذه كلها وبدت على وحوه ذلك
الجبور للترق الخيط بالرصى والتألمين من ذويه . وهنا يدنون على الاقل شيء
واحد في سر الالم : انه يبرر انصر الالهي في الاصلان . فان الآلام التي تحس بها
في قلوبنا بسبب آلام اعراسنا واحبابنا . ورغبتنا في المعونة والاسعاف وتصحية
الام لاجل وللمعا هذه كلها صور اسكاس قلب الآب السماوي ، هي التراتز
المغنية في نفس العالم يوم صبح الله الامسان على صورته

واحس يسوع يومئذ صلة معهم لان عطفهم لم يكن الا خلا لطفه الاكبر .
وفي كل البشرى هذا الدرس بارراً طاهراً ، عطف المسيح الرقيق الحنون حيال
آلام اشرك كافراد . واكثر من ذلك فاننا مع انه شفى للرصى يند مجهود كبير
من نفسه حتى قال مرة عند ما لمسه امرأة وشفت « لقد لمسي واحد لاني علمت ان

قوة قد خرجت مني». وحين كان يحول بين التآلين كان قلبه يحس عليهم ويتألم معهم. وها أنا أراه يحني لأخذ بين ذراعيه طفلاً مريضاً بينا الأم التالفة تبحث عن قدميه. وارى ولداً هزيراً سقيماً يقبل إليه راكعاً. والآنمى والمقد يدان له الأيدي. والرضى المحمومون ينظرون دورم للشعاع. وبينهم وبينهم يشعرون قوة تخرج منه. ولذا يرى الشير متى عندما يروي هذه القصة يعترف إليها معنى حديثاً من نبوة اشعيا القائلة: «أوجعنا حلماً. احزاننا تحلماً»: «هو أخذ اسقامنا وحمل امراضنا»



لا شك ان المسيح تمب تلك الليلة. والاطباء والرعاة يعرفون جيداً مقدار الجهد العصبي الذي يعيب الانسان بعد ساعات طويلة يقضيها وسط الآلام. اذا كان القلب يشارك حقيقة للتآلين في الآلام. وفصلاً عن ذلك فان السيد كان يبدل من قوته في شعاع الرضى. ولذا يحق لنا ان نعتقد انه كان متعباً جداً عند ما جلس على « الحسيو » في منزل بطرس تلك الليلة وهو يشعر شعور التعبلة لانه ادخل السعادة على القلوب ووهب الصحة للاحسام. ولكنه كان دائماً في حاجة الى أكثر من الراحة الجسدية. فانه قبل القبر «وفي الصباح باكراً جداً» أحس به بطرس يتسل من المنزل — وهذه ملاحظة في إشارة مرقس تدل على ان بطرس كان عوياً له في كتابة بشارته — وهناك — وقد برغت اشعة الفجر الذهبية على قن التنلل للنسطة تحت اقدامها البحرية بمجالها الهادي — وجد بطرس السيد جائياً فوق تربة الارض السمراء اللون يريح نفسه بالاتصال الهادي مع الآب. هذه كانت حاجة المسيح المستمرة في كل حياته الارضية. ولم يستطع البقاء طويلاً دون اشباع هذه الحاجة. وما احوجتنا نحن الى ذلك! ولذا يأمرنا دائماً أن نحافظ على صلتنا بالله على هذا النحر

وهناك على التل وصح مع بطرس ونانج رحلته الى قرى الجليل « لا كرز هناك أبداً لاني لهذا خرجت ». وهكذا بدأ رحلة أخرى لم يدون عنها شيء — فضلاً عن أخرى غير مسطورة من حياته الارضية — ولا شك انه تحمل هذه الرحلة

اقوال نجيحة لا سبيل لنا الى معرفتها قط ، واعمال القوة والحجة التي سوف لا نسمع
 عنها شيئاً . ويتبين من قصة كفرناحوم ان الحوادث كانت تتراحم مع بعضها في
 ايام عمله ومع ذلك لم نسمع عن رحلته الاخرادبة قبل مجيئه الى كفرناحوم الا
 معجزة واحدة هي شفاء ابن قائد الجسد . وفي هذه الرحلة التي قضى فيها رما شهراً
 او شهرين لا نجد الا حادثة واحدة هي شفاء ابرص

وهذا يحدث تكراراً . فان مراحل برمتها في حياته العملية تجمعي في صمت
 لا نسمع منها شيئاً . وانه لتريب هذا التصحط في قصة الانجيل ، فليس لدينا بيان
 مسطور الا مجرد لمحات بسيطة عن حياة السيد . وهذه الامور القليلة في حد ذاتها
 كافية بلا شك . فيقول يوحنا . « كنت هذه الامور لتؤمنوا انتم » . ثم ذكر
 ملاحظة في ختام بشارته ملزجها شيء من المصطلحات الشرقية تذكرنا باصول عبر
 لسطورة في حياته : « واشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبنا واحدة واحدة
 طست اظن ان العالم منه يسم ان كتبنا المكتوبة »



الفصل الخامس

لاكرامة لنبي في وطنه

تبعنا المسيح وهو يقتل في قرى الخليل من قرية الى اخرى حتى ادت به حائمة اللطاف ذات مساء الى الناصرة «حيث كان قد تربى» وهناك وقع ظره على الطريق العام الذي لعب فيه مع الصبيان الآخرين ، ومدرسة القرية التي تلقى فيها الدروس على يد الحبر القروي ، والثر التي حمل منها اللاه لأمه ، وحانوت التجارة والحقلاحين الذين سمع لهم الاميرة والمحارث ، والاصدقاء القديما الذين عطف عليهم وهو بعد صبي يافع ، والتلال التي جال فوق ربوعها في ايام شبابه الاولى نحوطة الاسرار العميقة عن كنهه حشته . ومهما كانت تبولاننا . ومهما كانت اختلالنا . فان البيت الصغير القوي ترعرع فيه هو احب الامكنة الينا ولشدها أثرآ في النفس

ومع انه لما يحس عليه سنة واحدة منذ هجر هذه الربوع والتقى بالمعبدان في البرية ، قد حيل اليه انها أشبه بنين طويلة لان احداثا كثيرة قد حلت به وغيبرت حياته كلية . كيف لا وقد هجر هذه الربوع شائنا قرويا نكتنفه اسرار للسفل ضاد اليها بعد احتاره المجهيب ، بعد اد ادرك انه مسيا الله ا

وتلك الايام القليلة التي فصلها هناك تحتاج الى شرح طويل : فبل جاء اليه في تلك الليلة اصدقاء الطقوة القديما ليحيوا مواطنهم الشاب الذي داع صيته تحية الاحترام والاعطف ؟ وهل كانت أمه لا تزال قاطنة في ذلك البيت القديم وراء حانوت التجارة ؟ لتعكر في لقااته اياها في هذه الظروف وجلسه الى جانبها يحديثها الى منتصف الليل عن الشؤون التي كانت « تفكر بها في قلبها » طيلة السنين منذ انبأها لللاك جبرائيل

أما الكتاب المقدس فيلقي قناعاً على هذه الأمور ربما خشية أن تتناول
وتنظر في بحث إنسانية ابن الله !

وكل ما قيل لنا تلك القصة الحجة الأنيقة ، قصة زيارته للمجمع يوم السبت .
والوسط هنا يشبه وسط مجمع كمر ناعوم . فالجمع حاشد ، والشاعر حائجة ، والحجر
يدعوه لقراءة فصل من السر المقدس . وكانت المصادفة العجيبة أن فتح الترح وقرأ
من سفر أشعيا الفصل الحادي والستين :

«روح السيد الرب عليّ . لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني
لأعصب منكسري القلب . لأنادي للمسيحين بالنعق وللمأسورين بالإطلاق . لأنادي
بسنة مقبولة للرب »

ثم طوى السفر وأعطاه للخادم وحطس ، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم
شاحصة إليه . وساد سكوت عميق . ولشد ما كانت التعتة عند ما أعلن في
صوت ررين هادي :

« انه اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم »
هذا كل ما حوّن في اللوعة . وفيه الكفاية . هو تأكيد بأنه هو السيد
الذي حلم به شعب اسرائيل مدى الاجيال ، وأعلان بعثته للنظرية على العطف
والنعمة والبر .

ولاشك ان هذا الاعلان قد ادهشهم . ولكننا نعلم انه قد مسّ قلوبهم
بطريقة القائه . لانه رغم تعصّبهم وشهائهم «كلّ الجميع يسمعون من كلمات النعمة
الخارجة من فيه» وقد بدت هذه القوة الشاطئية الجذابة في كل اقواله . وكيف
لا يكون ذلك وقلب يسوع يكشف في كل كلمة وكل نظرة موقف الله العطوف
حيال الانسان !

* * *

ولكن المجمع كان من صوف شقي من الناس . والامرجة تباين حتى في
الصف الواحد . ففي اول الامر استطاع ان يستميلهم الى حانه بقوة كلامه . ولكنه

رأى بعدئذ تدليلاً في موقفهم . فكان يسمع دمدمة ونهاساً بينهم : « أليس هذا
 النجار ابن مريم ؟ أليس أحواله معاً ؟ لماذا لا يفعل هنا ما صنع في كفر ناحوم ؟ »
 وتستطيع ان ترى لأول وهلة عوامل عديدة للتعصب والعداء . ولولها انه كان
 معروفاً لهم ، وليس لئني كرامة في وطنه . وكان للنتظر ان يكون السبب شخصية محوطة
 بالامرار يظهر حاجة من عالم المييب . اما هو فكانوا قد عرفوه منذ طفولته . وكان
 رفيق اللعب وزميل الدراسة لكثيرين منهم . وقطن أسرته في زاوية قرية .
 غسبه في نظرم وضيقاً متاعلاً . أحل كالت القاطن كلمات النعمة ولكها ألقاط
 تعوّها نجار القرية . وكان بين الجمع كثير من حسوا انفسهم ارقى بكثير من نجار
 وضيق -- من الاغنياء وارباب المهن وخوي للسلوكيات الصغيرة . وحتى بين الذين
 من طقته صارع كثير من منهم لوقوف موقف التمييز واشتاتة صد عامل وضيق اقام
 نفسه معلماً لمن هم افضل منه . « فامتلاً عصباً جميع من في الجمع »

والقصة طبيعية جداً تكرر اليوم في اية بلدة قروية : « من هوذا الذي اقام
 نفسه مسياً ؟ أليس هذا النجار الذي كان يشتغل مع يوسف ، الرجل الذي كنا
 نستأجره لصنع مقاعدنا ومناصداً وانزوتنا ؟ احوته اناس عاديون يعقوب ويهوذا
 وسيمان ، واخوانه يسكن على مقربة من هنا »

هذه كلها اقوال بشرية . وكثير منها لا يبدو فوق مستوانا نحن
 ثم انهم كانوا حاسدين لكفر ناحوم . وهذه خاصة اخرى من حواص القرى
 الريفية : « اذا كان مواطناً هذا عطياً طمّازا لا يفعل في موطنه العجائب
 والعجرات التي اشتهر بها في كفر ناحوم ؟ »

هذه كلها ظواهر عميقة للطبيعة البشرية ، ظواهر بشرية وطبيعية ، أشه
 بظواهرنا نحن . فلا حق لنا ان نحف موقف العدل والظلم تجاه مدينة الناصرة . بل
 هي بالأحرى أشه منا ونحن لا تفعلها في شيء . لاتنا من طينة واحدة . ونحن ايضاً
 يشتمس لنا يسوع العاذير كما اتهمها قومه بقوله « ليس بي مقبولاً في وطنه »
 وفي الناصرة تطرقوا الى حدّ صيد . فان المتعصبين اتفروا حوله والقوه امامهم

حتى كانوا يقولون به من حافة التل الى الوادي اسحق . ولا شك ان قلب المسيح قد اسكر وساورته اسكابة والحيفة كما ينكسر قلبه وتتوالاه الكآبة والغلبة من حواء اصلنا نحن كل يوم . ولكن للمسيح اعظم وابيل من ان يحدد او يحمل ضيقه . ورغم كل شيء يرضى ان يباركنا اذا لم يحمل بينه وبين ذلك ، اذا لم تفلت الفرصة السانحة

اما الناصرة فقد أضاعت فرصتها . وجاز هو في وسطهم ومضى . ولم تر الناصرة وجهه مرة اخرى



وعندي هنا فكرة عامة ، نابعة من نواحي الادلة المسيحية لم يلمت اليها : فما أنا اقرب اهل الناصرة يعبرونه ويهزأون به ، اسكر في شعوره باليأس المتحكم وحبة الله في المشروع الذي اقامه لنامته . اذ كيف يمكن لاسان في موقعه ان يكل شيئاً ما ؟ افكر في حيرة الفكريين من اهل رمتة والمفكرين في هذا العصر الذين يصبونه انساناً ليس الا ...

أما في امين اهل رمتة فقد كان بالطبع انساناً فقط ، انساناً غريباً جداً . غريباً في نفسه ، انساناً ليس إلا . عرفوا مكانته الاجتماعية . عرفوه حاملاً من الطبقات الوضعية في الحياة يخاطب علمة الشعب . وقصة الناصرة تبين حرج المركز الذي وضع فيه بسبب مركزه ومكانته . اذ رأوا ان معلوماته عن العالم كعامل بسيط واختلاطه بالطبقات الراقية المتعلمة لم تكن الا بقدر محدود . وكان محروماً من المؤثرات وعوامل النفوذ التي تزوده بالحكمة والتعذيب وسعة الفكر وتعدده رعباً بين الناس . وهو الذي قضى كل حياته تعريفاً في عمل بنوي ، حيلة لا مجال فيها للرقى العقلي

ثم رأوا ايضاً هذا الصانع غير المهذب - الذي يعلم ملكوته - وحيداً لا صديق له . فلم يكن له اولياء ولا نصراء يأخضون بيده . ودور النفوذ لم يباوا بأمره كثيراً . والحكومة ارتأبت في أمره . والكهنة وقادة الشعب كانوا اعداءه الالقاء

يصالح الى ذلك انه جاء من تلقاء ذاته متطوعاً لم يدعه احد . ولم يُرَدّه احد .
ولم يدعَ رعباً في أية أزمة قومية . بل جاء من تلقاء نفسه . وكان ممكناً ان يعرفه
الناس زعيماً مهيئاً يحض على الثورة والعصيان . ولكنه انط هذه الفكرة واستمرار
وأني ان يحسب بين الاعطال بل كان يقول ان مملكته ليست من هذا العالم

هل وجد في العالم مصلح في مركز حرج حائب كهذا ؟

ولكن لفرط دهشتهم رأوه يضع يده على الاعين العمياء فتنصر . يصع اصعده
على الآذان الصماء فتسح . يلس الارص والمرص فيبرأ . يأمر الانواح النجسة
فضليته . لا بل قيل ان للوت نفسه لم يقاوم له مطلباً . وقد اذاعت كفر دحوم خير
ابهة يا يرس . وانبا جمع في جنازة مايين عن ميت افلمه من الاموات . وكل او رشلیم
سرت فيها كهياه قصة لمارر . فلا يحب أن يتغيروا ويهتوا

ثم وأوا ذلك القلاح القروي الذي قصى حياته حول منسلة الحارة لا يدعي
قط العلم باسمي ضروب الحق الروحي بل يدعي لنفسه سلطاناً لم يحلم به احد من
سبقة من الانبياء . اذ قد وصح بين يديه سلطة غفران خطايا الناس . بل قد اخذ
على نفسه ان بكل تعاليم كتابهم القدس نفسه : «سمعتم انه قيل (في الكتاب القدس)
للقدماء أما أنا فاقول لكم أشياء اسمى واحق » بل قد تعلى ان يقول عن
نفسه اشياء تعتبر أكثر من تعجيف لا يمكن لرجل عاقل ان يطلق بها . ولكنه قالها
بكل تغل ودرانة وهدوء بحيث لم يجرأ احد على اعتراضه مستوها مجرداً عن الدين
اسمعوا ما يقوله :

«ابن الانسان يصاب وفي ثلاثة أيام يقوم . الحق الحق اقول لكم من
يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني فله حياة ابدية . من رأي قد رأي الآب
كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم . ان الانسان يحيى في محله وجميع اللامسة
القدسين معه ويجمع أمامه جميع الشعوب للدينونة . انا احمل لكم كما جبل لي ابي
ملكوتاً . انا هو نور العالم . انا والآب واحد»

تعود فرخ وطلع اليهودي للفكر حيال هذه الادعاءات الماثلة . كان هذا

كله جنوناً ! كان عجيباً ! ! كان التجار الناصري مشكلة حيرت افهام الناس
 انظر واياً أبساً الى موقفه المستقل عن قادة الشعب وزعمائه، موقفه السائد عليهم.
 وكان المنتظر ان يهاون ذلك القروي الوحيد الاعزل عن الانصار - مع الشعب
 فلا يفاضلهم . ولكن لا ! قد جاء سيداً ومطعاً وموثقاً ومصلحاً لعصره . ومع انه
 كان في رقة المرأة وعطفها حيال الحطالة الثاليتين فانه ألهم ذوي السوى والشروع
 بسياط لادعة وكان الناس يحضون ويفزعون امام لواذع قوله : « حيل شريرة ملتو »
 « مستكون لرض سدوم وعمورة يوم الدين أكثر احكاماً منكم » وليست هذه طريقة
 مثلى لكسب رضاء الناس !

وهل كان أكثر حكمة وتحفظاً مع رجال الدين وقادة الشعب ؟ اسمعوه يقول
 كذلك عاصب حاتق يؤنب عبيده الخائنين دويل لكم ايها الكتبة والفريسيون. اتم
 تفتقون ابواب ملكوت السموات فلا تذهبون الداخلين يدخلون. اتم تحبون التحيات
 في الاسواق والشككات الاولى في الخمار ايها للراؤون ! ايها القادة السبان !
 يا اولاد الافاعي ! كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ افرضوا ان المطارة
 والقساوسة وحكام الشعب في عصرنا هذا يتألم مثل هذا التائب القذع : مم ؟
 ليس من وحل متقدم في السن او كاهن وقور ناصح الاختيار عظيم السلطان . لا !
 ليس هذا التجار ابن مريم ؟ كيف يعرف هذا الانسان علماً لم يتعلمه قط ؟ فليس
 عجيباً ان يفتانوا منه ويصليوه ! وقد كان . هذه هي طريقة حلهم للمشكلة ولكنها
 لم تحل . لانهم جلسوا مشكلة أكثر تعقيداً بعد ان اعلن اتباعه قيامته من الاموات



وهذه المشكلة ما تزال باقية حتى اليوم ولكن « أكثر شدة . لانه منذ قيامته
 وهذا الاسان العجيب يكتسب طاعة العالم باستمرار حتى لقد مضى نحو ألفي سنة
 والعالم ينظر اليه بخوف ورحمة كاله عظيم قدير

وفي عصرنا هذا ايضاً يوجد اناس ينظرون الى يسوع انناصري كرجل صالح
 ومعهم قدوس، كانوا له اتباع جهلاء والهمون آسموا انه الله وتحيلوا عنه كل انواع

المجرات البعيدة التصديق. القليلة والصعود وحول الروح القدس حوادث
لا يمكن ان نكون قد وقت

وانا هنا لا اعتب على اي مفكر حر مخلص. والرهبة المسيح من السائل
الغريبة الخطيرة ولكل مفكر حر مخلص ان يواحه للشككة وجها لوحه. ولكن
عليه ان يواحه للشككة من كل واحيها جملة واحدة

عد بالذاكرة الى مشهد مجمع الناصرة وتصور الشعب يتكلم على ادعاءات
مجارم القوي الشاب، وصح نفسك في مركزهم

وصور نفسك مشهداً مماثلًا له في هذا العصر. حانوت مجاري احدي زوايا
الطرافات الغنيقة. و بداخله شخص في ثياب بالية يعمل امام المنصة. عامل عادي
بيديه الخشوشتين. مولود من أبوين وضيعين - يحالط طول حياته عامة الشعب.
لا علاقة له بالطفقات للثقة ولا فرصة له للدرس الكتب. لا شيء يحوطه من
الجلال او الجلال لاننا لم نعرف بعد شيئا من افكاره اسمية وصفاته القويمة. . .
ونعرض ان هذا الشخص الذي كثيرا ما استأخرته لاشغال التجارة في دارك
نار ونصدي لانهض صائر اهل البلدة. ونفرض اننا دعواته يتكلم في احدي
كنائسنا. ألا يقول بعضنا: أليس هذا هو النجار؟ أليس تتناطون منه؟

وماذا تفكر لو قيل لك ان هذا العامل الشاب سوف يخلق ثورة في معالم
البشرية. وانه بعد ألفي سنة من هذا التاريخ تتعلق به ملايين كثيرة. وان الناس
سيحرمون على كلاته واقواله حتى اذا اكتشف قول صانع من اقواله يقوم ويقعد
له العالم للتمدين! ماذا تقول لو تنبأ لك احدهم انه في مدى ألفي سنة سيحدث ذلك
الشاب النجار كاله بين أرقى واسمى أحسن البشرية؟

ودل في العالم شيء ما ابعد الى التصديق في تاريخ البشرية بأمرها من قصة
ذلك النجار الناصري الذي سحر منه مواطنوه، النجار الذي يُعبد كاله في كل
الأرض في عصرنا هذا، النجار الذي بعد ألفي سنة من الدرس والبحث والاحتضار
يزداد البشر تعذبا له وقرنا منه، النجار الذي تعتبر كلاته القليلة التي تنوء بها

وقصته في الاشهر القليلة التي قضاها على الارض اكبر قوة عرفها البشر ترفع الانسانية الى ارقى مراتب الكمال ؟

مجرد انسان ليس الا ، شاب لا صديق له ، نحار قصي ثلاثة وثلاثين عاماً على الارض ! ثلاث سبعين قضاها في خدمة عامة جائلاً في خمس قرى ومدائن فلسطين ارقاه قليلون من مرتبته وطقته الاحتمائية هم التواتة الذين تألت منهم ملكوته . لم يكن لديه وقت لتنظيم وترقية نظام ديني ! لم يترك وراءه مجموعة قوانين ولا مجلساً لاهوتياً ! تقوه ببعض الالفاظ الازمائية عرضاً على قارعة الطريق او عند البئر او في أحاديثه مع زملائه ! لم يكتب سطرأ ولا كلمة مكتوبة ! حقائق كلامية قليلة هي التي خلفها وراءه !

ثم مات ! قتلوه ! هل كان مجرد انسان ؟ حقاً انها مشكلة نستعصي التفكير الطويل والبحث المستفيض ؟ !



الفصل السادس

قم وامش ! . . . اتبعني !

« دخل السفينة واحتاز وجاء الى مدينته » أي الى كفرناحوم وكانت قد أصبحت موطناً له بسبب طول اقامته فيها وكثرة الاعمال التي أحرأها بها. ويقول مرقس البشير انه اجتمع في البيت الذي دخله كثيرون « حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب . وكان يحاط بهم بالكلمة » ويؤخذ من ظاهر القصة ان البيت المقصود كان بيت بطرس . ولو ان كثرة الجمع الحاضر تنبئ عن دار كبيرة . وربما كان المقصود قاء داخلياً في بيت يهودي به رواق مرتفع مسقوف ، وبالقرب حجة الى المراء . وفي ذلك الرواق يتكلم يسوع وقد أحاط به الاصدقاء وأفراد أسرة البيت وبعض ذوي الحيشية . ويشير لونا اشارة ذات مغزى الى ذوي الحيشية بقوله « وكان فرسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم » . والذي علمه ان السلطات في أورشليم لم تكن تضمر له شيئاً من الصداقة ، وان ديورته في عيد الفصح وتطهيره الهيكل لم تكن من الاعمال التي راقبت لهم . وهذا يجعلنا على ان نشظر شيء من الرية الى أولئك الزواد القادمين من أورشليم واليهودية

ونحن قد نسور لاقبسا الجمع الكثير مصغياً ، والقضاء مكتظاً بالجمهور الحاشد خارج الباب باعتناق مشرقة يتوقون الى مجامع ورؤيته ، وفي نفوسهم رعدة ودهشة وميل الى الايمان . اما زعماء اليهود فكانوا جالسين في مكان الكرامة على مقربة من يسوع . وطبعي ان ينظر اليهم الشعب نظرة الخش الى القائد . وقال احد اكتتاب في وصف هذا المشهد انه أشبه بمشهد اسرائيل فوق جبل الكرمل ليشهدوا نتيجة الصراع بين ايلياء وكهنة البعل . وربما كان في هذا التشبيه شيء من القوة لان

كهنة أورشليم لم يكن وقد وصل بهم الحلة مد الى هذا العدا . بل كانوا في هذا
للوقوف مراقبين ، ناقدين ، مرتابين



وبتة تحدث معاشاة . وتناولوا الاعناق الى فوق . وذلك لان حرمجي .
يسوع الى ذلك البيت كان قد بلغ مسع انساب يانس مقعد ملقى على سرير
مرضه . وقرأ بين ثلثيا سطور القصة ما يحلنا على الظن انه قد جلب هذا البلاء
على نفسه . وانه قد هدم جسمه بيده في حياة الخلاعة والبطر ، واتفق مادة حياته
في عيش مسرف متعرد . زرع بيديه الزوان في حديقة حياته وهو يحصد الآن ثمار
ما غرست يده . وربما كان قد هجر قرته الهادة الطاهرة وسار في الطريق للبلدة
البيضاء الى مدائن القسق والفساد في فيبيقية . سار الى كورة بعيدة . وربما كانت
قصة ذلك الانسان جائلة في غيلة السيد عند ما نطق بثل الابن الضال الذي سافر
الى كورة بعيدة . والآن ها هو طريق القراش ، شخصية مهتمة بالية—ولكم شهدا
في حياتنا من الشخصيات للهمة — وأمر ما تشعر به نفسه انه هو الذي جلب على
نفسه هذا الشقاء . وتدلنا عبارات القصة على انه تاب حقاً وندم عما فرط به . ولكن
ما للهمة في بدم بعد عدم ؟ والله لن يفر لانسان هدم حياته بيديه وربما هدم
حياة آخرين معه

والعادة لان الانسان الصال الشارد في طريق الحياة لا يفلو من جاذبية فيه .
والنظار انه كان حوله ثمر من الاصغاء أراحوا انتشاله من مهولة اليأس . فقاموا
اليه يوماً وقالوا له «يسوع في مدينته» وكان يسوع هذا قد ابرأ حالات أشد
استصاء من هذه . قالوا له : «هو يرني ويشفق على الناعين الاشقياء . فمال بمحكك
اليه . ومن يدري ماذا يحدث ؟»

يبحثون به الى يسوع مقطعاً بانساً وفي نفسه وحزات من الضمير أليمة . ولكي
كيف الوصول اليه والجمع حاشد حتى عند الباب . هل ينتظرون حتى التند ؟ ربما
يرتجل النبي من هذه المدينة . وهم لا يريدون أن ينجيوا أمل صديقهم بعد ان

أيقظوا في قسمة شعلة الرجاء. اذن ماذا يفعلون؟ خطر على عالم فكرة. والصيادون
ماعمرون في استنباط الحيل للخروج من اللأزق. لتجنيء الجبال من السفن الراسية
على الشاطئ. ولتسلق السقف ولتدك من فوق ا

هذا هو الحادث الذي فاحاً يسوع في موقعه: صوصاء فوق السطح. يرتفع
عطاء السقف للمنوع من الاجر، ويشق النور من فوق، ويرفع يسوع بصره
ليرى وجوه أرمسة من بحارة السفن سمر الوجوه وقد ربطوا جبالهم الى فراش دلوه الى
تحت. وعلى القرائش ارمى انسان بانس مقعد. واتصور يسوع يتسم اختسامته
المذبة امام هذه الحيلة اللعة. ويقول الشجر «رأى يسوع ايمانهم». أحب في
الاصطفاء عظمهم على صديقهم. وأحب أكثر من ذلك قنهم فيه. ولم يرد ان
يردهم خائبين

ألقى يسوع نظرة على ذلك الوجه الشاب الابيض للطروح عند قدميه.
ولمح وراء العينين الناثرين دلائل صير معدب يعض ويؤب. عرف يسوع
همد شقاء هذه النفس ابائسة وحن عليه قلبه وقال: «ثق يا بني» اثن اء وهذه
كانت كلمته للثوقة للافس الخائرة: «ثق يا بني». مغفورة لك خطاياك»

وهذا هو الحليل على الزم الذي ذهبت اليه بان الخطية كانت علة شقاء ذلك
الانسان. والأ لما قال له يسوع هذه القولة. وهنا صبح على الرجل دهشة
واستغراباً - «من هو ذلك الذي يعرف أحمق نفسي، ويصح أصبته على مكن
الغدا مي؟» وفي نظرات يسوع شعار اليقين دخل الى قسمة العدة. وتدل القصة
على انه أحس مغمران خطيته وأنه بمجرد ان تقوه يسوع بيده الكلمات انكسرت في
قلب العليل عجة لله المفارقة للتساحة

ولم تكن البهشة كاسرة على المريض نفسه بل دهش أيضاً اصدقائه. ودهش
كل المفسرين. ومن كنا ندهش أيضاً لو كنا هالك. لان هذا لم يكن ما توقعوه.
فالرجل قد جاء ليشفى من أوصابه الجسدية. وكان شعاه نفسه امراً ثانوياً. فلماذا هذا
العلل والتسويق فيما يطلبه الرجل والاستماضة عنه بمحدث ديني عن عفران الخطية؟

كان هذا موضع الخلاف بين يسوع وبينهم . وهو موضع الخلاف بيننا وبينه أحياناً كثيرة . فالتا عند ما نسمي تلويح أحد من الناس نجعل الدين عادة في المرتبة الثانية . أراد يسوع ان يعلم الانسان قبل كل شيء حبة الله ومنعته . والشئ الاول والام ان يرى مرض القلب في العالم . حسن ان تشيد المنازل الصحية بدل اكواخ الفقراء القفرة . هذا بأمره يسوع . ولكن أحسن من هذا ان نهي الاتس الصالحة نسكى هذه المنازل الحديثة . جميل جداً ان توفر السعادة والعزاء للمحاربين الكافحين . هنا ما يقول به يسوع . ولكن الاجل ان يحى . لم يلق ذاته . يسوع يعطى على امثال هؤلاء أكثر مما تعلم نحن . ولكنه يعرف حاجتهم افضل منا . هذا هو موضع الخلاف بيننا وبينه في تقدير الحياة . كان شاراً لدهشتهم ان يحكر المسيح أولاً في قس الانسان العليل للروح أمامه

ولكن دهشة روار اورشليم كانت أشد واعظم كان بينهم غضب وكانت بينهم شهادت . ابتدا اسكنة والفريسيون يسكرون قائلين « من هذا الذي يحكم متحاذق ؟ من يقدر ان يضر خطايا الا الله وحده ؟ »

ويقول اعطيلنوس « لان المسيح كان الله - شرافكارهم » وعرف فيهم هذا التحدي فاجابهم : « ماذا تفكرون في قلوبكم . أيها أسر ان يقال مغفورة لك خطاياك ام ان يقال قم واسم ؟ تفكرون في قلوبكم اني اجلب . تفكرون انه في وسع أي مدع ان يقول كلاماً كهذا طلبة انه لا سبيل الى تحقيق صحته . ولكن لكي تعلموا ان لابن الانسان سلطاناً على الارض ان يمس الخطايا اقول لك قم واحمل فراشك وادع الى بيتك ! هي الحال قام أملهم وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى الى بيته »

وليس يصعب علينا تصور ما أحسوا به . ولم يقل لنا السفر القدس ما خارج قلوب السكتية وقتئذ . ولكن بطاء القوم وهم اقل منهم تعصباً وأشد حساسية للتأثير الالهي « اخذتهم حيرة ومحلوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط » لماذا لم يدع اولئك التعصبون الشعب وشأنه ؟ كان ممكناً ليسوع ان يكتب

الى جانبه دائماً قلب الشعب . انما المنصب انشيق القلب القديم الحب هو لينة الدين في كل العصور يهودياً كان أو مسيحياً أو مسلماً وذلك لتساوة قلبه وصيق عقله . ولو كفل لدى القريسين محبة لتهللوا ان يروا متعلماً يأنساً يشقى . ولاستصوا في عطف كثير مصدر هذه القوة التي ابرأته . القلب الجاحد القاسي هو الذي منهم عن الله لان الذي لا يحب لا يعرف الله لان الله محبة . وليس للمنصب هو الرحل الذي يقاوم آراءنا ويكافح صدأ أفكارنا . انما للمنصب ، مهما استتر وراء الاتفاظ الثورية ، هو الرجل ذو القلب للرجف الذي يقاوم في غير محبة ويبادئ في غير عطف . امثال هؤلاء هم الذين جاءوا يسوع الى الصلب . ولم يدع المسيح فرصة في كل تعالجه لم يبين فيها ان اشنع خطية في العالم هي خطية القلب المحرد عن المحبة . ولكن الشعب لا يمكن الا ان يتأثر بقلاده وزعمائه . وهكذا تسلت الحياة القديمة الى حنة عدد السفيرة في الجليل . ومن ذلك اليوم بدأت المسسات والزيب والتفتون نحوهم حوله حتى نظرت اليه كعمر تاحوم شلداً في آخر الامر . وفي خلال ذلك كانت الاجناد اسبوية تراقب كيفية معاملة البشر لبيدهم ووربهم

* * *

والى جانب هذه الصورة صورة أخرى ذكرها البشرون الثلاثة . صورة كان فيها صدمة أخرى لأهل أورشليم . فالآن أراد يسوع ان يصعد الى جانب بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا وهم خصاؤه الاوفياء — شخصاً آخر من طبقة محضرة يكرها أهل فلسطين قاطبة . وربما لم يرق هذا السؤل في نظر التلاميذ انفسهم وكان في ذلك الزمن طريق روماني عظيم يدعى « طريق البحر » يمتد من دمشق محاذياً السفرة البحرية الشرقية للبحيرة . وهناك على ذلك الطريق قام بناء أبيض عليه شعار النسر — هو دار الجباية الرومانية على مقربة من محطة كفر تاحوم . وفي ذلك المكان جلس متى المثل « عند مكان الجباية » . وكان الشخص غير محبوب من أهل كفر تاحوم وكان عمله مكروهاً . لان الماهل الروماني كان يفرض الضرائب على الشعوب الخاصة لسلطانه ويستخلم اناساً من

للواطنين كانوا يقسون على ابناء جلدتهم ويتركون منهم أموالاً فوق طاقتهم. وكانوا عادة يوردون مبالغ مجدة مجلة واحدة للحكومة ويأخذون الباقي لانفسهم . وقد عرف يوحنا للمصلان ذلك فلما سأله العشارون الذين جاءوا للمعمودية : « ماذا تفعل ؟ » أجابهم : « لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم » . وعسى يعتقد ان متى احتاز ثروته عن هذه الطريق العادية انني ألقها العشارون حالة اعشور أمثاله . ولكنه لما وقع تحت مؤثرات يسوع اعتزم ان يعمل ما قام به زميل آخر له - ركا - « ان كنت وشيت بأحد أرد أربعة أضغاف »

قبل انه في ذات يوم « خرج يسوع الى البحر واتى اليه كل الجمع فطهم » - أهل للدينة والقرىء . والصيداؤون والسافرون في محطة كفر ناحوم ورجال القوافل للنتظرون على جانب الطريق الابيض عند مكان الجبابة - وفيها هو يجتو « رأى لاوي بن حلفي جالاً عند مكان الجبابة . فقال له اتبعني . فقام وتبعه »

والقرىء السطحي تبدو هذه الحادثة موضوعاً للحيرة والتساؤل . اذ يستبعد ان يدعو يسوع على حين عرة انساناً من هذه الطبقة فينص . وبقية لسانته ويترك معه ليسير وراء غريب لا يعرف من أمره شيئاً . وقد قال الشراح قديماً ان الملحدين سخروا من هذه القصة وقالوا : « إما ان يكون الشيوخ قد استبطلوها من خيالهم لو ان متى هذا غر أحمق » . ولكننا نفترض بالطبع ان شيئاً كثيراً حدث قبل هذه الدعوة . وان لها مقدمات جرت بين الداعي والدعو . وكنا نلقى هذه الصعوبة عنها في حالة الرسل الآخرين لو لم يفتح لنا يوحنا عن جبلة الخبر . اذ تقول الرواية ان يسوع رأى اثنين من الصيادين في سفينة ودعاهما . ولو لم يحل لنا الشير يوحنا - بعد هذه الحادثة بسنوات - الظروف للثورة التي احاطت بهذه الدعوة وكيف عرف ذلك الصيادان يسوع وأجابه قبل ان يذهوبا رسمياً . لو لم يقل لنا ذلك لما عرفنا شيئاً من الامر . والارحاح ان كثيراً من السمات التي تترصنا في روايات الكتاب للقدس تزول لو عرفنا الظروف التي احاطت بها كلا . لم يعمل يسوع هذه الاشياء غير الطبيعية ولم يسمح بسهولة وفي غير جد

خطير لافراد الناس ان ينضموا الى شركة الرسل . ولكنه كان يترقب ويختبر .
ويقبل أو يرفض ، بعد اعمال الروية والتفكير . وهل ينسى انه جاءه مرة أحد
الكتبة وهم من قادة اليهود وقال له : « يا سيد اتبعك ابن تذهب » وكنا نعلم
ان لثل هذا الزعيم الهندي خطورته وقدره . ولكن يسوع اختبره وقال له :
« للشباب أوجار . والطيور أوكلوا اما ابن الانسان عليس له أين يستد رأسه »
وعند ذلك أعرض عنه الزعيم وولى الادبار . وجاءه مرة شاب غني فخرج من
حضرتة حزينا آسفاً . وقول الرواية ان يسوع أحب ذلك الشاب عند رؤيته
ورعب فيه . وربما كل يصلح لان يكون رسولا أو على الاقل تلميذاً . ولكن
يسوع خاطر في دعوته ولواد اختباره محك عظم : « اذهب مع كل ملك واتبعني »
عندئذ مضى ذلك الشاب حزينا لان ثروته كانت طائلة . هاليد لم يهتر رسله
اختياراً سهلاً في غير حد خطير . وهو في هذه القصة لم يدع متى حتى أنس منه
استعداداً لقبول دعوته . ولا بد انه تقدم هذه الصورة أحاديث سابقة

وهنا قد تساؤل كيف بدأ متى علاقته بيسوع — ونلاحظ انه « لاوي بن
حلفى » لان الرسل الثلاثة الآخرين هم أيضاً « اناى حلفى » وربما كانت ابروم
واحداً . وادنا صبح هذا القول يكون متى أحالم . والارجح ان بينه وبين يسوع
صلات عائلية . فليس مستبعداً ان يكون قد عرف يسوع في صوته ثم عاب عن
نظره بعد ان انقطع عن أسرته وحلب عليها الخزي والعار في اتجاذه بجاية الشور
هنة له . وليس مستعداً ان يكون يسوع قد حدد معرفته به عندما لقيه في دار
الجباية بمدينة كفر ناحوم . وأظنه كان يحس دائماً بشور النجل والاستحياء كما
وقع نظري يسوع عليه . وأظن ان في ذات يوم تصادف وجود يسوع في مكتف
الحسابة . ويبدأ هو هالك حصر الى متى العشار صياد فقير متأخر في سداد
الضرائب للستخفة عليه وأخذ يستعطف متى لكي يمله وتكاف من الزمن ولا يبيع
سعيته وشب كه او كونه القني تأوى اليه روحته واولاده . وأظن متى لم يرد ان
يكون يسوع حاضراً في المكتف في فرصة كهله . أما هو فلم يذهن الى استعطاف

الصيد الناس . والجد حد . وواجبات الوظيفة لا ترحم . ولو كان متى مفرطاً في
الذين مع الشعب لما أفلح في هذه الوظيفة . وأنجيل يسوع يعاود المكتب عند ذلك
بعد ان يلقى نظرة على متى أشبه تلك النظرة التي رمق بها بطرس يوم انكاره اياه
عند الصليب — نظرة وكفى ا

ولكن بعد انطلق الصياد ابلن ان متى لم يشعر شيء من هدوء النفس .
وحال التفكير في مصير روحه الصياد وأولادها ييه . وبين النوم في تلك الليلة . ولا
انته قد حجز على سفينة الصياد وشا كه في اليوم التالي . وانته قد بدأ يشعر
بالجل كلاً التقى يسوع . وأحد يضع تدريجاً مهته وود لو يحظى برضاء يسوع
النامري

أنجيل نفس ذلك الاسان تنو تحت مؤثرات يسوع الصامتة . وأنجيله يقف
وراء المجاهر كل يوم لئلا يسمع اقوال يسوع عند البحر على مقربة من مكان الجباية .
أنجيله يمن الى اشياء افضل في الحياة . وأنجيله يتحدث الى يسوع عن الافكار التي
لارت في داخله

هذه كلها افتراضات . ولكنها افتراضات قائمة على أسس . لاني أعرف على
أية حال ان شيئاً من هذا القليل كان يتفاعل في نفس ذلك المزار ليصله أهلاً
لان يكون رسولاً . وقد عرف السيد ذلك كما يعرف كل شعور بالجل أو الشهوة
او الرغبات الصالحة في نفس كل منا . ولذا نراه ينجي يوماً الى مكتب ذلك المزار
— « محفل المشور » - يقول له : « اتبعني » ومتى يسمعه بدهشة وسرور
وينهض ويترك كل شيء ويقبه . ولكن وصمة الحياة القديمة ما تزال باقية . ومتى
هسه كان هيوماً ججولاً من هذه الوصمة . ولا سيما ان يببها قد تهكم القوم على
يسوع وحبيبوه « صديق المزارين » . ومتى للسكين يكتب عن هسه بانصاع في
بشارته و يعطي لنفسه لقب « متى المزار »

ويصح لنا ان نفترض انه كان في مقلود الرسل الستة الآخرين ان
 يرووا لنا قصصاً عن أصل تعلمهم بالسيد قبل ان يدعوا الى خدمته . وكم كنا نود
 ذلك . وكنا نود بالأكثر ان نسح من يهوذا الاسخريوطي — وهو الوحيد الذي
 اختير خارج الخليل كيف اختاره يسوع ! ولا بد انه كان به شيء من حسن
 الاستعداد . ولا بد ان هناك اختبارات قوية شجبة في قصته تملل لنا سبب اختيار
 يسوع لهذا الاسخريوطي ووضعه في عداد تلاميذه



الفصل السابع

حفلاتنا

مضى العشار بعد دعوته فعلاً حريصاً . اذ انهم مأدبة وداع لموظفي **فعل** مكتبه والشارين الآخرين في دائرته احضاء بهذا الحادث الجلل في تاريخ حياته . لانه لو ان يُرى زملاءه ماذا فعل به للشيخ وما اكتشف عنه من آمال جديدة ورضات حارة . وقد شعر في دينه الجديد بمجراً حكة على مواجهة ما قد يثيره حوله الزملاء من التكاثر والوقال الزبح . ولم يشعر في نفسه بصلاح ممتاز وتقوى خاص يمنانه عن الاشتراك مع زملائه القدماء الذي كانوا له اصدقاء بالامس رغم ما فيهم من اسطاء وقائس

ولكن تأمل حرأته في دعوة يسوع لعشاء معهم ! ولا شك انه عرف قلب السيد حتى تجرأ على دعوته . تأمل دهشة اولئك المنبشرين من الهيئة لدى قولهم الدعوة ! وانت تستطيع ان تسمعهم يتحدثون فيما بينهم في دار الحياة قائلين : « ليست لنا أية علاقة بالانبياء الاطهار سوى لقائنا مع يسوع الناصري في حفلة عشاء وايناس ! انتظروا حتى يسمح القريسيون والكنبة خبر هذه المأدبة وهم الذين لا تلمسوا ثيابهم في الطرفات . لا عراة ان يعيل الناس الى هذا النبي الصدوق . ولا عراة ان يتبعه متى في عمرة ورعة . ربما لو كان لدينا نبي مثله يعطينا ديننا لكننا غير ما نحن عليه اليوم »

أما يسوع فقد عرف كيف يواكل العشارين والمطاعة كصديق يواكل اصدقاءه . وفي حضرته أحسن الناس زوال التكليف . وتلميذي انه كان ممتازاً بشيء خاص يمنع الناس عن الشعور بالحرية المطلقة او التحدث عما لا يليق في حضرته . كانت فيه كرامة خاصة كاملة في نفسه . ولكنه لم يكن في وحدة وانفراد

عن الباقين ولم يُشعرهم بصوتٍ وترفع يترلا من قلوبهم أو يحقران من شأنهم . بل حلّ الى كل انسان نظرة احترام وعطف . وها انا اراه جالساً الى جانب مصيفه يفس مع في الصفحة . وها انا اسمه يشترك في الاحاديث على المائدة فيجذب اليه الجالسين ليحدثوا معه في غير كلفة . وهو قد استطاع ان يتغلغل الى اعماق مشاعرهم ويستخرج افضل ما فيها . وست اشك ان كل صيف جلس الى مائدة متى في تلك الليلة أحس بأنه انسان افضل مما كان بسبب وجوده في تلك للأدبة

ولكن تأمل الصدمة التي اصابته الكثرة والقريسيين والجمهور المتدين المحترم في كفر ناحوم . سموا خير للأدبة لان يسوع كان ذاتع الصمت — فاثارت حفاظهم . تصور برهياً من البراعة للعالمين في الهند يجلس على مائدة واحدة مع السيودين المحترمين ا

وسنا تذكر ان الحياة الاجتماعية اليهودية ظلمت على شيء كثير من الحرية . ولكن ليست هذه الحرية الواسعة . ولذلك ترى القوم في اليوم التالي على الارحاح يتحمسون على التلاميذ في احد المجتمعات على صفاء الحيرات في كفر ناحوم قائلين : « لماذا يأكل معكم مع العشارين والخطاة ؟ لماذا يجالس امثال هؤلاء ؟ » وكان هذا سؤالاً مغفولاً من وجهة نظرم . ولكن الظاهر انه لم يحضر على بالهم ان يسألوا السؤال الآخر : « لماذا يجلس لولئك العشرون والخطاة لان يكونوا معه ؟ وهم من طلبة لا تمياً كثيراً بمشاركة المتدينين والاختلاف معهم » . ان قصة يسوع كلها تترك في النفس أثراً بأن العشارين والزناة والنبوذيين من كل طبقة أحسوا ان يوحسوا في حضرته . لماذا ؟

لانهم احسوا عنده شعور اعطف والاشفاق والرجاء ، الشعور الذي لم يأتوه في حياتهم والذي جلبهم اليه رغماً عنهم . لانهم رأوه في طهره الذي لا تشوبه شائبة ، والذي أخجلهم وأذلّ قلوبهم — يفكر حسناً فيهم . وينظر الى الخبير في قلوبهم ، الى حذوة الصلاح الكامنة تحت رماد الشرور المحيطة بهم . جلبهم

بأملون ويرجون لأنفسهم خيراً . وحلمهم على أن يحسوا رغم خطيئتهم وذنوبهم أنهم
ذات قيمة لا تقدر في نظر الله .

هذا كان سرّ جاديتته . وهذا ما حمل المشارين والخطاة على أن يقتربوا إليه ،
وما حمل الجماهير أن تستمع إليه فرحة متبهة . رأى فيهم الصلاح والخير ، واتخذهم
اصداًء له ووثق معهم ، وفتح إليهم قلبه . وكل ما في العالم من تعاليم ونصائح وإنذارات
لا تسوي شيئاً إذ قورت بشعور كندا . فالشارع ملكهم والروح القاسي القلب الذي
بذته الهيئة فنذها - أحس أن هذا الأمان المنتهي في ملهه وبرّه لا يحضره قط
ولا ينظر إليه شعراً . والمرأة الحافظة التي طاردها أهل الصلاح كما يطاردون الأبرص
أحست لفرط دهشتها أنه لم يقصها عنه ولم يطردها من حصرنه ، ولكنه تحدث إليها
بما يملأ نفسها عزاء ورجاء وخيراً

هذا هو السبب الذي حببهم فيه . ولا يفر عن بائنا أن هذا هو قلب الله
وشعور الله نحو بني البشر وآمال الله فيهم . وإذا سئنا عن شه لاهنا ، أو ما أ إلى
يسوع !



وبعد ذلك بقليل يحيى ميعاد الحفلة الثانية :

وهي تنفق تماماً مع الموقف الودي الذي وقفه السيد حيال الطبقة الصالحة من
الهرسيين حتى أن لوقا الشير يذكر ثلاث حوادث أكل فيها السيح في بيت
هرسي . أما الأولى فذكرت ضمن حوادث كمر بلحوم وما جاورها . والظاهر أنها
كانت قبل أن يشتد الهداء بالهرسيين ويكثرون بأنبيائهم في وجه يسوع
وكل من بعد أن قضى يسوع يوماً من أيامه الحافلة بالمشاغل والأعمال أن ذهب
في المساء في ميعاد مضروب ليصطحب مع سمعان الهرسي . فسلم من بيت طرس
محتزاً الطرقت السبقة وماراً بالجمع الجديد إلى المدينة العليا خلال الأشجار
والساتين حيث تقطن الطبقات الغنية . وقد ذاع ما هذا الشاء في أرجاء العالم
ليس بسبب بيت سمعان الغني وما أحاط به من مناظر جميلة ولكن بسبب « امرأة

خاططة « حزينه بأثمة تطلعت على هذه المأدبة . وتلدا القصة على أنها كانت قد التقت يسوع من قبل وكانت تحمل له في جيبها ما دصها الى الامتتان والشكر . واني تصور فتاة بأثمة ناعسة قد لعبت بها ايدي الخديعة والفوابة ثم قذفت بها الى الحصى . وهي ما تزال في ألها ووحيدة نفسها تذكر الايام البريئة الطاهرة التي قضتها في كنف بيتها بين التلال . وما تزال تذكر والدها الشيخ وامها الخنون الذين لا تحمرا الآن على مواهبتهما . وتذكر الله الذي لا تجسر على الصلاة اليه بسبب ما اقررت من أمم

ولهيئة الاجرامية ان تفرع من خطيئتها . ولكنها لا تغير . وكثيرات من الساقطات هوين الى هذه للهواة لسجورهن . ولكن كم من فتاة مظلومة تستطيع ان تقص روايتها المؤثرة وسقطتها الرميعة على يد الحبيب الذي ركنت اليه وسلمت اليه نفسها لحظتها . وعن قصي عينا بالطرح في الظلمة الخارجية بدون سؤال . اما يسوع فيستمع الى قصتها . وعن لسا ندرى ماذا كانت قصة تلك الفتاة التي قدمت اليه في بيت القريسي . ولكننا نعلم انها حرمت كل مورد للعطف وأضاعت مستجبتها ورجاءها في هذه الحياة والحياة الاخرى . حتى التقت يسوع في ذات يوم . ورتا سمته في احد محتماته التي أعمن فيها قلب الله في مثل الراعي الذي يبحث عن حروفه الضال فوق الجبال وفي بطون الوهاد . أو الاب الذي يستقبل انه الصال الذي شرد عنه . ورتا تكون قد قصت عليه يوماً ما قصتها المؤثرة وسكنت امامه نفسها الثامنة المتألمة وسمعت منه ذلك القول الذي انتشل به امرأة خاطئة اخرى فيشارة يوحنا « ولا انا ادينك . اذهبي ولا تحطئي » . وعلى أية حال لا بد ان تكون لها معرفة سابقة بالمسيح ايقظت في نفسها رجاء جديداً وبذلك حياتها كلها قبل ان تسئل الى بيت سمعان القريسي وقلها مليء بشعور الامتتان والعطف وفي القصة مع السموات وظلك لانتا نسيء قراءتها عادة . المرأة لم تحب . لتعبر فقط عن توبتها وتذاتتها . لان موقفها هو موقف الشاكر للمتن لشيء ما . ولا شك ان المسيح انتهى بها من قبل وعليها عن اوة الله وغفرانه . ورتا كانت

على وشك ان تهبجر كمرناحوم لحيا حيلة جديدة أو تعود الى أمها . ولم تكن لديها فرصة أخرى غير هذه تظهر فيها محبتها وشكرها . والا ما كان ثمة سبب لطفلها على هذا النحو في بيت فريسي غريب عبا

وانت تقدر ان ترى للضيف كريماً ودوداً حيال يسوع . ولكنه كلّف بلا شك على شيء ما من الترفع . لان هناك فرقاً بين فريسي في مكائنه ورتبته وبين منشر شاب معروف بين الناس كنجار الناصرة . والحلم يهبون حالاً بالتطهير مراد سيدم أو سينتسم فلا حاجة ان تعطى له الحفاوة والكرامة التي تقدم عادة للضيوف الاعنياء . وكما هو شرفاً ان يحل ضيفاً في منزل رجل محترم كضيفه . وقد ظن الفريسي ان يسوع لم يلاحظ هذا ولكنه عرف كل شيء

ويقولون ان بيت الانكليري قفصه الحصينة التي لا يفتحها أحد . أما بيت الشرقي فليس كذلك . ويُسمح للغرباء عادة ان يدخلوا اليه ليروا الضيوف . وكانوا متكئين على مساند وأرجلهم ممتدة على وسائل الى الورداء . ولجأة يسمع الحاضرون أنباء وتهدات . واذا امرأة مكشوفة الوجه مسترسلة الشعر — يدل مظهرها على انها من الساقطات ، جاثية على الارض عند قدمي السيد وفي يدها قارورة من الطيب الزكي الرائحة . وكانت دموعها تنساقط على قدميه « وكانت تمسحها شعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنها بالطيب » . كانت عاطفتها شديدة متأثرة

أحس سمعان الفريسي انه قد أهين وان كرامته قد هدرت . ما شأن امرأة كهذه في هذا البيت ؟ كان الموقف مخجلاً ، وكان مجرد لمس المرأة مدمساً . والظاهر ان الصيغ تأدب وكبح جراح شعوره بما ان يسوع نفسه لم يسترض على ذلك . ولكنه كان يفكر ، ويفكر في السوء . « لو كان هذا نبياً لطم من هذه المرأة التي تلمسه » ، مدت أفكاره على أسرار وجهه

اما يسوع فقرأ هذه الافكار ويقول القديس اغسطينوس : « احترسوا من افكاركم عنها تُقرأ في السماء » . لذلك اصطر يسوع ان يتكلم صراحة : — « يا سمعان عندي شيء اقوله لك » !

فيحييه باحترام مصطنع :

— « قل يا معلم ! »

— « يا سمعان : كان لداين مديونان على الواحد خمسة دينتر وعلى الآخر
خمسون . وإذا لم يكن لهما ما يوفيان ساعدهما جميعاً . لهما يكون أكثر حاك ؟ »

فاجلب الفريسي للتناط في شيء من عدم الاكتراث

— « اقلن الذي ساعده بالأكثر »

— « بالصواب حكمت . والآن يا سمعان . أنتظر هذه المرأة ؟ التي دخلت

بيتك وماء لاجل رجلي لم تمط . وأما هي فقد صلت رجلي بالدموع ومسحتها

بشعر رأسها . قبلة التحية لم تقبلي . وأما هي فنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي .

زيت لم تدعن رأسي . وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي . من اجل ذلك أقول

لك قد عفرت خطاياها الكثيرة لانها أحبت كثيراً . والذي ينهر له قليل يجب

قليلاً »

ولم يقصد بالطبع من هذا القول ان لكثرة الخطايا امتيازاً خاصاً كأن تؤدي الى

محبة أكثر . إنما اراد ان يماثي سمعان في تقديراته وكأنه يقول له : « انت لاشعر

أن لدى الله كثيراً ليغفر لك . أما هي فن فرط شعورها بالخطية لم تقدر ان

تضبط عاطفة امتثالها للتدقة »

و بعدئذ يصح يده على تلك المرأة التسهلة الجائبة عند قدميه ويقول . « يا بني

إيمانك قد خلصك . مغفورة لك خطاياك . اذهبي بسلام ! »



والذي صلح ان المرأة ذهبت في سلام معها كانت قصة حياتها بعد ذلك .

ويظن كثيرون انها احضت بعدئذ من التراجع . ولكن في الكنيسة الفريية

رأياً دائماً منذ العصور الأولى يزيد ان هذه المرأة الثابتة هي عينها مريم المجدلية .

وسواء صح هذا الرأي أو لم يصح فانه من الصعب استتماله الآن لانه مغروس مدى

اجيال طويلة في القنون والآداب المسيحية . وقد صار اسم المجدلية مرادفاً للمرأة

الساقطة الثانية . ويطلق اليوم في ابناء العالم للسمي اسم « مريم المجدلية » على ملاجيء الساقطات

قد يكون هذا الرأي صحيحاً لان الطود اليهودي يقول ان طبة « مجدلا » اشتهرت باسمها الشرير بسف نسلها الساقطات الماهرات . واعتبر اليهود ان المعر هو مس من الشيطان . ونحن نعلم ان مريم المجدلية هي التي اخرج منها يسوع مسحة شياطين وهذا ابعاً هو الرأي الثابت في الكنيسة الغربية . وربما تكون المجدلية قد تموت احتجراً محبباً من فيص نعمة المسيح حلها تظهر هذا الولاء الفائق

ونحن نستكثر ان تكون مريم المجدلية الصديقة الومية السيد هي بعينها تلك المرأة الشقية الامة في بيت سمعان القرسي . ولكن على فرض صحة هذا الرأي فهل هناك قصة في الانجيل أعمق أثراً وأرق عاطفة من هذا الولاء الفائق الذي تظهره امرأة ساقطة مدفوعة الى ذلك بشكرها التزايد وحبا الشديد لمن حلصها واقتل حياتها ؟ فهي قد سارت في اتصاع ووداعة مع جماعة النساء اللواتي حلمن يسوع . وقلب مكسر منسحق شهدته يموت فوق رابية الجبلجة . ورغم السخريه والازدراء تبعت جسده الى القبر . وكانت اول من دهمت الى القبر في صباح يوم القيامة والظلام باق على الارض ! ورأت المشهد الاول للرب المقام . ولما ظنت ابستائي قالت له : « يا سيد . ان كنت قد اخذته من ههنا فقل لي اين وصته حتى امضي وآخذه . فيجيبها يسوع : « يا مريم ! » عندئذ تسقط عند قدميه قائلة : « ربوني ! ربوني ! سيدي ! سيدي ! »



الفصل الثامن

«... زحمته الجوع...»

لسنا نستطيع ان نصور حيلة السيد المسيح في الجليل دون ان نرسم الجماهير للفتنة حوله ، تلك الجماهير التي أحته وسارت وراءه . ويطعن على حكيمنا دائماً تلك الصكرة القاتلة انه محقر وبردول من الناس . وذلك لان عقولنا تحت تأثير رقص الشهب اليه ، وقلنا حكراً في تلك الجماهير الساذجة ، تلك الوحوش الخاملة للبشرة التي تفرست فيه صاعية ، مجبدة ، شاكرة وقد كان السيد المسيح محبوب الجماهير ، حيث يعطىها واعمالها : ويشهد لذلك كل صفحة من صفحات السفر للقدس :

« زحمته الجوع »

« ان الجمع يطلبونك »

« كانت المدينة كلها مجتمعة على الباب »

« كانوا يأتون اليه من كل ناحية »

« ولما رجع قبله الجمع لانه كانوا يتظرونه »

والرأفة التارفة المم التي لمست هذب ثوبه خرجت من وسط الجمع . و مرة اطعم خمسة آلاف تمت الى البرية . ولما صعد الى جبل التجلي انتظره الجمع عند سفح الجبل . وكانت الجماهير المتحمسة تنقب حوله في كل آن . نجي . وتروح حتى لم يكن لديه متسع من الوقت لتناول الطعام . كأ به يجتنبهم اليه قوة مقناطيسية . ولم يمشوا اليه مدفوعين بمح الاستطلاع بل بدافع الحب له ورعة الاقتراب منه ولم يكن هذا في بدء خدمته في الجليل بل طول أيام حياته حتى نهايتها ، حتى في اورشليم للمادية المستبعدة . واداً قال يوحنا الشير ان «اليهود طلبوه ليقتلوه» فانه

يشير الى حرب التريسين المادين له . أما الجماهير فلم تطلب قط ان تقتله . بل كانوا أصدقاءه ومناصريه . في احد السف رحوا العرقات في موكبه . وفي الصباح التالي في الميكل « اقرب اليه جميع الشعب » حتى قال التريسيون « ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به » وايضاً « انظروا انكم لا تنفون شيئاً هوذا العالم قد ذهب وراءه »

كان هو البطل المحبوب حتى النهاية . ناصره الشعب وكان دائماً آمناً في وسطهم ، ولا حاول احداه القمص عليه « خافوا من الشعب » وقالوا ليس في العيد لتلا يكون شغب في الشعب » وتأمرنا مع يهوذا ليلسه في غيبة الجماهير ، وتمت جنح الظلام والناس نيام . ثم كان في الصباح الباكر يوم المحاكمة حيور من الشعب يصرخ قائلاً « اصله ! » وم حيرة من المتس أغرام الكهنة والرؤساء ليطفوا احلاق باراباس واعداد يسوع . أما الجمهور الاكبر عند الجلجلة الذي شهد يسوع مائناً « لما ابصروا ما كان رحوا وم يقرعون صدورهم »

ولو كنت مسيحياً يهودياً لتحديت القائلين بان الشعب اليهودي رفض المسيح . ان الذين رفضوه هم رجال السلطات ، هم الامة بصفتها الرسمية وفي مظهرها الحكومي . أما الشعب فقد جبر تحت غوز الكهنة ولم يستطع ان يفعل شيئاً سوى قرع الصدور وهو عائد من الجلجلة . ولو كان فيه في ذلك اليوم روح اسلافه واحداه لمزق الكهنة والتريسين والجنود شرّ ممزق قيل ان تمس شعرة واحدة من رأسه المبارك . كان قلب الشعب معه في كل أدوار حياته ولو ان الجبن قد غلب عليهم . وكلمة أقولها في وقار وخشوع ان المسيح سوف يذكر في يوم الدينونة هذا الشعور لشعب اسرائيل

* * *

وان الرد يشير بالقبلة ان تنور لدى المسيح هذه المسرة خلال خدمته الشاقة في الجليل . وأية مسرة أعظم من ان يرى حوله وجوهاً مشرقة مشفقة ولو ان رغبتهم لم تبد ظاهرة للاستسلام له . وقليلون منهم على الاقل صلبوا تلاميذاً له . وكانوا

شرمة حاحلة ، شرذمة أرضية في عالم الارض . لم يتقوا على تفهم مبادئه السامية . ولكن مع أنهم لم يهتموا ، فقد عطفوا عليه ومالوا اليه . وفي اشتداد حماسهم فكروا يوماً في تنصيبه ملكاً عليهم ولكنه احتض عنهم لانه لم يرد عرشاً ظاهرياً في اسرائيل بل رام عرشاً داخلياً في قلوبهم . وكان في اختصاصه حية أمل لم ومع ذلك لم ينفصوا من حوله بسبب ذلك ، وكان قادتهم ينسجون حوله حياث الشبهات والتهم

أما هو قد أحبهم . وقال بعضهم ان الله يحب عامة الشعب ولتلك خلقهم اكثرية في العالم . وهم ابشأ قد اسبوه لانه كان اساناً صديقاً محبوباً ، كان كواحد منهم فهم صوابهم ، وعطف عليهم كما يعطف ابن الشعب على الشعب . هو لم يكن فيلسوفاً يخطب صفراء القوم ، اذ لم يكن في الجوع أقر منه . ولم يكن فيهم مَنْ حير مشقة الصل والحياة أكثر منه . عرفوه فقيراً معلماً لا مأوى له ، وعرفوا ان الذي يحسنهم عن وجوب تفضيل بر الحياة على كل متاع هو عامل حير التعب للنسي والحل الثقيل فاستطاع أن يدعو العالم المهوك الى راحة الله «تعالوا اليّ» ... وأنا أريحكم»

وكان له ميل خاص لان يستكشف أفضل ما في الناس ولئن كان قد عرف اسوأ ما فيهم . فكر فيهم خيراً ، ورعا لهم خيراً ، وفضل بهم خيراً لكي يستتب فيهم كل خير

ثم ان المرء يشعر شي، من النشطة اذ يرى الشعب الساذج يرفق به ويميل اليه وسط سوء التفاهم وخيبة الامل والكراهية والخيانة . أنيس يحفزنا هذا لان نرحو خيراً من الاساية النائسة في علاقتها مع الله ؟ لان هؤلاء لم يكونوا قديسين بل كانوا حطلة عاذيين . وهذا الذي استسلم اليه هو الله في شكل بشري . ولعل الله مستطيع يوماً ان يمجذبنا اليه متى عرفناه حق المعرفة !

* * *

وإذا وحسب على الكنيسة ألا تتجبر الى جانب معين في نزاع الطبقات التي تتوى على النفع عن نفسها، هناك طبقة واحدة يشتم عليها ان تقف دائماً الى جانبها هي طبقة الفقراء والمظلومين والمحرزين . وهي بالأسف لم تهم بهذا . وكمن مرة تصاعدت انفت وصرحات أولئك المظلومين الى ربهم وسيدهم ، والكنيسة ضهم غافلة لاهية بنفسها . ورغمما كانت أكثر برأ بهم وعطفاً عليهم في القرون الوسطى البابلية

فلن رامت الكنيسة ان تمثل سيدها تمثيلاً حقاً ، قسیر ورامعا الجماهير مرة أخرى عليها ان تناصر العاجزين والمصفاء علانية وأن تشدد على مراعاة قواعد الدين الاجتماعي

ولكن ما هو ذلك الدين الاجتماعي ؟

في الكنيسة البرمانية القديمة قديسان مشهوران — هما القديس كلسيان والقديس نيقولا . وكان الاول نموذجاً للمسيحية الفردية يهتم جداً الاهتمام بنفسه وحلاصه ، ويصلي ست مرات في اليوم ، ويصوم ويمدب جسده بالسياط الاليفة . وكان يقول من طوار آخر أمني حياته في السلسلة واعانة الفقراء ، ومواساة المرضى والانتصار للمظلومين ، ومحبة الصغار

وتقول الاسطورة اننا نرى ان كلسيان دخل السماء وأخذ السيد يحميه قائلاً :

— « ماذا رأيت يا كلسيان على الارض قبل ان تحيي . هنا ؟ »

— « رأيت يا سيد حوزياً يبحر عربته وقد تمرغ في الوحل ! »

— « ألم تمد يد المعونة اليه ؟ »

— « كلا يا سيد . فقد كنت قادماً اليك وخشيت ان تسخ ثيابي البيضاء »

وبدئذ يدخل ويقول وقد تلطخت ثيابه بالوحل فيسأله السيد قائلاً :

— « ماذا دهالك يا يقول وما هذه الاقذار التي علت ثيابك ؟ »

— « رأيت حوزياً فقيراً يا سيد يسرع في الحذاء فومعت كفتي الى جانب كنفه

وساعدته في حرق عرجه »

— « لقد أحسنت يا نيقولا . وامت يا كاسيان فلائك حرصت على ثياب معبوديتك تقيع ييماء سيخصص لك يوم واحد في السنة تكريماً لك . وأما امت يا نيقولا فلائك مددت يد للمونة لانيك لتشرع في الحماة سيخصص لك اربعة أيام »

هذه كلها تشابه وكمايت رمزية . فالفه يبارك كميسته نسبة لعاداتها لاملئها افتراء الساقطين في الحماة الذين مات للسبح لاجلهم

وهنا ايضاً نموذجان للدين في الكنيسة المسيحية في هذا العصر . فالاول شديد الاهتمام بنفسه وخلاصه وحياته الروحية وتكريسه لله ، وهذا الذي نسيه بالدين الفردي . ولنا نخس هذا انطوار من الناس هو أساس كل دين وهو وحي الابطال والقديسين في كل المصور الذين بدلوا كل شي في سبيل قداسة الحياة . ومستقبل الكنيسة ومستقبل العالم كله يقوم على تنجيم وتقوية هذا الدين الفردي . ولكن متى تدم وتسقط لا يبقى دين فردياً لانه متى ارتقى الدين زها تاحه وتنتحت اكلمه وانساب اليه الكثير من شبه المسيح — ونسي بذلك روح الحق والاشفاق والبر بمجيب الناس ، والشعور بالالم حيال الشرور والمساوى التي تقيم في مضار الحياة ، والغضب للقدس امام لعظام التي يماومنها ، والتيرة المتقدة لان نبيل ونبيل لأحلم ، والعمل الصالح المنتج تهيئة اسباب الحياة التنافسة لهم

فان رامت الكنيسة ان ترفع شأن عامة الشعب ، وان توقظ غيرة الناس لربهم عليها ان نسمو الى ادراكك أوسع وأرقى من حيث فهمها للدين . فلا تكفي فقط بمواساة البائسين بل يجب ان تستلحق لتقطع دار مصادر البؤس والشقاء . ولا تكفي بإصلاح نمر من السحكرين والفاسقين ثم تترك الظروف والاضلوط التي تهيج سبيل الاذمان والفساد لاملل هؤلاء . وعليها ان تهتم بالشؤون الاجتماعية المتصلة باحلاق الشعب وأن تعلم الحكومات وأرباب المشورة بان الاخلاق القومية أهم شأناً من الثروة القومية . وان تدعو خيرة أنثتها من الصلواتيين للمكرين وأرباب الاعمال والمهن الحرة والعمال لان يكرسوا لعمل المسيح بهماً من وقتهم

وجهدهم وتفكيرهم ، وإن تعلم الناس أن وراء قلوبهم وسيتهم الخاصة مجالاً أوسع
يجب أن تنبه اليه افكارهم — إلى الحياة تاعسين في الإنسانية ، إلى المستشفى
الذي ين فيه المرضى للتوجون ، إلى المصع الذي يشكو فيه الاحداث والأكودون ،
إلى الحارة التي يهرق فيها المهوسون عصارة القلب والكبد ، إلى العقولة الشاردة
للهملة اللذبة في الاسر الشقية إلى كل هذه يجب أن تنبه جهود الكنيسة .
ولسنا ننكر أن مهمة الكنيسة هي تخليص النفوس ولكن على نفس الطريقة التي
اتهمها سيدها وربها — ألا وهي أن تمس الناس بلمسة الحياة المصححة البادئة ، وإن
تعلم الناس عن طريق محبة الأخ الذي يرويه كيف يؤمنون بمحبة الله الذي لم يروه .
ولعل في هذا كله صماتاً لأرجاع الجماهير اليه كما رحمنه في الجليل لتسير وراءه وتسمع
صوته العذب الحنون



الفصل التاسع

يوم في كفرناحوم

ههنا نمودج ليوم من الايام التي قضاها السيد في كفرناحوم . فان قصة الانجيل مؤلفة من حوادث منفصلة عن بعضها ، حتمت في حلقة واحدة ، وليست دائماً في ترتيبها الزمني . وفي يوم واحد من أيام كفرناحوم استطع أن نسرّد بياناً متتابعاً لسلسلة الحوادث التي وقعت في ذلك اليوم حيث يقول انشيد مرقس — وهو الناطق على الارجح بلسان بطرس — ان هذه الوقائع حدثت خلال اربع وعشرين ساعة (مرقس ص ٥٤)^(١)

* * *

حوالي سنة ٢٨ م . وفي يوم من أيام الريح على شاطئ البحر . وقد أقيمت الشمس ردها على الامع على المدينة الصغيرة الناضرة والآكام الخضرراء وراهاء ، ولاست الاشعة القوية مياه البحر القصية التي تناثرت فوق سطحها اشراق السراء

ويسوع في سفينته الراسية عند الشاطئ ، سفينته التي وصفا بطرس تحت امرته ، مبره ومستقر راحته ووسيلة انتقاله في البحيرة . وشاطئ البحر عاص بالجمهير الى حافة الماء . منظر حداب بالوانه الزاهية تحت اشعة شمس الصباح للشفرة . وذلك لان صبه كان قد ذاع بين القوم . فوردت اليه الجماهير من جميع الطبقات — أهل تلك المدن ، والزوار من الاقاليم المجاورة ، والقرى في اورشليم — نساء يحملن الحطب للرعى ، ومسافرون عابرون في الطريق البيناه

(١) وربما يهي لنا انشيد متى في ص ٩ و ص ١٣ حوادث سلسلة في يوم واحد . ولئن كان هذا موضع شك

الفضيلة وقتوا هلك ليشاهدوا ويسمعوا - اناس حيرون ، واناس شاكرون ،
واناس لا يباون ، وغيرهم مستطلعون ، وحائرون - ويهمهم انفس الناقدون
والتشككون . وأهم هؤلاء جميعاً ذلكم النمر من الصيادين الشبان الذين قصد أن
يعلمهم قبل سواهم . اذ كان من اهم اعراض حياته تدريب واعناد الذين اناط
بهم ان يحملوا رسالته بعد أن يفارق العالم

وهو يعلم في صباح ذلك اليوم درساً خطيراً عن الملكوت ويشير الى الموقف
السليم الصائب الذي يتحتم على البشر اتخاذه قبل الانصواء تحت لوائه . وهم في
عرفة السؤولون عن ذلك

هنا الجماهير الصغرة ترفع الأذان الصاعية . ثم تفرق بعد ساعة . وبعضهم
يتأله خير الى الابد ، والبعض الآخر لا يتفجع شيئاً . لماذا ؟ ان الجواب حد خطير في
أعين الشعب ، وفي أعين التلاميذ في مستقبل كرازتهم . حد خطير لكل الذين
يستمعون كلمة الله ، في كل حيل . فما الفرق بين الفرقين ؟ اسمعوا الجواب من الله
نفسه : لان أثر التعليم كما يقول يسوع يتوقف على طبيعة السامعين أنفسهم . ولما
يقول : « انظروا ما تسمعون » فكروا فيما تسمعون ! والعالم اليوم هي شوق الى
« وعاط صالحيين » وليس في هذا من بأس . ولكن السيد يشير هنا الى ضرورة
« السامعين الصالحين » . وعلى الرعايا ان ينوك مسؤوليته . ولكن السيد يقول ان
على السامع ايضاً تبعاً خطيرة فان النتيجة في آخر الامر تتوقف على طبيعة السامع
وانظر كيف يعلم يسوع هذا الدرس في ايميلز وبسطة وقوة : فهناك فلاح
زارع على منحدر الجبل يندر بذار الربيع . ويسوع يرقبه صامتاً مفكراً ، والناس
يحولون انظارهم الى حيث يتجه هو بانتظاره . ثم يلصق الى الجمهور بنية ويقول :

« اسمعوا . هوذا الزارع قد خرج ليزرع . وفيما هو يزرع سقط بعض على
الطريق فصادت طيور السماء وأكلته . وسقط آخر على مكان محجور حيث لم تكن
له تربة كثيرة . فمت حالاً اذ لم يكن له عمق ارض . ولعكن لما اشرقت الشمس
احترق . واذا لم يكن له أصل حف . وسقط آخر في الشوك . فظلع الشوك وخفه

ولم يسطع نقرأ . وسقط آخر في الأرض الجليدة . فأعطى ثمراً يصعد وينمو . فأتى واحد
بثلاثين وآخر بستين وآخر بمئة . ثم قال لهم من له اذان للسمع فليسمع » (مرقس
٤: ٣٠-٣٢)

عظة ما اقصرها ! وما أظها أثراً ! ونحن علم أن كثرتهم لم تفهمها ، حتى ولا
التلاميذ انفسهم في أول الامر . ولكن سواء فهموها أو لم يفهموها فهذه الصورة قد
استقرت في أذهانهم . يتحدثون عنها ، ويدهبون الى الحدس والقناور فيما بينهم عن
معناها ومعناها . ومتى عرفوا معالها لم يحسب ان يسوها . وفي هذا قيمة التعليم
بأشكال لان الفكرة تتأصل في القول وتنساب الى مكان الوعي والادراك



ثم دخل الى بيت بطرس للقاء . وعندئذ أخذ يشرح الليل للتلاميذ في اسفار
وايساح . ويقول الشير متى ان جماً آخر ائتب حوله في عصارى ذلك اليوم . وربما
ألقى عندئذ الامثلة للتشابهة عن حبة الحردل وحبة الخنطة التي تنمو سراً . وربما
تلقى الاسئلة وأجاب عنها وأجرى بعض المحركات وهو يحول بين الشعب والمظاهر
ان حو المدينة كله كان مكبر بآ في ذلك اليوم . والمظاهر ان حماساً غير مألوف دب
في بعضهم يومئذ فكنت ترى الناس يجيئون متطوعين لخدمته . فيقول احد الكتبة
« أتبعك ابن تذهب » ويقول آخر : « أتبعك بعد أن يموت ابي » وأما هو فانتحبها
وصرفها عنه لانه لم يجد فيها احلاماً وعيرة ، وهو لا يكفني بهرة طارئة ترحف
ها العواطف الى حين

هكذا انقضى عصارى ذلك اليوم الحار . والآن قد لوشك أن يصرم اليوم
الذي أنهلك قواه في عمل كثير . فقال للتلاميذ « هل تحبوا الى انمير » وكان ذلك
المر شاطئاً خروباً أحرد اسأله اليه بما فيه من هدوء كما اشتد به الغناء . وفي صبح
دقائق فردت الشراع ودخل يسوع السفينة وتبعه تلاميذه . ولطهم لم يأتوا الجو
في ذلك اليوم . ولكن السيد اراد انمير وكان متعباً منهوكاً . وقد حشي الناس
عليه يومئذ حتى ان سفتاً كثيرة تبعته

درست انصاف و بہائی کے بغیر ناممکن



وكانت للساعة طويلة ، سعة أميال تحت مهب الرياح الشديدة . أما يسوع فكان منهُوكاً واخذته رَسَنَة من النوم من فرط التعب . وفيما هو نائم كان رشاش لئله يبلل ثيابه ، والزرزومة يشتد هولها ، والغمام تكاثف حورعها . وفي وسط البحر نلت الزرزومة أقصى شدتها . وعرف بطرس والآخرون ما سيحل بهم . ولم يكن تحت منزع من الوقت ليأروا الى ملجأ أمين يقيهم عاصفة العاصفة . والزواج في تلك البحيرة تهب لجأة على غير انتظار لاسها تقع في غفوة وسط آكام عالية تصاب اليها الرياح اسياها . وها هي ذي السعية الكبيرة تنقذها الامواج كمر ورق مصوع من الورق . اما السفن الصغيرة الاخرى « التي تمتع » فكانت تمل وتبهط فوق للياه الماثمة كالحراوات صغيرة . وكان بطرس ورفاقه ممن اتقوا البحر وهياحه ، والعاصفة وهولها ، ولكن الارواح لنهم لم ياتقوا حالة مثل هذه من قبل . ولم يسق لهم أن يستجذبوا في هلع وحرع باسنان لم يخبر البحر . ولكن اذ رأوا السفينة تفرق صرحوا قائلين : « يا سيد : هنا انا سهلك ! » وأزعج ان بطرس هو الذي تعجل في التصب قائلاً : « يا معلم أما يهيك انا سهلك ؟ » وهم قد بدأوا الآن يهرعون اليه في كل ملة تعبت بهم ، بدأوا يطوفون درس الحياة !

أما السيد فينهم من نومه هادئاً ، ملكاً لكل حواسه ، ينهم ويتهر الرياح ويقول للبحر : اسكت ! اهدم ! — « فكت الريح وصار هدوء عظيم — فخانقوا خوفاً عظيماً (وربما يشير هنا الى من كانوا في السفن الاخرى) وقالوا بعضهم لبعض من هذا . فان الريح ايضاً والبحر يطيمانه ! »

قلت مراراً وتكراراً انه في كل اقواله واصاله كان يرمي قبل كل شيء الى تدريب رسل السفن . وليس شك ان تلك المعجزة الماثلة كانت جزءاً من برنامج التدريب هذا . فقد كان عليهم صد قليل أن يجاهدوا علماً معادياً ، وكان عليهم ان يركبوا اليه حتى في غيبتهم . والظاهر انهم لم يكونوا قد تعلموا الاعتماد عليه حتى وهو نائم الى جانبهم . أليس هذا ما قصده في قوله : « ما بالكم حائفين هكذا . كيف لا ايمان لكم ؟ » ولذا راه يطهم تدريجاً ، خطوة خطوة ، تلك الثقة الكاملة

فيه التي ساقهم فيما بعد الى ان «قلوبوا العالم طهرًا قلب». وكان اختبار تلك الطبيعة خطوة عظيمة في هذا السبيل

وفيا عدا معجزات اقامة اللوتى ، كانت هذه المعجزة اعظم معجزات قصة الانجيل ، وهي معجزة لا يسبقها من لا يؤمن بلاهوت المسيح. وقد رواها ارسل بعد اقامة كعادته عادي بين الحوادث العربية التي شهدها صيغهم . وكانوا قد رأوا من الفرائب للدهشات بعدها ما جعلهم يحسبونها أمراً عادياً . وان كنا نؤمن ان الله يتسلط على الكون ، وان للمسيح قام من الاموات ، وان الذي جعل لارج بطناً وللأمواج قوة ، لم يترك نفسه عاجزاً بين قوى الطبيعة — ان كنا نؤمن بكل هذا فالتا قبل هذه كعادته فقط في معجزة العصور الكبرى ، ألا وهي معجزة هبوط ابن الله وكلته الى عالم البشر



والآن ننزل من عاصمة في العالم الطبيعي الى عاصمة في العالم الروحي ، الذي لا نعرف الا القليل عنه ، العالم للنسب امام اظار للمسيح والظن فيه تماماً كالنافذة في بحر الجليل

وكانت تلك الزوجة قد سافت السفينة الى الجهة الجنوبية من البحيرة ، الى شواطئ الحفريين . وفي شفق الصباح ينزل التلاميذ الى البر على مقربة من مدافن قدسية يقعون حيدم وقد عرفتهم رهبة محيطة . وسرعان ما غادروا الشاطئ حتى ادركهم رعب عظيم . وذلك لان صرجات مزججة مربعة اخذت تتجاوب بين الصخور والقبور ، واذا يمجنون ذلك ، هائل البدن ، عاري الجسم ، يخرج من بين القبور وقد كسر قيوده القليلة ، وأقبل نحوهم . واكبر انظر ان النافذة الثانية قد أثارت جنونه وكان قد قضى تلك الليلة مرغياً ورمداً وسط غضب الطبيعة ورمجرتها المالية . واد يراه التلاميذ يعرفونه لاول وهلة : هو «محنون كورة الجديريين» الذي ادخل الرعب في قوس اهالي تلك المنطقة ، والذي «كان مسكنه في القبور ولم يقدر أحد ان ير بعله ولا بسلاسل . لانه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل قطع

السلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد ان يملكه . وكان دائماً ليللاً وهماً في الجبال وفي التبور يسبح ويمرح نفسه بالحجارة » وكان معه مخزون آخر يطل من بين الصخور . وفي هلود يتقدم يسوع للقاءاته . واد يراه المخزون المأجج يهدأ وينطبع على الارض عند قدميه . ولعل بارقة من الوعي لاحت بقله ساعته فاقته الى الاحتماء به . ولكن تلك البارقة الحاصلة قد رالت في لحظة . وفي هذا التام بالعالم الروحي لا يحراً على شيء الا تسجيل الحادثة كما وقعت . والظاهر ان في ذلك البائس التمس شخصية مزدوجة . فان روحاً شريراً قد تسلط على عقله « ما لي ولك يا يسوع ابن الله الهلي مستحقك بالله أن لا تعذبي ا »

ولعل يسوع اراد في سؤاله عن اسمه ان يذكر الرجل نفسه ويعود الى شخصه ، فكان عبثاً ما أراد . لان الروح الشرير كان متسلطاً على نفس ذلك للسكين ، متسلطاً منه : « اسمي لجئون لاتا كثيرون » . ولكن قوة اعظم منه سعت عليه وبطلت به : « اخرج من الانسان يا ايها الروح السجس ! » وفي لحظة يعود الرجل اللذئ الى نفسه ووعيه ، ويقف سليماً معافاً ، وعلى كعبه يد أخوية ترتبت عليه . وكان الناس قد جروا اساليبهم لترويضه أما يسوع فقد استخدم طريق الله

وفي وسط هذا الهياج اندفع قطع من الخنازير من على الحرف ذعراً وسقط في الماء وغرق . فهرب رعاة الخنازير وقصوا على قومهم ما رأوا . واذ جاء الناس من كورة الجند بين « نغلوا المخزون الذي كان فيه اللخثون حالماً ولا بساً وعاقلاً » واما الجند يرون القاهلون فطلبوا الى يسوع أن يصي من نفوسهم . لان خنازيرهم كانت في عيونهم احل قلدراً من نفوسهم . فدخل السفينة وعاد الى كفرناحوم . اما المخزون « فمضى وابتدأ يتادي في العشر للذين كم صنع به يسوع حسب الجميع »



و بعد ساعتين عادوا الى مرفأ كفرناحوم . ويقول مرقس الشير أن حملاً

كثيراً اجتمع اليه عند البحر . وأنت تستطيع أن تراه وقد تراحموا فوق الشاطئ .
وعيونهم مصوبة نحو سفينة القادسة اليهم . ولا شك ان الشائكة كانت قد ملأت
جو مدينتهم عن أحداث الليلة الفائتة ، وكانت بعض السفن التي هاجتها العاصفة
قد وصلت الى الشاطئ . وتحدث ركابها عن أسكاته الريح ، وسفن أخرى روت
قصة محتون كورة الجلبدين وقطيع الحازير . وكان الجمع الذي انظره عند البحر
متأثراً كله فاستقبله بالاحترام والتوقير وهو نازل من السفينة وأفسحوا الطريق وهم
يتدافعون ويترامحون بعضهم بعضاً

وترى وسط الجمع اسماً يحاول أن يشق طريقه للوصول اليه ، اسماً قصي الليل
كله متعباً حثراً ، يروح ويحيي في وسط العاصفة الماتية بين غرفة الريمس والشاطئ :
« يا سيد ! انني الصغيرة ا على آخر نسة ! ليتك تأتي وتضع يدك عليها فحيا ! »
وربما عرف يسوع الصبية . لانه لم يصعب عليه التعرف الى الصغار . وكان
يا برس هذا احد رؤساء الجمع الذي كرر فيه يسوع أيام السبوت . ويقول النشير
مقس انه « مضى وتبعه جمع كثير وكانوا يرحمونه »

« وامرأة يرف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين
واخذت كل ما عندها ولم تنفع شيئاً بل صارت الى حال ارحاً جاءت في الجمع
من وراء . ومست ثوبه »

قصة في وصفا الطيبي ! امرأة مسكينة لم تستطع من فرط الخجل والحياء ان
تصارحه عرضها النسائي آه لو تستطيع أن تلمسه سرّاً دون ان يلدي ! ولكن هيئت
ذلك فانه أحسن لساعته ان قوة قد خرجت منه . وقد لحظنا ذلك فيما مضى ، لان
يسوع لم يشغل للرصى دون ان يبذل من حيويته وسطحي من نفسه . ولك ان تدعو
هذا اللبس ضرباً من ضروب الحرافة ان شئت . فما من نفس ، بائسة كانت أو جاهلة
او سوقة بالخرافات ، تنهر اليه إلا وتجد سؤال قلبها . فقط اراد ان يسمو بحرافتها
الى ايمان حقيقي ، فسلط عليها عينيه في اشغاف وتودد حتى جاءت وخرت عند

قديمه وقالت له الحق كله ، فادأها : « يا امة ايمانك قد شعلك . اذهبي بسلام
وكوني صحيحة من ذلك »

* * *

تعطل السير دقائق معدودات ، كانت بمثابة ساعة طويلة لذلك الوالد السكين
الذي كانت ابنته على شفا اللوت . وبعد فقد قد السهم وصاعت الفرصة ! وها هو ذا
حانمه يهيمس في اذنه « يا سيد . ابتك مانت . لماذا تعب العلم جد ؟ »
ما اشد عطف السيد على ذلك الوالد المسكين ! ان قلبه للقتل بكل آلام
البشرية يتألم الآن مع يارس « لا تخف ! آمن فقط ! » ضع انكالك علي ! وحد
في سيره الى المار . والآن فكر في دقة الموقف وهو يخرج اللولوين والناشمين من
عرفة الليثة ويأمر الأّ يدخل أحد معه ما خلا طرس ويقوب ويوحنا وأما
الصية وأما . ثم انظر الى محبة للتدقة وهو يلمس في رقة وحه الصية : « طليتا
قومي ! » وانظر ايضاً الى تملياته المادئة للقوة التي يعطيها الطيب لأي مريض :
والآن اعطوها شيئاً لتأكل ! »

• • •

عاد يسوع مهوك القوى ، متبطلاً ، تلك الليلة الى غرفته الصغيرة في دار
طرس . وحطائه اللذيذة تدور حول الحنون البائس ، وأم الصبية ، وجميع التألمين
الذين اسددم ذلك اليوم . وهذا هو سر سعادة الله وغبطته ، هنا هو الله الذي
تأجأ اليه في كفاح الحياة ، في آلامها وأحزنها ، في ساعة اللوت ، وفي يوم الدين .
فشكراً لله !

الى هنا تنتهي قصة يوم من أيام كفرناحوم !



الفصل العاشر

بدء الخلاف

والله قد اقضى على يسوع تسعة أشهر مذ جاء الى كفرناحوم، تسعة أشهر سبعة هيثة قصاها في ابراء اوصاف المرمى ، واساش قلوب اليائسين ، وثر اراعير السعادة والنبطة . كان يخرج كل يوم في ايام الربيع للمشقة ليركب السمينة في البحر أو ليمسح فوق سفح الجبل وحوله القرويون في سناجهم وعبتهم . كان يحدتهم عن اعمال الله الجلدة القرية على اسماعهم وكانوا اشبه بالطفل صغار يصكتشون الزاناً واشكالاً جديدة من الجمال في الحياة . كيف لا وهنا شاب قروي يتحدث الى زملائه القرويين الفقراء . يتحدث اليهم في مرح وتهليل كأنسان خلت فيه من هموم الحياة ومتاعبها ، ولم يشعر ان الفقر عبء ثقيل وكاموس ضائع . اسان أحس قرب الله منه ، فلا قلوب البشر بشراً وطائفة أمراً ايام الأيهتوا بالفندوما في طياته من محشآت . وليس شك ان الحياة البشرية الخفية قد تدلت في حضرته . وأبصر الناس هنا وهناك رؤى واحلام « الحياة الجميلة » فكانوا في لذة فرحين جذلين

تلك كانت الايام الذهبية في خدمة يسوع . تلك كانت رواية الجليل باحلامها وخيالاتها العذبة المستحبة . فالتلاميذ حملوا به ، والشعب صفق له اعجاباً . أحبه الجميع واعتبطوا به . وكان هو مقتبلاً معهم . ولم ير في حياته فترة سعيدة غير هذه الفترة . اما اليريسون فلم يرق ذلك في نظره . لانهم لم يفهموا سر هذا الدين السعيد المفرح . وغنوا ان الانسان التدين يجب ان ينوح ويكتئب ويصوم . أما هو فاجلهم باسماء : « نحن فرحون كأنتا في عرس . وهل يصوم أهل العريس والعريس معهم ؟ » ولكنه انضاف الى ذلك برنة الحزن والاسى : « ولكن ستأتي

أيام يؤخذ العريس منهم * نعم ! ستأتي الأيام وكانت الأيام آتية التي تمحو فيها القلوب البليدة القسيسة — إلى غير عودة تلك الأيام السعيدة القهية في الجليل وها نحن الآن مقلون على قرة حامية في حياة يسوع ، تصح عن بعد دمنة الزوبة قل هوبها ، ونلح في الاقترق فجر الأيام التي سيؤخذ فيها العريس من أهل

وكان وقتئذ قد ظهر قليل من النماذج الجرياء تعدي القطيع كله . لانا نلاحظ أنهم كانوا قد اتهموا بميل ثائرة حتى اضطر ان يدافع عن نفسه قائلاً : « لا تظنوا اني جئت لاهص الساموس والأنبياء » . وعد ابراء الرجل المفلوج للدك اسامه من السقف اتار حفاظ القريسين واحاج سخطهم وعصيتهم باعلانه سلطة عمران الخطايا . ثم انه تعدي الحدود التي رسمها لاهصهم الرجال للتدينون الاقضاء في محاطة الطبقات غير الموعوب بها . واقام حجر عثرة في اختياره احد المشارين ضمن رمة تلاميذه . وأخذ دعاة السوء في الضول وخلق الاقارب والتموت عليه محبوه نهبا اسكولا وشرب خمر وصديقاً للمشارين والمطلة . ولكن لم تكن هذه كلها الا لحلت لا بد منها في حياة كل زعيم للشعب

والآن بنته ، وعلى غير انتظار ، رى تديلاً فاعراً في الوقت . فكفر ماحوم كلها ، فغير ما سب طاهر ، تهامس عنه وقبلك حوله خيوطاً من العدا . فتهمة عتاً بانه ثائر . لا شيء فيه من الدين ، ومتعدي على يوم السبت لا يقبض بالساموس والتقاليد ، وغير موال للجماعة اليهودية . لا يحفظ الاصوام ، ويمجري معجزاته عن طريق الشيطان . « يخرج الشياطين بدمبول رئيس الشياطين » . وآسفه على مرارة النفوس الحائرة للفتاة ا قد بدأت انسحب الكتبة تنكر صفاء أيام الجليل ا



واذ نقرأ البشائر الثلاث الاولى — وهي المصدر الذي نستقي منه قصة كفرناحوم — نمار في تأويل هذا التحول القهلي وموقف الصداق الحاجي . ولكن بعد هذه البشائر بمدة طويلة كتب يوحنا الرسول ذكرياته فسد ما في القصة

من قس . وربما مجد هنا تأويلاً لا بأس به . فقد جاء في القبول الاولى من
بشارة يوحنا (فصل ٥) قصة يظهر من وقائعها انها حدثت في فترة كفرناحوم هذه .
وفي القصة يقول الراوي ان يسوع صعد الى اورشليم في عيد من اعياد اليهود .
وايس لنا في قصة كفرناحوم أي تلميح الى زيارة اورشليم - والارحاح ان يوحنا
نفسه كان هناك في تلك المدينة يومئذ حسب عادته ، ربما ليضع العلاقات مع تجار
السك اليهود من شحن الاسماك اليهم من البحيرة

وهو يقول في هذا الصدد : « وفي اورشليم عند باب اسنان بركة يقال لها
بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة — في هذه كان مصطحباً جمهور كثير من
مرضى وعمي وهرج وعسم يتوقفون تحريك الماء » . و يسوع كان هناك يرقبهم .
ويرقب بمسحة خاصة مقدساً قديراً مصاناً منذ ثمان وثلاثين سنة . انتظر هناك عند
البركة منذ شهر ويتسمع كل يوم احاديث القوم عن اوجاعهم وامراضهم . وفي كل
يوم ترداد آماله صفناً ونفسه خوراً . وبنته يحسّ يداً مشفئة على كنفه وصوتاً
حنوناً يقول له :

— « هل تريد ان تبرا ؟ »

- « لا أمل لي ياسيدي . فليس لي صديق يحصلني عند تحريك الماء . وكل
مرة يسبقني آخر اليها »

« قم . احمل سريرك وامش ! »

« خالاً برى . الانسان وحمل سريرى ومشى وكان في ذلك اليوم ست »

اما اليهود فقالوا للذي شفي : « انه ست لا يحمل لك ان تحمل سريرك » اما
هو فاجابهم : « ان الذي ابرأني هو قال لي احمل سريرك وامش »

ولاحظوا هنا التلميح القريب من حاجتهم : لم يقولوا : « من هو ذلك الذي
ضل بك هذا الصنيع سد شقائق المقيم ؟ بل « من هو الانسان اذني قال لك
احمل سريرك وامش ؟ » لاحظوا هذا الروح - تشدداً بالتقاليد ، وغيرة على
الناموس ، ونسكاً بمواعيد حفظ السبت مقدساً . ولكنه روح حلا من التدين

الحق . لان جوهر الدين هو المحبة . المحبة لله والناس . اما التدبیر والتشبيث فتواحد الدين بلا محبة فهو التعصب القديم بعينه . وما التعصب الاّ القتل والحقد ، وتقمّس الاخطاء في الآخرين ، وحدة الطبع وحشوة مستورة تحت شلر الدين الزائف . ويسوع نفسه لاقى اشياء الكثير من هذا التعصب في البشر . فابغضه وتكلم به وداسه تحت موطنه ، تقدم

— «من هو الانسان الذي قال لك احمل صليّك وامش ؟» اما الرجل نفسه فلم يعرف لان يسوع كان قد احتلط بالجمع . و بعدئذ لاقاه يسوع في الهيكل . في المكان اللائق ان يوجد به ليقدم شكراً لله . وبعد ما اقترقا قال له : « ها انت قد برزت فلا تحطى ، أينما نثلا يكون لك أشرف »

ثم اخبر الرجل اليهود ان يسوع هو الذي ارأه . ولهذا السبب بدأ اليهود في اضطهاده لانه ضل هذه الاشياء في يوم السبت ، اما هو فاجابهم «أبي يعمل الخير في السبت وغير السبت . هو يعمل وانا اعمل . فمن اجل هذا كان اليهود يطلبون ان يقتلوه . لانه لم ينقص السبت قط بل قال أيضاً ان الله ابوه معادلاً نفسه بالله »

طلبوا ان يقتلوه صلاً . وكان لهم في ذلك الاسبوع مجال يسبب تعصبهم ان يسجلوا يوم الجلطة ويقتلوا المسيح قبل يومه بسنة كاملة . كانت تلك الزيارة بمثابة أزمة في حياته اتمه فيها التخليل منه . ولو كان مؤرخو كفر ناحوم رووا لنا خيرة هذه الزيارة لما تولوا الحيرة في تحليل تبدل الموقف حياله عند عودته اليها مرة أخرى . ولا شك أن أخبار هذه الحادثة معصوبة بالعيون والارصاد قد تعصبته من اورشليم الى كفر ناحوم في عودته

قد تبدل الحال في كفر ناحوم ولم يعد المقام فيها شيئاً كما كان . لانه في عودته تقبته النخيل من اورشليم الى ضفاف البحيرة واخذوا يجسسون عليه ويبشون بالتفكير ضدّه الى اورشليم لاثارة الاحقاد عليه . وكان في هذا الاقليم — صومطة — حרבان محتقان : انصار الكتبة والفريسيين وهم دعاة الشعب ، والجموع التي كانت

وما زالت تابعة له ومعجبة به ولو أنها تأثرت بعض الشيء بالموقف المدائي الذي
وقفه الآخرون

وكانت زيارته هذه لاورشليم سبباً في تكوين جبهة معادية ترصدت له
حتى للتعلي. وهام الآن يطلبون ان يقتلوه وهام عن يرى عن بعد شح الخطة
وسد ذلك يرسم لنا البشير مرقس صورة المسيح بعد عودته من اورشليم
سائراً مع تلاميذه في يوم السبت بين الزروع في كفر ناحوم — ورعا كانوا في
طريقهم الى المجمع للعبادة. ولعب ما جاءوا لانهم لم يقتلوا طلام الاطمار —
ومنى يشدد على هذه النقطة — فطلب التلاميذ سنايل القمح واكلوها بعد ان
فركوها بين ايديهم وقيهم في الطريق بعض افراد الحزب المادي فالتفتوا الى السيد
وقالوا : « لماذا يعمل تلاميذك في السبت ما لا يحل ؟ »

أين موضع الخطأ ؟ لماذا التفتوا اليه ؟ لماذا لاراحة العبيد والعمال في الحقل
حرّم تاموس الله الحق أو الدرس بالتورج او التنزية يوم السبت . أما اولئك
التدينون والتضييقون قد اعتبروا ان فرك سنايل الخطة باليدين هو بمثابة درسها
ودعها ، وان فتح قشورها بمثابة تغريتها ! ان مثل هذا التعصب اللاحق يبدو لنا
بعض مناً قسرية لان تعصبا من طراز غير هذا . اما اولئك القوم فحسبوه غير ذلك
في نظرم وكانوا في اعتراضهم جادين . ولتعصب في هذا العصر يعتبر نفسه جاداً
في كل موقف وهو يبدى أخرق في شعور الفكاهة والمجون بحيث يستكبر على نفسه
ان يسم في وجه نفسه ، ولا حاجة الى الاطالة هنا . فانت لا ننسى اتهامات خطيرة
تأثرت حول امور تابعة لا تمدو في اهميتها مسألة فرك سنايل الخطة بين اليدين .
فترنا وتصابها : ان الدين في خطر !

والآن تأملوا في صبر المسيح . رب الكون يشاغل لحاجة حماقة كهذه ! وكان
دائماً صبوراً امام حماقة وامام الجليل . وهو قد نصب نفسه لموقف كهذا في الايام
التالية . فتعطف عليه في موته . ونفكر في اللمة — التي لا شكور لها — للمة
التي انقام نفسه لاجلها في اتقاذ البشرية الحاضرة !

في اشتقاق كثير ، في صبر مثاه ، يبرل الى مستواهم لمخاتهم كما فعل نحن
مع الاحفال السفر . « ان افكاركم عن السبت لا تستقيم مع القى الذي قصده
الاب . السبت انما حصل لاجل الانسان لا الانسان لاجل السبت »

وفي السبت التالي نسب له الكنية والقرسيون اسوة لابقاعه فيها علنا امام
الشعب . فانه لما وصل الى مجمع العبادة في الصباح رأى امام الباب رجلاً يبد باينة
فاخذوا يرقبونه هل يشفيه في السبت . والظاهر انها كانت خبطة مدرة . لاحظوا
تندل الموقف . في المرة الاولى وفي هذا المجمع نفسه ابرأ في يوم السبت رجلاً
تملكته الارواح النجسة فكبر له الشعب وهلل . ولم تكن هناك رقابة ولا تساؤل
نظر يسوع الى الرجل المصاب وذراعه العاطلة ونظرات التوسل للنبشة من
عينيه . وبما تذكره التقاليد ان الرجل توسل اليه قائلاً : « انا بقاء بالخطية .
اكسب رزقي بصل يدي . فأتوسل اليك يا يسوع ان ترد لي سلامة يدي حتى
لا ألتأ الى عار الاستعانة في الخامس الخبز » . أحد القوم يراقبون يسوع ويشددونه
لكسر يوم السبت . ولكن تصلمهم وعادهم أثلوا مكس النيط فيه . فالتفت اليهم
عاساً وقيل تمجديهم . وقال للرجل : « قم في الوسط ! » ثم قال لهم : « هل يحل في
السبت فعل الخير أو فعل الشر (بإعمال فعل الخير) ؟ ومن منكم اذا سقط له خروف
في الحفرة لا يتنشله ؟ أليس الانسان احصل من الخروف ؟ » عندئذ صمتوا . وشهد
الجمع هذا الحوار في عيط صامت . ثم قال للرجل : « مدي يدك ! » فدها وعادت
يده صحيحة كالأخرى

وكما نظن ان تؤخذ هذه المعجزة دليلاً لا يقبل النقص . ولكن لم يرق ذلك
في نظر اولئك المتصمين . لان اقلب التسبب لا يعتقد بان احداً على حق غير
نفسه . ولا يلهي شيء ما . فاذا اشرق امامه النور قال عنه غلام . واذا حاده الدليل
الفتح صبره هاء . هل رأيت مثلاً لاولئك الكهنة والقرسيين في مقاومة يسوع ؟
حتى عن معجزاته القوية قالوا انها صنت عن طريق استخدام الشياطين وانه
يخرج الشياطين بسطان بر رول رئيسهم . هذه هي الخطية العنيدة ضد النور .

هذه هي الخطيئة ضد الروح القدس التي لا تنفّر كما يقول يسوع . لأن الذي يرى نور الله بينه والبشريين ثم يرفضه عناداً وتصلباً رغم نداء صيره فهو يصل نفسه ويحبط على بصره عشاوة كثيفة . وقد رفض اولئك اقنوم النور وحجبوه بأكفهم رغم نداء ضيائهم . وفي تعصب مرير اعى حسبه ظلاماً . وفي النهاية حاولوا اطفاء ذلك النور فوق رابية الجلجثة . اما يسوع فمن حرط اشفاقه على ذلك النساء السكين قفل تعديهم وكسروا السم ، واخبطهم باحراء المعجزة فحسبوا امام الجمهور ولم يتسبوا بكلمة . ولكنهم امتلأوا غلاً وحقدًا وتشاوروا كيف يقتلونه كما فعل زملاء لم من قبل في مدينة اورشليم منذ أسابيع قليلة . وكان يودهم ان يفعلوا ذلك لولا ان الجماهير حالت بينهم وبينه فلم يقدروا ان يترصوا له . الحق انه في ظروف كهذه فطاطي الرؤوس خجلاً من اناسيتا المشتركة ! !

* * *

ولست هذه هي التهم الوحيدة التي قامت ضده . لم يكن السبت الا شطراً من التاج الحامي الذي ثار حوله - ولنعاول الآن تهم الموقف :
نزل ان الله الى الارض ليضع الدين على أساس صالح . وليقرر بسلطانه ما علم به الانبياء في القدم - ليقول ان الدين هو البر والخبرة وليست العقوس والقيود الخارجية الضيقة . وان البشر ليسوا عبيداً بل هم ابناء الآب الذي يقدّر ويرغب في محبتهم له

وكانت خطيئة اليهودية الاساسية ان استبدلت هذه المحبة بالعقوس والقيود الخارجية . تأمل الدين الذي اقامه يسوع شائعاً في الشعب القدر له ان يشل الله ويسلته ظلاً : ان تصوم مرتين في الاسبوع فحسب تقياً ، ان تعطي صدقة في العلانية فحسب محسناً ، ان ترتدي الاحراز والتوايذ وتكرر الطلوات عبثاً في الطرقات فحسب متعبداً ، ان تكره المشارين وتبذ الحطاة وتحتر الامم فتكون محسناً مقبولاً في نظر الله . وكان البت هو المحك الاساسي ، حوله حاك الكنيسة شبكة من القواعد والقيود الضيقة وجعلوها للطلاب الاولى في الدين

وأنت تستطيع أن تصور نفسك كيف ابغض يسوع هذه المفاهرات التيمية والسخافات الباطلة. فأُتزل سيطر القوم اللادع على أولئك المرشدين النقيان وتلك القواعد الدينية الباطلة. ومراراً وتكراراً كسر سبتهم. وانظروا قد تصد أحياناً أن يكسره لينتصر فرصة فيها يروج أفكارهم الباطلة ويعيد الحق إلى نصابه: « جعل السبت للإنسان وليس الإنسان للسبت »

ومسألة السبت نموذج صالح للحوار معهم. جعل السبت للإنسان، لمعادته وخيره. وإذا تصفحتنا آيات العهد القديم نجدتها تدور حول قصد ثانٍ: أن يستريح الإنسان يوم السبت من عناء العمل، وأن يفرح بالرب في يوم عطلة. أن يستريح ويبعد. هذا هو ثلوس الآب الصالح لخير نولاده —

١ — كانت العطلة الأسبوعية يوم السبت أن يستريح الناس، ويستمدوا قوتهم، ويتصنوا ويكونوا سعداء. وقال الله لرجال والنساء في أعمالهم، للأحداث في المدارس، للسيد في قيودهم، للمواشي والحيوانات تحت نيرها: « استريحوا وتقموا يوماً واحداً كل سبعة أيام. وربما كان يؤثر قوم من اليهود أن يصلوا ليصل معهم عيديم وماشييتهم ولأن حالم: « متى ينتهي السبت فتشتري وتبيع وتسكب؟ » أما الله فلم يرض أن يُشأب يوم راحته فقال: « أنت وعبدك وامتك وتورك وبهيمنتك » — كلكم تستريحون لأن السبت جعل للإنسان

٢ — والراحة للإنسان الكامل. ليس للجسد فقط الذي يصب من عناء العمل. بل للإنسان بكليته كما تراه عين الله. الإنسان للبدن لحيلة الخالقة وهو أكثر من مجرد جسد مادي بال. ولما فكر الله في خير الإنسان الأفضل. فلم يقل فقط: « تعالوا واستريحوا على انفراد. بل أيضاً تعالوا إلي واستريحوا معي. فكروا أفكاراً سامية بيلة. أعطوا أنفسكم فرصة للتسو. واذكروا مقاصد الله الخيرة لخيركم الزمعي والابدي

هذا هو يوم السبت، همة الله الصالحة. ولكن المسيح رأى شعب الله يفسد

يوم راحة الله . وينزعون منه عبثته وهاءه — ويحيطونه قواعده وقبوره سخيعة متعبة ما أنزل الله بها من سلطان . والطبيب الثاني لا يجوز له في نظرم ان يحمل عبلاً من اعمال الرحمة، وللقعد والمستعيد لصحته لا يجوز له ان يحمل فراشه ويمشي . ولا يجوز للرجل ان يمشي الا عدداً معياً من الامتار ، ولا للمرأة ان تصنع ابوة في ثيابها، ولا للتلاميذ ان يفرحوا سائل الحنطة بأيديهم لئلا يفتروا تحت طائلة التلموس . كأن الآب سيد متسلط، ظالم مستبد، حقوق حاسد . وكأن الانسان عد خاضع لمخاضات السبت التي تخفق الانفس . فلما جاء يسوع بسبت السيد الحرة الطليقة وتعدى قواعدهم الضيقة الجافة تشاوروا لكي يقتلوه ولعنوه كمتدبر على يوم السبت باسم الرب ١١

وعلينا ان لا نخشى . في تفهم موقف يسوع هذا اراء اليهود . هو موقف الله وقد حكم عليهم بدلالة ولياقة

وهل نظن ان يسوع يحكم على شخص أمين مخلص يسأله في اخلاص ، ويقاومه لاعتقاده ان خالجه ثورية ؟ حاشا لله ! لان موقعاً كهذا سيد من العدل واللياقة . وقد كان يسوع في نظرم مجرد معلم حديد ولم يعطوا الى ألوهيته . فهل يسلم احد ان يسوع يحكم على انسان طيب القلب قد اساء بسبب غيرته لله فهم للتعود من يوم السبت ؟ كلا ! حاشا لله ! ولكنه يحضر ويصطف على انسان هذا شأنه ويصلح خطاه ويبارك حياته

ولكن على يقين تام بان الله لا يحكم على انسان سبب شعورك بمتعتها في اخلاص ، او احباط يرتكها في حسنية . ولكن الله يدين الاتهم الادبي العميق المتأصل في النفس ولم يحكم يسوع على ذنوب القوم الا بسبب شوشهم الخبيثة القذرة وقلوبهم الحاقدة الجاحدة . وهذا هو الذي اصرهم من رؤية الله عند ما رأوه . لان القلب الجاحد القادر لا يدين الله . ويقول الرسول : « الذي لا يبص لا يعرف الله » . اما الذي يحب هو في طريقته الى الله ، وكلما ازداد حبك لزوج أو ولد أو صديق ، وكلما ازداد حبك حتى للكلب الذي يشبك ، سهل

عليك الرجوع الى الطريق المؤدي لك الى قلب الله . واقلب الحقاد الجرد من
الحمة هو الخطية الاساسية الاصلية التي لا يبدلها اية خطية اخرى في نظر المسيح
حتى السكر والتجاسة : «المشارون والرماة يسبقونكم الى ملكوت الله» هذا ما قاله
الى اولئك القريبيين الحقادين

واقلب الحقاد يفسد السادة في كل مكان . فهو قد اتحد على يسوع هناءه
في الجليل . حتى لم يد يرى الى نهاية حياته شيئاً من تلك الايام الاولى السعيدة
التي قضاه في كفرناحوم



الفصل الحادي عشر

ملكوت الله

يأتي يوم ، هو غرة اليوم ككفر ناعوم ، هو اليوم الذي شرع فيه **والله** يسوع في وضع الاسس الدائمة لملكوت الله على الارض. وكان خلال الاشهر الكثيرة يتأهب لهذا اليوم ، فالجوع اللوالية التعوية تقبت خطاه ، والتلاميذ يسعون وراءه من مدينة الى اخرى . ولكن حتى الآن كانت الحركة قائمة على رجل واحد ، على حياة مفردة ، تجمعت حولها اسباب الكراهية والعداء . واخذت المؤامرات تحبك للقضاء عليها . وهو قد عرف أن موته قد دنا ، وان الوقت قد حان ليضع اركان ملكوته الدائمة

ولا ندعه لنا هاهنا أن نقف عن سرد الحوادث لفرد فصلاً عن هذا لللكوت :

سل علماء التاريخ: من هم الناس الذين أوحوا كبار الاشياء في الحياة بالاشياء الطاهرة النبيلة المستحبة التي ذاع شأنها وعلا قدرها في تاريخ البشرية ، يحمسوك باجماع الآراء انهم هم المتحمسون ذوو المثل العليا انكريمة واصحاب الاحلام والرؤى ، هم الذين جاهدوا وتألوا وربما قضوا نحبهم في سبيل تحقيق تلك المثل العليا حملوا العالم سكاناً هيباً بله العيش فيه

هذا حق لا مرأه فيه . فلهتمسون اصحاب الرؤى والطامح هم الذين تولوا الزعامة والتقدم في رفع شأن البشرية في كل حقب التاريخ . وقصة الانجيل الشريف تمدنا ان كل الرؤى والاحلام والطامح ان هي الا اجراء مسطرة وصور منسكة لتلك الرؤيا العظمى التي شمع نورها من افلاك السماء سد ألهي سنة. وان وراء أولئك للتحسين الفيورين - سيد الجميع ، ذاك الذي رأى الرؤى وحلم

الاحلام وهو سد في حانوت نبحار. ثم خرج الى العالم ليعمل ويتألم ويموت في سبيل
جبل تلك الاحلام الخيالية ، حقائق حلية ا

وانا افكر الآن في بعض التحسينات التي يريها الذين عرقهم وأحببتهم، وفي
مشروعاتهم اننا نلجأ الى الانسانية . هناك قوم تحمسوا في ارسال البعثات الدينية
الى البلدان الوثنية ، وفي منع السكرات ، وفي ايواء الفقراء والمهرومين ، وفي تهذيب
اسباب المسرة للاطفال الصغار ، وفي تدبير شؤون العجزة والمعالين واستطيع
القول ان امثال اولئك التحسينين يمثلون لنا من بعيد فكرة السيد المسيح الذي
انطوت عنه على فكرة خاصة نحس لها وشفت منه كل جهد وعقل

أتدري ماهي ؟ هي القطعة المركزية في كل تعاليمه ، هي الرؤيا التي ملأت
افق حياته وهو ينظر الى مستقبل العالم — هي الفكرة التي دارت حولها موعظته
الاولى وكل اقواله وتعاليمه بعد القيامة — الفكرة التي اتخذها السموون تلميذاً
موضوعاً لدعوتهم والتي شرحها كل مثل من امثال المسيح — وانت اذا اطلعت
على قاموس آيات الانجيل تجدتها قد وردت به حوالي مائة مرة

وكا ان لكل زعيم متحمس من ابناء البشر فكرة معينة تدور حولها افكاره
ويتخذها مركزاً لكل اقواله وتعاليمه ، كذلك نجد على القول انه كان لملك العلم
الساوي الالهى فكرة مركزية معينة . اما هذه الفكرة فقد اطلق عليها « ملكوت
الله » . ففي اول دعاية نادى بها قال « قد اقترب ملكوت السموات » وعن تعليمه
الاحير قبل الصعود قيل « . . . » وهو يظهر لم اربين يوماً ويتكلم عن الامور
الخاصة بملكوت الله » . وقد كانت كل امثاله تقريباً تشبهات له . فملكوت الله
اشبه بحبة حردل ، وبجذوة ، وبكنز خفي ، وبشكة الصياد وهكذا في تشابه
عدة — ملكوت الله ! ملكوت الله !

هذه هي الفكرة الاولى : ان يسوع نحس لفكرة خاصة كانت في نظره
اهم من سواها . وهذه الفكرة قد اطلق عليها ملكوت الله

* * *

ولكن ماذا كان معنى ملكوت الله في عرفة ؟ أكان مجرد حياة مستقلة في السماء ترقبها بغدق الصبر بعد الموت ؟ كلا ! ثم كلا ! إنما كان ذلك للملكوت مختصاً بالزمن الحاضر، كان حادثاً تعلق بالأرض قبل كل شيء ، فيها يبدأ وينتهي وينتشر ليكون خيراً وبركة على الساكنين فيها

والصور التي رسمتها أمثاله تؤيد ذلك . فللكوت السموات أشبه بحبة صغيرة تترس في جفن الترى لتثبت دوحه كبيرة وارفه الظلال . وهو أشبه بحبيرة تتفاعل في السجين كله حتى يحترق . وهو أشبه ببلورة تنسو سراً وفي الخفاء . وهو أشبه بحبة حنطة تنبت أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً مملوفاً في السنبل . فهو شيء حي متحرك قابل للنماء والتقدم التدريجي في الأرض لجبرها وبركتها

مشروع جميل ليحقق عالماً حيوياً . رؤيا بحية عن انسانية تبسطه تسودها الشجاعة والبطولة والبر والحق ، انسانية قوامها رجال صلاصلا اطهار وناة فضليات طاهرات . لم قلوب مشفقة رحيمة ، وابد كريمة سخية ، تنشل العالم الساقط وتقوم العوج فيه — هذه هي رؤيا يسوع عن عصر ذهبي على الأرض ، عن ملكوت يسيطر عليه إله بار محب ، وفيه يعيش البشر يخدمون بعضهم سفا في نوايا وبحبة وقد ظل يسوع سنوات يعكر في هذه الرؤيا فوق حال الناصرة . وأخذت تتطور وترتقي في نفسه وهو يمنع الانهيار والحارث والمقاعد فهل لنا ان نحاول تنهم افكاره بروح السلف معه . وعندما انه حين تتحقق رؤياه تملو الارض مشبعة بالحياة أنشودة جديدة مستحبة . وفي تنقي الحياة من هنا يجرى اعضاء هذا الملكوت الى ما وراء الحجب ، الى ملكوت الله في عالم غير منظور . هذه هي رؤيا الشاب التلمس في حانوت الناصرة . هذا هو ملكوت السماء في ظله

* * *

ولم يكن هذا الملك حلاً حياً كإيمان بعيد التحقيق . بل قد اعلته مشروفاً عملياً يمكن تحقيقه . فقال للناس مبدئياً ان هذا قائم فعلاً وأطلق عليه اسماً آخر «ملكوت السموات» وأمرنا ان نحلي لاجله :

ليأت ملكوتك } كما في السماء كذلك على الأرض
 لكن مشيئتك

أي كما أنه قائم وموجود في السماء. وهذا القول يحمل إلينا تلك الفكرة الخسنة التي تجعلها مادية الأرض ألا وهي أن هذا للكنوت قائم في العالم الروحي الذي هبط منه المسيح، قائم بكل شرائعه ومزاياه واحتصاصاته. فكأن المسيح أراد أن ينشئها على الأرض مستمرة على نسق ذلك للكنوت الأعلى في السماء. وذلك للكنوت نفسه هو العاصد وهو السند في تأييد نظم هذه للمستمرة الأرضية وصوغ تشكيلاتها كما كانت تعمل رومية العظيمة في إنشاء مستمراتها الأرضية. وهذه هي الفكرة عنها التي أراد بولس الرسول أن ينقلها إلى أهل فيلي عند قوله: «ان دعوتنا نحن هي في السموات» وكأنني به يقول لهم. «يا أهل فيلي اتم تنافخون بأنكم مستمرة رومية العظيمة التي تشد أروكم، وأنكم تمتعون بقوتها وامتيازاتها وكبرياتها وكرامتها. اتم من مواطني رومية والباها تمتون بصفة الرعية. ولكن اطلوا أيها المسيحيون في فيلي انكم أبناء امبراطورية اعظم هي ملكوت السموات التي أسسها ملكها هنا على الأرض. ودعوتكم في السماء. والعالم الروحي، والله رئيس ذلك العالم، والملائكة ورؤساء الملائكة، وكل احتاد السماء هؤلاء كلهم مسؤولون عنكم»

هذه هي الفكرة الحية الثيرة التي تحمل بين ثناياها الرجاء والشجاعة في أيام اليأس واليأس. فكرة قد اخضر اليها المسيحيون قديماً إلهان الاضطرابات والاضطهاد. ويفتخر اليها المسيحيون في هذا العصر في الأيام العصيبة القاسية. ورغم قوات العالم والجحيم، ورغم الماكسات الكثيرة فإن ملك للمسيح لا بد منتصر في نهاية الامر. لان قوات الشر لا تقوى عليه

وانت تقف على شاطئ البحر وتلاحظ ساعة بعد أخرى حركة اللد والجزر يجي ويروح. ولقد لحظ أبناء البشرية حركة اللد الروحي جيلاً بعد آخر تنقسم نارة وتراجع أخرى. ولكن الله من وراء هذه الحركة. واللذ ينقسم إلى الامام.

وسياتي يوم دغم كل هذه الممالك « تمير فيه ممالك العالم زمانا ومسيحه
وسيملك الى ابد الابد »

ولعل في هذا الشعور، التحليل الصحيح للثقة الكاملة، والعلمانية الملائمة، والتفائل
السعيد، الله بدأ على السيد المسيح في السنوات الثلاث التي لاهى فيها من عوامل
التثبيط ما لاهى وهو يؤسس مملكته هذه . وقد كانت هناك صواب لا شك فيها .
لانه كان زماناً ان يوقف ذلك المجلس البشري للسكين الناس ليؤمن في رؤيا السماء
وينهض الى فيها ويشعر بحاجتها ويستلم الى نالها . ولكنه لم يكن في مهلة لان
الزمن الطويل ممتد أمامه ومحال أن يكون الفصل مصيره . وهو قد شرع في عرس
بنرة السماء في بقعة من الارض في فلسطين . وأخذ يجمع اليه تواتر من القلوب
الامينة المخلصة ليجهد اليهم في حل لواء دعوته ويكون لهم ماصداً الى انقضاء الدهر .
وهو في مقدوره ان ينتظر في غير ملل

* * *

ولكنه فعل أكثر من ذلك ليحصل هذا الملكوت حقيقة في الامكان بلوغها .
فانه في ختام الثلاث سنوات على الارض بعد قبائت وصعوده اخذ البشر يدركون
ان الذي نادى بهذا الملكوت هو الله نفسه . وان الله قد حل في هيكل بشري
ليسكن مع البشر ، وان في وضع بني الانسان ان يهبوا شيئاً من طبيعة ذلك الاله
العاضد لهذا الملكوت ويعرفوه ليس فقط إلهاً قدوساً لا يليق التلقظ باسمه بل أمّاً
وصديقاً محباً كريماً عطوفاً . وكان العالم البائس منصرفاً الى تحميمات عمياء عن
طبيعة ذلك الملك العالم في يديه . ولما ان شهد البشر حولهم فواجع الطبيعة واهوالها،
والسواصف المائجة والرياح الصرصر العاتية، والرعود والبروق والتيزان، تولتهم الحيرة
واخذوا يشاءون عن طبيعة الاله المسيطر على هذه الحياة . ولما عرفوا ان يسوع هو
الله ادركوا طبيعة ذلك الاله ومالهية . وهم قد رأوه يداهب الاطفال وابدهم الفضة
الصغيرة مثقفة حول عنقه ، رأوه ينفث روح الرجاء والاستنار في للتبؤذين البائسين
الذين انقطع عنهم كل رجاء ، شهنوا محبته وتصميمته وآلام نفسه حيال فشلهم

وحيتهم . ولم يدركوا في بادئ الامر ، حتى اقرب القرين اليه ، ان هذا هو الله ، بل عرفوه مبدئياً رميلاً ، شجاعاً رحيماً محباً ، لم يعد له الشر مثيلاً . ورويداً رويداً اخذ ذلك السر العميق يعلن مكثراته فينلج نور القبر المشرق . وما كان أمهى ذلك النور يوم عرفوا — بعد قيامته وحلول الروح القدس — ان ذلك الذي سار الى جانبهم رميلاً وصديقاً هو الله الخالد الازلي همه !

والامم من ذلك انهم عرفوا انه قد جاء يتخذ الطبيعة البشرية ، ليتجسد في الانسان حتى يمكن ان تنسب الى الخلقة الناسين روح الله وقوته . أرأيت فتاة نحيلة مريضة مقلقة على سرر اللوت لاقتلها الى دم جديد ؟ تخيل فتاة كهذه وتحميل شاباً قوياً بحيوته واقطعاً الى جانبها يتقدم همه الى الجراح ليأخذ من دمه الخلل الحلي ويحقن تلك الفتاة للثمة فيلب فيها ديب الحياة والقوة . هذا تشبيه لما فعله المسيح في جسده . وهذا تشبيه لما يحدث حين تتناول السر للقدس تقوية وتغذية لنفوسنا . ألم تسع قوله الى الحطالة وهم يتألمون حطايام : « أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم اصل » . وكأن في قوة هذا الملكوت يستطيع اتمس الحطالة ان ينهض الى حياة جديدة ليكون في مرتبة القديسين الاولين

واكثر من ذلك قد عرفوا أنه جاء ليوت عن حطايام العالم « وينذل حياته قدية عن كثيرين » . وبعد هذا قام من الاموات فالحب في قوسهم فاز الرجاء في حياة المستقبل السعيد . وأنبأهم الخير اليقين بان لا موت بعد الآن . انما الحياة سلسلة متصلة الحلقات . وان ملكوته سائر الى الامام ليتكشف عن حياة مجيدة تسودها محبة الله

هذه بعض معاني ملكوت الله



وقد ركز الى الشر في تمييز هذا المشروع وتحقيقه . فلم تكن مهمة يسوع الكرازة لجميع الناس وتحويل جميع الافراد الى حقه ودينه . بل كانت مهمته تكون

جاعة صغيرة من بني الانسان لتولي نشر دعايته مدى صوره التاريخ وتنادي
قائمه : « قد اقترب ملكوت السموات »

ومن للوثر حقاً ان تنكر الى أي حد وضع ثقته في البشر لتحقيق فكرته
هذه . وليس شيء يوقظ مكانه الحساسة اكثر من ان تشير بانك موضع الثقة
ومستودع الآمال خصوصاً متى عرفت انك لست أهلاً للثقة التي وُضعت فيك .
ولم تكن الظواهر التي شهدتها في بي البشر خلال الثلاث سنوات التي قضتها بين
ظلماتهم بما يقوي الثقة بهم ولكنه لم ينظر الى السطح الظاهري . ولم يثق أحد
قط في الانسان كما وثق فيه يسوع

وبما اذكره الي قرأت مرة اسطورة غريبة قيل فيها انه عند ما عاد السيد
السيح الى السماء استقبله اللاك جبرائيل وسأله :

— يا سيد . هل اكلت غرضك وطلت مرادك ؟ هل حوات جميع البشر
فساروا من ابتاء هذا لللكوت ؟
فاجابه للسبح :

— كلا . قد وضعت قط أسس لللكوت وأجبرت عنه فئة قليلة من الناس
وتركة ينمو بين أيديهم

• ولكن كيف يعرف العالم يا سيد ؟

— بطرس ويوحنا ويعقوب ويعيرم يملونهم !

— ولكن قد ينسون أو يهملون أو يفشلون !

— سوف لا يفشلون لاني واثق بهم ، معتمد عليهم !

كلا . لا يفشلون . والكيسة لم تقتل . ولكن بالاسف قد انظم نور تلك
الرؤيا الاولى ! واضح قصص التاريخ هي التي نرى فيها النمل العليا التي وضعا
للملحون قد امتنها الاتي والاسار من بدم . نحن لم نقتل ولكن في وسنا ان
نصل افضل مما حصله الآن لكون أهلاً للثقة التي وضعت فينا

هذا هو قصد المسيح حين أقام تلك الجماعة المخبئة من حواريه الاطهار
ليكونوا نواة تسود وتصل مدى اجيال التاريخ . وقد ظلّ ثلاث سنوات يجمع حوله
يوماً بعد آخر تلك الجماعة المختارة معاناً لم مبادئه ، ملهاً ايامها فافكاره ، مطلقاً ايامهم
بنسودج حياته ، حتى اذا حلّ الوقت لصعوده الى السماء يترك وراءه جماعة من
الرجال للذين يتحقق فكرته في حمل نواه ملكوت الله



الفصل الثاني عشر

موقعة الجبل

والله حان اليوم العظيم الذي شرع فيه السيد المسيح أن يحقق رؤياه ويثبت ملكوت أعلامه باقدام ثابتة على الارض . ولم يكن في قصده ان يصل ذلك بنفسه بل قد اصرم أن يعهد بهذه المهمة الى البشر . وكما يدعو قائد حربي كريم ، شخصاً موصوفاً بالجن ويحصل منه بطلاً متوارداً بل يكل اليه مهمة شاقة مخوفة بالمخاطر هكذا فعل المسيح في ثقة كريمة متساعجة حين عهد بمهمة الخلافة الى البشرية البائسة التي بقي منها شيئاً من حية الرجاء ، وفي الوقت نفسه شيئاً من اربعة الحارة لتكون عند حسن طنه بها . وكأنه قال : «سأوكل اليهم هذه المهمة . وسينهمون للقيام بها . وسأكون عليهم رقيباً ساهراً الى اتمام الدهر » . فلك ذلك راء يبدأ باختيار اثني عشر رجلاً ليكونوا معه على اتصال ودي وثيق . ويعلمهم ويدربهم ويمص فيهم ثقة الكاملة ويلب في همومهم نار غيرة وحماة ويكيّفهم ليكونوا على مثاله وبذلك يصيرون نواة للكنوته للقبل . وقد كانت هذه خطوة جريئة تنم عن ثقة الله السمحة في الانسان العشري

ولم يختار هؤلاء من ذوي المكانة والجاه والعلم أو الصوفى العقلي . وهنا قد يتساءل المرء مذهوشاً ، لانا ونحن هك في خطورة المهمة كنا نعتقد ان يختار للكنوته قراء افضل من اولئك الصيادين الجاهلاء غير المتقنين . ولو فكرت عشر دقائق لاستطعت أن تشير بسهولة الى اثني عشر من الاشخاص الذين كنت تحسبهم افضل ممن اختارهم — امثال قائد لثة في كمر ناحوم ، أو يفيوديموس ، أو يوسف الراعي ، أو لادور ، أو انشاب النبي ، أو يارس . أو شاوول الطرسوسي الذي كان وقتئذ من طلاب المعلمين في جامعة اورشليم — امثال هؤلاء من ذوي الثقافة والحلم ومعرفة

الامور ، الذين توفر لفيهم الثمود والمثل لتصيد المشروع . ولكنه مع ذلك لم يختار
أحداً من هؤلاء

وربما عبراً على القول — من وجهة تفكيرنا انشري — انه لم يستطع النظر
هم . فالشاب الذي بدت عليه دلائل صلاحته لان يكون رسولاً
أجل امام الامة ومضى حزناً . وليسوا كثيرين الذين يلون دعوة يسوع كما
فل اولئك السياميون الذين تركوا كل شيء وتبعوه

أوربما لم يتأ في اول الامر ان يختار رجالاً من ذوي النفوذ والمكانة . وكانت
حاجته الآن الى شهود اثناء يشهدون للمضيئة التي قامت عليها الملكوت : ان ابن الله
الارثي قد جاء الى الارض وحاش بين الناس ومات لاجل الناس وقام ثانية وعاشي
بملكوت الله على الارض — وخير الشهود لاية حقيقة من الحقائق هم القوم السطاء
العمليون المخلصون عن الاوهام والتصورات الذين لا تسوقهم الخيالات او النظريات ،
الذين متى اقتصوا تماماً واستأنثرتهم الحقيقة يحاطرون بحياتهم في سبيل تأييدها : مثلاً
تقوم حول حقيقة القيامة مزاعم هر من الملحدون يزعمون ان الشهود كانوا من رواة
الاحلام والرؤى قد دهمهم الولاء الشديد الى تخيل حوادث ظهور المسيح المقام لهم .
ولكن أي يقين يتفض هذا الزعم القاسد أشد من النظر الى هذا الثمر من الرجال
المخلصين الذين لا يعرفون شيئاً من الخيالات والتصورات الوهمية في حياتهم العادية
— وهم يسلون شبابهم ويحفظونها . ويجاللون عواصف البحر . ويشحنون
الاسماك لتباع في الاسواق ! وليس سهلاً على أي انسان ان يتخيل الرؤى
والخيالات وهو يعيش في وسط كهذا . يضاف الى ذلك ايمانهم العميق في الله ،
وعشرتهم اليومية له مدة سنوات ، واستسلامهم التام وضيئتهم على ملكوته . وربما
يرى المرء سد هذا انهم هم الطراز من الرجال الذين احتاج اليهم في بداية الامر .
ومهما يكن الحال فهو قد احترمهم وكفى

* * *

والآن حان يوم تصيهم لهذه الخدمة — في ليلة صيف هادئة ، فوق قمة الجبل

على مقربة من صفاف بحر الجليل . هناك تحت الكواكب الصاعدة ترى انساناً وحيداً منفرداً يقضي الليل كله في شركة مع السماء ، بينما الجماهير التي تبعته قد استلقت في القرى تحت ونامت على منحدرات الجبل — «خرج الى الجبل ليسلي . وقضى الليل كله في الصلاة لله» . ولا شك انه فعل هذا مراراً . وحده لنفسه في الاحتلا . مع الله سلى وتشجيعاً وعملاً في جهود حياته على الارض وقد وصع على منكبيه حمل البشرية بأسرها . ولم يمكنه الاستغناء عن هذه الحلقة لانه عرف تأثيرها على نفسه وعلى نفوس تلاميذه المجاهدين للمستمنين . ولذلك رآه بوصيم ان يجربوا ذلك لانفسهم . ويقول ان كل محاهد يستطيع ان يتقدم الى الآب كطفل صغير ويسط اسأله كل همومه واتسابه وجوده وأمانيه والآب يستمع اليه ويحبه ويبيته



والآن أخذ الليل ينفج عن صبح أفر . وأخذت المنزلة تحضب ببورها القرمزي أفق البحيرة . وأخذت الاطيار تترد باصواتها المادحة مؤدنة بطرعر التهار . ورويداً تتلى . منحدرات الجبل بالناس ويسعى الى رؤيته التلاميذ والجماهير . وعندما يقتربون اليه يلمحون على محيله دلائل تم عن شيء خطير غير عادي . والظاهر ان التلاميذ قد عرفوا ما سيخص منه اليوم بعد اذ استمعوا حوله على قمة الجبل

« فلما جلس تقدم اليه تلاميذه » . وفي صمت رهيب خاشع نادى اثني عشر اسماً : سمعان ا فيجي . سمعان — اندراوس ا فيجي . اندراوس — ثم يتوب ويوحنا والآخرون حسب ترتيبهم . وأحرم يهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه فيما بعد . دعلم فتقدموا اليه

وكانت تلك الحلقة البسيطة في صباح ذلك اليوم فوق الجبل من أعظم حوادث التاريخ . فهي بداية انشاء جماعة صغيرة — الكنيسة للسبحية — التي عهد اليها

ان تذهب مدى الاحيال منادبة ملكوته . فيها زرع حبة صغيرة رآها عن بعد
شجرة وارة الظلال تستقر في اعصائها اطياف السماء

و بينما يتطرق التلاميذ في صمت وسكون عميق ، فتح فاه وألقى عليهم ما يصح
ان نسيه « عظة تمحيصهم للخدمة » . فتح فاه وعلمهم مبادئ ملكوته . ولم تكن
فكرة ملكوت الله فكرة مستحقة لدى اليهود . ففي أيام القدم كانوا يهاخرون بان
الله ملك اسرائيل . وفي انظار أوقات تاريخهم اشار ابيائهم الى عصر ذهبي فيه يعود
ملكوت الله ثانية . وكان طبعياً ان يكتشف الشعب ذلك اليوم بحسب افكاره .
وكان متظراً ان يكون ذلك اليوم عهد فلسة وبر . لكن الفكرة التي سادت في
أدمتتهم هي عجي . اليوم الذي فيه يتود « المسيا » شعب اسرائيل من نصر الى
نصر ، اليوم الذي يحرر فيه الشعوب التي أذلهم عند اقدامهم ويقسط اسرائيل بمجد
عظيم . وم يؤمنون الآن ان يسوع هذا هو المسيا . وها هوذا يبدأ يكلمهم عن
ملكوت الله :

ثم فتح يسوع فاه وعلمهم — ليس عن اعتبار وانظلم وثررة وسلطان —
فهذه كلها لم تكن مُثله العليا لسعادة العالم : —

طوبى للساكنين الذين اوتصوا ان يكونوا قراء . فلم يتشبثوا بحتيياتهم ولم
يقعوا في أحاييلها

طوبى للودعاء الذين لا يضاخرون ولا يفضعون ولا يدعون شيئاً لانفسهم

طوبى للرحماء لانهم يُرحمون

طوبى لانتقاء القلب لانهم يعايشون الله

طوبى لسانبي السلام . لانهم ابناء الله يدعون

طوبى للرجاء والطمح لاجل البر . لانهم يشعرون

طوبى للمتألمين لاجل البر . لان لهم السماء

وهكذا تتحدى « عظة تمحيص الاثني عشر » باعلان ملكوت السماء قيا وراء
انكواكب ، التي كان عليهم ان ينادوا به على الارض . وبعد عشرين سنة من

من هذا التاريخ نسمع بولس الرسول يترحم هذه العظلة ويعبّر الإنسان الذي هو أحد رعايا هذا الملكوت بقوله :

« هو يحتمل كثيراً ويشفق . لا يحد . لا يضاهر ولا يضغ . ولا يطلب ما لنفسه . ولا يحد . ولا يظن سوء . يحتمل كل شيء . ويصدق كل شيء . ويرجو كل شيء »

هذه هي الرؤيا التي أعطها المسيح لعالم سعيد . هي ملكوت الله على الأرض الذي أمرنا أن نصلي لأجله قائلين : « ليأت ملكوتك على الأرض كما في السماء » والأرض بلا شك مستبعدة فردوساً لو جاء ملكوته حقاً

ثم ينتقل إلى لقاء التبعات عليهم ووضع ثقته الكاملة فيهم . فاسمعه يقول لقلكم التمر الجاهل الذي أوكّل إليه مهنته على الأرض : انتم ملوح الأرض . فلا تصيروا خاضعين لللغة . انتم نور العالم . فليضيء وركم أمام الناس - لا يثق هكذا إلا القلب السح الكرم ، قلب الله فقط هو الذي يسمع ثقته في أشخاص على طرله الناس الذين وثق فيهم يسوع . وكانت هذه الثقة الطيب الثمرات في أرواحها . والظاهر أن الست عشرة آية الأولى من الفصل الخامس في الإنجيل متى هي « علة التنصيب » للوجهة إلى التلاميذ . وبعد ذلك يستمر في كلامه عن الملكوت والجموع إليها صاغية . وهو يبين كيف أن دين إسرائيل يرتبط بهذا الدين الجديد الذي يدعو إليه ، وأن القديم كان تمهيداً للجديد ، وأن التاموس والانبياء قامت على التمييز بين الخطأ والصواب تمييزاً خافياً . وهذه لن يمكن أن تزول - « لا تغلوا أني جئت لأقضي التاموس والانبياء . ما جئت لأقضي بل لأكمل » فالأسس الأصلية وهي الله والحق والرحم والمحبة يجب أن تبقى إلى الأبد لأنها من خصائص الملكوت الأعلى في العالم الروحي وهو يريد أن تشمل الأرض أيضاً لذلك أحوا كما كنتم تغفلون من قبل . ولكن أحبوا على طريقة الله .

أحبوا أعداءكم . أحسوا إلى مبغضكم - صلوا كما كنتم تغفلون ، ولكن صلوا في حق عميق - ادخلوا إلى مخاضكم وأوصلوا أبوابكم وتعالوا كالمضار صغار إلى

الآب . اسألوا تعطوا . اطلبوا تحلوا . اقرعوا يفتح لكم — اصنعوا الصدقات كما كنتم تعملون ولكن في الخفاء امام الله ولاجل الله . لا تقسوا في حكمكم على الآخرين بل احكموا على غيركم في كرم وسماحة وعطف كما يفعل الله

أنتم يا أبناء الانسانية البؤساء القديسين في اعلانكم : ان الآب يريد ان يحيوا حياة سعيدة مضبوطة ، طليقة من المموم في حضرته القدسة وهذا هو الحال في الملكوت الاعلى . انظروا الى طيور السماء التي لا تقدر أن تدرع أو تحصد والله يعتني بها . تأملوا أرطغر الخلل البرية التي لا تنب ، ولا تقرب ثياب بهائها وجلالها ولكن ولا سليمان في كل محله كان يلبس كواحدة منها . أسمر أنتم افضل من هذه؟ لا تصطبخوا أنتم في بيت الآب وابوكم السماوي يعلم انكم بحاجة الى هذه كلها

لذلك لا تهتموا للتد . لان الله سيكون في التد . فإن كانت حياة في التد الله يعتني بكم ، وإن كان موتاً فهو يشغلكم بتداعيه . وليس شيء في هذه الحياة الواسعة حليماً بالاضطراب والقلق سوى الخطية . لان الله في سماه . فكل شيء على الأرض يسير في طريقه . لذلك اطلبوا أولاً ملكوت الله و ربه وهذه كلها تزداد لكم



لا شك ان هذه اسمى التعاليم التي عرفتها الأرض . ولن يقدر ان يسكر ذلك أكبر للكافرين الذين يرمون ان للسيح مجرد داعر عظيم من دعة البر . وهنا لا بد لنا من كلمة تحذير واتذار : حافظوا موقف الشك والارتياب — وهو ذائع في هذا العصر — الذي يتندح يسوع كأسمى معلم عرفته البشرية ويتر « الوعظة على الجبل » افضل ما في الانجيل

لا . إن افضل شيء في الانجيل هو الانجيل ذاته ، هو اليقين أن ابن الله قد جاء ، هو اعلان ر الله وعيبته وإيثاره في شخص وحياة وموت الآن الأولي الذي به يلامس قلوبنا ويكتسب محبتنا ويسوقنا للفرغة في اتباع هذه اللؤلؤ العليا في حياتنا . كان مسيح الله أكثر من مجرد داعر البر . وبما وج هذا العالم المسكين ان كان يسوع قد جاء فقط لينادي « بمواظ على الجبل » ١١

انما هو ابن الله الأزلي الذي به صفت العالمين . جاء ليخبر عن ملكوت الله في العالم الاعلى الذي منه هبط . ويصنع ملكوته الارضي على عودج الملكوت السباوي . ويقول لنا للصلوات ان الله لن يمكن معرفته على حقيقته . وان الله الذي تصحله في افكارنا ان هو الا انسان خطاه إلهاً حرياً وراء افكارنا عن التودج الاسمي لله

كلا . إن الاله الذي يعطه للسيح ليس ثمرة فكر الانسان . بل هو اعلان من الله عن الله . ولم يكن المسيح حادثاً ولا متخيلاً ولا مؤملاً بل قد عرف كل شيء . ونزل ليحيى ويموت على الارض لانه أراد أن يلبس هذه المعرفة — أرادنا أن نعرف الله ، ان همم الله ، ان تفكر من وجهة نظر الله ، ان تعلم ناموس الملكوت الاهل الذي علينا ان نهم ألقى موعظه على الجبل



الفصل الثالث عشر

الاثنا عشر

ينظر اناس الى الاثني عشر رسولاً كأنهم شخصيات عامة ، أسماء لا تعرف شخصياتها تماماً كأنهم نفر من القديسين مشاهير بعضهم . وربما يتنازرون بالحالات التي تكمل هملتهم كما نرى اشكالهم للرسومة على نوافذ الكنائس . بينما هم في نظر الذين عرفوهم امس مثلنا وليسوا كلهم على شاكلة او شبه واحد كانوا نراهم من الاحياء ذوي العماء الحارة تختلف وتباين سحنهم وصفاتهم وطباعهم وأمرحتهم . وفي هذا التباين نراهم قريباً من الناس بل لا معرفة شيء عنهم . ومتى نظرنا اليهم هكذا ، استطعنا ان نغير بينهم وفهمهم متى التقينا بهم ، ونعلم كيف رعب للشيخ في كل صوف الشرير ومثله وكيف يرغب الآن ان يتقدم في ملكوته كل اصناف الشر حتى الذين على شاكلتنا

اكتب هذا الآن في قرية صغيرة على شواطئ البحر الاطلنطي يسكنها جماعة من صيادي الاسماك وامامي متبع من البحر اشبه بحيرة تبلغ مساحتها اثني عشر ميلاً في ستة اميال في حجم بحيرة الجليل . تكتنفها جزر قائمة في مرض البحر على مسافة بعيدة . وهنا في هذه القرية اثني يومياً بالصيادين اصحاب زوارق الصيد وهم قوم من طبقة بطرس ويعقوب واندراس . يتصفون بالشجاعة والمجدوء والجلد والثابرة . وأكثرهم متدينون جداً ولو انه يبدو عليهم العسك والاحتفظ في امر الدين . ومتى تعرفت اليهم حدثتك شخصياتهم فتذكر احدهم سرعة حائطه وحاصر بديته . وتذكر الثاني ببوسته وكآته وضيق دائرة الحق والوصول في نظره . وتذكر الآخر بنظراته الخاصة في الحياة وهي مريجة من الكآبة وخفة الروح .

وقد ترى حساسية غريبة يكثر وجودها في الأقوام التي تعيش حياة السداحة والقطرة ، واحياناً تقديراً غير متغزل للجمال الصامت . وفي كل ليلة قبل الفجر تخرج زوارقهم النشيمة الصنة الى مواطن الصيد . ويمرودون نارة شبك مثقلة ، واخرى يصبون طول الليل ولا يمكن شياً . حياتهم حشة خطيرة . وتبدو لم يمش على اليابسة حياة بليدة مملة ويخيل اليه ان الصيادين انفسهم يلداء غلوف . ولكن يرول هذا الزعم متى تعرفت اليهم وسمعت احدهم يحدثك عن روعة الفجر في البحر ، او جمال كوكب الصالح النير ، او سمعت آخر يحدثك عن اجاراته في زوامة فجائية عاتية ، او معارعة كلب من كلاب البحر او قيصانة جبارة

هذه الصورة تمثل لنا الحياة في كهرناحوم بجانب البحر . وهؤلاء هم صنف الرجال الذين جعل منهم يسوع رسلاً له . هؤلاء هم الصيادون الذين عرفهم يسوع صراحة افكارهم ورغبتهم بحرا الله ومحبتهم له واقاصيصهم ومكائهم الجافة التي لا شك حكت احياناً على الابتسام في الايام السعيدة التي قسوها في الجليل قبل ان تحمل بهم للتاعب الجسيمة

وما كان أشد قنوده عليهم ولوثق صفة مهم - يوحنا ذلك الشاب المملوء بالاحلام والاماني . توما الهادي . ذو الوجه الوديع . سمعان الوطني الثائر للتمرد . بطرس للتدفع الأهرج الذي أحبه بصمة خاصة رغم حيويه . الصولان اللذان لا يفترقان فيلس ونشائيل . والياقون حتى الاسحريوطي - الذي كان من بلاد يهوذا وأحسن كانه عريب وسط الآخرين وهم من سكان الشمال - كانوا كلهم بشراً فيهم كثير من العيوب والنقائص البشرية . ولكن فيهم وحد يسوع صحابته ، وبنوهم كل يشر بالوحدة والوحشة - لان طبيعته ناقت الى الصداقة والالفة ، وفيهم ألقى مرامه

وفي الطريق الأول رى طبيعة الحال اكبرهم مركزاً وأشدهم حماساً وهم الذين تولوا الزعامة فيهم ، وكانوا أمتهم اخلاقاً وأشدهم ولاء يسوع وقصد العظيم -

وكان ذلك الفريق « روجين » من الأخوة : بطرس واندراوس — يعقوب ويوحنا — والأربعة متلاصقون وهم أول من تعرفوا الى يسوع من صحابته. ولذا نرى أحدهم وهو يكتب بشارة يوحنا في أيام شيوخته يذكر كل التفاصيل الدقيقة حتى ساعة اللقاء : وكان نحو الساعة الرابعة بعد الظهر بينما كان اثنان منهم - اندراوس ويوحنا — واقفين مع العمدان عند سحر الاردن حين مر يسوع امامهما وسما للعمدان بإحدى عندئذ « هوذا حمل الله ». فسار الاثنان وراء يسوع بخطى متعاقبة محاذرة أملين ان يكلمهما. وقد ضل وأخذهما الى منزله الصغير ومكثا تلك الليلة عنده وتعبها معه وعرضا أفكاره. ولما خرجا تلك الليلة تحت الكواكب العاصفة أحسا ان قلبهما قد استلآ حباً جديداً ورجاء وعبرة. وتدل العالم في نظرهما وتسلق به قلبهما الى الأبد.

وكان أحد دينك الاثنتين اندراوس أخا سمعان بطرس. هذا واحد أولاً اخاه سمعان وجاء به الى يسوع. واظن ان يوحنا جاء أيضاً بأخيه يعقوب

يسير هؤلاء الاربعة معاً. واستطيع ان اتصورهم وهم يتبعون يسوع وهو نازل من الجبل اتصور بطرس رجلاً متوسطاً في العمر لا شاماً ولا شيناً (« لما كنت أكثر حداثة كنت محتلق ذاتك. ولكن متى شحت فان آخر يمنطقك ») صياداً خشناً صمخ الجسم وجهه قد لوحته الشمس والبرءاء، ميالاً الى الفكاهة والزرع، شعوقاً محباً، وهدوءاً محبوباً من زملائه، اسناناً له صفاته التي قواها يسوع، سريع الاعمال والتأثر، انساناً يأبى الاخطاء شأن أي شرير آخر يرجى منه شيء من الخير وفي قلبه التكبير حب عميق ليسوع. حتى أحس مدفوعاً بحرارة كبر السن ان عليه واجب الاعتناء بسيد الاصر منه متناً اذا لم يمتن هو نفسه. وقد أسيحت له حرية المعارضة والاحتجاج أكثر من الآخرين. ومرة ذهب في ذلك شوطاً بعيداً ولكن يسوع الذي فهمه جيداً لم يسيء فهمه

الى جانب بطرس ليس أخوه اندراوس — بل يوحنا زميله لللاصق له. « بطرس ويوحنا » ينسكبران دائماً معاً في رواية الانجيل. وليس يوحنا رعيّاً

ولكنه شخصية اعمق من بطرس . هو مفكر حقيقى . واتصوره شاباً حلو اللامح
 رفيقاً وديباً . له عقلية الادب العالم وعيون الرأى صاحب الاحلام ، اسافاً يظفر
 وهو على هذه الارض « باباً مفتوحاً في السماء » . وكان أسرع النكل في ادراك
 افكار سيده السامية . وقد انطوت نفسه ونفس اخيه على جوارح متقدة تحفية حتى
 أطلق عليهما يسوع لقب « ابني الرعد » . ولم يزل احد منهم حظوة القربى لدى
 يسوع كما نال يوحنا ، فهو « التلميذ الذي كان يسوع يحبه »

واندراوس يشقى مع يعقوب . وافضل ما نعرف عنه انه جاء باخيه الى
 يسوع . وتقول التقاليد الكنسية انه « صلب » وكان ينشر البس بالمسيح وهو معلق
 على صليبه . وهذا هو الاصل الذي يرجع اليه « صليب القديس اندراوس » . اما
 يعقوب فلا نعرف عنه الا القليل . وهو قد مات في مقبل عمره . ولكننا نعلم ان
 يسوع أطلق عليه لقب « ابن الرعد » وكان خطراً على هيرودس حتى انه أمر
 بقطع رأسه وكان ذلك الطاعية قد قهر على اثنين من زمرة الصحابة الاثني عشر
 هما يعقوب وبطرس ولكن شاء الله ان يموت يعقوب وينجو بطرس . وربما لو عاش
 يعقوب لكان اعظمهم جياً . انما دعاه الله اليه لخدمة أخرى هناك . ويعلم هو
 وبطرس الآن لماذا سمح الله بموته يومئذ . ولا شك انهما تهادنا عن هذه الشؤون
 عندما اتفيا في الحياة الاخرى ، يوم لحقه بطرس بعد اربعين سنة

هذا هو الفريق الاول ، وهم الرجال الرعاء ذوو العاطفة الحارة والحاس
 الشديد . يعقوب الجريء القندلم الذي مات لاجل المسيح . اندراوس الصليبي الذي
 جاهد لاجل المسيح . يوحنا الفكر العميق والقليل الكلام . وبطرس الذي كان
 يتكلم احياناً قبل ان يفكر ، بطرس الشهور الكثير الخطأ وهو أكثرهم بشرية .
 ويحلو لهم ان يفكر كيف مال اليه يسوع واحبه مع انه كان متهوراً وبقي خائفاً
 خائفاً ثلاث ساعات . بل هذا ما يملأ قوس بعض منا بكبير الرحاء ، نحن للتهورين
 الجبناء الذين نحس في اعماق قلوبنا مع بطرس المسكين فنقول . « يا رب انت
 تعرف كل شيء » . انت تعرف اني احبك »

هذا هو الفريق الاول . ورب قائل يقول : « لست انا واحداً من هؤلاء .
لاني لست متحسباً وما انا الاّ مليد بارد . تساوري الشكوك . واسهر اسبائلاً اتي لا
أنت الى السبح بسلة ماء ، ومع ذلك لست اذكركه ولو قدم لي العالم كله »
ادن لسفر الى الفريق الثاني — الى فيلبس وشائيل ورفائيل ومثى وتوما
هؤلاء يختلفون عن الفريق الاول . وهم يحبون يسوع ولكنهم لا يصدقون لفرامة
والقيادة . منكرون ولكنهم يرتابون احياناً . وقد افضى زمن طريل على مصهم
قبل ان يؤمن ان يسوع شخصية إلهية . وليس هذا عيباً لانه هكذا تركبت
هوسهم وطباشيرهم

انظر الى فيلبس : سألته يسوع يوماً : « من اين نتاح الطعام لاشباع هذه
الجاهيل النفيرة في الصحراء ؟ » أراد بذلك ان يتحقق ايمانه ولكن فيلبس لم يفتح
في هذه التجربة . وعوضاً عن ان يقول : « يا سيد أنت تستطيع ان تعمل كل شيء »
أخذ يعمل عملية حامية ليعرف متى الحبر في حانوت الخبز واحب « يا سيد . لا
تقدر . فهذا يكلفنا مبلغ كذا من النقود » . ومرة أخرى يطلب فيلبس دليلاً
فيقول : « يا سيد ارانا الآب وكفانا » فليفت اليه يسوع ويوجبه بركة « انا معكم
زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس ؟ الذي رأيته قد رأى الآب » . هذا هو
فيلبس الذي نراه دائماً يسمى وواء الادلة والبراهين . يريد ان يرى دائماً . وليس
هذا في حد ذاته أمراً شائعاً اذا لم نركب فيه من الشكط

وكان رميله شائيل على شاكلته ومع ذلك لم يكن على شاكلته . كان ايضاً
بطليلاً محاذراً مرتاباً الى حد ما . يأتيه فيلبس يوماً ما رضة حارة لينجبه عن يسوع
للسيا . ولكن شائيل يحيط به شكوكه فيقول « وهل يخرج من الناصرة شيء صالح »
ولكنه في اللحظة التي رأى فيها يسوع زالت عنه كل شكوكه . وكان انساناً صامتاً
منكراً يقضي وقته تحت شجرة التين في حديقة منزله في القرية والصلاة والتفكير
عن الله . وفي مثل هذا الانسان تتولد سريعاً الرؤى الروحية . وبعد ان قضى نضع
دقائق مع يسوع نسمعه يصرخ قائلاً : « يا معلم . انت ابن الله ، أنت ملك اسرائيل »

وكان شتايل صديقاً محبوباً من فيلبس، أميناً مخلصاً رائق القلب شديد العطف والولاء، صريح القول والفكر. وهو الذي قال عنه يسوع «اسرائيلي حقاً لا عش فيه» أما توما فهو المعروف في نظرها بالمرثاة . وكان من عادته ان ينظر دائماً الى النواحي للظلمة في الاشياء : « يارب نحن لا نعلم الى اين انت ذاهب فكيف نعرف الطريق ؟ » ولا عرض يسوع نفسه للخطر عند موت لعازر نرى توما يوقن ان سيده لا يدعاه. ونراه ايضاً يرفض الايمان في القيامة بشهادة رملانه الرسل. وكان مستمداً ان يبدل كل شيء، لتحقيق هذا القول ولكنه لم يقوَ على تصديقه في اول الامر. هذا هو تركيبه الطبيعي، وغيره ايضاً يحاكونه في هذه الطبيعة. ويجد البعض صعوبة في الايمان بالسيح أكثر من غيرهم . وامثال هؤلاء يكونون عادة امناء سليمي النية ومتى عرفوا المسيح صاروا أشد الجميع تعصباً له وتشبهاً به . هكذا كان توما . فع انه لم يعرف الطريق الا انه تبع يسوع الى اللثهي . ومع انه أحسن بان يسوع يقتل لو ذهب الى حثارة صارد فان القلب الامين المخلص صرخ قائلاً : «لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه» . ومع انه اسطفا في الايمان بالقيامة الا انه بعد ان اقتنع لواقع ايمانه فوق الجميع وصرخ قائلاً : « ربي وإلهي ! » ولم يكن احد قبل الآن قد دعا يسوع إلهاً

ومتى بفتح مع توما — فالأثنان صامتان هيايان خجولان — ولا مرف الكثير عه . وقد كان ابن حلفى — والارجح كليوباس — وإذا كان الامر كذلك فهو ابن خالة السيد . وكان منبؤداً من أسرته ، هشواً وحانياً للاموال . ولكن لما استأثره يسوع لى النداء صل وشتم « ولوقت ترك كل شيء وتبعه » والارجح ان تدرييه الرسمي هياً له مركزاً خاصاً عند ما تولى جمع «اقوال» يسوع التي صارت فيما بعد «بشارة متى» . وحدث في الرومية التي أعدها متى في داره ان أنزعت دسمة الفرسيين والكتبه من يسوع ذلك التصريح الخطير الذي تنحس فيه امجيد : « جئت لادعو ليس ابراراً بل خطاة الى التوبة »

• • •

واما افراد الفريق الاخير فيندر ظهورهم في النشائر لو في قصة سعر الاعمال .
والارجح ان اعلمهم وجوهرهم كانت في اصقاع نائية . وهم بمادج للجهال الصيرة
من الامناء في كل العصور الذين يسلون صائتين ولا يعرفهم غير الله ، واسماؤهم
مكتوبة في سعر الحيلة — وهؤلاء هم أخوة متى الثلاثة ابتاء حتى : يقوب الصغير
. ويهوذا وسمعان التنيور — كلهم من اليهود للتشدين ويزداد تشددهم لان أخاهم
كان عشاراً . واما يقوب الصغير فقد صار فبا بعد أسقف اورشليم . وكتب يهوذا
فلك الرسالة الشديدة الهمجة في الهد الجديد . وكان سمان وطلياً متحمساً وثائراً
ضد رومية . وربما يصح ان نصير هؤلاء لشهداء في النيرة صيقي الفكر . هم الذين
عابوا على طرس ان يأكل مع الامم وهم الذين لم يميلوا كثيراً الى آراء بولس
المجددة في السعي لاجل كنيسة جامعة يقف فيها اليهودي والاممي على قدم المساواة .
قوم صيقي الفكر ولستهم شديدين النيرة . وامثال هؤلاء كثيرون في هذا العصر ،
وامثال هؤلاء تنسج افكارهم بعسل اتسالم يسوع . والوقع انهم بحاجة الى سعة
الفكر ولكن موقعهم هذا لا يحلو من الحور ، فهم يتشاة الد لصد تيارات الاحطاء
والابتكارات المستعذبة

وأخر الكل واقلم شاماً - يهوذا الاسخريوطي — الرجل اللاني الذي قام
باداء الرغيلة الادارية العملية لطينة هذه البعثة . وليست هذه وطيفة هينة في
الكنيسة . فان رجال الادارة والعمل الذين لا يقدرين ان يعلموا او يكرزوا يزدون
خدمت نافعة في تكريس مقدرتهم الادارية لخير الكنيسة ، ولو اني لست انظن
انهم يرتصون مقارنة انفسهم يهوذا هذا

ولا يسع اراء الا أن يشامل فائلاً لماذا اختار السيد يهوذا او لماذا قبل يهوذا
نفسه . وليس شك انه لم يقل جرماً وراء مقنم مادي فان موارد بعثة قوامها اثنا عشر
من الفقراء شحيحة للرحمة لا تنسج الخلال للسرقة لو التلاعب . وهناك قصة شحية
مشيرة للموافق ان نعرفها عن لقائه يسوع لأول مرة ، قصة تمل اختيار يسوع اليه
وضه الى ذمرة رجاله المختارين . ولا بد انه شعر بجهادية نحو يسوع او ربما أحسن

بسمه وشعر انه سيكون بأمن الى جانبه. ولست انكر انه قد تدانى الى أخطر مستوى في التذلة والشر ولكن لست أنسى له انه أراد أولاً ان يكون مع يسوع. ولست أنسى انه في وسط آلام وخز الضيق ظهرت فيه رجولة كافية دعته لان بقي بالرشوة في وجه الذين خدعوه ويذهب ويشق نفسه. والامان الصغير النفس لا يفعل هذا. وقد كان ليسوع تأثير على نفسه أعظم مما عرف حتى حين عند ما تحيل انه سيحكم على سيده وشعر انه هو الذي أسلمه « خير لملك الانسان لو لم يولد » ولكن هل ينسأ يسوع الى الابد ؟

دعا يسوع كل اصناف البشر ليكونوا رسلاً له. وفي ميدان خلعتهم متحجب ليهود كل اجناس النمس - البقريين والنيوريين والرتانيين والحاثريين والجللاء والبلهاء. وفي كلنا عناصر من العظمة يهذبها ويصقلها، وعناصر من الشر يقتلها فينا ويبيدها. يريدنا كلنا ويدعونا كلنا

وهو يرغب بين رجال الدين في النيور المقري الروحي ونبي الرب. ولكنه يرغب ايضاً في الخدام السكين المحبول المحردص صاحبة القول وقوة التنظيم والادارة، الذي تكون حياته المحبة المادئة عظة مستمرة ناطقة. وكذا بين الطائنين يرغب في النابغة دي النفس الشفوقة الناعمة الذي يحمل الدين حذناً، وإيحاً في المادىء العانت الرقور الذي يمتاز بالشعور السليم الصائب. يرغب في المرأة الناضجة العاملة التي ترمع العالم بأعمالها ومؤلفاتها بحو الله. ويرغب في الام السليطة الساذجة التي هي نور بيتها والتي ينهض اولادها ويباركونها. يريدنا كلنا ويدعونا كلنا. ويستطيع بنمته ان يجسنا للعالم ركزة وقيضاً عيماً



الفصل الرابع عشر

جنازة نائين

بعد الوعظة على الجبل عاد المسيح الى بيته « ولما أكمل يسوع اقواله كلها في مسامع الشعب دخل كفرناحوم ». وكان معه الاثنا عشر بنعوس ناشطة بعد رسالتهم وقلوب مليئة بالخشوع العميق وهم يهكرون ويستمعون ويشاهدون ويهبتون انفسهم — وهم لا يطون — لهبة للسبت العظيم
يرون ابرص ياتساق يتقدم اليه وهو سائر في الطريق قائلاً له : « ان اردت تقدر ان تطهرني » فيحييه يسوع « اريد فأطهر »

وبعد ساعة يرون سادناً آخر أهم ولوفر في التطلم . وكانوا الآن قد دخلوا المدينة طاردهم طرفاتها العميقة للتوبة بالجموع للعبادة به الرابعة فيه التي تبته . وبينا السيد ذاهب في طريقه الى عرفته الصغيرة التي كان يقطعها بمنزل بطرس وادا بوقد من شيوخ كفرناحوم يستوقفونه ويتقدمون اليه برجاء غير عادي — ان يفعل صميم احسان لجدي وثني — وكان القائد الروماني لشركات العسكرية الرومانية القائمة على التل في حالة فزع واضطراب بسبب غلام شاب من اهل بيته يشحكو آلاماً شديدة وهو معذب قد اشرف على الموت

ولم يكن أمراً مألوفاً عادياً ان يطلب يهودي صنع معروف لوثني. ولكن ذلك الوثني كان رجلاً غير عادي ، رجلاً كبير القلب مفرماً شغوفاً بسببه ، رجلاً كبير النفس شعر بغم عقيدته الوثنية ووجد في العبادة اليهودية الاله الواحد القنوس بعض الشعب لاشواق ورغبات نفسه العميقة — امثال هذا من المؤمنين الامناء هم الذين يجدون يسوع . « اباه الله الذين في السموات » امثال هؤلاء يجذبون الى اللعاطيس

وطباً عرف ذلك القائد الشيء الكثير عن يسوع . فكان زميله في وطنه ذلك النبيل الذي كان ولده مريضاً في كثرناحوم . وهو منذ شهور يمر في طرقات المدينة بشق النفس بسبب ازدحام الجاهل ، وتأنيبه التقارير عن اقوال ذلك السي الشاب . لكنه لم يستطع الا احترامه وتوقيره من بعيد . ولم يكن الا « حاضناً من الام » . لذلك توسط له اصدقاءه من اليهود قائلين : « انه مستحق أن يُصل له هذا لانه يحب امتنا وهو يري لنا الجمع »

اجابهم المسيح الى سؤالهم وسار معهم . ولكن ذلك القائد حين رآه قادماً اليه أحس بأنه قد اهرط وتجاسر في الطلب . تأمل صابغاً رومانياً متكبراً يدي هذا الشعور نحو يهودي !! ولا شك ان المسيح قد أثر في نفسه بشكل مريب واعاد الى غيظه أساطير دينه عن نزول الآلهة الى الارض . وانظاهر انه رأى في المسيح ما لم يكن قد ادركه بعد الرسل انفسهم : ان يسوع الناصري أكثر من مجرد انسان بشري رائئ . وقلبك حين رأى للمسيح عن بعد ارسل اليه اصدقاء يقول له « يا سيد لا تتبع لانني لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي . لذلك لم احب نفسي اطلاقاً ان آتي . لكن قل كلمة فيبراً غلامي »

ولا شك ان يسوع احب تواضع الرجل وقوة ايمانه . لان القلب الصادق الامينة يشعر دائماً بعدم حداثته واستحقاقه : « يا رب لست أهلاً . ولكن انا في حاجة اليك . وانا اثق فيك » . ومثل هذا القول اشبه « بحول سفر » يذهب بالمرء الى احاط قلب يسوع

والاهب من هذا شدة ايمان الرجل . وقد تشكل هذا الايمان بفصل مرانه اسكري . فكان العالم غير المنظور في عرفه اشبه بمسكر من القوات الحية الجبارة تسود فيه قوة يسوع القاهرة «لاني انا ايضاً انسان مرتب تحت سلطان . لي جند تحت يدي . واقول لهذا اذهب فيذهب . ولا حرايت فيأتي . ولبيدي اصل هذا فيفعل »

سر يسوع جداً لانه لم يصادف من قل ايماناً كهذا . واذا هو يراه في رجل من

الام يسخيل رؤيا ملكوته المقبل ، للكنوت الجامع في السلم ، الذي يمتد الى ما وراء حدود الشعب المختار . وهو شبه بانذار لتلك الشعب الذي كان قد بدأ ان ينجيب آمله فيه . « ولا سمح يسوع هذا تعجب منه والتفت الى الجمع الذي يبقيه وقال : اقول لكم لم اجد ولا في اسرائيل ايماناً بقدار هذا . واقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشرق والغارب ويتكثرون مع ابرهم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات . واما هو الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية ، هناك يكون البكاء وصري الاسنان » وقد كان هذا الكلام مؤلماً جداً في اسماع اليهود . « ثم قال يسوع قائمًا للثلاثة : اذهب وكما آمنت ليكن لك . برأ علامه في تلك الساعة »

وهكذا أثبت قائمًا للثلاثة وأتذر اليهود وتعلم الرسل درساً نافعاً حتى معهم مدي الحياة . واضاف السيد عشرة أخرى الى العشرات التي حسبها عليه اعداؤه وحقدوا عليه ببسبها في صلورهم



كانت هذه مسخرة بارزة ولكنها لم تكن شيئاً مذكوراً بالنسبة للحادث الذي وقع في اليوم التالي . ولا بد ان السير وراء يسوع في تلك الايام كان حافلاً بالدهشات والفراب وكانت لكل يوم احداثه البارزة ومدعشاته الجديدة . ونحن نحفظ للشيرلوكا حسن صنيعة في انذاره قصة جلزة ابن ارملة ناين من ايندي النسين

وفي اليوم التالي ذهب الى مدينة تدعى ناين وذهب معه تلاميذه وجمع كثير . وكانت ناين بلدة جبلية صغيرة في جوف الجليل ، على مفرقة من مكان ساحرة عين دور ، وعلى مسافة عشرين ميلاً من كفر ناحوم . ومعنى كلمة ناين . « مار وحميل » — وربما استحق بحق هذه التسمية ولو انها اليوم بقعة جرداء موحشة . وما تزال بقايا هذه القرية القديمة جالمة فوق منعدبرات حرمون الصغير ، وكذا بقايا البلب القديم حيث التقى يسوع بالجنزة ، وكهوف اللدائن القديمة على مسافة ميل من البلدة . ولذلك يسهل ان تصور لاهتنا الشهيد الذي

اقبل فيه يسوع واتباعه نحو المدينة ، مشهداً بسيطاً هادئاً ، تقع فيه امين على الماشية
 رعى الاعشاب على جوانب التلال ، وعلى الفلاحين وهم عائلون من حقولهم ،
 والاطفال يلعبون عند باب المدينة ، وأشعة الشمس المائلة الى الغيب تلامس برقة
 وحنان الاشجار وسطوح المنازل في تلك البلدة الصغيرة الهادئة الجميلة . كل شيء
 كان بهجاً هادئاً سعيداً . وبقية تسال نبات الاسى ويسمعون عن نهد عويلاً
 وروولة . ثم يلحون عند باب المدينة مقدمة موكب جنازة كبيرة . حنارة مؤلمة حقاً .
 وفي الشمس حثة صبي ميت مغوف بالاكفان البيضاء والرأس والاكتاف عارية .
 وامام الشمس امرأة تنثر قد هدت فداحة للملاب كل قوتها . « ابن وحيد لامي
 وهي لرملة » . هنا صورة للحياة البشرية وما فيها من متناقضات السعادة والحزن .
 صورة تمثل فيها اللآلئ الالهية القاصصة للظهور حين تنور لحاة لشعر صفو الحياة وهناتها
 وفي كل مكان يفسح الانسان الطريق امام الميت . ولذلك نرى يسوع
 واتباعه في صلف كثير وخشوع رائع ، يتحون الى جانب الطريق تحراً الام بولدها
 للميت . ولم تقع عينها في فرح مرارة نفسها على ذلك الواقف الى جانب الطريق
 وقبه يسيل نحوها عطفاً واشفاقاً

وليسح لي القاري ان أنجيل هذه الصورة :

افكر في تلك الام والاحبات الكثيرات على شاكلتها مدى اجيال التاريخ
 يظهرن امام المسيح في تلك اللحظة مع ذلك الان الميت . بل تمثل امامه تلك
 للامسة الاشد للآلأ وهي موت الابن موتاً روحياً ، الاس للوقوف ليس باكفان
 القبر البيضاء بل قيود العادات الشريرة التسمية . وحاملو نفسه وهم الزملاء
 والاحباب الطائشون يطوحون به الى بؤرة التعار . والام وهي تسكب قلبها سكيناً
 لا تنظر في ألها وانكسرهما الى المسيح الواقف على جانب الطريق . وانا اعلم انه
 هناك دائماً في مثل هذه الاحوال ولو انها لا تراه وهو يشحن عليها . وكل نرى من
 هذه للآلئ دون ان تذهب الى قايين ؟ !

وان أكثر الصور ايلاماً للنفس واطولها بقاء في الذاكرة صورة أم شكلى

تكي ولدها الليث . او ما هو أدهى وأمر ولدها التحدر الى هوة الخراب والفساد .
والدرس الملم الذي تتقنه عن قصة نايين هو ظهور المسيح في الصورة بمظهر الحصون
للشفق في كل حلة . وليس حاته الختان المصيف غير الجدي بل الختان القادر على
كل شيء ، العطوف الحب الذي شاء اخذ الولد الليث الى حياة انبل واسمى يواقي
يرعى صينه ذلك الابن الشارد الصال بألم أكثر من ألم امه . وفي هذا العالم
يسمى دائماً وراء من صل وانفدع لعله يظفر به ويرده الى حظيره

ينظر للمسيح بين الختان الى تلك الام للعدة . وفي لحظة يلس الشمس فيقف
حاملوه جامدين . وتبوء كلت القوة في قلب الليث ورأسه ، ويهتز لها العالم الروحي
الذي صمدت اليه تلك الروح . يجلس لليث ويتدنى بتكلم . فيدعه الى امه —
يدفعه الى امه ! ألسنا نرى هنا شعباً لما سيعطه الله؟ ألا يقوى هذا في قوسنا الرجاء
بحلول اليوم السعيد — في العالم الآتي — يوم يأخذ الله وهكذا وولسي ويدعه الى امه ؟ !
هنا نرى قلب الله . وليست هذه القصة خيالية خرافية . بل حدثت فعلاً .

لان جماعاً كان مع المسيح ، وجماعاً آخر كان في مشهد الجنائز ورويت القصة في كل
مكان والرواة يعلون انهم يقصون امرأ بعيد التصديق . « خرج هذا الحبر في كل
اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة » واستول على الجميع خوف عظيم ومحبوا الله
قائلين « قد قام فينا يبي عظيم » و « اخذ الله شعبه »

ولكن رب ام حزينة باكية تصرخ في شكها قلب مرتجف قائلة : ولماذا لا
يقيم هذا الاله الرؤوف الشفوق ولذي وساثر الاولاد ؟ واعتقد ان مثل هذه الام لا
تفي ما تقول . فقد كان في اسرائيل في عصر المسيح اراذل كثيرات ثاكلات
كثيرات القلب مثل ارملة نايين . ويسوع نحن عليهم ولكنه لم يدع اليهن
اولاده . ونحن لسنا نلدي لماذا فعل ذلك في نايين فقط . ولم يرد ان يعمل غير
ذلك . لانه اذا صدق ايماننا بان اللوث هو ميلاد الى حياة اعظم واكبر ، هو تطور
النفس الى وحد انبل وأكثر حرية . عندئذ يكون مثل هذا العمل اشبه برد فرخ
البحار الصغير الى البيضة التي قفس منها . لورد العقل الى رحم امه . او اعادة

الفراسة إلى دودة مرة أخرى. وقد فعل المسيح مثل هذه المعجزة — أحياء لليت — ثلاث مرات في حياته وهو وحده يعلم السبب اليقين. ولستأ نستطيع نحن إلا الخدس بروح الوفاة عن سبب امتناعه عن تكرار هذا المنهج

والآن إنها الأم : احفظي نفسك في أفكارك . احفظيه في صلواتك اشكري الله لأجل الحياة الأسمى والأعظم التي دعاه اليها . واعلمي أنه في تلك الحياة الحرة الراقية يرداد أهلية لانتظارك عند ما يحين اليوم الذي يرضى فيه الله أن يخلصه اليك



الفصل الخامس عشر

في الخلاه

كانت رسامة الاثني عشر بمثابة ازمة في حياتهم . على تلك اللحظة كانوا في رفته باستمرار في الفترات التي كانوا يخلون فيها من الأعمال السيد . اما الآن فكان لزاماً عليهم ان يطلقوا أعلم العالمية « وتركوا كل شيء ويتبعوه » . ويمتلوا في معاشهم على ما لديهم من الدر القليل وعلى ما يوجد به عليهم سخاء الخبيرين . وكان قد عرف ان وقته معهم قد مر حصره من تلك الساعة في تعليمهم وتدريبهم استعداداً ليوم الذي يبارحهم فيه . ومن تلك الساعة صمم نصب أعياناً كلما تفكر في معجراته وتعاليمه في حضرتهم . وهم لم يدروا من الأمر شيئاً ولكن كان انخراط الامم من هذه المعجزات والتعاليم تدريبهم وترويضهم وبعد دعوتهم الرسمية بتقليد راه يوفدهم في رحلة لاعلان ملكوت الله . وواضح ان القصد من وراء ذلك هو تدريبهم لمهمتهم الخطيرة في المستقبل لكي يتعلموا العمل مستقلين بدون حصوره الجسدي معهم . وكان عليهم ان يدعوا بجل الثقة لا يحصلون معهم كياً ولا مزوداً . وان يسيروا كرسل الله . وفي هذا نسمعه يقول « اعطيكم قوة وسلطاناً تصنع المعجزات والكرارة بملكوت الله اني ندهبون » ومن السهل علينا ان نرى أهمية هذه البعثات التي كان يوفدهم اليها في تدريبهم واعتمادهم للمستقبل

خرجوا من لندة اثنين اثنين ربما بحسب ترتيبهم في قوائم الرسل : فيبس و برثولاموس - متى وتوما - الخ . وبلا شك كان يصلي هو لاهلهم ويسمهم في غيبتهم

ولكننا نراهم وقد عادوا الى كفرناحوم أسرع مما كنا ننتظر . والراجع لهم

سارعوا في العودة حاملين الاناء الحزينة التي لا تهم . فهي الجنبوب فاضت الاخبار القاتمة بان هيرودس التالي قطع رأس يوحنا المعمدان . وكانت تلك الاخبار قد وصلته لان «تلاميذ يوحنا دفنوا الجسد وأتوا وأحرقوا يسوع»

جاء الاثنا عشر متحسين مقتبطين من فوزهم في مهبهم — «يا رب حي الشياطين كانت تخضع لنا باسمك» وكان السيد فرحاً شاكراً . وهكذا نرى أولئك البسطاء ، الاطفال في المسيح ، قد بدأوا يصلون كيف يأتون ببركات اللعكوت لابناء الانسانية

* * *

وهنا نجيء الى مظهر مبهج في حياة السيد. فما هوذا يأخذهم لقضاء ايام في واحة وصلة . وكانوا قد جازوا فوحده مصطراً بسبب موت يوحنا المعمدان وربما مصطراً بسبب أمر آخر . فان كمرناحوم كانت تتأرجح بمجموع ثائرة اجتمعت فيها من كل نواحي الجليل وندت عليها علامم الثورة والهياج ضد مظالم هيرودس قاتل يوحنا المعمدان . وقد أرادت هذه الجموع ان ترى يسوع وتسمع تعاليمه . ولكن بالنسبة لما حدث في اليوم التالي نعلم ان الامر لم يكن قاصراً على الرؤية والاستماع فذلك حسرات حادة ، وتقولات لاحداث ثورة عامة على رأسها للسبا . وقد طنوا ان ذلك يوقد الثورة في نفسه ويدفعه الى نبوءة مكانة الزعم السيلسي لاثاد شعب الله من نير الظالم والعلول . ويصف البشير المرح والرج في كمرناحوم ، والجمهير الاثارة الصاخة ، وذهاب الاباب الكثيرين ، والتجهر والحادثة حول هذه القصة الصغيرة المثبتة — قوله «لم يتيسر لهم فرصة للاكل»

عندئذ تقوه يسوع بالكلمة التي كانوا هم في حاجة اليها : «فقالوا انهم متعددين الى موضع خلاء واستريحوا قليلاً» — عرف انهم في حاجة الى الراحة . وقد كانت لهم شاقة عليهم أجهدت عقولهم وأحسادهم . وراحت الطينة بله احاطة الجماهير بهم . فاحتاجوا الى تيسير تام والى راحة كاملة . وليس شك انه هو نفسه كان اخرج اليها منهم . وكل بلد لنا ان هدف هنا لتفكر هنية في ان يسوع احتاج لراحة

وتنير وسط العمل شأن كل واحد منا . فمن انه حير لم ان يهرعوا الى الحقول
والاحراش والجبال وبحاري الاهلار لتخفيف وطأة الاجهاد الذي أصابهم وراحة
العقل والشركة مع الله . «ضالوا معي الى الخلاء واستريحوا»

وهذه الدعوة الحكيمة المطبوعة تقرّبه اليّنا كثيراً . فهو هكذا دائماً . يعرف
تركيبنا ويذكر انا تراب . وخير لمن يجهلون انفسهم بالاعمال الكثيرة ويتعبون
أعصابهم ان يشعروا سقطة عليهم في حاجتهم للراحة ، ويطلبوا ان اوقات الراحة
والعطلة ، وأوقات العمل والسعي هي تدبير ارادة الله للشفقة

* * *

يخرجون الى الخلاء للراحة والاقطاع عن العمل —

يسحب بطرس السفينة الى شاطئ البحر . وهناك يجلس السيد والكمل
يحبطون به . يرددون الشرح الحراء السراء ويوجهون الثقة الى الجهة الشمالية
الشرقية صوب تلال الريف بعيداً عن الصرضاء والصحيح - لراحة والعطلة —
وهم فرحون اذ يشعرون مرة أخرى ان سفينة تحت أمومتهم . يتباحثون ويتحدثون
ويقاطعون بعضهم بعضاً وهم يذكرون انفسهم باحتبارات الرحلة التي كانوا فيها . ثم
يقلوب ملؤها الحزن والتصب يحبرون يسوع بكل ما سمعوا عن موت يوحنا المعمدان
ولكنهم شأن جميع للهمكين في أعمال كثيرة . يجدون انه من الصعب
عليهم الحصول على راحة تامة . فانه لم يمكن صدّ الجماهير المردحة على الشاطئ .
وكان المسيح قد بلغ أوج شهرته . وعرفت الجماهير اتجاه السفينة وقرا كسوا من جميع
الذين مشاة وسيقوهم واجتمعوا اليه . حتى النساء يحملن أطفالهن للرضى ترا كنس
الى هناك مع المجرع التعميرة

وسرعان ما نزلوا الى اليبس حتى أحاطت بهم الجماهير وافسدت عليهم تدبير
الراحة . أما هو فلم يهتم وقال هذا النظر بقلب راضٍ ورحب بهذه الافوف
الكثيرة التي عكرت عليه أوقات عركه واغراضه وافسدت عليه تدييره . سموا اليه
ورغبوا فيه وهذا يكنيه . نحن قلبه نحو الامهات يحملن فئات اكبادهن للرضى

وقبل مرحاً هلاًكاً باشاً، مطيحاً قلوبهن بكلمات رقيقة عن ابوة الله «وشفى مرضاه»
 ساعات طويلة تقضت في العمل والجهاد . واقبل النساء . وكان يسوع يكره
 في هذه الجموع الجلاسة للثمة . ويفكر ايضاً في تدريب تلاميذه الاثني عشر . ولما
 نراه يلتفت الى فيلس ليحمله على الصليب . « من أين يتاع خبزاً لتأكل هذه
 الجماهير يا فيلس ؟ » يقول هذا لكي يتبعه ولكنه لم يفر في الامتحان . يقول :
 « مستحيل يا سيد . فهذه الجموع لا يكفيها أقل من عشرة خبثات من الخبز ! »
 أما يسوع فلا يجابه . وهو يعرف أين موضع الصمت ويترك الفكر يعمل في
 نفس فيلس . يرى مبلغ أثره في الآخرين . ولكنهم ليسوا افضل من زميلهم .
 ولما صار النساء تقدم اليه تلاميذه قائلين : « يا سيد اصرفهم . لقد مال التها .
 اصرفهم لكي يمشوا الى القرى ويتاعوا لهم طعاماً » فيجيبهم يسوع : « اعطوهم انتم
 لياًكلوا » — « يا سيد كيف ذلك ؟ هل يتاع في هذه الصحراء عشرة خبثات
 خبزاً ؟ »

ثم تقدم يسوع لعمل . لعمل صبيح البر والاشفاق لقاء هذه الجماهير الجلاسة ،
 صبيحاً كان له اعنى الامر في نفوس تلاميذه الذين لم يكامل ايمانهم بعد — « كم
 رعيقتكم ؟ اذهبوا وانظروا » فأجروا ان اليهم خمسة أرغفة وسمكتين وهذا هو
 كل عشايتهم . فأمر ان تنكئ الجموع صفوفاً صفوفاً مئة مئة وحسين وحسين
 « واخذ الارغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك ثم كسر الارغفة
 وأعطى تلاميذه ليقدموا اليهم » . وبما هو حذير بالراعاة الكفيلة الخطيرة القاتلة :
 « وضع نظره نحو السماء وبارك ثم كسر الارغفة وأعطى تلاميذه » وتكاد تكون
 هذه الالفاظ هي التي استعملت تماماً عند كسر الخبز في العشاء الرباني بعد ذلك .
 وسنرى بعد قليل ان فكرة ذلك العشاء جالت بخاطره ، وهو الخبز النازل من
 السماء لاطعام الالهة البشرية الياسة . فكأنه قد بدأ عند ذلك ان يعد تلاميذه
 الاثني عشر لادراك سر الشركة للقلصة

ويروي هذه العجزة البشرون الاربعة . وقد شهدوا الاثنا عشر . ورآها

الجبوع ونحن قبلها كما هي مدونة في السر القدس . وتؤمن في بساطة الايمان ان المسيح أحرأها تقوته كما يعمل معنا كل سنة ، بصفته رب المصاد - معجزة بمائة اعظم منها في تكثير كل حبة صفيرة ، ثلاثين وستين ومائة ضعف

وسرعان ما انتهى الشاء حتى بدأ الاضطراب . فارب الجماهير لما شهدت للمجرات هاجت واملحت وأحس المسيح ان في نيتهم أخذه بالقوة وتنصيبه ملكاً عليهم . وكان ممكناً لحصة آلاف من شعب الجليل المائج احداث ثورة هائلة لا سبأ وان أعصابهم متوترة سد ثقل يوحنا المعمدان . وكان الوقت في عيد القمح حين تؤم اورشليم جماهير وافدة من كل شعب اليهود . وكالوا يشنون لو استطاعوا أخذه الى أورشليم واحلقه بجماهير من عامة الشعب تنضم اليهم في الطريق والتادة به ملكاً لليهود بين مندوبي الشعب الوافدين من كل انحاء الارض في عيد القمح وقد كان هذا خطراً دائماً يمرض قمعه الاسمى الى الوار . لانه لو بدت ملكوت الله في شكل حركة سياسية عالية قصت القماء للبرم على كل أعماله البتي فقلها ، ولكان خلاص العالم تحول الى ناحية أخرى واتخذ طريقاً آخر لذلك أحس ان من واجبه ان يحمي عن انظارم . والظاهر ان التلاميذ كانوا يسطقون على الجماهير بدليل انه « أزمهم » واجبرهم على النزول الى السفينة بدونه والذهاب الى وطنهم « حتى يكون قد صرف الجمع »

ثم مضى يسوع الى الجبل ليعطي . وقد كان هذا ملاذه عند اشتداد الازمة . وها هو يتوقع حدوث حادث فان أورشليم تزداد اضطراباً وعداء ، وموت يوحنا المعمدان أثار عواطف كاسنة ، وشعب الجليل ينكر في ان يحمل منه رعباً وعللاً يقود ثورة عامة

اتقصى التسق وعقته ظلمة الليل . واشتدت الظلمة حلكاً واتصف الليل بالهم . وثارث زوايج عاتية تصف عصفها بين التلال . وهناك ، هناك فوق الجبل نرى للمسيح وحيداً يقضي الليل كله في الصلاة لله . وهنا يحسن في وقار وخشوع انه استعرض في أفكاره مهته في الحياة ، وهذا العالم الخاطيء الناس ، وجوع

القرود بين الذين اطعمهم ، والاثنى عشر الذين اختارهم لتأسيس للكنوت . وكان جميع هؤلاء لا يدرون انه يسكر فيهم في صلواته . وهذا العالم العظيم المائج الذي نحن اليه المسيح قلبه ساعته لم يدر شيئاً ولم يفكر في ذلك الرقيب الساهر في وحدته وعزته . كان الحصة آلاف الذين اشبع بطونهم بياداً تحته في القرى والسياع . وكان التلاميذ الاثنا عشر في اضطراب وزرع لانه لم يكن معهم في العاصفة . وهذا ما يحدث لنا نحن حين نشور العاصفة ونما كسنا الرياح — غزع ونضطرب ويتولانا اليأس ويتحكم فينا الجرع ، ونسئ بل نشك احياناً انه ساهر يرقبنا ويحتني بنا ويتشفع فينا



والآن اخذ العجر الودحي يبرغ في أفق الشرق . وها هو يرقب تلاميذه في شدة العاصفة ورام «ممديين في الجذوف لان الريح كانت ضدهم» . كانوا في خطر عظيم . وكان الخطر يعاقم . وهنا نراه ابصاراً يعلمهم بطريقة عجيبة خطوة فضولة . بقي الزوينة السافرة كان الوقت نهائياً وكان هو معهم في السينة وقد مرهوا ان في حضرتهم لا يحقق بهم مكروه . ولكن عليهم ان يعلموا كيف يتقنون فيه ويتمثلون عليه وهو بعيد عنهم وغير منظور لهم ، وان يسيروا بالايمان وليس بالبيان . وكان يعلم ان الكنيسة القتية ستعيش في عالم عاصف بعد ذهابه الى الآب فاذا هم فاعلون بدونه عند هبوب العواصف ؟ وكما يدفع القصر صفاره من على الجرف ، فاذا تولواها الغزع ينقض عليها وينقذها — كذلك يدفع بهم للمسيح الى الخطر تشبيهاً لما سيحل بهم في المستقبل بدون حصوده المنظور لهم ، حتى يعلموا انه معهم ولو انه غير منظور بينهم . واذا ما دهشت — ايها القاري الكريم — عد النظر الى الايمان الجبري الذي بنا على ذلك القوم في أخريات حياتهم ، فاذا كان هذا هو ثمرة التدريب للفتن الذي نألم على يد سيدم وهو على الارض

والآن غداة في شفق التبهر «في المربع الرابع من الليل» يرون يسوع ماشياً على الماء . وفي بادى الامر يفزعون ويضطربون ويصرخون من الخوف كما يحدث

عادة عند ما يمحي ، البنا السبح في ساعة من ساعات الظلمة او الملع ربما يأخذ عزيزاً علينا الى الحيلة الاخرى . فنخرج ويصرح من الخوف . ولكنهم يسمعون صوته وقد علا فوق أزيز الريح كما تعلم ان يسمعه معنا بعد اقضاء العاصفة » تقوا انا هو . لا تخافوا »

ولكن التعليم لم ينته بعد . فانه في وثبة الثقة القحطية عند رؤيته يصرخ أحدهم — هو بطرس بالطبع — بطرس التهور الحب ، الذي قلما يفكر قبل ان يشكلم . فيقرر في الماء اولاً ويجد نفسه وسط الامواج المحطرة ويصرخ « يا سيد ان كنت انت هو فرتني ان آتي اليك » وكان قد شمر بالحبل حين بدا عليهم الخوف والاضطراب وأحسن يدافع لان يسبق الجميع في الثقة بسيد . أليس هذا هو بطرس تلمذاً ؟ أليس يمثل هنا موقفه في ليلة الصلب : « يا سيد ان تركك الجميع فانا لا اتركك ! »

وقال له يسوع اتمل كان يسطف حقاً على بطرس هذا ، التدفع للتهور . وهو يحب اولئك للتهور من الاشياء الذين يرتكبون الاغلاط أحياناً . « فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي الى يسوع » . استطاع ان يمشي على الماء وهو ناظر الى سيده ولكنه لما أدار بصره وانصت الى الرياح الصاخبة خاف وانتأ يترق فصرخ : « يا رب اني انا اهلك ! » فهي الحال مد يسوع يده وأمسك به ولا اهده وجهه اليه هذا اليوم الرقيق « يا قليل الايمان لماذا شككت ؟ » كست نستطيع الفوز في هذه التجربة لو لم يساووك الرب . ألم يكن هذا درساً ناصحاً لتلاميذ ؟

* * *

كل هذا وتعليم ذلك اليوم لم ينته بعد . وكان لا بد لم ان يدركوا معنى سرّاً أعمق في اشباع هذه الجماهير . والنشير يوحنا يذكر ما قاله البشرون الآخرون . فانهم لما وصلوا كفر ناسرو واستراحوا واكلوا خرج يسوع يد الظفر الى البحر وهناك انصت حوله الجماهير الثائرة . ولم يفكروا ويحدثوا الا في موضوع معمرة

الارغفة ويسوع يسارم في حديثهم وتفكيرهم . ولكنه يفاجئهم معاجاة غريبة مدحشة لم يخطأ من قبل —

« اعملوا لا للطعام البائس بل للطعام الباقي للحياة الابدية الذي يعطيكم ابن الانسان انا هو خبز الحياة انا هو الخبز الحى الذي نزل من السماء ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم »
لا غرامة ان ينزعهم مثل هذا الكلام . وتبدو على وجوههم علامات الحيرة والارتباك . وعطروته وايلاً من الاسئلة والاعتراضات . وحتى الرسل انفسهم يشعرون ان هذا الكلام بعيد عن مداركهم . ورنما لم يذكر لنا في رواية السفر المقدس الا خلاصة مقتضى الحديث الذي جرى . فهل لنا ان نتجلى الآن ونصح عن الفكرة التي شرحها لهم يومئذ ؟

..... هالك غداء للنفس كغذاء الجسد . وبالمس كانت احسادكم ضعيفة هزيلة فلما احلستم بالارغفة جاءتكم قوة جديدة وشحاعة . وهكذا أيضاً في حياة النفس . وبطريق لا تصوره الآن أعطي حياتي وقوتي للناس . أتيت ليكون لهم حياة وليكون لهم افضل من ياكلني فهو يحيا بي

ولسا نستغرب ان يصمت السامعون في دهشة وحيرة . ونحن الذين عرفنا كيف يعطي المسيح في خدمة السر للقدس حياته وقوته للناس لا يصعب علينا الآن فهم هذه الاقوال . ولكنها كانت الفاراً صعبة لسامعها في ذلك اليوم ، حتى ان كثيرين من اتباعه رحلوا الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه . وهنا اثنت يسوع أسفاً الى تلاميذه وقال لهم : « أأنتم ايضاً تريدون ان تمضوا ؟ » فأجابه الرسل الجبارى : « كلا يا سيد الى من نذهب وكلام الحياة الابدية عندك ! » ولكنهم عرفوا معنى هذا الكلام عندئذ الى حد ما . ونحن نعرفه الآن الى حد ما : « جسد ربنا يسوع المسيح الذي بذل لاجلك يحفظ جسدك وروحك الى الحياة الابدية . خذ هذا كله تذكرة ان المسيح مات لاجلك واعتبره في قلبك بالايان والشكر »

الفصل السادس عشر

قيصرية فيلبي

الآية تأتي الى اسبوع دقيق في تدريب الاثني عشر رسولا : وها نحن نرى في الاتفاق علام ازمة تقترب في خدمته بالجليل . فلجناهير لم تعد موضع الاهتمام . وسمع أكثر عن التلاميذ . ويقترب الزمن الذي « بُنيت فيه وجهه ليطلق الى اورشليم » . ومن ذلك الوقت يزداد تفكيره في النهاية والاستعداد لها . ويدور هذا الاستعداد حول الرجال الذين سيأخذون على انفسهم حل رسالته بعد ذهابه عنهم . وها هم قضا معه أكثر من سنتين ولكنهم باقون الى الراء ولم ينفقوا من الفكرة اليهودية الصيقة في توقع مسيح رمي يشرع محمداً لشبهه . ولم تحارم قط الفكرة بان سبيل تضحية ذاته سيختم بموت ذليل وقيامه من الاموات تكون فاتحة للكوت الروحي الواسع النطاق . واذا تقترب النهاية يجب أن يكونوا لما متأهين -

وتراه يميل الى الاختلاء بهم أكثر من قبل . ولم يكن هذا حيناً . وما اليوم الذي دعاهم فيه للخروج معه الى انخلاء وانقضاء الجناهير لآثاره ومناسته على شاطئ البحر الأحمر لاجام كثيرة حدثت من هذا القبيل . فان صيته كان قد ملغ أوجه واستمرت معجراته أنظار كل الشعب . فلم يكن مستطاعاً له العزلة والانخلاء عن الاظفار

وربما كان هذا هو السبب الذي حدا به وقتئذ الى اخذ تلاميذه معه خارجاً عن فلسطين والذهاب بهم الى ارض الكنعانية - الى اقليم صور وصيدا حيث ابرأ ابن المرأة الفينيقية السورية . و بعد ذلك الى اماكن اخرى منفردة لسنا ندرى

ما هي. ويقول البشير مرقس : « جاء الى وادي دلالوثة » وربما كانت تلك في الاقليم الجرداء المحيطة بالبحيرة. وهناك لا رى منه الا لحات متفرقة وها نحن نقط في بداية ونهاية ذلك الاسبوع الخطير : والصححة الاولى نراها في شمالي الجليل عند منابع نهر الاردن وفي وسط للنظر الطبيعية الاخاذة عند منحدرات جبل حرمون حيث تقع المدينة الصغيرة الحميلة التي يطلق عليها اسم « قيصرية فيلبس ». هناك في احد منحدرات الجبل للطل على المدينة يحتل مع الرسل الحواريين . ويقول عنه البشير لوطا انه احتل وحده ليصلي منفرداً . وسد الفراغ من صلاته يقترب الى هذه الجماعة الصغيرة ويسألها قائلاً : « خبروني ماذا يظن الشرفي ». ومن قول المزمور انا ١٢١ : « فيجيبه لولك » يا سيد . يظن البعض مثل هيرودس الملك انك يوحنا المعمدان نُمتح حياً . ويقول آخرون انك ايليا جاء الى الارض مرة اخرى . وآخرون يقولون انك ارمياة أو احد انبياء القديم »

وليس شك انه عرف ماذا يظن الناس فيه ولكنه ولم قصداً من وراء هذا السؤال لانه وجه اليهم سد ذلك سؤالاً آخر فقال : « وانتم من تقولون انا ؟ » هذا هو لباب الامر لانه كان مرشحاً ان يترك بين ايديهم ملكوت الله . فاراد ان يتف على مدى ما تملوه أو فكروا به في تفكك السنتين اللتين قضوهما في التعليم على يديه والاتصال به . وها ايناً نسع بطرس في سرعة وبثير توقف ينطق باسم الجماعة : « انت المسيح ابن الله الحي ! »

كان هذا اكتشافاً هائلاً وارمة خطيرة في تدريب الاثني عشر . ولو قدر للمسيحية ان تفقد قوتها ، فلا يكون ذلك الا حين تغور الرامم حيال هذه الحقيقة المركزية الخطيرة . وان المرء ليؤمله في هذا العصر ان يرى ميولاً تراعاً الى حل الايمان أمراً مهلاً ، وتأويل العجرات حسب الهوى ، والاحلال من شأن عقائد الايمان . وأخشى ما نخشاه ان يكون هذا اقلالاً من شأن المسيح ذاته . هذه هي الصخرة التي تستقر عليها كل الاشياء : « انت للمسيح ابن الله الحي ! »

ولا شك ان هذه الاجابة قد أثرت فيه كثيراً حتى قال : « طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لجأ وحماً لم يسلن لك . لكن ابي الذي في السموات » وكان هذا الكلام ذا مغزى كبير في نظره . وقد وثق الآن في رجاله لانهم بدأوا ان يخشوا ان يروا التور ويذكروا ان مسيهم ليس مجرد زعيم ثورة قومية . بل هو المابط من السماء الى الارض ، ملك ملكوت الله الروحي . ففتح حديد بدا له اليوم ¹

ولم يكن هذا الا خطوة لولى . لانهم ما زالوا يتوقعون ان يقود اسرائيل الى العزة والجلد بسبب عظمتهم ، وترقبوا ان يجيء ملكوت الله بقوة ومجد عظيمين . لذلك كان عليه ان يقدم لسامع امر كرهه على اسماعهم لو قيل لهم على غير انتظار قد يهدم ايمانهم . وكان قد ألمح الى هذا الامر تلييحاً بشون جدوى . والآن أخذ يشرق على قلوبهم المصطرة « سر يسوع » المائل ومن كان هو . ولكنه يشارع الى تحديهم بالآيات بجاهروا به لان وقت اراحة القناع لم يحن بعد - المسيح الازلي الخالد سوف يموت كاتسان قبل ان يعرفه العالم إلماً !

وكان معنى هذا اراحة القناع عن معلومات آلية مرعبة . ومن ذلك الوقت اخذ يعلمهم « ان ابن الانسان ينبغي ان يتألم كثيراً ويرفض ويقتل وسد ثلاثة ايام يقوم »

وقد يظن المرء ان هذا كان كافياً لهم . بيد ان الامر على حقيص ذلك . فقد ارتفعتهم وحيوتهم هذه الاقوال ولم يستسيغوها حرفياً . وكيف يقولونها وهوذا سيدهم الذي أحبوه وعبدوه وحسبوه الهاً نزل من السماء - يقول عن نفسه في بداية الامر انه سيموت ! لا شك انه يقصد معنى خفياً عامساً . وانت لا تنتظر من رجال كهؤلاء ان ينهضوا فوراً لادراك فكرة عن إله يقوم عظمتهم على تضحية ذاته ، إله يسلم نفسه لاجل الشر الى العار والبصق والالم والموت ثم يقوم منتصراً على الموت فيستبيل الى طاعة الحجة ابناء البشرية . كلا ! صعب عليهم قول هذا المعنى حرفياً فلولاهم الجرع عند سماعه ، ولم يفهوا ماذا قال ، وحافظوا ان يسألوه ، ولم يريدوا التوغل في السحت والاستئذنة . بل حاولوا التسيان

أما يسوع فلم يترك الامر في زوايا هذا النسيان . ولذا تراه مدنذ يكرر القول . وهنا اخذ منهم الفزع كل مأخذ . وأحسّ بطرس المسكين كأن قلبه يتشظى بين اضالعه خرقاً وعلماً . وفي تهور وعدم تصديق اخذ يحجج قائلاً : « هلشا يا رب ان يكون لك هذا ! »

ولكن لماذا التفت اليه يسوع في شدة وعف ؟ هل اعاد هذا القول الى ذكرام التجربة في البرية حين ألمح اليه الشيطان ان النصر مستطاع بدون هذه للأساة ؟ وتوسلات الهبة المشفقة قد تحصل القيام بالواجب صيراً . وهل كان المظهر الياذي على وجه بطرس الناس هو الشيطان يملؤد تجربة المسيح ؟ لا بد لنا من تأويل هذا التعنيف الالهي الذي صوبه يسوع الى الشخص الذي أحبه : اذهب عني يا شيطان . لانك تذكر تفكير الناس وليس تفكير الله « لا تنهم بما لله لكن بما للناس »

وترى ماذا يقصد بالاهتمام بما لله ؟ كأنني به قد التفت اليهم وقال . « الاهتمام بما لله معناه الاستعداد لبذل النفس في سبيل الصواب . انتم تفكرون على اساليب تفكير البشر . تريدون ان احلص نفسي . ومن يريد ان يحلص نفسه يهلكها . اما من يريد ان يهلك نفسه لاجل المثل الاعلى فهو يحلصها . هذا هو طريقي في الحياة . ومن اراد ان يسير وراءني فليترك نفسه ويتبعني في هذا الطريق »

دوس سام ربيع بالحق . والظلمة انه كان أرقى مما يستطيعون فهمه . لاهم بدل كل هذا لم يصدقوا في دخيلة انهم ان يسوع سوف يموت . وقد يدو لنا هذا ملادة من جانبهم وسكن علينا الا نسى شدة عناد البشر وتشبههم بالآراء المألوفة وميلهم الى تذبذبات الافكار التي لا تروق لهم . وما في الطبيعة البشرية من جنوح يميل بها دائماً الى ان تترحم وتأمل عدم حدوث الحوادث الالهية المخزنة . وبعد هذا كله نراهم يوماً ما يتنازعون فيما بينهم عن يكون الاعظم في اللكوت القادم . ونرى أم ابني زبدي تعال ان يتسلط ولداها الواحد عن اثنين والآخر عن اليسار .

بل بعد هذا كله يرام يحفلون أمام الصليب كأنه حادثة مباغتة غير متوقعة، ويقولون
 اليأس بعد أن وضع يسوع الميت في القبر. ما أغرب أطوارنا وطائنا نحن البشر !!



وقد كانت تلك الجمعة المخاطفة التي رأوها منه خلال الأشجار فوق سفح ذلك
 الجبل فاتحة اسبوع لم تحج الأيام ذكرياته قصوه معاً وسط موارل جبل حرمون .
 وليس لدينا بيان عما جرى بينهم من الاحاديث . ولكننا نعلم انه كان اسبوعاً خطيراً
 في تدريس وتعليم الرسل . ويفتح الاسبوع بهذا الشهد الذي وصفناه والذي
 انزع فيه منهم الاعتراف الخطير : « انت هو المسيح ابن الله الحي ! » واختتم
 بشهد اعظم منه — هو مشهد التحلي — هو تلك الجمعة المخاطفة التي رأوا فيها
 من وراء القناع العالم غير المنظور الذي جاء منه يسوع

ومما قيل عن اليوم الأخير في ذلك الاسبوع : « وبعد ستة أيام أخذ يسوع
 بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم الى جبل عال . وتغيرت هيئة قدمهم » وقد
 روى لولئك الرجال هذه الحادثة بعد القيامة لانهم أمروا ألا ييؤحوا بها قبل ذلك .
 واذا وصفا الروايات الثلاث لبشائر التي ذكرت هذه الحادثة نستطيع ان نكون
 فكرة عن الصور التي ارتسمت في ذكريات المكائين . كانوا منرددين في ليلة
 مظلمة من ليالي الصيف فوق مسطرات جبل حرمون . وكان السيد بعيداً عنهم
 مشهوراً في الصلاة . وبد أن فرغوا من صلواتهم القصيرة تدروا في عبااتهم وعالمهم
 انما هو قماما . وفي وسط الليل استيقظوا وقد احسوا بلعان شديد وعهد عظيم .
 وكثيراً ما يحس الانسان بحادث جلال حتى وهو عارق في النوم اقتنحت
 اعينهم ورأوا مشهداً لم تألفه عين بشر من قبل . وخيل اليهم انهم في عالم جديد .
 ور عما ظنوا انهم قد ماتوا وانتقلوا الى عاليا اسماء

كان السيد مستمر في صلاته . وفيما هو يصلي تغيرت هيئته . واذا قد اقترب
 نحو الآب وتخاص مع العالم غير المنظور أشرق اللاهوت في داخله . وهذا نوره لامعاً
 في الجسد . وايمست ثيابه وتلعت . ومن وراء حجب العالم الروحي الذي ارسده الى

الأرض برزت اشباح ارواح، ارواح موسى وإيليا زعمي شعب إسرائيل الظالمين. وكانوا قد جازوا إلى ذلك العالم منذ أمد بعيد. ظهروا في الجحيم وتحدثوا عن رحيله، عن «خروجه» الذي كان عتيقاً أن يكمله في اورشليم. تكلموا عن خروجه كما شادت تلك الأشباح الروحية بدخوله — ثلاثين سنة خلت في سهول بيت لحم. أجل كان العالم الروحي متصلاً به مناسباً معه! فنذ ظهور الجبهة الروسية التي شادت عند مولده في سهول بيت لحم حتى مطهر الرجلين بلباس ابيض «الذين ظهروا عند صعوده» — حدثت غارات روحية، وسمعت اصوات، وحدثت غلواهر واشارات — من عالم غير هذا العالم أبدى شديد اهتمامه برؤية فداء البشرية. وكل قارىء مصنف في الإنجيل لا ينكر ذلك

ونحن نعتقد أن هذا العالم الروحي ما زال يحيط بنا. وإذا كنا لا نستطيع رؤيته، فإذ ذلك لأن النور المشرق حولنا غير ملائم ولأن بهارج هذا العالم تعطس معالمه. كما يحدث كل يوم إذ ينجي عن اضطراب ضوء الشمس ذلك الكون العظيم الذي يبدو للعين في غلظة الليل البهيم. فنور الشمس لا يلائمه ولو لم صرف غلظة الليل لما آمنّا قط بالعالم المرصع بالكوأكب فوقنا. ورعنا عند ما تنفض أحفاننا في غلظة الموت، وليس قبل ذلك، نجتاز إلى النور الذي يرينا عالم الأرواح. إنما لنا يقين ثابت بأن هذا العالم يحيط بنا كما كان في حياة يسوع



تقرس الرجال الثلاثة للخياري المذهولون. تفرسوا في صمت المأخوذ حتى غلب هذا الشهد عن اصلاهم. وعندئذ لم يستطع بطرس المتهور ضبط نفسه. وهو قد شعر أنه في السماء من حلال هذا الشهد. والسكين لم يكن قد استمتع النساء مؤخراً بعد إذ سمع تعليقات عن موت سيده ومداد صدمه ذلك التثيف القارس. فليس شك أنه أراد اطلالة مشهد السماء أمام نظره بقدر الامكان

«يا سيدي. جيد أن تكون ههنا. فلنسمع ثلاث مقال. لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة». وكان هذا قولاً خشناً جافاً. وبما يستدعي النظر هنا أنه

يروى الرواية عن نفسه (ولا يموتنا ان انجيل مرقس هو في الحقيقة انجيل بطرس) ثم يتندر بقوله : «لاني لم اكن اعلم ما انكم به لاتنا كنا مرتسين»
«وفيما هو يشكم اذا سحابة نيرة ملتهم وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابي الحبيب الذي به سررت له اسموا . وستطروا على وجوههم ولم يدروا شيئا حتى جاء يسوع ولهم . فرصوا ورأوا نور النجم قد انشق من فوق الجبل ولم يروا احدا الا يسوع وحده»

اتمى للشهد . واغقت ابواب العالم غير المنظور وشعروا انهم لم ينتقلوا فعلا الى السماء

وقد كان «التجلي» من العالم الفاضحة في الكنيسة الاولى حتى دونت القصة في البشائر الثلاث - هذا إشارة يوحنا - فاذا طلع فيها نحن ؟ هل كانت مجرد رؤية وحلما لا حقيقة فيه ؟ كلا ثم كلا . فان الرجال الذين ابصروا هذا الشهد لم يفكروا شيئا من هنا قط . وبعد حدوث هذه الحادثة برمن مديد يدكر يوحنا الشيخ تلك الليلة كأنها حقيقة عظمى عند قوله : «ورأينا مجده مجددا كما لوحده من الآب» . وطل بطرس يروي الحادثة للكنيسة في قوله : «... كما معاينين عظمته... ونحى ممسا هذا الصوت مقبلا من السماء اذ كنا معه في الجبل للقدس» (يو بط ١٦٠١-١٩) . وكل شك في حقيقة هذه الحادثة انما ينسرب اليها من عقولنا المادية وعدم شعورنا بالعالم الروحي المحيط بنا ، والذي احاطه يسوع دائما وكان في مجلس شديد معه كما يتصح لنا في الانجيل

فكر ايها القارىء - هنية بروح الوفاء والخشوع في هذا الشهد . تصور السيد نفسه مشمورا في الصلاة مثبتا وجهه للذهاب الى اورشليم ليلاقي الموت هناك . وهل نسبح لافسان قول في وقار واحترام انه احسن حاجته الى الصلاة لاحل نفسه ، لكي تهبأ نفسه وتسخر في سلام الآب ، وأن هذه الحادثة بمثابة استجابة لصلاته فأعيد الان لحظة الى موطنه الاصلي وتسمع تبارك الآب وتمجده «بالحمد الذي كان له قبل تأسيس العالم»

فكر في معنى هذا للرسل الجياري للذهولين وكيف مما هذا الشهد بافكارهم
 حيال السيد بعد اذ رأوا ان هذا الذي يسيرهم يوماً بعد آخر في رماله بشرية قد
 احاطت به هالة من الاحترام والسجود من العالم وراء السحب. ألم يُضهِم هذا على
 تهم سر قناؤل السيد وهلوه نفسه وثقتها في مجال ملكوته رغم القتل الظاهري ؟
 وكيف يشعل والعالم القادر على كل شيء « الله ولللائكة الاطهار والارواح الابرار
 المسكينين » نفسه ونفسه له النجاس والفورز . ولم يترك ذلك العالم الروحي عن
 محادثته والعطف عليه . فما هنا اثنان من ارواح العقلاء الذين رحلوا منذ قرون .
 قد ارتقا فوق الافكار البشرية وامتلأ بحس شديداً من الحياة الاخرى . فوسى
 لم يتكلم عن فرعون ولا السحر الاحمر . وايليا لم يحكر في كرم تابوت اليزرعيلي لان
 كل هذه الذكريات كانت تافهة لا قيمة لها . انما « تكلمنا عن خروجه (موته)
 الذي كان عتيقاً ان يكله في اورشليم » ألا ينبتنا هذا اتها وزملاءها وراء
 الحطب يرقبون باهتمام شديد حياة سيدهم على الارض والحادثة العظمى لفداء
 الانسانية . وهي اكبر سادنة في تاريخ جنسهم البشري ؟

ثم ننقل الى تقيبة اخرى نرى انفسنا : ألا يعيننا هذا القصر — الذي
 ابداه السيد الكريم من احاطة العالم الروحي بنا وعطفه علينا — على الايمان او
 على الاقل الرجاء بان امراءنا احياء اليوم في عالم الارواح وهم يشعرون ويدكرون
 ويرقبون ويعكرون في حياتنا على الارض ، ويحبوننا ويسندوننا ويصلون لاجلنا
 نحن الاحياء في عالم الظلال هذا ؟ كانت هذا عقيدة لدينة منيرة ملأت قلب
 الكنيسة الاولى . وكانت اروقة العالم غير المنظور مليئة بمجهور انظاره ، شبه
 بالاولاد « القماماء » في المدرسة الذين يحضرون الحفلات السوية لمشاهدة الالعاب
 والساعات التي اشتركوا فيها يوماً ما . وهذه هي الفكرة التي جالت بمخيلة كاتب
 الرسالة الى البرانيين عند قوله « لذلك نحن ايضاً اذ ناسجانة من الشهود مقدار
 هذه محيطتنا . . . لتحاضر بالصبر في الجهاد للوصول امامنا »

الفصل السابع عشر

الوداع ايها الجليل ١

لله ذلك الاسبوع الذي انزع للشيخ في أوله من تلاميذه ذلك الاعتراف الطاهر، والذي نحلى في آخره عهد وبهاء - اسبوعاً خطيراً بمثابة ازمة حديدة في تاريخ السيد . فهو يبدو غير ما كان كأنه يسو الى مرتبة اعلى واعظم . ويفكر ملياً في الحاتمة للتظرة . « وحين تمت الايام لارتفاعه ثقت وجهه لينطلق الى اورشليم » ولكن لا يليق بنا الآن ان نسق الحوادث وما كان اسرع ولشد الانتقال بعد التجلي من مشاهد السماء للتناسق الى مظاهر الارض للتأينة . نلن بطرس انه حير له لويقي في سلام في الاوساط السابرية . ولكن هيات ذلك ، وحية الارض واتعابها تصوم للعمل والجلد . وهم نازلون نسهم يسألون سيدهم قائلين . « لماذا يقول الكتبة ان ايلياء ينبغي ان يأتي أولاً ؟ » فاباهم : « ان ايلياء قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا » وقطعوا في زاوية سجنه

وعند ما نزلوا الى منحدرات الجبل لقيم التلاميذ الآخرون . وهناك تسعوا اصواتاً مقلقة ، صرضاء الجوع ، ككالت السخرية والاصوات المكرة . والظاهر ان الجوع قد عرفت مقرم وهم في خفوتهم ، وان حادثاً مكندراً قد حدث . لان التلاميذ التسعة الآخرين كانوا صامتين مصطربين . وكان الكتبة يهرأون ويسخرون . و بنته يراه الجمع « ولما رأوه تحيروا » ربما لتعير في منظره وشكله لما بدا عليه من علام الجلال والحد بعد ليلة السحاب الذهبية فوق جبل التجلي تقع هباء على لولئك ، ذوي البيات السيئة للريرة . وبأحد التلاميذ للتكشين الحاتمين تحت كعنه وحاجته . « ماذا تقولون ؟ وبماذا نحاورونهم ؟ » فيترجع الكتبة

وبصت التلاميذ . ولكن واحداً من الجمع بقي بنفسه جاثياً عند قدميه قائلاً :
 « يا معلم . اطلب اليك . انظر الى ابني . فانه وحيد لي » ثم يروي قصة ذلك التلام
 الالية للمصباح روح محس أحرس . يأخذه فيصرخ فتنة ويبقي نفسه في النار أو
 للاء « وطلبت من تلاميذك ان يخرجوه فلم يقدروا » . وهذا يعطل سرائرهم
 الكتبة للتلاميذ ، وبلا شك سيدهم . ما أعظم الفارق بين هذا الشهد الأليم المقبض
 وبين رؤيا السناء الجميلة العذبة التي رآوها بالأمس !

— « أيها الخليل غير للؤمن الى متى اكون معكم ؟ قدم انك الى هنا . وقل
 لي كم من الزمان منذ أصابه هذا ؟ »

— « منذ صاه . ان كنت تستطيع شيئاً فضعني حلياً ! »

— « ان كنت تستطيع أأنت قادر ان تؤمن بي أكثر من ذلك ؟ »

ولوقت يصرخ أبو الولد للموع : « يؤمن يا سيد فأعن عدم إيماني » —
 وكانت صرخة من صرخات الإيمان تسللت الى قلب يسوع الشفوق ، صرخة
 ما أكثرها شجراً بصرخات الرثاين التي تصاعدت اليه منذ ذلك الحين . وحالاً
 خرج الروح النجس بعد ان صرع الولد . وأعلمه يسوع وورده الى أبيه

وطبيعي أن يسأله التلاميذ الهرمون بعد ذلك « لماذا لم تقدر نحن ان نخرجه ؟ »
 فيجيبهم يسوع ان اخفاقهم راجع الى قلة إيمانهم وانخفاض مستواهم هو لانها معجزة
 ذات صعوبة خاصة . وهذا درس مجزأ نحن على تطبيقه على أنفسنا . ألا نحيي
 علينا أيام ينخفض فيها مستوى حياتنا الروحية بسبب إهمالنا وتراخيها وتكون في
 أوقات أعجز من ان نخرج شياطيننا . ان لكل منا شيطاناً يصعب عليه اخراجه .
 شيطاناً لا يعلم منا إلا بالجثو على ركبتنا . « هذا النوع لا يمكن ان يخرج الا بالصلاة
 والصوم ! »

• • •

والآن لم يعد مجدياً ان يقولوا في خلوتهم بعد ان عرفت الجموع مكهم . انك
 راهم يواصلون السير الى موطنهم في كبرناحوم . وهناك تحفي الايام سراعاً . ولان

الوقت قصير أراد ان يوجه عناية خاصة الى اثني عشر . وأحسن ان من واجبه اجتنب الجاهير وصنع المعجزات العامة وتوجيه العناية الخاصة الى مختاريه الذين اصطفاهم . ويقول لنا الشير مرقس انه لم يرد ان يعرفه الناس وهم يازولون . وكان يحدّثهم في الطريق عن موته العنيد ان يكمل

وهم قد اخفوا الى دروس كثيرة قبل ان يلقوا درجة الفهم . وقد يحيل الينا اننا لو كنا في مكانهم لكننا اسرع منهم فهماً . ولكن لتصورهم سائرين في طريق الجبل عائدین الى موطنهم ، والسيد يسير في المقدمة متصرفاً الى افكاره السامية وهم يتحطرون وراءه اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة . يتهاسون معاً ولا يريدون ان يصحهم . «لأنهم كانوا يتحاشون في من هو أعظم» في اللكوت الجديد . والظاهر ان فكرة اختبرت في ادمعهم قوامها ان أزمة خطيرة سوف تحدث في تطور هذا اللكوت . والارحح انه كان هناك شيء من التحاسد خشية ان يكون بطرس ويعقوب ويوحنا قد اخفوا العلاقة ودية . . . لا تكن قاسياً في حكمك عليهم ايها القاري . ! لان سيدهم لم يقف حيلهم هذا الموقف . وهم لم يصيروا بعد قديسين بادليل النفس والنميس ، بل هم حتى الآن شرذمة من الفلاحين البسطاء . وكل ما في الامر ان فكرة عن المستقبل جالت في انجيلهم ، وكلُّ منهم صورها لنفسه كما شاء

يسوع لم يتدخل . وهو لا يتدخل عادة في افكار الناس الخاصة . ولم يتكلم الا في الفرصة اللائقة . غنوا انه لم يفتن الى الجاهل . ولكنه في الساء التالي وهم جالسون للراحة في دار بطرس يباغتهم بهذا السؤال : « بماذا كنتم تتكلمون فيما بينكم في الطريق ؟ » وهنا ألهمهم يظرون الى بعضهم نظرات التخليل . ينظرون الى كل شيء حواليم ، أما الى وجهه فلم يستعليعوا رفع النصرة فيه . ادركوا انه قد عرف كل شيء . وفي اضطراب وحيرة غفلت ألسنتهم عن التكلام . وهنا أرى ولد بطرس الصغير يتأرجح على ركبتي السيد . وكان الولد شغوفاً به . فملك يرفعه السيد على ركبتيه ويبدو الولد الصغير الجانم بين أحضانه مثلاً التافلين : « انظروا اليه . من ينح نفسه مثل هذا الولد فهو الاعظم في ملكوت السموات »

من قلب هذا الولد عليهم درساً صد الحسد والرساء الذات. وكان قلب الطفل الصغير أحب الأشياء لديه اذ هو نموذج لأجل ثم ملكوته . لان الطفل الصغير غير للدلل لا يشعر انه يذل نفسه في أداء لوصح الخدمات . وهو لا يسعى وراء كافر الامور ولا يطلب مجداً لنفسه. ولكنه يذهب اتي يؤمر ويأخذ ما يعطى له. يستطيع ان يكيف نفسه تكييفاً حسناً مرضياً لكل أوصاف الحياة . ولا يشعر شيء من الاعتداد الذاتي . لا يملك شيئاً لنفسه بل يحيا سعيداً في ثقة مطمئنة بانو به . ويقول يسوع ان الذين الحق ان يكون الانسان مثل هذا الولد في بيت الآب . وان الشرط الاول للظلة في نظر الله ان يكون للمرء قلب الطهارة العذبة

ولكن هناك دروساً أخرى عليهم ان يتلقونها من أمثلة ولد بطرس الصغير. فالسيد وهو يختص العقل ينظر الى المستقبل ، الى الأطفال النيرة الذين يكبرون الى طور الرحلة البشرية بسبب التوايات والتخالجات للظلة في الآخرين . ونحن أعشنا نفس عماراة في النفس عند ما نرى طفلاً ريتاً جذاباً تفتت به الحياة في بيت أبوين بيدين عن الله . وندهش كيف عهد الله الى أمثال هؤلاء ناعس الطهارة الفضة . وهنا يلحق بنا التكبير بأن الله ينظر هذه النظرة عينها . وفي هنا يقول المسيح : « حيرته ان يعلق في عنقه حجر الرمي ويفرق في لجة البحر من ان يثر احد هؤلاء الصغار . اضفروا لا تحضروا أحد هؤلاء الصغار لاني أقول لكم ان ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات »

والاننا عشر انفسهم كانوا في افتقار الى مثل هذا الانذار . ولم يكن للمرأة والطهارة قيمة تذكر قبل مجيء يسوع . وهنا أرسى في احداياه الوداعية في كفر ناحوم صورة أخرى تمثل الاولاد الصغار يبحثون اليه ليباركهم قبل رحيله . وتذكر هذه القصة في الانجيل دون تعيين زمن ومكان حدوثها سوى انها كانت حوالي هذا التاريخ الذي نحي بحدده في وقت كان داهياً فيه الى مكان ما. وهنا افكر في امهات كفر ناحوم آسفلات لرحبه وهن يقدمن أولادهن المحبوبين ليباركهم بركة الوداع . اراهن واقفات عند اسباب متسككات بينا يلقى هو دروسه على

تلاميذه. اما التلاميذ المعتدون بأنفسهم فيقتاتلون اذ يرون النساء والاولاد يلقون راحة السيد في مثل هذه الظروف . وهذه مرة من المرات القليلة التي غضب عليهم فيها . « فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لم دعوا الاولاد يأتون اليّ ولا تمنعهم لان مثل هؤلاء ملكوت السموات . ثم احتصمهم ووضع يديه عليهم وباركهم ومضى من هناك » .

ونلح أكثرأ اخرى لتعاليمه قبيل الرحيل . في ذات يوم سأله يوحنا : « ألم تكن على حق يا سيد اذ منننا واحداً كلن يخرج الشياطين باسمك وهو لا يتبعنا؟ » فأجاب يسوع : « لا تمنعوه . لان من ليس علينا فهو معنا »

وفي يوم آخر يريد بطرس أن يعرف شيئاً عن الثمران فيقول : « كم مرة يعطى اليّ أخي وأنا اصر له ؟ هل الى سبع مرات ؟ » فيجيبه يسوع : « كلا . بل الى سبعين مرة سبع مرات » لان مرات الثمران ليست محدودة . وكيف يجوز للانسان الذي يفره الله — ويقتل من عشرة آلاف ورة — كيف يجوز له ان يحسك بتلايب أخيه للدين له بدراهم معدودات ؟



وهكذا قصت الأيام الاخيرة في كفر ناحوم في تعليم دقيق وأحاديث ودية . ولم يكن فيها الا القليل من المعجرات والتعاليم العظيمة العامة . كان يسوع والاتنا عشر معاً

والآن لتلق نظرة على الموقف قبل رحيله . من وجهة بلوغ قصده الاعظم كانت خدمته في الجليل فشلاً على ما يظهر، ولو أنه قد اصطفى هناك الاحد عشر من صحابه . وفي اول الامر قبله الناس بانتهاج لانه كان يختلف عن أجازهم للتصريفين وكان صديقاً لعامة الشعب . وكان مطلقاً للوطنيين للتحمسين الذين تاقوا الى جبل اسرائيل أمة مستقلة وكانوا يمتنون للنبي مجيء آخر مثل يهوذا مكابوس يقودهم الى الحرية والاستقلال . ولكنهم وقعوا ندرجياً في حيرة ولم ترضعهم مبادئه وتعاليمه . وهذا هو الساء الذي يلاقيه الصالحون دائماً . لان الناس الشغوليين بظلمتهم المحلية

المحصورة لن يتقدروا على رؤية المعنى السامي في ملكوت الله . وهو لم يعمل شيئاً
لقضاء على أعدائه أو استرداد ملك إسرائيل . وكان لهم والثرعات التي أنزلها
حول أحبارهم للسكرمون وكتبة أورشليم أنزها في أنفسهم . كيف لا وقد اتهموه
بأنه اعتلى على ناموس موسى وكسر السبت وأخرج الشياطين باسم سارور رئيس
الشياطين . فلما رأى الناس قد فزعوا منه . ولما قسى على أملم في حمله ملكاً
بعد معجزة اطعام الخمسة آلاف وأدار انجبه افكارهم الى واسع أخرى من الجباز
النازل من السماء عدل كثيرون عن السير وراءه حتى من احلص اتباعه . وفي ذلك
اليوم بدت علامتهم النقص محسنة . وحتى الاثني عشر عثرت عقائدهم بما أساء
كثيراً الى السيد وحله على الالتفات اليهم وعلى معياد أمارات الوحوم قائلاً :
« أطلبكم اتم ايضاً تريدون ان تمضوا ؟ »

والملك الذي تحتبره النفس العظيمة هو قدرتها على مجابهة الفشل . وقد
وقف للسبح هنا موقف الثقة الأكيدة . ليس لأنه كان إلهاً بل لأنه كان اسماً
يسير في طريق الواحد ويوكل كل شيء الى الآب . والنفس العظيمة هي التي
تلقى الفشل هادئة مطمئنة وتسير في طريقها حتى للوت تاركة النتائج لله

وهو الآن ضاهب ليراحه ما خبأ له مصوره بين طياته . « وحين تمت الأيام
لارتفاعه ثبّت وجهه ليطلق الى أورشليم » . وفي اسف عميق يودع الاطليم الذي
ثبت منه والذي خلب فيه أمله . وكما حزن فيما بعد على أورشليم حزن الآن على
هذه المدينة الجميلة القائمة على أكتاف السجوة والتي اتخذها موطناً له أكثر من سنة
في تقلبات كثيرة . ونستطيع ان نتخيله وهو سائر في طريقه الى أورشليم يلتفت الى
الدواء ليلقي على ذلك الاقليم النظرة الاحيرة :

« ويل لك يا كورزي ! ويل لك يا بيت صيدا ! وامت يا كفر ناحوم للرقعة
الى السماء ستهبطون الى الهاوية . لأنه لو سمعت في سدوم القوات المصنوعة فيك
لبقيت الى اليوم »

الكتاب الخامس

ذکریات طریق اور شلیم

الفصل الاول

ذكريات الطريق

ودع يسوع كفرناحوم « وحين تمت الايام لارتفاعه ثمت وجهه لينطلق الى اورشليم » وهنا ذكريات الطريق :

والصدر الاصلي الذي نستقي منه معلوماتنا عن الرحلة الى اورشليم هي الذكريات التي سجلها البشير لوقا في منتصف قمته من حيلة السيد . وقد جمعت هذه الذكريات في ثلاث مائة آية اختص بها لوقا وحده ولم ينسجها احد سواه من البشيرين . فكل من متى ومرقس يعف خدمته في الجليل . ثم يمر مروراً عاجلاً على هذه الرحلة وينقل سراعاً الى اسبوع الآلام كأنه لم يحدث الا القليل في هذه الفترة . اما لوقا فنشئ معها في وصف خدمة الجليل والاسبوع الآلام . ولكنه يدون بين الوصفين ذكريات الطريق التي جمعها وجعلها بمثابة وصلة بين كفرناحوم والجلجثة . وهو يبدأ هذه الذكريات بعبارة يقول فيها : « وحين تمت الايام لارتفاعه بُدِث وجهه لينطلق الى اورشليم »

ويحاول المرء ان يفكر في ذلك المؤلف الشاب بملكته الادبية وشغفه الشديد بكتابه الجديد الذي آلهه . واني اتصوره مسافراً مع بولس الرسول وهو يحمل في حقيقته مسودتين ثميتين . احدهما مدكرات يومية سوف تظهر فيها بعد كسيرة للرسول بولس ويطلق عليها « سفر اعمال الرسل » . ولكن هذه المسودة في نظره ثانوية الاهمية . والذي ينز به هي المسودة الاخرى وهي مجموعة المدكرات التي جمعها فترض العظيم الذي شغف به منذ سنوات ألا وهو تأليف سيرة السيد للبارك الجليل . وفي نيته ان ينشر هذه المسودة قبل تلك . والظاهر ان بولس نفسه كان مشاركاً له في هذا المشروع . بل المرجح ان تأليف هذه القصة كان بإسار بولس . وقد بذل الامتياز

مجهوداً مشتركاً في جمع المعلومات من كل مكان . وفي سفراتها كانا يلتقيان بالتلاميذ القادمين الذين كانوا مع يسوع منذ ثلاثين سنة . و يلتظان الحوادث والاحاديث من المصادر الموثوق بها . وبهذه الطريقة النضجة قصة اللائكة والرعاة ربما من العهود نفسها ، ولثلاثين القيين عن الظروف الحال والابن الصال ، وسائر الذكريات الاخرى التي حدثت اثناء الرحلة الى اورشليم وقد استغرقت ستة اشهر مد ترك يسوع الجليل وسار صوب اورشليم ليلاتي هناك موته

واستطيع ان اتصور شغف الكاتب الشاب في استقاء المعلومات وجمع اللواد . واشعر بمقدار سروره عند عبوره على قصة الابن الصال . اتصوره ذات يوم يبدأ بتكوين « ذكريات الطريق » ويمددها سيارته للأتورة « وسين تحت الايام لارتقاعه نمت وجهه لينطلق الى اورشليم »

ومتى درسنا وصف هذه الرحلة ^(١) لا نجد كما ننتظر وصفاً لرحلة « حوالى » الى اورشليم . لان مثل هذه الرحلة لا تستغرق أكثر من ايام معدودات بينا الواقع ان حوادث هذه الطريق امتدت الى ستة اشهر . والوصف سجل الحوادث التي وقعت في الطرقات خارج اسوار مدينة اورشليم خلال ستة اشهر كان المسيح في خلالها كأنه يحاصر للمدينة ويدل الجهود المتكررة لدخول عاصمة شعبه . ولا يخفى ان العاصفة في كل أمة هي مركز النفوذ والسلطان . ويستطيع في اورشليم خلال الاعياد والواسم القومية ان يُسمع صوته للعالم اليهودي المختشد من حكل البلدان والامصار . لراد ان يدخل الدائرة المركزية في أمة لجميع ابتادها كما تجتمع الدجاجة فراخها تحت جناحها

« وهم لم يقبلوا » ا

لم يقبلوا . وكل مرة دخل اليها كانوا يحاولون قتله وكان يهرب هو منهم لان ساعته لم تكن قد حانت . وكان عليه قبل موته ان يعلن رسالته وان يبلغ شعبه (١) وهي تقع في الفصول ٩: ٥١ — ١٨: ١٤ ولو انه قد أدخل فيها بعض الحوادث القليلة مما وقع في تاريخ مقدم

حنان قلب الآب . واذ قد حالت اورشليم بينه وبين ابسال رسالته هذه كان عليه ان يذمها في أي مكان آخر استطاعه في البرية ، في القرى المجاورة ، ويترك الى تلاميذه أمر حل الرسالة بعده . ولذلك ظل ستة اشهر مطروداً من اورشليم وهو يذيع رسالته في الريف المحيط بها . وقد حلول ثلاث مرات ان يدخل المدينة ابان للواسم والاعباد . وفي مرتين طرده اعداؤه بسف وقوة . وفي المرة الثالثة أمسكوه وقتلوه لان ساعته كانت قد دفت



وبعد ثلاثين سنة يسجل يوحنا ذكرياته عن هذه الفترة عينيها وادابها ذكريات تختلف كل الاختلاف عن هذه . ومن غريب الامر ان ذكريات لوقا تقصر على الحوادث خارج اسوار اورشليم . واما الحوادث التي دونها يوحنا عن الفترة عينيها فخصر على الوقائع داخل أسوارها . ويصعب تهم هذه دون تلك وكأن القصة اشبه بقصة حصار باريس سنة ١٨٣٠ يرويها كاتبان احدهما خارج المدينة يتعذر عليه الدخول اليها والآخر داخلها لا يستطيع الخروج منها ولنا هنا قصتان : احدهما قصة المدينة والاخرى قصة الريف قرنها معاً .

قصة المدينة يرويها يوحنا وهي لا تشير الى شيء من احداث الطريق لو مما وقع خارج المدينة . ولكنها تنتهي بيسوع كلما حلول السحول الى اورشليم ونصف ما يجري عندئذ الى ان يطرده اعداؤه خارجاً وتترقب بجيئة للمرة الثانية ولا تنعه الى خارج ولا تصدى ابواب المدينة

اما قصة الريف فيرويها لوقا . ويبدأ من كفرناحوم متبهاً بيسوع في الطريق الى اورشليم ولكنه لا يتعب حتى المنتهى . بل يتركه عند ابواب المدينة وهناك ينتظر خارج الابواب حتى يلاقيه مرة اخرى . ويتعبه حتى يبدأ محاولته الثانية ثم يتركه الى ان يلاقيه مرة اخرى . وعلينا نحن ان نسج في ثوب واحد هاتين القمتين ومتى استطعنا ذلك رسم أماننا صورة مؤثرة لحوادث تلك السنة اشهر الاخيرة التي قصاها ابن الانسان على الارض . وهو قبل ان يفادر الجليل قد تألبت عليه

الغائب واحتلت به الأفكار . ومما قيل من أيامه الأخيرة في كفرناحوم : « كان يسوع يتردد صد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه » . وها نحن الآن في شتاء سنة ٢٨ م . حين ثبت يسوع وجهه لينطلق إلى اورشليم وإذا تقرأ قصة أسان مضطهد ، قصة تستغرق ستة أشهر قام فيها يسوع بأعمال جليلة حقاً ونال شىء ضالم مأثورة . ولكنها ستة أشهر حافلة بساء التجولات المضطربة في الشتاء والزيارات القصيرة إلى القرى البعيدة الواقعة على الحدود ، ستة أشهر قصاها ان لم يكن في حرب صلي فلي الأقل في محاولات مستمرة لاختناج التناوير الهللكة التي كانت تصاك حوله والتي كانت قد أوشكت البلوغ إلى منتهاها . وفي هذه الطريق إلى اورشليم قيل لنا أنه خلط يوماً ما أحدهم بكلماته للأتورة قائلاً : « للثعلب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له ابن يستد رأسه »



والآن لنختص آثار خطواته في الأيام الأولى في هذه الطريق :

يقرب عيد الحصاد القومي لليهود . وهو عيد للظلال في اورشليم . وهنا يودع يسوع كفرناحوم ولم يبق لنا لا هو ولا تلاميذه بيت في الظهور أو عدم الظهور في العيد . والواقع أن أشياء كثيرة لم تكن متيقنة في تلك الرحلة . لأن يسوع اعترى أن يجعلها فقط رحلة تعليمية تبشيرية . فأرسل قدام وجهه رسلاً ، اثنين ، اثنين ، ليهدوا الطريق أمامه . ووصل اثنان من هذا القوج — هما على الأرجح يعقوب ويوحنا — قرية في حدود السامرة وهناك قوبلا بمحباء وطردهما السامريون الفثيرون « لم يقبلوه لأن وجهه كان متجهاً نحو اورشليم » . وعندئذ استشاط التلاميذ غضباً وطلب يعقوب ويوحنا — نارا من السماء نسقط على تلك القرية كما فعل إيلياء . ولكن يسوع قبل البقاء بهدوء واجاب : « لست تعلمان من أيروح أنا » ومصوا إلى قرية أخرى . والارجح أن اثنين آخرين وصلا إلى قرية بيت عنيا القريبة من اورشليم ودخلا أشهر بيت في القرية حيث كان لمارع مع أخيه مرثا ومريم . وكان استقبالا

مختلفاً . ورغم المعاداة الدينية التي قامت ضده في المدينة القريبة لاورشليم . فإن للمدعات قد أعدت فرح وتهليل لاستقبال النبي الشاب القادم من الشمال الذي كان يثير البلاد ، والذي تحدثوا عنه كثيراً بلا شك

كان يسوع في الطريق وراء رسله . ولا نعلم هنا شيئاً معيناً عن حوادث هذه الرحلة . لأن الوقت كان قصيراً وربما كانت الحوادث قليلة . ولما وصل بيت صيا كان البيت معيداً فرحاً بسبب العيد القومي وكانت الظللات انحصراء مصوبة في فناء الدار وفي الحديقة ، والسيدات مهمكات في الاستعداد لاستقباله . وهنا رى صورة جميلة لكريم الصيافة الشرقية يوم استراح يسوع في هذا البيت وسط أصدقائه الجدد ، وبهم اعتنت مرثا ضافته وجلست مريم عند قدميه تسمع لكلامه

لنصف نهاية في هذا البيت الذي كان له شأن يذكر لدى السيد في أيام الحزن والكتابة التي جاءت بعدئذ . وكانت هذه على ما نعلم المقابلة الأولى مع هذه الأسرة ، التي توقفت معها ربط صداقة جميلة حتى انجذبت انظار المسيحية في كل الصور الى هذا البيت الهادي الجميل في بيت عنيا ، الذي قضى فيه السيد معاً من اسعد أيام حياته . وهنا نرى يسوع في حياته الخاصة يستريح من فرط العناء الشديد في كنف الأسرة وفي احضان الصداقة العائلية . وحسن جداً أن يحظى الإنسان العامل المجاهد بنصيب من هذه الراحة وهذا الانعطاف . وقد كان يسوع يأنس بانه في حاجة الى الصداقة والمعاونة الانسانية . وحتى في بستان حشيشاني — وهو معبد بشركته مع الآب — احتاج الى عند الاصدقاء الذين راقبوه فطلب اليهم الا ينهبوا سيدها « اسكنوا هنا واسهروا معي »

مثل هذه الصداقة لقيها يسوع في بيت عنيا . ونحن نعلم كيف استنبتها وبأدائها الاصدقاء . والظاهر انه كان يملك في ذلك البيت كلما اقترب من اورشليم . وفي اسبوع الآلام استراح ليلة بعد أخرى في ذلك البيت وازاح فيه الثبة . ثم عاد اليه بعد قيامته ليودع الارض منه . لانه في يوم الصود « اخرجهم خارجاً الى بيت عنيا » ومن هناك صعد عنهم الى السماء وجاز الى الابجاد التي نزل منها

« واحب يسوع مرثا واختها ولعازر »

هم نخاضح للاصدقاء الذين احبهم يسوع والذين تذكروهم اجبال التاريخ .
وكلنا يعرف مرثا الاخت الكبرى العاملة ، مدبرة المنزل الحكيمة ، النشيطة دائماً ،
ذات الطبع الخالد احياناً ، وفي الوقت نفسه ذات القلب الذهبي . ونعرف ما حلت
عليه من الاحترام والوقار للسيد . وفي عنايتها به كانت مسوقة نغائر الامومة
الطليعية التي حنت على نبي شاب مصطفي لم يكن له أين يسد رأسه . وامثال مرثا
في عصرنا هذا هنّ ملح الارض ، للديرات السلخات ، للبرضات الحاذقات ،
السيدات القديرات الشيطانات اللواتي يقع عليهن عبء العمل كله . ولا تملن
انطوائهن فهنّ لا يتكلمن كثيراً عن الدين الذي هو القوة المسيطرة في الحياة .
ويخضن شواهن ويغفن الماطقة . ولا يفسحن مجالاً للسحب والحفاقة . ولكن
يخفن تحت هذا الطبع الجلف للتقذ قلوباً بحمة شعوقة . والشباب قد يهزأ بهنّ
ولكنهم يأتون اليهن للاستشارة اذا انلمت الخطوب وفي امثال مرثا اكبر عون للعالم

وسننا قد التقى نظيرة مريم — المرأة الوداعة ، الجليدة ، للمفكرة ، السلية ذات
النس الرقيقة المسامة التي تشبه العفل السثير . تنور فرحاً وهياماً عند التأمل في
افكار السيد الذي احته . وعض الذين لا يعرفونها حق المعرفة يحسونها عائشة
في عالم الاحلام عند مقارنتها باختها السلية الاخرى . لانها تهمل الواجبات العادية
وتستعيز عنها بالانهاض في التأملات العميقة عن الله . وفي صداقتها ليسوع جواب
كاف . ومعتقد ان كلتا الاختين أجدت على يسوع العطف الشديد والود الحاشع مما
هون عليه عبء الحياة في اشد ايامه نسباً وتعباً . وفيهما تشل افضل نخاضح للسيدات
المسيحيات في هذا العصر . ولئن احتفا في الطبايع الا ان بحمة اسيد شمتها معاً
على السواء

ومن لا نعلم الا قليلاً عن اخيهما لعازر الصامت ، الذي لم يطق بحرف
واحد في هذه القصة . وكل ما نعرفه ان يسوع احبه ايماً . لان مرثا ومريم مع

محبة لاهما قد عرفنا ان لاهيما مكانة غالية عنده مدليل قولها عند موت لاهز :
« يا سيد الذي تحبه . . . »

هذه هي الاسرة الصغيرة التي جعلت بينها « موطناً » ليسوع حين طارده
العالم وقسا عليه . وبعد قليل قد اعد لهم هو بدوره موطناً في الملكوت الخالد . « حيث
اكون انا تكونون انتم ايضاً » . وهذا ما يحملا على التفكير اننا حيال حقائق ثالثة
وليست افكار روائية . فريم ومرنا ولاءر احياء الآن واعداء في العالم غير المتطور
ويسوع ما يزال عاملاً في بناء ملكوته على الارض وما يزال العالم قاسياً عليه .
وفي العالم اليوم أسر قابضة ، أسر محبة ساذجة في حياتها تصع يسوع قبل كل شيء ،
أسر يشعر فيها السيد كأنه في موطنه كما شعر من قبل في بيت عنيا

* * *

استراح السيد في مساء ذلك اليوم وقصص وقته يتحدث مع لاهز في الحديقة
ومع الاختين قبل ان يذهب الى النوم . وربما حرج وسار حتى وصل الى مسكن
الطريق ليقع نظره عبر الرادي على أنوار المدينة للقدسة التي اجتمع فيها من شتات
الشعوب مليون من اليهود لاهياء عيد اللطال القومي . وفي القند يذهب اليها ليحضر
السيد



الفصل الثاني

في اورشليم لأول مرة

في الثامن عشر من شهر تشرين — أو شهر أكتوبر — وفي سنة ٢٨ م. كانت اورشليم والقرى المحيطة بها محفلة بعيد الظلال أو عيد الحصاد — وهو أبهى وأجل أعياد السنة ، فيه تستريح الامة من ضناء العمل وتبتهج فرحة متبهة : « وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع علاتك من الحقل » وكان ذلك العيد العظيم موضوع اهتمام الجميع. كنت ترى فيه الجماهير النفيرة تترامح في الطرقات غادة من بلدان مختلفة من ضفاف النابوب الى ضفاف القرات. كنت ترى الاصداقاء يحميون اصداقهم بعد غياب طويل بلغ سنة كاملة . وكانت الجماهير التراحة تعيش في الهواء الطلق وتسكن للظلال والأخصاص . فكنت ترى على جوانب الطرق ، وحول اسوار المدينة المقدسة ، وفي الميادين الواسعة ، أشخاصاً مصنوعه من أعصان شجر الزيتون والكروم . وفوق كل خص عناقيد من القواكه الناضجة . في هذه المظلات قصى القوم ايام عطلتهم يحميون بأساليب تمثيلية ، ذكرى ايام البرية ، التي قصها اسلامهم في الممارب والحيام

وفي هذه السنة بالاسات نلذو على الجروع الحاشدة مظاهر اهتمام عبر عادية . وكان وراء الحفلات ومظاهر التهليل وتبادل التحيات ، شعور جاثم متوث ، هو شعور الاقنطار وتوقع حادث طارى . لانهم كانوا يتهايمسون في كل مكان عن يسوع الناصري . ولم يكونوا يجرأون على التكلم عنه خوفاً من الكهنة . وكانت السنة للصرمة قد أذاعت شهرته فثار الحوار والجدل الكلامي عنه بين ابناء اليهودية وانباء الجليل . وتسمّع الحجاج الفرء من ابلدان البعيدة اشياء مستغربة من ذلك النبي الشال الذي أخذ يوقظ الآمال القومية القديمة عن السيا

المتظر . ويا حبذا لو كانت تلك الآمال أشبه بآمال واحلام انبيائهم . فلو كان الامر كذلك لكان الجمع المحشد فرصة سائغة لاعلان ملكوته والناداة به ولكن احلام اسرائيل كانت احلاماً ارضية وعن الارض ، احلاماً عن عرة قومية تافزها شهوة الانتقام والاخذ بالثأر وليست عن ملكوت الله

وكان في ذلك اليوم ، الثامن عشر من شهر أكتوبر ، قد اهضت نصف الامم العيد وأخذت تتسحب خيبة الامل على وحوه الترقين لان يسوع لم يجيء . أما الشيوخ الحكماء من اليهود فقد أحسوا ان أمن المدينة وراحتها مكفولان مدونه وان مجيئه الآن قد يكون مستألفاً للخطر . لان الجليليين يناحون به مسيا وملكاً ، بينما الزعماء ورجال الدين موطنون المزم على سخطه . ومواد الثورة للذبة كانت متوفرة في المدينة للقدسة في ذلك اليوم الذي اجتمع فيه مليون من اليهود الوافدين من كل شعوب الارض بنفوس تلهب فيها ثيران التعصب والوطنية والحاسة الدينية المتأججة



ولكن يسوع قادم . والآن لنطرح جانباً الى حين رواية البشير لوقا التي يقص فيها احداث الريف خارج اورشليم ولنوجه النظر الى رواية البشير يوحنا التي يختص فيها بذكر حوادث المدينة وما جرى داخل أسوارها . وها نحن اولاء نقدم قتلوى الكريم بعض الصور التي لاحت بمخيلته يومئذ :

في اليوم الرابع من ايام العيد ، وفناء الهيكل الخارجي غاص بالمابدين يتظفرون دهرهم للدخول الى الخلعة ، وابناء اليهودية والجليل يتشاحنون ويتحاورون فيها بينهم ، والمحتاج الغرباء يصيخون بأسماعهم لهم يفهمون موضوع الجدل والحوار ، ويوحنا التلميذ والبشير منتب وسط الجموع للتفاضة يتسمع ما يدور حوله من الكلام —

— أين هو ؟

— ماذا تظن ؟ هل يجيء الى العيد ؟

هو انسان صالح بالحق ا

— كلا ، انه يخذع الشعب ويضلهم !

— أنظن انه ليسيا المسيح حقاً ؟

— كلا ! كيف يأتي المسيح من الجليل ؟

— ألم تقل الاسفار للقلمة انه يأتي من بيت لحم مدينة داود ؟

— نعم نعلم من هو هذا الانسان ومن اين جاء . وللعلم انه متى جاء للمسيح

المتنظريجي من عالم مجهول ولا يعرف انسان من اين جاء

وبتة يدرك المتحاوران ان شيئاً غير عادي قد حدث . كأن لسياً عالياً

هادئاً قد دحرف على هذا البحر المائج بالشرية . وفي لحظة تبسط العيون وتشرّب

الاحتياق لرؤية انسان واقف في وسط فناء الهيكل العظيم مستنداً الى عمود من

اعمده . ويرى عربه اليهود لأول مرة ذلك الشاب القروي الطويل القامة الجذاب

للملابح في ثيابه الزرقاء يبدو عليها عبار السفر . وعندئذ يسقط على الجرح صمت

رهيب ، هو صمت الدهشة والتوقير اشبه بذلك الصمت الذي تصفه البشائر عادة عند

ظهور مظهر يسوع . ولقد قال تشارلس لمب : « لو ظهر شكسبير فجأة في هذه القرية

لوقفنا كلنا على اقدامنا . أما لو دخل المسيح لاتدفعنا بشعورنا الى الجثو امامه » وانظن

هذا كان شعور الناس عند احتلاء طلمة يسوع

ثم يقول الشير يوحنا : « علمهم » ولنا نعرف ما الذي علمهم اليه . ولكننا

نعلم انه منذ تلك الساعة تحلّى تعاليمه حقيقة اعلان نفسه رب السماء . ففي الجليل

جال كأنسان رمزياً للشر آمرأ الناس حتى تلاميذه ان يصمتوا حيال ما عرفوه أو

دار باخيتهم عن لاهوته . أما الآن فتراهم يحيط القام تدريجاً عن نفسه ويسلمن

داته كالابن الارثي النازل من عند الآب لخلاص العالم

ومع ان هذا الاعلان المائل كان فوق متناول ادراكهم الا ان المروف لدينا

لشهم قد تأثروا به . ومع انه كان عريباً عن الكثرة الثالبة من الرواد في العيد الا

انا نقرأ مراراً « ان كثيرين آمنوا به » لان من بين شفتيه تسالطت حواهر حكمة

العلاء، واقلوب الامينة تلي دائماً نداء الدعوة السامية، ولان جرثومة الالهوية
 كلمنة في قلب الانسانية. ومهما ساء حالنا، فانا على صورة الله في الاصل صنعنا
 ولكن كثيرين لم يلبوا دعوته. وها هنا نرى حقاً خطيراً فان مجرد حضرة
 المسيح كانت يومئذ كما هي الآن — محكماً لا خسر الاخر البشرية لشدة
 فيه قوة تمس افضل عناصر الانسان وتنور الى اعماق الثرائر البشرية لتوقظ شعلة
 الخير الكامنة التي اودعها الله قلب الانسان. فتي كنت انساناً صالحاً وأنتضيت
 يسوع لا يسلك رفضه. ومتى كان في نفسك مثل أعلى عن الله فلا يسلك الا
 ان ترى هذا المثل عينه في يسوع. هذا هو العامل الذي حمل القلوب اسلحة الى
 تلبية نداءه. وهذه هي المبرورة التي حلت على الذين نبذوه وقاوموا دعوته. ولم يكن
 هو مثلهم الا لان الله نفسه لم يكن لم مثلاً أعلى. كيف لا وهو القائل: «لو
 كان الله اباً كما كنتم تحبوني. لاني خرجت من قبل الله وأتيت» وايضاً: «تعلمي
 ليس لي بل لذي أرسلني. ان شاء احد ان يسلم مثيثة يعرف التعليم»

وهنا راء يصح للبدا للذين ألا وهو ان الارادة والقلب — وليس مجرد العقل —
 هما اللذان يمدان الله. ولان شوق القلب الى الحقيقة الالهية هو الذي يحظى بهذه
 الحقيقة. فالعلاج الساذج البسيط التائق الى الحق يدرك صوت الآب كطفل صغير،
 وأما احكم الحكماء بدون هذا التوق التمسائي فلن يسمعه ولا يبلغ الى ادنيه. هذا هو
 الحق العذب الجليل في دين يسوع، هذه هي عوامل التشجيع للسطاء والجهلاء:
 ان ما نعتز اليه لمعرفة الله ليس حكمة الحكماء والقهاء بل قلب الصغار والاطفال



الوقت فنترك بعد على هذه الجماهير: والظاهر انه أحدث تأثيراً هاملاً. لانه
 وهو خارج، وبنينا تنفس الصعداء تلك الجموع القاهلة يتسمح يوحنا البشير عسات
 قائلة «أليس هذا هو الذي يطلبون ان يقتلوه، وها هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له
 شيئاً؟ ألمل الرؤساء عرفوا يقيناً ان هذا هو المسيح حقاً؟»
 بالاسف لا! وانما لم افكار أخرى هميدة. ولم يستطيعوا لقاء الالهية عليه

خوفاً من هذه الجماهير العاطفة عليه والمحيطة به . ولما كانوا قد ذهبوا الى حين فاتهم استأجروا عاجلاً سد ان غادروهم وانخذ عيظهم يشتد من تصرعات بعض الحاضرين لانه كان بينهم قوم لم يمشوا الكلام ، هم ابنا اسرائيل الاحرار القادمون من بلدان بعيدة والساخطون على اورشليم المستقلة الخاضعة لمواظىء اقدام الكهنة . ويسوع كان قد أثر فيهم حتى قيل : « آمن كثيرون من الجمع وقالوا أعمل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا ؟ »

ولم يكن هذا قولاً مقبولاً لدى آذان الرؤساء ولذا قيل : « ولما سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه لرسول الفريسيين ورؤساء الكهنة خدناً لم يسكوه » ولما وقف ثانية في فناء الهيكل كان بين الجمهور رجال الشرطة بدلاتهم الرسمية وعرف يسوع القصد من وجودهم ورأى فيه شبح للمستقبل فالتفت الى الشعب بنظرات الاسف وقال : « أنا معكم زماناً يسيراً قد تم أممي الى الذي أرسلني » . ولما كان رجال الشرطة كانوا بشرأ رأوا وسمعوا ، فلم تفلحهم قلوبهم على تعييد الامر وتمسكهم مؤثرات يسوع

والآن يتبدل للشهد . ويظهر رجال الشرطة امام مجلس السهدريم فيوجه اليهم الاسئلة :

- « لماذا لم تأتوا به ؟ »
- « لم يتكلم قط ايمان هكذا مثل هذا الانسان »
- « ألسلكم انتم أيضاً قد ضلتم ؟ أأعمل احداً من الرؤساء او من الفريسيين آمن به ؟ ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم اللاموس هو ماعون ؟ » هذا كان كلام مجلس السهدريم الساخط الحاقق

وانظروا ان الامر لم يكن حيناً على الرؤساء . فليس الشعب قط هو الذي مال ، بل رجالهم وجند السهدريم . لا بل ان المجلس نفسه لم يكن مجمعا في الرأي حيال يسوع . ويرى يوحنا البشير واحداً منهم على الاقل حالاً في صمت ولكنه يخالف زملاءه في الرأي ويعطف على رجال الشرطة أكثر من الرؤساء الآخرين — وذلك

هو الجبل الجليل بيتوديتوس الذي لم يسَّ العلم الشاب الذي كان قد ذهب اليه خفية في إحدى ليالي الفصح للقمرة . وقد وقع هذا أيضاً تحت مؤثرات يسوع ولكن اعوزته الآن — كما اعورته يومئذ — الشجاعة ليقف الى جانبه صراحة . وهو يصل له بين جنبيه اعجاباً ومودة دفعا الى الثغرة بكلمة خائفة من بيد في صالح من كان معرضاً للخطر . وقد قوبلت تلك الكلمة بتعنيف وازدراء من جانب الرؤساء الآخرين الذين حملوا فيه تهكماً قاطنين : «أأنت انت أيساً من الجليل ؟ قس وانظر انه لم يَم نبي من الجليل » وقد خاتمه شجاعته عن الاحتجاج بعد هذا الكلام

* * *

والآن لننتقل الى صورة أخرى في ذكريات الشير يوحنا : وما نحن في اليوم الاخير، اليوم العظيم في العيد . وكان أهم مظهره جرّ المياه . ويرى يسوع في صليحة ذلك اليوم حفلاً من الناس سائرين الى بركة سلوام . وعلى رأس هذا الحفل الكهنة بلباسهم البهية للتعبة يتقدمهم أحدهم حاملاً لجرة النعجة . ووراء الكهنة جمع زائر من الحجاج الوافدين يلوحون بأغصان النخيل والصنعايف في أيديهم وينشدون مزامير الحد والتسبيح ليهو د بهم . وبعد ان يسير هذا اللوكب في طرقات طويلة مثوية ، ووسط حداثق عناء حيلة ، وتحت مشارب مصكسطة بالمتفرجين ، يصل أخيراً الى بركة سلوام ويسحبون منها الماء وهم ينشدون أهزيج التهليل . وربما كان يسوع في ذلك اللوكب مشاركاً للتلوب المطابقة في التسبيح للآب والآن يتبدل للشهد : وتعود الجماهير الى الهيكل . ويرى يوحنا الآن مشهداً شيراً الشمس — الدبح المائل في الهيكل يقف امامه الكهنة في ثيابهم الكهوتية ، الجمع الزائر من الشربة للتزاحة ، الالوان للترعة للتناوة ، سعوف النخيل المرفوعة ، أزياء الشعوب المتددة ، الوجوه الراقبة المتسائلة ، انسراء الشاحبة المتأثرة ، والبيضاء التي لوحتها حرارة الشمس — هذه كلها أثيروت في اعماقها ولو الى حين فارتفعت الحناجر باصوات التهليل والتسبيح للرب . ولم يكن هذا كله طقوساً

خارجية جوفاء . بل كان اسرائيل في تلك الساعة اقرب ما يكون الى ربه وإلهه
والآن تنجس العيون ونشرب الاعناق لمشاهدة الاحراء العنقسي عندما يسكب
اللاء والحمر على المذبح إشارة الى تفجر اللياء في البرية منذ أمد بعيد ، وشكراً لله لاجل
عيث السماء للسكب على الأرض المتعطشة ، وفوق ذلك توسلاً الى الله لان يسكب
عيث ركانه على النفوس الظلمة . ولهذا الفكرة الأخيرة أهمية خاصة في نظر
الكتّاب الذين عالجوا شؤون التاموس وطقوسه . وليس شك انه كان يومئذ في
وسط الميام والتهليل الخارجية، نفوس طامشة تغتر الى الله وترعب في اشباع شهوات
القلوب التي لم يقو على اشباعها الكهنة الاشرار والطقوس الخارجية الجافة
وعندئذ تضرب الابواب القمية وتجلوب اصدااء التهليل في جوانب الهيكل مرتلة:
« قنموا الرب شكراً ، لانه صالح ، والى الابد رحمته »

وعند تقديم التبايح يسود صمت هائل ، فيه يرن صوت رائق متعرد : « ان
عطش احد فليقبل اليّ ويشرب ، من آمن بي كما قال الكتاب فنجري من عطشه
انهار ماء حي » وما هو ينظر الى النفوس الطائرة الجائعة ويمدحها شحاً لرعيتها
وحاجتها . ولم يكن هذا القول مقاطعة لاحتراآت الطقس بل كان تأويلاً لمعناه .
ولا ريب ان يوحنا لم يفهم معنى هذا الكلام عند سماعه يومئذ . ولكن وهو يكتب
بعد ذلك التاريخ بسنين كثيرة وعلى ضوء الاختبارات التي عرفتها الكنيسة في
انسكاب الروح القدس يصيف الى كلام يسوع تذييلاً من عندياته : « قال هذا
عن الروح الذي كان المؤمنون به مرمعين ان يتبلوه »

فكر ايها القارئ الكريم — في مدى تأثير هذا الكلام في السامعين في
الهيكل : أكان قائم إلهاً ؟ أكان معروهاً ذاهل العقل ؟ هوذا نبي وحيد ، حياته
حاصصة ، يقول عن عطية الله للنفوس الظلمة في العالم : « ان عطش أحد فليقبل
اليّ » !!

وكانت خدمة اللاء ضفتاً على البالة في ترايد حيرتهم . ونحن نقترض انه حد
اشغال الثريات الذهبية ، وعند ما انشد الساجدون — والمشاعل للتهبة في أيديهم —

أنا شيد التحليل لعمود النور الذي سار امام آياتهم في البرية ، عند ذلك رنت في آذانهم كلمات يسوع الثالثة : « أنا هو نور العالم ، من يمشي فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة »

كان هذا تعديداً منموماً . ولكن ما عقب هذا كان ادهى وأمر . وهنا ثارت في الجماهير ثائرة لانتفاء القصص عليه ولكن مشاعر الرعدة والذهشة منتهم عن ذلك وقد قيل : « لم يمسه احد لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد » وفي جد وورانة يستمر في كلامه قائلاً : « أنا امضي وستطلبوني ولا تجدوني وحيث امضي انا لا تجدون آمن ان تأثروا... انتم من اسفل. أما انا فن فوق. انتم من هذا العالم أما انا فست من هذا العالم ... ان لم تؤمنوا اني انا هو تموتون في خطاياكم » يستولي دعر على السامعين :—

— « من انت ؟ »

— « أنا من الله ما اكلمكم أيضاً به . انتم لا تفهمون الآب . ولكن متى رفض ابن الانسان فحينئذ تفهمون اني انا هو ولست افضل شيئاً من نفسي . بل كما علمني الآب » وفي اليوم التالي نسمعه يكرر هذا القلب بعينه : « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن »

وليس شك ان اولئك الحجاج الوافدين من بلدان كثيرة عادوا الى اوطانهم يحصلون قصة غريبة مذهشة . لم يتكلم احد قط بمثل هذا الكلام . ولم يكن كلامه بلا غمراه « بينا هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون » اما الآخرون فصحبوا هذا تعديداً وانما « ورفضوا صحابة ليرجوه . أما يسوع فانحضى وخرج من الهيكل »

* * *

وهل في الامكان ادراك خطورة هذا الموقف : « يا اورشليم لم تعرفي رمان اقتضائك ! في وسطك تقف من لا تعرفينه » وذلك الذي جاء برهة وحيدة الى الارض ، الذي يحارجه منذ القدم وس الازل ، وقف منحنيماً بينهم في شكل بشري في ذلك

العبيد الذي مثلوا فيه أيام البرية القديمة . وقد كلل مع آباؤهم في القفر ودعا اسرائيل من التقدم ليلقوا الرب للعالم وهو الآن يدعو اسرائيل الى معرفة قلب الله نحو البشر اكثر مما عرفوا من قبل . ولكن من اللؤلؤ المحزون انهم لم يعرفوا ولم يريدوا ان يعرفوا . كانوا بليدي الانعام تعطي القلوب لم يدركوا حقيقة الامر قبل ان يقدموا على قتله

هكذا تنتهي محاولته الاولى لدخول اورشليم ا

ولان ساعته لم تكن قد جاءت، كان عليه ان يهرب من امام وجوههم بعد ان استخدم الثلاثة ايام التي قصها في المدينة حير استدلالهم . واد قد تفرقت الجماهير الموالية له لم يكن في بقائه أس على حياته . لذلك يهرب الآن الى البرية مع جماعته الصغيرة ويستمر في رسالته التي سوف يتركها الى العالم ، الرسالة التي عقرت عن سماعها آذان اورشليم

الفصل الثالث

قصتان من اسبوع العيد

ذات يوم كان المسيح سائراً مع تلاميذه فسهلوا شاماً كفيف البصر واقفاً يستعطي عند باب الميكل . ولما وقع ظلم على عينيه القاترين الظلمتين قال احدهم ان هذا مولود اعشى واخذوا يتطارحون فيما بينهم متسائلين عن مصدر هذه السلطة . ولما كان الزعم السائد عليهم ان آلام الحياة هي نتيجة الخطيئة، ثارت امامهم مشكلة خطيرة فاتهموا الى سيدهم بهذا السؤال: «يا معلم! من اخطأ . هذا لم ابواه حتى ولد اعشى ؟ »

وكثيرون في الحياة يتسائلون عن آلام الحياة ومتاعبها ولكمهم لا يحركون اصبعاً لتخفيفها . وأما قلب يسوع الحنون المعطوف فلم يلبأ قط الى مثل هذا التساؤل وكان جوابه : « لا هذا اخطأ ولا ابواه لكن تظلم اعمال الله فيه » . وطسأ لم يقدم المسيح من هذا القول ان هذا الانسان وكذا أعشى لتتبع له فرصة اجراء معجزة . ولكن الذي قصد اليه ان آلام الحياة هي بمثابة دعوة للهبة للاشتراك في اعمال الله — اعمال السلف والاشغال واللمونة . وكأنه يقول ان آلام الحياة هي دعوة من الله للانسان للعمل على تخفيفها وازالتها . هذا هو عمل الله بين البشر ونحن شركاء عاملون معه متى ساهمنا بنصيب في مثل هذا العمل . وكان يسوع في تلك اللحظة وهو ناظر مظاهرات السلف والحنان الى ذلك الضرب البائس يمثل لنا موقف الله الأب . ونحن يمثل هذا الموقف عينه متى حملنا الآخرين يشعرون ان الله يمسك في ارحم ويمد اليهم يد القوت والامانة عن طريقنا وبأيدينا . وكما من مضى متألم ساقته محبة الاح بشري الذي رآه الى الايمان في محبة الله الأب الذي لم يره ا

وهنا نرى أمامنا فرصة سانحة للعمل من اعمال الهبة المشقة فالتصها يسوع

فورا . فهو لم ينتظر حتى يجمع الاموال لتأسيس مؤسسة للمعلمان — وهذا عمل جليل في حد ذاته — ولكن العلة الماتكة امامنا هنا هي الأتواى في الاعمال الصغيرة التي نلتقي بها كل يوم في طريقنا . كان يسوع « مختاراً » صدقة ووقع خطره على أحصى فوجه اليه كل همه وعنايته . والحياة مليئة بمثل هذه المحرص الصغيرة السامحة . وانت مجتار في طرقها تشهد أكادسا من الآلام والافراح البشرية ولا ترى الا كومة صغيرة من السعادة والنقطة . فاذا استطعت ان تغفل ذرة صغيرة من أكادس الآلام الى كومة الهناء فانت في نظر يسوع تعمل اعمال الله

سمع الاعمى حديث يسوع هذا عن اعمال الله ولم يدر معنى هذا كله حتى أحس بلمسة يده الخنونة على كتفه والاحرى تعطي عينييه بالطيرين وصوته يقول له : « اذهب اعنسل في بركة سلولم » فذهب واعنسل وعاد ثانية . ومن ذا الذي يستطيع ان يصور لنا مقدار فرحه وبهجه وهو ياتخل فجأة عالماً جديداً من النور والجلال والجمال وتمتص عيناه القاترتان تريا القساء الواسع والابنية الشاهقة ووجوه الرجال والنساء . لا شك ان انساناً كذا لم ير السالم من قبل أحس بأنه اختار الى السوء عندما تفتح بصره . هل يمكنه الآن اظهار شيء من حسن الصنيع لقاء هذا الجليل نحو الانسان الذي ضل به هذا ؟

عند ذلك يثف حوله جمهور قليل قائلين :

— « أليس هذا الشحاذ الاعمى الذي كان يستعطي عند باب الهيكل ؟ »

— « هذا هو بلا شك »

— « لا . انه يشبه »

وليس معنى ان العينين تبدلتان اختلافاً في شكل الوجه ، اما الرجل الخائر الكاثر بالقرح في عائله الجديد فيصرخ قائلاً .

— « نعم . أنا هو »

— « ولكن قل لنا . كيف فحت عينك ؟ »

— « الانسان الذي يقال له يسوع صنع هذا »

— « ابن هو ؟ »

— « لست ادري اين هو . ولست اعرف شيئاً غير هذا »
وهنا يفكر احدهم — وربما يقصد شيئاً معيناً — ويقترح قائلاً : « لنأخذه
الى القريسين في مجلسهم ! »

فأتوا الى القريسين بالذي كان قبلاً أعمى، ويقول يوحنا ان ذلك اليوم كان
سناً . فلا متاع من احداث الشئ لان اولئك الثنتين في حفظ السبت وهم
لنة الدين اليهودي سيجعلون فرصة لزج يسوع في الخلط
يقف الرجل امام مجلس القريسين تحيط به جوع للشئ وتلقى عليه الاسئلة:
— « من هو يسوع هذا ؟ قل لنا ماذا حدث ؟ »

« وضع طيباً على عيني ثم اغسلت فأبصرت »
وهنا يتحدث اقسام في الرأي في المجلس نفسه فيقول البعض :

— « هنا الانسان ليس من الله لانه لا يحفظ السبت »
— « ولكن كيف يقدر انسان خاطيء ان يسئل مثل هذه الآيات ؟ »
— وفي حجتهم يسألون الرجل نفسه قائلين :
— « وانت ماذا تقول عنه ؟ »

ويعرف الرجل موضع الخلط في هذا السؤال ولكنه لا يريد ان يعقبه فيقول:
— « انه نبي ! »

— « انت تظنه نبياً ! انت ضادع كاذب . اذهب واحضر لنا ابويك »
يحيى الايوان . وما لا يتورطان في الاجابة لانهما يرايان سطوة هذه الفئة
للشبهة الفاشمة ويظلمان ان قراراً كهنوياً قد صدر بحرمان كل من يتعرف بان
يسوع هذا هو المسيح . ميجيان :

« هذا هو ابنا . وهو قد ولد أعمى ولكننا لا نعلم شيئاً غير ذلك هو كامل
السن . اسألوه »

اجابة خاتمة مرتجفة تأتي المتورط !

يُستدعى بعدئذ الشاب الشحاذا ويقال له : —

« أعط محمداً لله عن نعل ان هذا الانسان خاطيء . » ولكنه في دهشة العالم الجديد الذي وجد فيه غبطة الحياة المبيرة لا يجد الخوف الى نفسه شيئاً . ويشعر ان الواجب يقضي عليه بان يكون محمداً لذلك الصديق المجهول الذي يفضونه . الصديق الذي قلب أوضاع حياته كلها

« أحاطىء هو لست اعلم . انما اعلم شيئاً واحداً اني كنت أعمى والآن أنصر . ونعلم ان الله لا يسمع للخطاة . منذ الدهر لم يسمع لي احداً فتح عيني مولود أعمى . لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان يفعل شيئاً »

فيجيئونه قائلين : « في الخطايا ولست انت بمخلصك . وانت تعلمنا » واحرجوه خارجاً وقمت عليه لجنة الحرمان . وبعد اليوم لا يجوز له ان يجلس امام الميكيل ، ولا ان يعبد في بيت الله . لا يجوز ان يدخل في حلقة اسنان حائف الله . بُد كابرص مصاب وطرد كيهودي محروم . ولكنه يتحمل كل هذا لاجل يسوع المجهول منه الذي لم يعرفه

سمع يسوع خبره فاستدعى اليه هذا الطريد للبوذ . وبينما يسكب امامه فيض امتنانه وشكره عليه يسوع عن محبة الآب التي منه الى العالم لصنع اعمال الله . ولما فضجت منه بالتعظيم وجّه اليه يسوع هذا السؤال :

— « أتؤمن بان الله ؟ »

فاجاب : « لأؤمن يا سيد » وسجد له وهكذا في اليوم الذي أوصدت فيه الكنيسة اليهودية ابوابها في وجهه تفتحت له ابواب ملكوت السموات . وأصر شحاذا بانس نور وجه الله الذي لم يستطع رؤيته معلم اسرائيل في محرقهم وكبرياتهم !!

* * *

الآن يعني الشحاذا الاعشى من السرح . والرحح ان لهذه الحادثة معنى كبيراً للعالم . لانه اذا صح ما ذهب اليه المحلسون من ان يسوع اذاع هذه القصة علانية

امام اللاذ و اشار فيها الى موقف الرعاة القساة الذين طردوا هذا الحمل البائس من حظيرة الخراف . يقول اذا صح الخلدس فكأننا مدبنون الى ذلك الشحاد الاعمى بالمثل الجميل عن الراعي الصالح والراعي الاجير . وكأن باب حظيرة الله لا يفتق امام الناس على ايدي لولئك الرعاة القساة الذين يظلمون القطيع و يمتسغون به . « انا باب الخراف . الاجير لا يبالى بالخراف . اما هو الراعي الصالح . والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف . لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي . ليس أحد يأخذها مني . بل اضنها انا من ذاتي . كما ان الآب يعرفني اما اعرف الآب واما اضع نفسي عن الخراف »

يأتينا هنا للكل الجميل عن طريق ذلك الشحاد الاعمى !



وكما تعرض الرواية القصصية في هذا العصر للشاكل الجنسية السيخة التابعة هكذا استعرضها القريسيون في عصر المسيح . فيها كان واقعاً ذات يوم في إحدى قترات العبادة في فناء الميكل قلموا اليه في خشونة مستعجلة امرأة أسسكت في فلة الزنى . ولا يصعب علينا ان تصور النظرات الخفية ، والتميزات العقيمة ، وللرأة المنهدة تخفي وجهها بكلمات يلسها . كان المشهد كله محلاً ممجاً تعاهه النفس . ولكن اذ قد اختار يسوع ان يكون نصيبه مع البشرية الخاطئة البائسة لم يسه التمثل من الاحكامك بامور محجلة يمجها التوق . ولم تكن هذه المرة الاولى او الثانية التي يجيء فيها اليه بالمثل هذه المرأة . ونحن نذكر المرأة الساقطة في وليعة سمعان ، والرايات اللواتي كن يحتلطن بالشارين ويهرعن لسباع اقواله

وكانت التهمة الموجهة اليه انه معرط في الدين والتساحل مع الساقطات الطريدات فكان يمدنهن في لين وعطف و يتنادهن احبانا الى التوبة الى الله . وهو قد عرف ان كثيرات منهن قد ضمن فرائس في ايدي الرجال وانه ساء اليهن اكثر منهن مسيئات . وليس شك انه ابتض الآداب الكاذبة في ذلك العصر كما ينفذها في

عصرنا هذا ، الأدب التي تمن وتسمع بالعار المرأة الساقطة وتطلق الرجل الساقط
حرّاً لا عيار عليه

ولكن تهمة أخرى غير هذه كانت لاصقة به ، فانه أعلن على الملأ أن خطايا
ذوي اللقام والحيثية — خطايا الطمع وحرارة النفس والقلب الجاحد — أكثر سواداً
في عطر الله من الخطايا الناجمة عن ضعف الإرادة الجسدية . فالعريسي للتورع
للتصبر ، في رباته واحتاراه لعامة الشعب ، لأشدّ ضعفاً في عطر الله من تلك المرأة
الغامضة في عارها . وقد قال ذات مرة في صراحة حريثة لاولئك الكهنة المتظاهرين
بالتقوى : « ان الشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله »

هنا كلام خطر يتوقّه به مصلح امام الناس . وهين جداً أن يسيء الناس فهمه
أو يسبون تأويله . وأكثرنا يحشى الجهر به لثلاثتهم بالتهاون والساهل في خطايا
النجاسة الشخصية . أما يسوع فلم يتوقف في قوله في حرّة وصرامة لأن اللقام
انقضى ذلك . وليس من قبيل التهاون في خطايا الجسد ان يقول المسيح إن في الروح
خطايا أشدّ خطراً وأعصى علاجاً لاسيما متى كانت النيات مستقرة على الاقلال
من شأنها والتهاون فيها . فالنحر للظاهر الذي يهيم عمداً بنفسه ويحرم الى انحراف ،
والمرأة النيفة الخفوة التي تكيد لخارتها وهي مبتسة ، امثال هذه وامثال ذلك قد
يمشون الى الكنيسة في ثمة وطمأنينة ويفزعون اذ يرون انفسهم موضعين في
مستوى أحط من مستوى امرأة سقطت في عارها . ولكن يسوع يسمهم في هذا
للسوى . وهم لا يرضونه كما لم يرضه القريسيون من قبل !

وهنا نرى الاحبولة التي نصيها له : « يا معلم . موسى في الثاموس اوصانا ان
مثل هذه ترحم . فإذا تقول انت ؟ » وهو قد عرف دحائل قلوبهم . فلم يكونوا
اناساً ظاهري القليل سليبي النية اخذتهم هذه الخطية الشنقاء مأخذاً شديداً . لانهم
لو كانوا كذلك لما جروا المسكينة في عنف وقوة امام الملأ . بل كانت اقولهم مكينة
خيسة ارادوا بها اظهارهم بمظهر المستتر امام الشعب

أما هو فلم يتورط في استنار المرأة البائسة بالنظر الى عارها كما ظنوا هم اليها

شزراً . بل ادل وجهه كأنه لم ير شيئاً . واهنى وكتب على الأرض . وفي هذا الصمت الاخاذ نستطيع ان تصور انكاره صبا وعهم . أيها أشروا ضر سيلاً - العمل المحمل الذي ارتكبه هذه المرأة ، أم للوقت الحيث السيء الذي يقفه متهموها المتظاهرون بالتقوى ؟ ولما أصروا عليه رغم صمته رفع نظره اليهم وتوالت طرقاته الى اعماق قلوبهم فرموا انفسهم أمام محكمة ضمائرهم « وحكيات صائرهم تبكهم » : « من كان منكم بلا خطيئة فليرميها أولاً بحجر . فلما سمعوا خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ الى الآخرين وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسطة . لم تخرج ، ولم تستطع ان تخرج وهي ترى حليها والدفاع عنها يقضي بنظراته على الأرض كأنه قد احس طهره تحت خطيئة احده الشبهة المحقة . والقصة تدلنا على انه قد نذ ايماً الى صبرها . وان قلباً منصفاً مكسوراً يمثل امامه ، قلب امرأة تحس بالملء عاوها . ثم رضع رأسه وحظر اليها قائلاً : « يا امرأة . اين هم . لو انك للشككون عليك ؟ أما ذاك أحد ؟ » - قالت . « لا أحد يا سيده » فقال : « ولا انا أدبتك . اذهبي ولا تخطي ايماً »

هنا نرى قلب الله . هنا طريق يسوع لمعالجة الخطيئة . فانا لا نقدر ان نقضي على الرما بوجه الحجارة . ولكن السبع يستطيع ان يمس القلب الشرير بلسة الحلف والفران خنفس الماقتلة امرأة حديدة ، تذهب ولا تخطيء .



الفصل الرابع

تعاليم الطريق

أبوة الله

حاول يسوع أن يدخل أورشليم في ذلك الأسبوع الحافل بالاعیاد فكانت النتيجة طرده من المدينة كما توقع هو . والآب لنضع جانباً سجل حوادث المدينة بالآيات كما رواها المشير يوحنا على أن تعود إليها بعد انقضاء شهرين من هذا التاريخ ، يوم آت إلى المدينة في عيد التكريس لأن يوحنا لم يترض لسرد الحوادث التي وقعت خارج المدينة

لنعد الآن إلى التشهير لوطا الذي يورد لنا أحداث الريف . وننتصف آثار يسوع في أثيرية . أما الأماكن فلم تُسجل ولنسافر إلى أين ذهب . وربما ارتحل إلى ما وراء نهر الأردن . كما أننا لا ندري ترتيب الحوادث والتعاليم فإن لوطا يرسم صوراً متفرقة من هذه الحوادث وقلما يشير إلى زمان صريح أو مكان معين . ولعلها مسرودة بحسب ترتيبها الزمني ولو أن الأرجح كثيراً أنها ليست كذلك . فيقول : في يوم حدث هذا . وفي يوم ثلث حدث ذاك . وبعد هذا حدث شيء آخر

والذي نلاحظه أن هذه الفترة كلها حلت بالتعاليم أكثر من الحوادث . وكأن السيد ، وقد عرف قرب مصيره ، أراد أن يودع في ذكريات تلاميذه الأحوال التي ودأعلاها ، والتي حيل بينه وبين للتأداة بها في أورشليم . ولا يسمح لنا صيق المجال بالتبسط في كل الحقائق والتفاصيل . وحير لنا هنا أن نستجمع بعض الأفكار البارزة في تعاليم الطريق دون النظر إلى ترتيبها الزمني وكان من أبرز وأظهر تعاليم يسوع أبوة الله . وأبهى صفحات تلك الذكريات

هي التي سجل لنا فيها تلاميذه في هذا الصدد، وهو معصوب وجهه الى اورشليم
ليلاقي للوت

وأنجيل لوقا، للزلف الشاب، يستجمع وهو يؤلف كتابه الجديد الانا صيص
التي صل عنها الرواة. وافكر في موقفه الكثير الحافريوم صمع لاول مرة على لسان من
كانوا مع يسوع في طريقه الى اورشليم قصص الحروف الصال والابن الضال.
وكان قد عرف ان يسوع يعلم عن أبوة الله. ولكنه لم يكن يدري شيئاً عن هذه
الطريقة الصريحة في عازيتها، الثيرة في حناها. فما أشد اغتباطه وهو يكتب فضلاً
عن هذا في انجيله الجديد ا

والارجح ان القصة قيلت في اريحا قبل ختام الطريق يوم تمشي يسوع مع
وكا واصحابه، «فقد امر يسيون والكنيسة قائلين هذا يقبل خطاة ويا كل منهم»
وكان قد حلت حول اسمه احداث سيرة بسف هذا لانه كان يقبل السالرين
والزامة والنبيون من كل طبقة و تصدت اليهم فكان هذا مثلاً لندسة من جانب
المرسين والكنيسة الذين تساموا كيف ينزل لمشاركة امثال هؤلاء. والظاهر انهم لم
يدهشوا للقاحية الاخرى وهم يرون هؤلاء مبالين الى معاشرته. فانه من غير اللأولف
أن يحيل النبيون والخطاة الى معاشرة انسان هو للثل الاعلى في القديسة والطهر.
أما هم قد مالوا اليهم بكليتهم

* * *

ثم نسمه بروي لقرسين لما يود هو ان يحاط قوماً كهؤلاء. فلتشار الى ما
في أوة الله من معاني الحبة والالم. و ذكر لم أمثلة الصغيرة الثلاثة عن الراعي الذي
ملك مائة من الحراف، والراة التي اقتنت عشرة من قطع القسة، والآب الذي كان
له انسان—وكل من هؤلاء الثلاث قد اصاع واحداً مما ملكت يده. وبسبب هذا
يشدد عجنه وبهم بذلك الواحد الصانع اكثر من الباقين. والامر اللهم في هذه
التصص ان شيئاً ما قد ضاع مؤثفاً، شيئاً له قيمة وقدره في نظر مالكه، ولانه قد
ضاع اهتم به حد الاهتمام كما كنا فعل نحن

والامر كله قائم على شعور للآب . لان الامثال تدور حول أبوة الله . فهي ليست متعلقة بالخروف السال ، او الدرم المفقود ، أو الابن السال . ويسوع لم يعكس في الخروف أو في الدرم أو في الابن ، بل بالاحرى في شعور وعواطف الشخص الذي قد الشيء . فالامثلة عن الله ، وهي اعلان قلب الآب هو الراعي الذي صل منه خروفه همام على وجهه في القياقي والقفار لعله يشر عليه ، وهو للرأة تبحث جادة دائبة على درمها المفقود ، وهو الآب الذي جرح قلبه لتيهان الابن السال في الكورة البعيدة

فهي أبوة الآب عطف غير محدود ، واشتاق لانهاية له . ويشير يسوع الى محبة الله لاسانه الامناء قوله في مناسبات اخرى : « لا تحب ابها القطيع الصغير لان ابكم قد سر أن يعطيكم لللكوت » و « لان ابكم السماوي يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها » و « متى صليتم قولوا ابا انا »

وهنا كله مصدر عزاء الاناء الامناء . على انه لا يمس مكانس الحس فيها كما تمسه هذه الصور للثيرة — آلام الآب وشعوره بالفقطن ، قلب الآب الذي يسيل حناناً الى رجوع الابن الضال :

واسمع هنا الى اعلان قلب الله يكشفه للبشرية ليس مجرد انسان ، ولا رسول من الرسل ، بل الابن الوحيد الذي في حسن الآب هو خير . فهي صلاتك خسارة لله ، أكثر من حصارك . لان الله يتألم من شرورك وشرك أكثر مما تتألم انت ، وهو يسعى برحومك الى طريق الخير أكثر مما تسعى انت بنفسك . وقد كانت هذه فكرة ذاهلة لقريسين ، وهي فكرة مذهلة بل تكاد تكون مستحيلة في نظر بستان . بيد أن شيئاً من هذا ينبغي ألا يكون ، إذ بأمرنا يسوع أن ننظر الى صورة الله في كثير من اوضاع الحبة البشرية المحيطة بنا

والحبة التي تشر غفطان الحبوب هي التي تتألم كثيراً ، والآب الشيخ القاني الذي يبيع شعر رأسه من فرط الألم على ضلالة ابنه هو الذي نحترمه المصوم أكثر من الابن نفسه . فإوجع الحسرة التي رأياها في وجوه الآباء والامهات الذين

يتألمون في هذه الحياة ، بل يودون ان ينصرف حل الحياة ، لو كان في هذا اقصاد للولد الساق من بؤرة القصاد ! وتحضري الآن قصة صديقة عزيزة جاءت اليّ يوماً وقالت : « قد عرفنا بعضنا البعض منذ سنوات . ولكن لم أسر اليك قبل الآن حزني السفين ، ولم أقص عليك قصة ولدي الوحيد الذي صل السليل وهرب من الوطن . ولم اعد أسمع عنه شيئاً منذ عشر سنوات . ولست أدري أحى هو بين الاحياء أم دفن في ألبانق الثرى . ومع ذلك فلم يبرح قط يحيط لي ليل نهار »

وقد يبدو لنا بعيد التصديق ان هذا ما عيه يسوع عند تليجه الى شعور الله بالحسرة . وفي قلب كل أم ، ولو لم تكن قد عرفت الكتاب للقدس ، مظهر لحنان الله وعطفه . وهذا ما قاله يسوع . فارسموا صورة الله الآب كما ترون أنفسكم في أصل الاوضاع والمظاهر . فان كنتم واثق اشرار تعرفون كيف تسون باولادكم ، فكم بالحري يغفل هذا ايوكم السلاوي؟ ومتى امنا بهذا هل يخرج انسان من دائرة محبة ! وهو ايضاً يحس اعماق قلب كل أب أو أم . فالآب يفرح بانائه الامناء . ولكن كل الاولاد لا يعضون خسارة الابن الشرير العاق . هي الائمة حروف ، تسعة وتسعون في أمن . وفي المشرق قطع من التقود ، تسع باقية في مكائها ، وفي الولدين أحدهما باق في حضن الآب . ومع ذلك لا يكفني الله بهذا . ولا يرعى أن يفترز واحد عن المجموع . لان آلام الآب واشواقه تسه تسيل الى كل فرد على حدة . وهل يقدر القلوي . الكريم أن يصور لنفسه شقاء الابوين وهما يريان ابناً واحداً ينزلق الى حمأة الرذيلة بيننا الآخرين في خير وهناء ؟ وهل يجدان عوضاً عنه وسلاوي لتعسيها في صلاح الاولاد الآخرين ؟ أليس يحزهما الالم حراً بسبب هذا الابن الخاطيء . الشارد ؟ وان كنت أنت ذلك الوالد أو تلك الام . ألقئس يصرخ قلبك بين احشائك ، وهو صدى قلب الله فيك ، قائلاً : « ولدي ! ولدي ! » ؟ فكفراً لله على اعلايه هذا الذي يكشفه لنا يسوع . هذا هو الله . ولو لم يزح يسوع نفسه هذا التنازع عن طبيعة الله لكنا نستبعد تصديقه لما اضلوى عليه من فرط الحب !



ثم يشير لنا الى عيرة الله في محبة وسميه . فالمرأة تكمن بينها جادة دائبة ،
والأب يقف عند الباب متحجاً بأفكاره وارادته نحو قلب ذلك الابن الصالح الماتم
بين الحزنوب والخنازير ، والرامي يخرج فوق التجدد والآكام يبحث عن الصل
« حتى يجده » كما يقول يسوع . فله الآب لا يجد سوى نفسه عن قلبه بالالفه
والاس مع الحلائق التي اليه لم تخطئ . وهو لا يفتح بوضع الآخرين لسد هذا
الفرع الحادث ، لان الله ليس « معلماً » عظيماً يستأجر الايدي العاملة لسد النقص
بين عماله ! انما الله هو الآب كما يقول السيد الكريم . وهو اليك لمي عود ، وهو
لقلبك لمي وحشة . وهو يسعى وراء من صل وانخدع حتى يجده
« حتى يجده » والله وحده يعرف معنى هنا . واحياناً تخفى النفس بالرجاء القاتم
على ان هذه المحبة لن يمكن أن تقبل في نهاية الامر . وليس يميزها الا شيء واحد ،
هو ارادة الخاطئ نفسه واصرارها

* * *

قرأت قصة عن أب قد غرق ابنه في أوحال الرذيلة والانه في مدينة كبيرة .
وتحاذى في شره وأفعليه غير عانى بالشقاء الذي جلبه على بيته واسرته . وقد صور
الكاتب ذلك الوالد الشيخ التهدم ، للكوم القواد ، رجلاً كبير العقل ، وحذياً
ثيلاً ، يبدل ما في اسمه ، ليلة بعد أخرى . وشهراً بعد آخر ، جائلاً متعباً في كل
ماخور من مواخير الاسم ، وفي كل حانة من حانات القصور . ولم يعبأ قط أن يرتاب
الناس في آدابه وأخلاقه وهم يرونه يرتاد هذه الاماكن اللو بوءة في غير انقطاع . ولم
يكن له من هم سوى المشور على ابنه الذي صدع قلبه الباسل الكبير
هذه صورة ، صورة باهتة ولكنها صادقة ، تمثل الله الآب يبحث عن المالبين
والشاردين . وذلك الان العاق لم يحلم يوماً ان والده الشيخ يتحشم في سبيله كل
هذا الفناء . بل تخيله أمامه غاضباً طاباً يلصه وينقم عليه لانه حرّ والاً على اسم
أبيه الكريم . وهو موقف اشبه بموقفنا نحن عندما نمسى الله . فان اول فحكرة
تتبادر ال أذهانتنا هي غصبه وقمته ، وبروده وعدم سالاته وهو يقرب أحزاننا

ووعز ضيقنا . وآخر ما يحول بالحواطر من الفكر هي الآب المتأم ، للؤلئ ،
للرتقب

وهذه الفكرة الأخيرة هي الحقبة الصادقة . ويقول يسوع هنا ان أعاق قلب
الله ثور من جرء شرورنا وآثامنا . فهو يبحث ، ويبحث في البحث . لا يترك حجرأ
فوق حجر في التفتيب والسعي ، وهو أاملنا في ثلثتنا وتوتنا ، يمتث فيما الضمور
الذي يورخ ويؤمب ، والشعور الذي ينلم ويؤدب ، والرجاء الذي يأمل ويرتقب
قد يكون هنا أعد مما أصدق ، وقد يكون هذا أكثر مما انتظر ، ولكنني أومن
به حقاً ويقيناً . لان امامي قولة المسيح الصادقة عن الراعي الذي يفتش ، وللرأة
التي تكس ، والأب الذي يفتش . ولأن احاسبي اللعين يؤيده اذ افكر فيما
عساني أن افعل لو صل عي ولشي وشر . وقد قالت لي أم ذات يوم : «لو صل
ابي وأنا في الارض للاركة للقمصة فان كل ملائكة السماء لي تقدر أن تحول علي
وبين خروجي الى الظلمة الخارجية لاصت عنه حتى أجده» ولم يكن هذا خروجاً
عن جادة الوفاء ، بل هو اسكاس قلب الله . وحلثا ان يكون الله اقل صلاحاً من
هذه الام . ولدي ما يؤيد هذا الشعور من الناس أعظمهم قطعاً سمعت عن
الاصطرابات والثورات النفسية ، عن الآلام ووخزات السير ، عن الرغبات
والفوائد - توطد العزيم مرة والاف مرة ثم تُكسر وتذهب هباء . وقال لي أحدكم
يوماً ما « هذا جهم لا يطلق ا » كلا ! فليس هذا حجباً . انما هو الراعي يفتش ،
والرأة تكس ، والآب اثاث في محبة الهاشجة يدأب ساعياً لله يجد من صل عه .
واد سمعت ذلك الانسان يتحدث الي تذكرت لأول وهلة هذا اللث ، وهو اعلان
للمسيح لأمة الله وأحست أننا في أرض متدسة . وهذا العالم الروحي محيط بنا .
فلو كانت أعيننا مفتحة للنور الروحي ، ولو كانت آذاننا بمنحلة عن ضوضاء العالم ،
لأينا في مناح كثيرة آثار اقدم للمسيح ، وسمنا في كثير من اللناحات النفسية
توسلات الله جيداً في سمية للشور على الصل حتى يفكر به

ومق ظفر به طت ربات الفرح في حضرة ملائكة الله . اما مرج الآب فيثله

لنا للسبح يوم رجوع الابن العال . ويمثله ذلك الكاتب - مع القارق العظيم
 في القصة التي ألحقت اليها آفاً عن الوالد الشيخ الذي قضى شهوراً مكثشاً ، معلماً ،
 باحثاً ، في أزقة المدينة ومنحطاتها للو بومة حتى وجد انه أخيراً . أما ذلك الابن
 فقد حراء ذهول ودعشة اذ عرف شيئاً عن قلب المحسة التي لا تكل ، وتبدلت
 حياته كلها ، أخذ فيها طريقاً جديداً أعاد فيها الكرامة الى أبيه الشيخ الذي سرّده
 حياته من قبل بالحوجاج حياته

ومن ذا الذي يبر لنا عن مدى فرح ذلك الشيخ وهو يسمع من كل جانب
 كلمات للندح والاطراء على ولده ؟ لقد سعى وراء العال حتى غلر به
 هذا هو الله . هذا هو الآب بقدر ما تستطيع أن تفهمه العقول البشرية
 البائسة . وقد يصب علينا الايمان به . ومع ذلك فهو الحق بيمينه ، الحق الذي
 أعطه للسبح نفسه . فلنسا بهد يتامى لان الله أبونا . وهو يقول للجلجل للقلوب في
 صراعه . « لا تخف أيها القطيع الصغير لان أباك قد سرّ أن يعطيك لللكوت »
 وهو يقول لكل ناس خاطئ . ته في طلمات الارض البعيدة : « قم ، وانهض ،
 واذهب الى الآب ا »



الفصل الخامس

الاخاء بين البشر

مدعوة الله للكنانة الاولى في انكار يسوع التي ساقها الى البشرية ليعيد بها نظام المجتمع . ويتبع ابوة الله حتى احوية الانسان فاذا كان الله الآب يعتز بانثائه ببي الانسان ويُعيى بامورهم، فهو يُسر ويتبسط ان يُعيى بعضهم بامور بعض ويسوء ان يخرج من بينهم مَنْ يجلب على غيره شقاء او خطية . ولما كانت الاخوية الشريفة من المبادئ التي نادى بها يسوع ، وكانت الروح المصادقة لها من أشنع الاخطاء، في نظره

وهما استعيد الى التذاكرة مرة اخرى الوقت الذي قصاه الشير لوطا في استرجاع ذكريات الطريق الى اورشليم . فأراده تارة يثر على قصص الخروف الصال والابن الصال وما اليها من مدائح الافاصيص التي تنبئ عن ابوة الله . واخرى يمجّد نفسه امام قصة التفتي ولما رآه يرمس فيها المسيح صورا تنبئ عن انكار الانسان وجهدهم للاخوية البشرية . ولهذا القصة روعة روائية تجعل لها مقاما خاصا لما تضمنت من التعاليم الاخرى.....

وهي رواية تقع فصولها في عالين ، مأساة تتمثل في مشهدين : فالشهد الاول في هذا العالم ، والشهد الثاني في العالم الآتي :

• • •

المشهد الاول : دار فخمة انيقة، تفعها الثروة والنعاء، وتكتظ فاعلتها بأسباب الرفاهة والكمالات، وتحتشد في ابهلتها ضيوف في مرح وطرب، وفي غرفها الداخلية عبيد وحدم وحشم . وفي وسط المشهد سيد الثراء «انسان غني يلبس البر والارجوان وهو يتنعم كل يوم مترفها» وعلى مسافة منه «مسكين اسمه لمازر طرح عند باب

مضروباً بالقروح يشتهي ان يشع من الفتات الساقط من مائدة العبي بل كانت الكلاب تأتي وتلصق قروحه «

صورة بسيطة في تصويرها تجذب اليها الاطفال ، وهي صورة المجتمع الذي عاش فيه المسيح ، وبالاسف هي صورة المجتمع الذي نعيش فيه نحن في هذا العصر —
ما نحن برى القفر والحرمين ورقة الخلال قف حساً الى جنب مع الفنى والرافية وتعظم للميشة ا

سلطوا ابصاركم على ذلك الفنى في الصورة ، فهو بطل القصة ومحورها واما الشخصيات الاخرى فهي مكملة فقط . واذكروا انها قصة رجل غني محرد . لم يكن رجلاً غنياً شريفاً ، ولا رجلاً غنياً حادداً ، ولا رجلاً غنياً فلسفياً ، بل هو انسان غني عادي

ولم ير العالم فيه ، ولم ير هو في نفسه ، ما يجعله موضعاً للتأنيب والوم . ولم يُتهم بسوء السلك ، ولا باحتيار الثروة بأساليب حادة غير شريفة . بل لم تُسند اليه القسوة على الفقراء ، ولم يكن لمازدا للسكين ليفزع عند باب داره لو لم يحفظ كل يوم بكيس الخبز القائمة . وكان الرجل لطيف المعشر يميل اليه الاصدقاء من طرازه الذين استضافهم عنده . ولعله كان يذهب الى هيكل السادة ويدفع النشور من ماله ، ولعله كان محوياً محترماً في دائرته ومحتمة

فانما كانت خطيته اذن ؟ كان يحصل بين اخضاله قلباً لا يحب ، قلباً لم يصب شيئاً بناموس الاخاء الذي شرعه الله . ارتضى ان تقدم الكسر الى لمازدا مع الكلاب عند الباب . لكنه لم يحس قط في اية علاقة اخرى . ولم يدرك بخله يوماً ان لمازدا هذا أخوه ، له من مطالب الطفل والمودة ما تتطلبه الاحوة . وكان بينهما تلك الشقة الواسعة بين الفنى والفقير ، شقة تزداد كل يوم اتساعاً . ولم يحس يوماً في تحصيلها بكلمة عطف او فكرة تودد . هذه كانت خطيته : قلب لا يحب ، وعين لم تفتح لرؤية حقيقة الاخاء الالهية

وسلّم به يوم أدرك هذا، ورأى الشقة الفاصلة بينهما. ولكن بعد فوات الاوان



الشهد الثاني : 'يرجع الستار عن عالم آخر' فأت السكين وحمله لللائكة الى
حضر ابراهيم ومات النبي ايضاً ودفن »

ويرسم يسوع صورة عن العالم الازلي الخالد كبحر يحيط بهذا العالم . يرتفع
الستار فيرى مشهد بعيد تحفه رحة العالم الآتي . وكأني به هنا يعلم الناس ان الموت
ليس ختام مأساة الحياة . بل الحياة تمتد ، والصفات تبقى ، والتجارب تستمر ، وينتقل
الانسان مداكرته وضيمه الى العالم الآخر الرهيب . والتور في المشهد ما يرحب سلطاناً
على النبي لان القصة تفتحه . واذا يرتفع الستار نحمه من بعيد على مور صئيل في
وحشة الفضاء العظيم ، هماً حفرة مرتجفة في وحشة لانهائية . هناك يصلب لان
الصبر قد استيقظ بعد ان حمد واستكان في السنوات الطويلة التي كان يرقل فيها
في نيام اللادة . ان كأس الموت قد انقظ صميره . فهو الآن يرى ، وهو الآن يعرف .
وليس لهذه النفس النائية المارية الخائفة ملجأ تأوي اليه أو سلوى تفرج عنها .
«رفع صنيبه في الملوحة وهو في العذاب» . يا لها من صورة رهيبه مرعبة التي يرسمها
يسوع هنا ! في وحشة الفضاء المسيح اللانهائي تتعذب النفس المستوحشة حيث
يخلو الانسان الى صميره

وترى هل ادرك في ذلك « المكان الوحش » شيئاً ما عن وحشة الحياة التي
يرى فيها الاخاء وتنتهي فيها الالفة ؟ وفي تلك الوحشة المريعة يرفع صنيبه ليرى وجهاً
ألف رؤياه . يرى لعازر من بعيد في حضن ابراهيم . وهو الآن يقنص ان يجيء
اليه لعازر حاملاً له الزناء والطفل ، وهو لم يفكر على الارض ان يفتح لعازر شيئاً
من هذا الزناء والطفل . « ارسل لعازر ! » وكأنه قد سبي لسانه انه لم يعد ذلك
النبي الذي يأمر لعازر فيبذل لامره . وفاته انه محظور عليه ان يعمل هذا « يا ابي
اذكر انك استوفيت خيرائك في حياتك وكذلك لعازر ابلايا »
وهنا يذكر ، يذكر نفسه ولعازر ، يذكر نفسه المجرمة عن كل مودة واحاء ،

ووحشة ذلك الشهاد للرئيس للسكين. ويرى في فرع، وطلع تلك «الهوة العظيمة» التي اصطنعها يدها ومن على شاكلته. وعلى نور الابدية يرى ان من يختر هوة بينه وبين اخيه انما يختر هوة بينه وبين الله. «يسا ويسكم هوة عميقة قد أثنت» ولله يدكر الآن انه قد مضى زمن كان ممكناً له فيه ان يخطئ تلك الهوة بكلمات المطف والاشفاق. اما الآن فقد اتست الهوة وأستت حقيقة لا قرار لها



ولي ها كلمة ليست في صميم موضوع هذا الفصل. ولكن لا بأس من ابرادها وهي ان القصد الرئيسي الذي يرمي اليه للسبح ها ليس الكشف عن اسرار العالم الآخر. انما يرمي هنا الى تقنين اسئلة الاخاء كواجب اجتماعي. وقد رفع الستار هنية وشجع القني في العالم غير المنظور ليبين لنا النتائج المحتومة للحياة العاطلة من عواطف الاخوة. فليس من حق لي انسان أن يحصل الانعاط من اللعاني ما لا تحمل. واليوم رى «هوة سحيقة» بين الاغنياء في جلالهم وبين الفقراء في هذا العصر، شقة ولعة بين الاشرار والاخيار في هذا العالم أو أي عالم آخر. بين المعني الذي جاز الى العالم الآخر نفس جرداء محبة لذاتها وبين اخس القديسين الذين استراحوا في الرب

وهنا رى يسوع يرسم لوحته الخالدة التي تمثل النفس الحاحدة لحق الاحوة ويضع القني نموذجاً فيعلو به الى موضع العذاب بسبب هذا. ويقول مراراً انه اذا لم يرد النفس الوقوع في هذا المصير عينه فليهم ان يرموا شريعة الاخاء الالهية وفي مجال آخر نراه يرسم هذا الموضوع مرة اخرى في قصة السامري الصالح حيث يرسم صورة لسامري يحترق ليحلم الانسان معنى القراءة البشرية. والمرة ثلث لرة سمعه يفتح عن هذه الفكرة كأن يقول مثلاً: انظر زلات احبك سمين مرة سبع مرات. وكن به رجياً شفوفاً ولو كان هو كارهاً حوداً. لان الله الآب في السماء يشفق على الاشرار والصالحين ويحطر على الابرار والظالمين. «وهذه وصيتي

ان تحبوا بعضكم بعضاً » وإيماءً « واحد هو سيدكم المسيح واتم جميعاً اخوة » . ولا حاجة بنا لاجلاس أكثر من ذلك فان تاموس الاخاء مائل في كل تساليه
ولعل ألم ناحية في صورة هذا الفني التي رسمها المسيح هي دينوته وكأنني به
يصح الاحاء والودة ، والحفاء والقسوة ، من أبرر العوامل في تقرير محير الانسان .
اما القاضي الدين فهو ابن الانسان ، وأخو البشرية ، وكأن الاحاء او الحفاء لاحد
اخره الا صافر موحه اليه شخصياً . وقد جال وسط الحياة البشرية ، دون أن
يلحظه أحد ، مترسماً في عيون المستوحشين الذين أعوزهم عطف الاحاء . ولم يدر
النشر انه كان يفرس بينيه الثاقبين . أما القلوب الرحمة لم ترق حسنتها الصغيرة
شيئاً يستحق الذكر . والقلوب الجاحدة القاسية قد دهشت بعد اذ عرفت أن هناك
من يرقب قسوتهم وعلم موتهم . « كنت جائئاً فأطمئنتوني ، عطشاً فمقيتوني ،
مريضاً ومحبوساً فزرتوني . تعالوا يا مباركي أبي . بما انكم فلتم بأحد اخوتي هؤلاء
الا صافر في فلتم »



وهنا انذار هائل يوجه أبصارنا الى مراعاة تاموس الاخاء . فان لغاز عند
اللب يمثل آلام وحاجات البشرية المتأصلة للجائحة عند اجواننا ، والفني هنا يصوب
اليها هذا التحذير
وفي هذا العصر نرى مدتنا الكبيرة وقد اكتظت فيها جماهير الفقراء في
الاحياء الخفية وحشرت حشراً كأنحشر الارانب في أجحارها ، في مساكن
حقيرة دنيئة ، وبأحور باهظة مرهقة ، وليس من يحرك ساكناً . وفي كل سنة يموت
ملائين في الاحياء القذرة لنفس الوسائل الصحية وقلة الغذاء . ويهمل السجائر في
شيخوختهم وليس من يأخذ ناصهم في هذا الدور العميب من الحياة . ويشي
النشبان والفتيات في أحوال تكثر فيها وسائل التروية والاعراء . ان الفقر والآلام
جائحة عند اجواننا والمسيح ينظر ويحن لا ينور له التفائلاً . وكأن هذه الاسر

التي تعيش في الساكن الحقيقية القنطرة ليست منا في شيء ، وكأن أولئك الاطفال
والشبان الذين تصنف بهم اعاصير الموت والتوابات لا يمتحن الينا بصلة من القرى .
ولكن هم أسرى المسيح ، وهم اولاد الله الساكنين !
فهل من غرابة ان يقسو للمسيح في حكمه على روح الجلاء وعدم اللودة ؟ وهل
من غرابة أن يطرح النبي القاسي في مكان العذاب !

* * *

« كلكم اخوة » وليس يقتصر هذا على العلاقة بين العبي والفقير . فان العطف
والصداقة واللودة من الروابط التي يجب ان تسود كل اوساطنا وتكون لنا ناسواً
وهدي . لان العالم يريد علناً سعيدياً . وهو يضع على كواعلنا عبء القيام بهذا
الواجب المقدس لادخال البسطة والسرور على النفوس
ونظام الامر كله ان العالم في اعادة تنظيمه الاحتياجي يقتصر في هذا العصر اشد
اختيار الى المسيح . وأهل العالم مأخوذين بضم التواميس الاقتصادية ومبادئ
مذاهب للتنمية واساليب الحث الاخلاقي لفعل الخير والصلاح ولكنهم عن المسيح
غافلون ، ولنا هم لا يعلون . وهم يملون ذلك ، ويشعر قادتنا ورجالنا في ميادين
السياسة والصاعقة والاجتماع بهجرهم وانفادهم الى وارع روجي قوي لتنفيذ مشروعاتهم
تنفيذاً عملياً . والحاجة هنا ملحة الى الدين . فليس كافياً ان يقولوا لنا اهلوا الخير .
بل نحن نختار ايضاً الى وارع يردع ، والى قوة تدفع . ويهي لنا يسوع هذه
القوى اللازمة في تعاليمه عن ابرة الله ، وفي عنايته بالشرية جماء لا سببا للاخوة
الاصغر الذين لاحتهم ارتفع فوق صليب الجلجلة . وبقرة روحه اقدس والصلاة
والسر القدس تسود اخلاقنا وتمثل ، ونرى أن فعل من طيبة خاطر ما قد يعكر
مراحنا او يقلق راحتنا لاجل الآخرين . لان « محبة المسيح تحصرنا » . والرسالة
التي تقيناها عنه هي ان « من يحب الله يحب احله ايضاً »

الفصل السادس

المسؤولية

ص التلاميذ الدارزة بين دكريات الطريق ، ذلك للثلث المآثور الذي ألقاه
يسوع عن مسؤولية الحياة . ولطه قد قيل أكثر من مرة في اوضاع
مختلفة تنعق وعقليات السامعين . ويقدم لنا البشر لوقا وضعا من هذه الاوضاع قبيل
نهاية الطريق اد « كان قريبا من اورشليم وكانوا يظنون ان ملكوت الله عنيد ان
يظهر في الحال » ويقدم لنا البشر متى وضعا آخر يجعله بعد هذا باسوع في مثل
الوراث ، ولهذا الوصف الاخير تعليم أوفى وصورة أنهى
أما الفكرة الاساسية فهي ان مهمة البشر في الحياة أن يكونوا وكلاء أمتاء في
اداء وكالة عهد النهم بها الله نفسه . والبشر في ذلك اليوم حسوا الثروة وكل ما
ملكته أيديهم من مزايا أخرى ، ملكا لم يستخدمونه لخير انفسهم . والبشر في
هذا العصر يصلون هذا بهيه ونحن بقتل اليهود للحد من هذه الليل الجائعة
بالقوى الخارجية ، بفرض الضرائب على الدخل والمخاجيات الكسالية . أما يسوع
فقد تنور الى عمق الاعماق ورأى ان العلاج هو تحديد في القلب وتبدل في وجهة
النظر نحو الحياة . فيحق للناس ان ينظروا الى الحياة كما هي في نظر الله ، وكما هي
في نظر الخلود . ويقول السيد المسيح ان الله أب لنا وكلنا اخوة . وموتنا فجاه الله
وتجاه بعض البعض اشه « بانسان مسافر دعا عبيده وسلمهم امواله فاعطى واحدا
خمس وزنات وآخر وزعتين وآخر وزنة ، كل واحد على قدر حاجته ليتاحروا بها
وتأويل هذا ان الله يبعث بكل منا الى هذا العالم ليؤدي رسالة ، ليقوم بعمل
معين ، وليتعاون معه في تنويم ما اصحح في هذا العالم البائس . وانه عز وجل يهب
لكل انسان كثيرا او قليلا من هذه اللواهب ليلجس هذا للأرب . واه سيأل يوما ما

كل اسن عما فعلت بدهاء : كيف أدبت رسالتك وكيف استخدمت المواهب التي
 منحك إياها ؟ أي حير صلت في العالم ، وأي خير فقلت به نفسك في رحمة الحياة ؟
 فما هنا رجل ، ملاك عبي ، يقتني عبيداً . ولأن الله خلقنا واخذانا وحبانا
 بالمحبات والقرى ف نحن ملك له جسداً ونفساً . ومن منطوق هذا التل لا يحق لرجل
 كريم أن يقول : « لجاري أن يختار شرعاً أن يخدم الله » ، ولي إذا أن يختار شرعاً
 ألا يأخذه « كلاً . فإنا لسا ملكاً لأنفسنا . بل لله ، أردنا أم لم رد

و يستنم ذلك الغني أن يرحل إلى كورة بعيدة فيذهب إليه عبيده ليسلمهم عنه .
 وها قد تفتحت أبواب القصر على مصاربها ووقت العرة مجيادها المظلمة . وفي
 البهو تقع العين على منصلة طويلة يكسوها غطاء أحمر ، وصع عليها أكياس صغيرة
 من الذهب والفضة — وزنة ووزنان وحس وزنات — ويقف ذلك الرجل مترسداً
 في كل عيون عبيده ليتنهم مقدرة كل منهم فيعطيه من رأس التل ما يقتدر على
 استخدامه . وهو يعرفهم معرفة جيدة وكان أولئك العبيد قد ترعرعوا في دأوه منذ
 صغرهم وكبروا أمام ناظره ف عرف مقدرة كل منهم . وقد كان اليهود ، ولا يزالون ،
 شعباً محباً للتجارة والكسب ، فليس مثل آخر يمس عواظهم من حيث المسؤولية
 كهذا التل

والآن التي نظرة على العبيد حول السائدة الطويلة الحمراء وهم يتناولون هذه
 الوزنات . لمن هذه الوزنات ؟ للسيد بلا شك ، وما هم إلا وكلاء عنه يتأخرون
 لحسابه « يا سيد حمس وزنات سلتي . . . ورتين سلتي الخ »

ثم التي نظرة على عبيد الله حول اللانة الطويلة في هذا المصرو : لمن الوزنات
 التي عهد إليهم بها ؟ الثروة ، النفوذ ، الجلبه ، العقل ، الكفاية ، الجمال ، الاحلاق ،
 الصحة — كل هذه الوزنات والمحبات لمن هي ؟ لله — ولماذا أعطيت لنا ، للتجارة ،
 ويعود ربحها على الله . وأي ربح يشاء ؟ أن لله قدراً عظيماً يحو هذا العالم الباس ،
 ليصله أكثر غبطة ، وأوفر فائدة ، وأسمى نبلاً ، وهو لا يضل هنا إلا عن طريق
 عبيده فإن لم يعملوا تعطل هذا القعد . هذا هو الفرض من الوزنات التي تعطها

وان صح بان جميع مواهبنا هي منح من الله فاداً يحدث ؟
 ماذا يحدث لثروة التي تتدفق علينا، أو لحقوق الارث التي ننتاز بها، او لحبات
 العقل التي تتوافر لنا ؟ «ولدت غنياً، وتخطوت من أسرة طيبة هريقة، وُحييت
 مواهب عقلية» حسناً ! فلتشكر الله على كل هذا ، لان هذه هبات عطشى ولكنها
 تحصل معها تبعات خطيرة . وليس فيها ما يبرر ان تنظر شزراً ، أو نظرة لمتهمان ،
 لانسان آخر لم يسه من الآب الا مصادر للمواهب . فليس لك حق اكثر من الآخر
 لان نحيي الى العالم مروحاً بالعنى وطيب الارومة وحرقة الخلد . ولكن الآب قد
 در هذا لكي يكون واجبك في الاعانة أوفر . ان اللامارة تكاليفها وتمتتها كما
 يقول المثل الفرنسي

أوكيف يسوخ لاسان ان يستعظم للمواهب التي سلها اليه السيد لجر الفاسم
 لشخصه ، لتقدمه الثاني ، ونسيان الله ، ونسيان الآخرين ؟

أوكيف يعرّي الانسان نفسه وهو على سرر اللوت وعنه انه لم يؤد احداً
 قط في حياته ؟ ان هذه ظاهرة يلقاها رجال الدين عند تشخيص حالة الاسان
 الروحية . قامت اذا حاولت سير عوره لتعرف حاله تسمه يقول لك في يهود :
 «لست اعلم ان الله شكوي كثيرة ضدي . فانما لم لودي عهداً احداً من الناس» —
 تصور انساناً يقول هذا ! فكأن الله قد بته الى العالم وحاه بالمواهب ليمنع عن
 الصرّ وحسب ! تصور أحد كبار القاولين يحيي «لناظرة عمله فيجد عاملاً من قدم
 أجورهم جالساً على السقالة كسولاً لا يعمل شيئاً . واذا يدمه على هذه الحال يقول
 له : «أنا لا أفضل صراً بأحد ، ولا اتقي بالعلوب على رؤوس المارة في الطريق !»
 فكأن المقاتل يتقدمه آخره لهذا الفرص ليس الا . أن الحياة تتخذ أوضاعاً مختلفة
 لو أدر «كننا معنى تعليم المسيح في هذا المثل ، ونهم بأكثر جلاء مفرى كانت
 الاعتراف « تركنا امالاً وجب علينا عملها »

هذه هي النقطة الاولى : ان كل مواهبنا قد اعطانا إياها السيد لنستخدمها
 في الخير

واليك فكرة أخرى — رب فائل يقول في قلبه : هذه المواهب ليست موزعة توزيعاً عادلاً . فلماذا لا نبدأ بداية عادلة ان كنا مسؤولين ساء ؟ فلما كنا في مكانة اجتماعية واحدة ، وسنا كلنا في درجة واحدة من الثنى أو القوة أو النشاط أو الجاذبية في الاخلاق . وقد يكون ولدان في فصل واحد ، أو شخصان في مقعد واحد ، ويختلف الواحد عن الآخر كل الاختلاف في القوى الجسدية والعقلية والادبية والروحية

نعم . حتى في القوة الادبية والروحية ! وهذا أخص ما في السر . فانه أسهل على قوم منه على الآخرين أن يكونوا لفقاء صكرماء مشفقين يضيغون حواظهم ويسلمون على لسان الآخرين . وانه حين على انسان أن يؤمن بالله فيما يصعب ذلك على آخر بسبب مزاجه للشك للرتاب . هذا سر عويص لا أهمه ولا اريد التبسط في تأويله لانه يقودنا الى اسرار الوراثة وما الى ذلك من العوامل الخفية

ولكن يسوع لم يحل هذه الصعوبة . هو يراها أمانة حقيقة ، ويصرح ان الله يمنح انساناً وربة ، وآخر وزكّين ، وثالثاً محسن ورعات . وهو لا يطل لنا سبب هذه الضروقة ولكنه يشير علينا ألا نضلرب حياها . فالأبجيل ، النشري الطيبة في المثل ، هو ان هذا التوزيع ليس هو صفة صياء ، بل الله يعرف ، والله يمس ، والله يميز . ورويداً رويداً يحظى ذلك الانسان ذو الموهبة الصئيلة صين الجراء التي يغور به غيره لو أحسن صله وكان أميناً في ادائه . ولما يقول الله « نيا أيها الصالح الصالحين » — الصالح والأمين ، وليس الصالح والثابه ، وليس الصالح والخالق — فلما قدر ان تقول كلنا ناهين فالحين ، بل نستطيع ، شكر الله ، أن تكون أمانة ، كل في دائرته الصغيرة المخلوقة . هنا كل ما يريد الله

فلا تفشلوا ولا تأسروا ، ولا تشكروا ولا تنتمروا ، ولا تقولوا هذا حين وحيف ، ولا تظنوا كل شيء مجرد صفة عياء . فان الله قد در ان تنوفر لدى هذا الانسان مواهب أكثر من ذلك ، ويترتب على هذا التباير طمأ تمة احطر واشد . ويحيل اليها ان تنوع هذه المواهب ضرورة من ضرورات تدبير الله وعمله . وقد شاهدت

يوماً صامعي الاورغن في الكنيسة ، وكانت كل الزامير « الاناييب » مسترة على مقاعد الكنيسة ، ذات مقاييس والطوال مختلفة من الزمار الطويل البالغ ثمانية عشر قدماً الى الصغرة الصغيرة التي لا يريد حبسها عن الاصبع الصغير . وقد شاهدت الصانع الصان يهتم في شد ووزن الصغير منها اهتمامه بالكبير تماماً . لان لكل منها صوته الخاص لتكون المجموعة للموسيقية متناسقة متزنة . ولعل هذا هو الحال مع الفنان الاعظم وهو يلعب تأمله على اوتار الكون الذي صنع . ولله لا يخرج ابداع الاصوات للموسيقية الا بنوع الانغام والالحن !!



وانظر الى الفكرة الثانية في المثل . ذهب الرجال لانعام الزينات . فأتان منهم استخدما ورنثها ولما الآخر فلم يصل شيئاً . وهنا يبدو امامنا ناموس الله في الشجرة بالورثات التي يسطينا اياها ، ناموس الله في للكسب والحسارة روجاً . ويتلخص هذا الناموس في عبارتين : من يستخدم مواهبه يزدد ، ومن لا يستخدمها ينحسر . هذا هو ناموس الله الساري من حيث الجسد والعقل والروح

١ — من يستخدم المواهب يزدد : هذا حق في اية حاجة من نواحي الطبيعة . فلماذا ترى ذراع الحديد اقوى من ذراعك ؟ لان الذي يستخدم يزدد . بل انظر الى الكهيف الاعمي وتأمل دقة حاسة اللمس فيه بحيث يستطيع التمييز بين القطعة البيضاء والسوداء بمجرد لمس شعرها . وانظر الى الناحر للماهر واقلناه السريع مع الموق . ان الذي يستخدم شيئاً ما ، يبرع فيه

وهكذا ايضاً في الحياة الروحية . فالمسيحي الصادق الذي يستخدم قوى نفسه ، ومواهبه الروحية ، وشعوره بمحبة الله ، وصلاحه للصلاة — يتزايد في هذه كلها فتتم نفسه في القوة ، والنيل ، ويصير الله اقرب اليه من نفسه ، والكتاب المقدس مصدر فرحه وسلامه . وكل ما يفعله ، وكل ما يفعل به او ضده ، انما يؤدي الى تصيق حياته الروحية وتقربه الى الله

٢ — ومن لا يستخدم ينحسر : واحد اولئك العبيد لم يستخدم وزنه . هو لم

يسرقها لو يسيء استعمالها ولكنه أحملها فقط . لانه شر معشار الحياة ، فهو لم يزع الا
بوزنة واحدة ولم ير فيها ما يبرر العناء الذي يبذله . فأخاضها ولم يرغب في احتلال
الشقة والسعي

هنا ناموس قائم في الحياة كلها . فانظر الى العقير للتصوف الهندي الذي يحض
ذواحه من جراء عدم استعماله . وانظر الى الانسان الذي يصاب بالمي من جراء
عقل لسانه ، وإلى الحيوانات التي تعيش في احجار تحت الارض المظلمة تعتقد
أنسلها لحرمتها من النور . وفي كهوف الماموث بولاية كنتكي الامريكية احتس
من الاسماك والصعاعع السياء لانها تعيش في الظلمة . وتبدو أعينها كأن لا شيء
فيها فاذا مستها تسكين اشهارت تراباً . هذا هو ناموس الطبيعة ، فانك اذا لم
تستظم شيئاً ما لا تثق طويلاً حتى تفقده . لان من لا يستخدم شيئاً يفصره

وهنا حتى لاشية فيه في الحياة الروحية فالانسان الذي يهمل الصلاة
سنوات طويلة ، وقراءة الكتاب المقدس ، والذهاب الى الكنيسة او تناول الشركة
المقدسة ، والتأمل في الروحيات — مثل هذا الانسان لا حق له ان يدعش اذا
احس يوماً ان همه قد فحرت وسلورته الشكوك والرب . لان من لا يستخدم
مواهبه يفصرها . هذا هو ناموس الحياة

والآن لنأت الى الصورة التي تمثل رجوع السيد . وانظر اولاً الى موقف
السيد : « يا سيد سلعتي . . . » ورتين او خمس ورنات . وكل عمل صالح فعله
فله يحصل معه حراء الصالح لان كل شيء من عند الله . وكل العاملين الامناء
يفترون الى الله بمثابة المعطي الوهاب . ولما غير الامناء فينظرون اليه بمثابة المطالب
اسائل : « يا سيد عرفت انك انسان قلس الخ »

ثم انظر الى موقف السيد المشجع في المثال : أحب ان يتندح ، وكره ان
ينلس الخطأ . وقد توقع التطير من عبده ولما يفرح لاهم لم يحببوا أمه كلية . نعم
كانوا يلداء مخطئين اد كان في وسمهم أن جعلوا افضل مما فعلوا . فالانسان الذي
فاز بالحق والودات قد يشعر نفسه حقيراً اذ يجي بعد زميل له عشر ورنات . ولكن

سمع الثناء الكريم السمع ، الكلام المبهج المفرح . «حسناً فعلت ا» . وهذا قول
 من يُسر في الدرع ، ويكره اللوم والتعنيف . ما اعظم التشجيع الذي يلقاه العبد المسكين
 حين يصح السيد يده على كتفه قائلاً . «حسناً فعلت ا حسناً فعلت ا» هذا هو
 السيد الذي يحمله . فلا تنسى هذا في اوقات اليأس والناء . لان الله لا ينسى
 الاحياء فينا ولا ينسى الاحاييل أو يحفر الخفاثر في طريقنا . بل هو يبحث عن
 بصيص من الخير فينا ويفرح اذ يجده



بقي شيء واحد : فما هو ثواب الله للانسان الذي يهدب مواهبه يستخدم
 قواه ؟ هل ثوابه أن يقف من السبل الصالح في الليل ؟ أليس هو عمل اعظم ومهمة
 اكبر ؟ والانسان اذا احسن عمله على الارض في وظيفة صفوى يرقى الى اعلى منها
 ويصطلع مسؤولية اكبر . وهنا يرى يسوع يرفع الستار عن العالم الابدي ليرينا
 اتنا في عالم اكثر اتساعاً مما عهدنا . ومتى انتهت هذه الحياة ، تستمر الحياة ولا
 ينقطع حبها . وما الموت الذي هو نهاية الفترة الارضية ؟ الا ميلاد في حياة جديدة
 لنا فيها من الآمال الكبار ما يثير حواسنا وينشط الدم في عروقنا . والحياة بعد
 الموت ليست مجرد راحة راحة ونهاية صامتة ، بل هي تطور مستمر مهيب . والعبد
 الامين لا يصل بها الى هدفه بل يشرب عنته الى هدف اكثر جلة ، واعنى
 روحانية ، فيسري رحته ذارحاً مبعوطاً . «تعاينها العبد الصالح والامين . كنت
 اميناً في القليل فاقميك على الكثير» اقيمك على خمس من اللذات ، وعلى عشر
 من اللذات . هذا هو حراء الله : ليس ان تجلس خامسين هادئين في السماء كما يفضل
 موظف الحكومة مثلاً عند ما يحال على للعاش بل ان تابر في خدمة حاللة لا
 تعرف الكلال او الملل ، تجدد شماسها ونشاطها ، خدمة لمير الآخرين فتلوف
 النفس حينئذ نحو الغير لاسعاد عالم الله وخيره . هذا هو فرح الرب الذي يتذوقه كل
 من يستخدم مواهبه ، فرح الخطة المحررة عن الموى ، النزهة عن الناية ، من دور
 الى دور ، وإلى نهاية الدهور

الفصل السابع

تعاليم الطريق

الحكمة العليا

في كل التعاليم التي بقيت لنا من « دكريات الطريق » قد نسجت فكرة من العالم الأزلي الخالد . وقد أحاطت معانينا هذا كما يحيط الماء باليابسة . هي أمثال لمارز والقي ، والقي التي ، والدلري ، والوزنات ، وفي غيرها نصص كأن يندأ تمسك ما تأخذنا إلى العالم المجهول وراء الستار . ويسوع يرفع هذا الستار لتعور بلحاحات حائلة في الأفق البعيد ويري أنفسنا كأننا في كوف عظيم فيصبح يتلاقى فيه العالم . وأهوى من هنا كله الصور التي رسمها عن الدينونة . وفيها يرى الناس الحياة البشرية وقد أحاط بها الخلود فيقرروا مسالكهم ومساعهم بالتطوع دوماً إلى أحكام الله النهائية

ولم يلقَ تعليم آخر من تعاليمه ما بقي هذا التعليم من تنوّر إلى صائر السامعين . لأنه ما من إنسان حي الشعور ، مسيحياً كان أو غير مسيحي ، تخافه رية في نوع ما من أنواع الدينونة النهائية . وانت تستطيع أن تتحدى الوثنيين والكافرين ، الذين يرتابون في كل شيء آخر في الكتاب المقدس — تتحداهم لعلم يسكرون العقيدة القائمة على دينونة الأعمال التي يأتيها الاصل في الحسد فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً . لماذا ؟ لأن هذه العقيدة أترأ في النفس أبداً وبعثاً وأعلن أصلاً من الكتاب المقدس نفسه . هي عقيدة قد نسجت حيوطها في كياننا الأدبي كله فالضمير الذي أودعه الله فينا يوحى إلينا بأنها ضرورة لازمة . والمنطق السليم ، والنقل السليم ، حتى في أوضاعه القبة يحدثنا ان انتهاء سوف لا تكون واحدة لهيرودس

ويوحنا المعمدان، لايرأى الشريرة ومريم في بيت عيا، ثلاث حيمان التي بنى حياته لاجل البرص وبوليون الذي حاض في بحر من السم، ليستوي على عرشه ١١ ويقول الصمير: « هذا ما ينبغي ان يكون » ويسمع يسوع على هذه العقيدة صك التأييد فيقول: « وهذا ما سيكون ». فالذين عملوا الصالحات يذهبون الى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات الى قيامة الدينونة وهذه حقيقة لا يتسرب اليها شك من أحد حوائها . ولما بحاجة الى التوسط في التفصيل كأن تأخذ مثلاً بمعنى حربي صورته التيميلية التي رسمها لنا عن العرش الايمر قد احتضت حوله ككل الاحساس البشرية . وكل ما يهتد في الامر انه - سواء في يوم أو في جيل، سواء في لمح البصر أو في تطور بطي، تدر يحمي نحو النين أو اليسار - سيكون يوم ما للدينونة، كما يقول الصمير وكما يقول المسيح، يوم تقرر فيه الاخس البشرية



وهنا يترصنا سؤال : هل أي أساس ستكون هذه الدينونة ؟ و يسارع الصمير هنا أيضاً الى اعطاء الجواب ، كما يسارع الذي وهبنا الصمير الى تأييد الاحاة : « ستكون الدينونة بحسب الاخلاق » - وسيكون السؤال في ذلك اليوم : « ماذا صرت وكيف تطورت ؟ أصررت سمكاً جيداً أم رديتاً ، من الحراف أم من الجداء ، من المنظمة أم من الزولن ؟ » هذا هو تعليم المسيح الذي لا شك فيه . فالفقه في الأيدي سوف يدين كل اسان بموجب الحالة التي وصل اليها في تطوره الاخلاقي، ليس بحسب الظواهر أو آراء المهن أو الفوائد أو التششيع بالحرف ، بل بحسب كياناتنا الحقيقية وما بلغت من تشبه بالمسيح أو تباعد عنه

وهنا ينبغي ان نسمو افكارنا عند التفكير في معنى التشبه بالمسيح . فان دينونة يقوم اساسها على التشبه به ستطوح بكثرة الناس الى ميوة اليأس لولا تلك الحقيقة الهامة الزائمة التي سيشرح علينا مورها في الفصول المتأخرة من هذا السمر . ومها يتصح ان الانسان ان يقدرا ان يتال من حياة المسيح نصيبه الذي سيدل منه كيانه الداخلي، ويخلق فيه قوة للورغ مستوى التشبه بالمسيح الذي تتطلبه الدينونة - لن

يقدر ان يال هذه حياية مجلدوته واستحقاقه ، انما عن طريق القاء نفسه بين
أدراع محبة للسبح والاتكال عليه

انن ستكون هذه الدينونة أخطر من مجرد سؤال يلقى علينا كأن يُقال :
«أتؤمن بالرب يسوع المسيح ؟ » والايان به أم شيء لدى أي انسان ، لانه أسمى
قوة في الكون تمثل على تجديد القلب ونيل الحياية على أن للمول على هذه الحياية
التيبة بالذات . ومع ان هذا اسؤال هو أم ما يلقى على امرى في حياية الارض
فالتي أشك في ان يوجه الى انسان يوم الدينونة سؤال كهذا . أتؤمن بيسوع للمسيح ؟
وذلك لان الحلك الاخير هو هذا : ماذا فعل هذا الايمان بك ؟ وماذا صرت انت ؟ —
ومن غريب الامر ان السيد وقد تحدث كثيرا عن هذا الايمان به والاتكال عليه
لم يلح اليه قط في معرض حديثه عن الدينونة . أما القيلس فهو ما صار اليه
الانسان — أحب هو أم جود ؟ أحنطة أم روان ؟ أمن الخراف أم من البغداء ؟
وأروحو ألا يسيء أحدهم ما أقول . كما أروحو ألا يصطرب تنفيذ خاتر العزم
وهو يفكر في الدينونة التي يدينه بها الله اليوم . لا تخافوا «الدينونة لن نجى» قل
ان تأهبوا ها . والله يرى اتجاه كل حياية ، وهو يديننا اليوم ليس بحسب ما وصلنا
اليه ، بل بحسب ما نحن صائرون اليه . والذي يديننا بُعنى بأمر خيرنا الايدي
أكثر مما نسي نحن بنفوسنا



وهذا يحىء بنا الى فكرة خطيرة اخرى وهي أن الدينونة ليست مجرد حادث
في المستقبل . بل هي آخذة في سيرها اليوم . وكل يوم تشكّل ، وكل يوم تتطور
أفعالنا فتصبح عادات فينا ، وتسير المادات أخلاقاً ، والاحلاق تقرر مصيرنا الايدي
الحالده . وفي كل يوم تتطور الى اعتناق طرائق من الفكر والشعور ، في حمة او
كراعة أشياء معينة ، في الاعتصام بالله والحق في حياتنا أو التناهي في هذا . نحن
هنا تشكّل ونصاع لتكون أما على النمين أو على الانيسر
ولا يؤخذ من الكتاب للقدس ان الله نفسه يتقل من مكانه ليصعنا على

يمنه أو على يساره . بل نحن نعين المكان لاجتماعنا . ولتأخذ لذلك قلباً من الاغنام
والخنازير ترمي معاً في مرمى واحد . واذا يجيء الساء تذهب الحراف من تلقاء
فسها الى حظائرهما ، وتذهب الخنازير من تلقاء نفسها الى درائها . فالذين تفسوا
السيح في حياتهم على الارض سيكونون الى جانب واحد لانهم اختاروا بانفسهم
ان يكونوا من صف واحد . والذين عاشوا للذات وللحطية سيكونون أيضاً في
جانب آخر لانهم محس اختيارهم أرادوا أن يكونوا من صف آخر . ففي كل يوم
تطور وتشكل لتكون أمامي الجيئ أو على اليسار ، يوم تقف أمام محكمة الديان العليا



ولكن يسوع يبثنا عن شيء آخر غير مبادئ الديونة . يبثنا عن ذلك
الشيء الذي يبرع من رهبة للوقوف كل خوف وحزع . لان ابن الانسان نفسه
سيكون دائماً . وهو الذي يهيم ضعائنا ، ويحسا وقد مات عا على الصليب . وهو
الذي لا يشاء أن يهلك أحد منا . فهو ليس قاضياً يبحث ويحقق في برود وعدم
مبالاة ، بل هو الاخ الأكبر ، الانساني الالهي ، وهو القوي في كل صلاته بالانسان
قد استخرج منه أفضل ما فيه ، ورجاله خير ما عنده ، وقدّر أضال بسميص من
الجور في وسط بيع البشر ، هو الذي يرى الباعث الصالح وراه العمل الخاطيء ،
ويطعن الى احزان القلب البشري وتداسته ووخزاته في حين لا يرى سواه غير
الفشل والحطية . لربقوه وهو يرسم صورة الديونة يبحث وينتق عن الاعمال
الصغيرة التي سبها أخيار للناس « يا سيد متى رأيتك حائماً »
« نحن نؤمن أنك ستأتي لتكون دائماً » !!



الفصل الثامن

في اورشليم للمرة الثانية ١

هذه هي بعض التعاليم الواردة في ذكريات الطريق

والآن قد حلّ شهر ديسمبر، من سنة ٥٨ ب. م. وكان قد مرّ شهران على طرده من اورشليم في عيد اللطال. وبعد ان قضى شهرين في التحوال أدت به خاتمة المطاف مرة أخرى الى حط التلر، الى بيت لعزرو ومريم. وكان الوقت عيداً في اورشليم، هو عيد التجديد لآحياء ذكرى الجهاد القومي الذي فاز فيه اليهود قبل مائتي سنة على يد رعيهم وبطلمهم يهودا للكاتي. وكان النهر الروماني في ذلك الوقت يمزّج في اعناقهم، وكان بينهم اطفال وطنيون اشتركوا أكثر من مرة في ثورات المصيان ضد رومية. وها هو بين طهرانهم «مسيا» محوط بالتسوس والابهام فلم يكن بد من ان يتحدث الناس عن يسوع ويفكروا فيه وفي هذا السدد يقول يوحنا: «وكان عيد التجديد في اورشليم، وكان شتاء. وكان يسوع يمشى في الميكل في رواق سليمان». وربما قد يجارى على ان يدخل الميكل في ذلك الصباح منفرداً رعم محافوف وجزع اهل بيت عنيا عليه. وكان عليه ان يحاول مرة اخرى دخول اورشليم حيث تجتمع الجماهير ايام العيد لعلهم يستمعون اليه قبل ان يتركه الحتام

تراه متشاكاً في رواق سليمان ربما ليتقي همه من زخّ الامطار. وهناك لمح الوطنيون للتحسوس. فقالوا في انفسهم: أهذا نذير من السماء؟ هل طهر النقد فجأة في عيد التجديد؟ وهم لم تذهب ابصارهم الى اسد من النور السياسي. ولم تنجح عواطفهم الى ما هو لرفع مه شاكاً واحل قلداً

« هل أنت يهوذا مكابي آخر ؟ »

— « إلى متى تطلق انفسنا ؟ »

— « ان كنت انت المسيح قتل لنا جبراً ! »

هذه الاحوال المملوءة . وهو للسبح صلاً . ولكن ماذا يجيبهم ان يقول لم ذلك وهم لا يطلبون الا زعماً للثورة . وهو لا يطبع الا في امة نبيلة كريمة تسمو الى ملكوت ابر والله ؟ كانت ارادة الله نحو اسرائيل متجهة الى امور اسمى من اللطاف القومية المهربة . فما وجه الحير في ان تغور امة صغيرة صالحة عن الله بقوة سياسية تسي . استحلها كما فعل الرومان انفسهم ؟ وماذا تنفع امة اسرائيل لو تسلطت على كل العالم وخسرت نفسها ؟

— « هل انت المسيح ؟ قل لنا جبراً ! »

ولكنه يجيبهم في صر كثير . « اني قلت لكم ولستم تؤمنون . لو كنتم خرافاً ، ولو كانت قلوبكم تنبص رعائب وميول سامية ، لكنكم تعرفوني . حتى الاعمال التي اعملها باسم ابي هي تشهد لي » ولنا نعرف ما الذي تقوه به في حديثه معهم منذئذ غير انه قد افترس في نهاية الحديث بتصريح هائل عن أوهيته في قوله لم : « انا والآب واحد »

بعد هذا صمت مذهل ، يحسه انفجار هائل ، وجوع صاحبة مهتاجة تبحث عن المجاورة الكبيرة . وفي لحظة يقف المسيح وحيداً أعزل يواجه الموت . ونحن ندكر قصة استفانوس ، ونعلم ان الموت يدنو متى هاجت القوعاء في الشرق . وكأنهم بهذا الموقف قد حاولوا تعجيل يوم الجلجلة مرة اخرى . ولكن ساعته لم تكن قد حانت بعد . وفي هدوء واطمئنان يواجه الجمهور الصاخب والمجاعة مرتفعة فوق رأسه

— « اعمالاً كثيرة حسنة فعلت بكم ، بسبب أي عمل منها ترجوني ؟ »

— « نرجوك لاجل تعذيب . لانك وانت انسان تعجل نفسك إلهاً »

و بعضهم يرتاب في هذا العصر قائلاً ان للسبح نفسه لم يدع بأنه الله . وها هو الجمهور الساذج للسك بالمجاعة لم يخافه شك في هذه السعوى التي افترسه

وانعصبته . وأحس القوم عندئذ ان به شيئاً استولى على عقولهم الملاحظة بالخرافات
والخرجات . لذلك اتوا المحارة من أيديهم واحتار المسيح في وسطهم وخرج
من المدينة للمرة الاخيرة . أما في المرة الثانية فهو يمتكنهم من نفسه ليفعلوا به مشيئتهم
يذهب وهو شاعر بعطف للتألم حيال اورشليم . وفيما هو فارل من سجع الجبل
الى طريق ضيقة بيت عسا يقضي ظهيرة الى الورداء على المدينة الجميلة التي أقضت عنها
للمرة الثانية قائلاً : « يا اورشليم . يا اورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين اليها .
كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجميع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا .
هوذا ينكم بترك لكم خراباً . لاني اقول لكم انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا
مبارك الآتي باسم الرب » . وقد صدقت هذه النبوة في يوم أحد السعف ، يوم
دخوله اورشليم في موكب الاغتصاف

ولما وصل الى ضيقة بيت عسا هذأت القلوب الجارعة عليه لانهم لم ينتظروا عودته
حيّاً اليهم . ولم يطل به المقام في تلك الصيغة لانه تركها وخرج الى البرية ليستند
لحاجة الحياة . واذا يودعونه لم تعلم مريم ومروثا ان حزنًا عظيماً سوف يخيم باجنته
على ذلك البيت السيد ، وانهم سيشرعون بمحلتهم الى السيد قبل أن يروه ثانية
يقول الشعر القدس انه معنى الى عبر الاردن ، الى للكان الذي كان يوحنا
يعبد فيه أولاً . وهناك ايضاً التفت حوله الجوع قائلة : « ان يوحنا لم يفعل آية
واحدة . ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً » وآمن به كثيرون هناك .
وها هو يعود الآن الى للكان الذي بدأ منه حياته العملية ، للكان الذي هبط
عليه فيه حمام السماء . وهناك حدثت ايضاً في هذه المرة احداث خطيرة . وقيلت
عنه أقوال كبيرة . لا يمكننا تمويهها الا بطريق الخدس والتضخيم :

قصي ذات يوم ، وفي مجمع ريمى ، اصرط ان يواحه ، كما واحة في الخليل ، قوماً
من التضخيم لست بمن افسدوا الفرض من العطلة المباركة التي هيأها الله للانسان .
وكان بين الجمع امرأة بهاروح ضعف ثمانى عشرة سنة . وكانت سحنية مصابة
صلب في الفاصل فلم تقدر ان تنكسب النة . ولما رمقته ببصيتها الفكرتين دعاها

يسوع اليه ، ووضع عليها يديه ، فهي الحلال استقامت ومجدت الله . وها احبج ، في حق وغضب ، الاجار والشيوع ذرو الافهام البليدة . فظفر اليهم يسوع نظرات ملؤها التيقظ قائلاً : « ايها الرائيون . الذين تقولون ما لا تسمعون . ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره او حماره من اللنود ويمضي به ويستقيه ؟ وهذه وهي انة ارحم قدر عليها الشيطان ثنائي عشرة سنة ، أما كلن يبني ان تحل من هنا الرباط في يوم السبت ؟ » ورغم التصعب الكامن في قلوبهم اهتر قلب الجمع عطفاً اليه وفرح بصنيع الاعمال المحببة التي اتاها بينهم

وفي يوم آخر تحدّوه في مشكلة الزواج فاعطاهم ذلك التصريح المظهور الذي ظل مدى الاحيال حائلاً قوياً ضد المطلاق والحياة الساتية : « اسلم هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسداً واحداً . فالتقي جمه الله لا يفرقه انسان »

ومرة اخرى جاءه عالم من طلاء الشريعة بنية منطقية على النشر والحبث فقال له : « ماذا اعلم لارث الحياة الالدية ؟ .. » فوصع امامه الدين كله في عبادة واحدة : « تحب الرب الهك من كل قلبك . وقريبك كتحسبك » ولكنه اذ اراد ان يرد نفسه سألها قائلاً : « ومن هو قريبي ؟ » وقد تسلفنا جواباً على هذا السؤال ، تراثاً محبداً خالقاً يشرح لنا اخوة الانسان في مثل السامري الصالح

وفي يوم آخر كان يمشي في بيت فريسي . وكان الصيوف قوماً اعتروا بالطبقة التي يقصون اليها . واحذوا يتحدثون فيما بينهم عن أهمية المشور والطقوس وغسل الايدي قبل الطعام وما الى ذلك . اما يسوع فقد تنور كعادته الى جوهر الامر . فقال لهم ان هذه الامور حسنة صائبة متى كان ورامها الدين يسدها . ولكن بعضكم ممن يراعون هذه الطقوس بدقة يتحاوون عن امور اخطر شأنها تحس جوهر التاموس . ولا يعاؤون شيئاً بالبر ومحبة الله . كان يبني ان تصلوا هذه ولا تتركوا تلك

* * *

و يدكر لوقا الشير في سجله حلة من هذه الحوادث التي يصيق بنا القلم عن

سردها كلها بالتصويل . ولكننا نصح الحال لحادثة واحدة هي التي يدعوها دانتلي الشاعر الايطالي : « الرقص الأكر » وهي قصة ذلك الشاب التي التي الذي معنى حربنا هو شاب من طرلر الناس الذين كان يسمى المسيح اليهم ليظهر بهم . شاب نقيب طبيب صالح يسمى حده الى الحق . وكان مريضا متديبا رعبا في حياته ، ورئيسا في الجمع . وهو من عينة شاول الطرسوسي يتنعم بالناموس ولكن في نفسه رؤيا كامنة تلبى عن معبر آخر في المستقبل اشبه تلك الرؤى التي تهبوس حلال احلام شبانا في ذات يوم جاء هذا الشاب الى يسوع بروح القوار والشلوع . وجنا عند قدميه وسأله قائلا : « ايها المعلم الصالح ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية ؟ » ونحن لا يسا الا الليل باسطاف نحو ذلك الانسان . هو شاب والشاب دور الآمال والطامح . هو امين محض وفيه مثل عليا ومبادئ سانية . وحالا مال اليه قلب يسوع بعد اذ رأى اشواق نفسه واخلاصها وقوتها وصحتها . كطبيب ماهر يعالج هذه الحال الخاصة سلاجها الخاص — « لماذا تدعوني صالحا . ليس احد صالحا الا واحد وهو الله . ولكن ان أردت ان تدخل الحياة « احفظ الوصايا » يا لها من خيبة أمل مرة ! هذا ما كان يفتله الشاب منذ سنوات . كل ما حاصرا لفائق الناموس واحكامه التصيلية ، متبعا الطواهر الخارجية ، ساعيا حده لارضاء نفسه . فهل هذا كل ما يسمعه من ذلك التي العظيم !

— « يا سيد هذه كلها حفظتها منذ حدثاني . فادا يعوزني بعد ؟ »

وقد عرف يسوع ان ذلك اشاب كان يحاهد ويمارع . وعرف سر حيرة نفسه . ولم يمل بقلبه الى سائل آخر كما مال اليه . نظر اليه واحه وقبلة في حبهته . ثم شي واحد يشع اشواق نفسك . ان أردت ان تكون كاملا مرتاح البال فادعوب ومع املاكك واعط الفقراء وسأل واتبعني . . .

ولم يكن هذا القول بالطبع مقصودا به جميع الناس . فانه طبيب النفوس الماهر يعطي الميعة الخاصة التي تغتر اليها النفس بحسب حاجتها الخاصة . ويسوع هنا كأخصائي في علم الامراض الروحية يعالج حالة نفسية خاصة . يعالج نفسا غيرة

جديرة باستحان يصدق مع غيرتها وكبرها: اترك ثروتك ومكائلك الكرمية في العالم وتمال التي بنفسك في مرة اتعق قراء لانسان فقير ليس له اين يسند رأسه. انها لحظرة كبيرة جريئة. ولكن جزاءها الصداقة مع ابن الله. ورعا فكر فيه يسوع ساعته ليدعون احد الشعة الرسولية. فلو هار الشاب القيور للتحصن في هذا الامتحان الخطير لكان ذلك بداية رحوة عميلة بالسة. ومن يدري ربما يكون انبل الرسل جميعاً .

كان عليه ان يفعل في امره نفسه. ولم يكن يحلم قط ان اعين العالم ستجبه في المستقبل الى هذا القرار الذي اتخذه. راقه يسوع. وكانت القرصة ازمة حياته. أيقبل هذه اللعنة؟ في لحظة حيل الى الناظر اليه انه سيقبل وتلصقت امام عينيه اومصة من المككات الباسلة. ولكنه يقف — ويكر — ويردد — ثم يشل! ويجد فيه امام شيء ما اعظم في نظره من مشله الأعلى وورعات قلبه السامية. عندئذ ينطق: ريق التور في عينيه «ويعضي حزناً لأنه كان ذا أموال كثيرة»

مشى حزناً. واحزن قلب يسوع، كما فعل كثيرون منامدى العصور والاحيال. ويوماً ما، حين نرف كما عرفنا، ستكون أشد آلامنا انا حيننا أمله فينا مرات كثيرة. ولم نسمع شيئاً بعد ذلك عن الشاب النبي. ورعا سبق بسبب هذا الرقص الى حيلة الخلية والعليش كشاب عني. او ربما يكون قد عاد الى يسوع قبل نهاية حياته

ولكننا نرف شيئاً واحداً ان ذلك الشاب لن يمكن ان ينسى تلك اللحظة الخلوية في حياته. وعرف شيئاً آخر ان يسوع لا ينسى الى الابد ذلك الشاب الذي الذي احبه وقبله في جبهته

وهكذا يتبع لونا يسوع، ويسرد في روايته الحوادث والتعاليم خلال دينك الشهرين اللذين قضاها يسوع في عزته حتى يأتيه ذات يوم خير معانيه يحمله رسول قادم على حياح السرعة من الاحثين في بيت عيا قائلاً: «يا سيد هوذا الذي تحبه مريض»

الفصل التاسع

الليت يقوم !

إذا رجعنا الى الوراء ونأملنا تطورات حياتنا ربما ألقينا احداثاً نافذة الشأن
كان هـا خطورتها في النتائج التي ترتبت عليها . ونحن يصعب علينا
ان نحكم فنقول : هذا عظيم وذلك حقير في حياتنا . ففي ذات يوم بينما كان المسيح
في خطوة هادئة على ضفاف نهر الاردن تلقى رسالة عاجلة من الايتين في بيت عنيا
تنبئ : « يا سيد ان القتي تحسه مريض » ولم يكن لهذه الرسالة الا أثر صئيل في
فوس التلاميذ . وربما أسعوا الى حين عبر انها لم تبدُ في نظرم على شيء من
الخطورة . ولكنهم بعدئذ عند ما عادوا الى الورداء بنحيا لانهم رأوها مثابة دعوة الى
الجلجلة

وقد عرف يسوع حين جاء الرسول ان لارز مات . ولكنه بقي في مكانه
حادثاً يومين مستمراً في اعطاء تماثيله الاخيرة الى العالم . ولكن لارز لم يرح من
ذهنه طيلة هذه المدة التي كان يستوحى فيها الارشاد الالهي . وكان قد أرفد الوقت
ليذهب الى الآب ، فليعمل حادثاً غريباً يهر انظار اورشليم المتكاسلة البليدة قبل
ان تعوى آخر صرخة في حياته

وفي صباح اليوم الثالث ايقظ التلاميذ قائلاً : « لذهب الى اليهودية ايضاً »
« الى اليهودية ايضاً ! يا معلم الآن كان اليهود يطلبون ان يربحوك وتذهب
ايضاً الى هناك » فاجابهم « ساعات النهار اثنتا عشرة التي ينبغي على الانسان ان
يسجل فيها . والانسان خائف ما دام الله قد أعد له واجبات يعمل فيها . لارز حينئذ
قد نام واما اذهب لاروقفه »

— « يا سيد . ان كان قد نام فهو يشقى ! »

— «لما زدت مات. وأنا افرح لاجلكم اني لم اكن هناك لتوسوا. والان
لتذهب اليه»

ذهبوا معه على مضض وفي تمنع، وكانوا يخافون على حياة سيدهم. ولما نسمع
توما الخلفس الناس يقول: «لتذهب معي ايضاً لكي يموت معي»

وهناك في قرية بيت عنيا، ابان فصل الربيع التضرع، نرى امرأتين حزبتين
تبكيان عزيراً قضي. وفي بستان البيت اراهم ياتفة راحية، وأطيار طروقة مفرقة.
ولكن في «البستان قبرا»، وكان عالم الله المتألق جعلة وشرعاً، يهزأ بالام الاختين
الباكيتين، وكان الطبيعة كلها لا تعطف ولا تربي، فكل شجرة مخضرة، وكل
سياج مورق، وكل عصفور طائر، وكل زهرة مفتحة — كلها تنبئ عن الحياة. أما
لما زدت قد مات! ويوسع وحده هو الذي يشهد ان يعلم الباكين النائفين أشولة
الربيع التي تعمرها النفوس العالقة الكريمة في العالم الآخر، الامثلة القائلة ان الشتاء
يعقبه دائماً الربيع، وان الموت معناه الميلاد الى حياة أكثر سعة وأوفر خصياً

أما الاختان فلم تشذا عن الطبيعة البشرية. هناك مريم تبكي في عرقها للظلمة
تحوطها افكار بحيرة مريكة. وكأب قد جاءها الرسول حاملاً قولة غريبة «هنا
المرض ليس نفوس بل لاجل مجد الله» ومع ذلك فلما زدت قد مات وانتهى! أما مرنا
السلية فكانت تمنع بشؤون الضيوف الذين جاءوا لمشاركة الاسرة في مصائبها
وتعزيتها في آلامها. وبمنتهى يحميهم وينبها ان يسوع قادم. فلم تبالك المرأة
المادنة الصائمة نفسها وهزلت لقائه في الطريق خارج القرية. وهناك تسكب عسارة
قلها أمام أعز اصدقاء أخيها. «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي»!

— «مرنا. سيقوم أخوك!»

وأنت تقرأ بين ثنايا سطور القصة ان هذه الاجابة قد خيبت كل أسما اذ طمها
كالكثير يات للتدلة التي سمعتها طول اليوم. قسمها تقول: «أجل. أنا أعلم يا سيد
انه سيقوم في اليوم الاخير» وكأنها تقول بهبارة أخرى: ليس في هذا شيء كبير
من العراء لان الامر طائل — ومتى كن أنساء مخلصين لا يسعنا الا العطف على

مرثا في هذا الشعور . فقد لا يكون فيه شيء من الدين ، ولكنه شعور بشري على أية حال . لأن القيامة في اليوم الأخير لا تمر بنا متى تلقاها كما تلقاها عادة — حقيقة معزولة متباعدة عن هذه الحياة لا شيء يربطها . ونحن نشهد أنها أرملة عديمة حظيرة في قصة حياتنا المستقبلية ، يوم نهض حياة الروح غير المتطورة الى طور من اطوار الحياة أكرم وأنبى . ولكننا نرصد لا بد لنا من شيء يميننا في هذه الفترة العلوية المائلة . وإذا كان لنازرو قد مات فليس ثمة تعزية لاحته ان تعلم انه سيحيا في يوم هيد في المستقبل . أما يسوع فلا يشير في كلامه الى يوم المستقبل البعيد . لنازرو حي الآن في عالم الروح . حياته مستمرة لم تنقطع . ولن يموت «لاني انا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولم مات فسيحيا» والحياة في تماس مع الله خالدة . أما الحياة المنفصلة عن الله فلا يذكرها هنا بشيء . لأن الحياة منفصلة عنه لا نسي حياة البتة . لنازرو حي وسيجد الآن ليظهر هذه الحياة

نحتر مرثا وترتبك لاسها لا تفهم كل هذا - ولكنها تؤمن تماما في يسوع فتترك اليه كل حينها قائلة : «نعم يا سيد . انا قد آمنت انك انت المسيح ابن الله الآتي الى العالم»

* * *

والآن تسرع مريم الى لقاءه بنفس الصرخة المنبثة من القلب الصكسير المجرع — وهي نفس الفكرة التي امتلأ بها قلبها الاخوين منذ يوم الوفاة — «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت اخي» . ولكن شيئا في مظهره يرهبها ويسكتها — نظرة اضطراب ، واجهاد نفسي بموتيرة داخلية : «ارجع الروح واضطرب» . وعند القبر يرى في نفسه هذا الاضطراب الروحي . وفي طريقه الى القبر يرى النور تفرق في عينيه

لسنا ندري معنى هذا البكاء . ولا يستقيم للمنى لو علنا ذلك بمحرزه حيال آلام سيعمل الآن على ازالتها ودمع كالجوسا . ربما كان مكافؤه بسبب تمنه واحكامه في اعادة صديقه — حتى ولو كان ذلك اتصد عظيم — الى شقاوة هذا العالم الخاطيء !

وربما كان بكاؤه لان معجزاته لم تُبرِّعَ عادة بمجرد كلمة قوته بل كانت بمجهود غامض عنيف — يبدل نفسه كلها . ولما كانت هذه اعظم المعجزات فلها تعليلت اعظم الاجهاد النفسي . ونذكر انه لما لمسته المرأة النائسة في كفرناحوم أحس قوة خرجت منه . ويحلو لنا ان نؤمن ان معجزاته لم تكن دخيسة وبمجرد عمل من الاعمال، بل كلفته نفسه . بذل قوته ليعطي حياة للآخرين . فهو قد بذل نفسه ليس فقط على الصليب بل كان يبذلها كل يوم طيلة ايام حياته

وهندئد كان الجمهور الحفشد في البيت قد اتف حوله —

- «أين وضتموه ؟»

— «يا سيد . تمال وانظر !»

واظهار ان سائر لم يدفن ظمراً لمكانته في مدن عام بل في قبره الخاص «في البستان» وهو المكان المحبوب لشوى اللوق . فالتقدوا يسوع الى البستان وسط ازهار الربيع الياضنة . وربما لم يفكروا أنهم مد قليل سيدهم يسوع هذا وسط ازهار الربيع «في بستان» ليس بعيداً عن ذلك المكان

وقال يسوع : «لرقصوا الحبر» . وقد ارتفعت مرثا لثلاثيهان جسد الميت في تمرصه للانتظار . ولكنه اسكتها بكلمة احتاج لها قلبها وقوب جميع الحاضرين : «ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله ؟»

وبعد شكر الآب علانية رمت قوة كلمته القامرة في ذلك القبر وفي عالم الارواح الذي كان فيه الصديق الراحل : «سائر حلم جارحاً !» وعقب هذه الصرخة صمت هائل مريع انعمست فيه الالهاس هلماً وانتظاراً . وخلال ذلك الهمت حدثت أحداث هائلة في تلك الحدود غير المنظورة التي يلتقي عندها العالمان . والذي كان ميتاً خرج خارجاً مقوقاً في اكمانه فقال يسوع : «حطوه ودعوه يذهب !»

• • •

الى هنا تنهي القصة . ويليق بنا ان نلقي نظرة هنية من الزمن على المسيح المستمر الفانزوع على الميت الذي قام حياً بين ذراعي أحتيه وعلى الجمهور للشاهد وقد

تولاه دهش عظيم ودرجة هائلة . ثم يسدل الستار ، وينتفح الجهور الحاشد ، ونغمي
نحن لحال سبلنا ، مفكرين ، متحمسين ، وربما مرتابين . . .

والناس يرتابون قائلين : هل القصة صادقة ؟ وليس عيباً ان يرتاب الناس .
فان القصة تتحدى ما في النفس من شكوك . وبقايل الناس قائلين : لماذا سجل
يوحنا وحده دون سواه هذه الحادثة المأثلة ؟ ولكن مثل هذا الاعتراض يطبق
ايضاً على اقامة ابن ارملة نايين - لماذا سجل لوقا الحادثة وحده ؟ ولماذا سجل متى
ومرقس دون سواهما لقامة ابنة يائرس ؟ لسنا ندري . ولكن قد هول من باب
الحلس والتخمين فقط ان التأثير كبرت مد حادثة قيامة للسبح نفسه من الاموات .
وفي ذلك الوقت كانت الحيلة في طر حجابة للسبح قد امتلأت بالدهشات المستمرة
حتى لم يكن شيء ما في نظرم غريباً . ونحن من ناحيتنا قد نضل ان اقامة لماز
يجب ان تكون ابرز حوادث الابهيل . ولكن لا . فان لقامة لماز من الاموات ،
واقامة ابنة الارملة ، من حوادث المرتبة الثانية اذا قيست بالاحداث المدهشة التي
وقعت بعد الصلب

والآن لنظر الى الناحية الاخرى . متى وحدث نفسك في حالة يصعب معها
تصديق حادثة ما فربما يحسن ان نسأل نفسك : أيسهل عليّ ان أسلم عدم حدوثها ؟
فهل اختلق يوحنا هذه القصة للسبوكه اخلاقاً ؟ أم هي سلم من أحلامه او خيال
من خيالاته ؟ وهو قد ذكر فيها كل تفصيل دقيق كالرسالة التي تلقاها السيد وهو
في البرية ، وذهابه الى بيت عنيا ، ولقاء مرثا ومريم ، وجهور النظارة واليهود ،
وكثيرون منهم من هداه السبح الذين يسهل عليهم تصديق القصة اذا كانت محتقة .
ويقول يوحنا انها الحادثة العظيمة التي أدت الى الصلب . فأيها
أهون : ان تعتقد ان القصة كاذبة أم ان تؤمن ان ابن الله الذي قام من الاموات
هو نفسه ، أقام لماز من الاموات ؟

* * *

ثم لا يسناها الا ان شكر في لماز ايضاً . ونحن في حضرة المسيح الفائز

المنصور عند القبر لا يستأغي الطرف من لغازر نفسه . وكل كنا نود ان نعرف شيئاً ما من حياة القوم الذين عبروا وادي الحياة مع يسوع . وكل كنا نود ان نعرف الكثير عن لغازر بنوع اخص ، لغازر الانسان الذي ذهب الى العالم وواء القبر ثم عاد منه ثانية . ترى كيف وجد ذلك العالم ؟ ولماذا لم ينشأ عن العالم الذي صوره لنا يسوع في قصة التي وأرانا اياه عالمًا يبقى فيه شعورنا وأحاسيسنا وأفكارنا وذكرياتنا ؟ لماذا لم يبت لغازر وعنده الخبر اليقين ؟ ربما لم يكن لديه شيء ما يقوله . وربما بعد صراع الموت وجهاده توحده قرة قصيرة من الراحة لا يُعرف فيها شيء ، يستيقظ الانسان بعدها متعشاً كطفل يصحو في الصباح . او ربما كان متعذراً عليه في ذلك الاحتمال التصير للذهل ان يمحصر أفكاره ويرتبا ، او ان يجد من الانقاط البشرية ما يبر به عن هذه الأفكار . لنفرض ان أهمي اسم — في عالم من الصني والصم — استعاد فجأة بصره ومعه ساعة من الزمن ثم عاد الى سابق عهده . فإذا حساه يقول زملائه ؟ وماذا حساه يترك مما حوله ؟ اعلم الظن ان الرجل يذهل فلا يستطيع ان يبر عن نفسه . واذا حاول انباء الآخريين بما رأى وبما سمع فانه يتعذر عليهم ادراك ما يسمعون او تصور ما يقال لهم . فالأهمي لا يقدرون ان يميز الألوان والأصم لا يدرك شيئاً من انغام الموسيقى بها قلنا وأسهبنا في القول . ونحن عمي صم في عالم الله . فاذا جاز احدنا الى ذلك العالم حيث تنفتح أعين السيان وترهف آذان الصم فانه يصعب عليه في بادى الامر ان يدرك ما حدث ، وأصعب ان يبنى الآخريين بما رأى وبما سمع فيما لو عاد الى عالم الارض مرة اخرى

وأتصور لغازر انساناً قد حاله وأذهله السور الذي شح عليه لحظة من الزمن . ولا شك انه قصى بقية حياته بعد عودته الى الارض هادئاً صامتاً وفي عينيه نظرات صيدة كأنسان قد حلم حلماً عريباً لا يستطيع ان يستذكره . وهنا قد انأ يسوع ان الموت ليس نهاية كل شيء . وفي درس واحد أعلته يوم قام مسيح الله نفسه من الاموات ، وانار طريق الحياة والخلود بشارة الانجيل

الفصل العاشر

خير ان يموت انسان عن الشعب

استقر الرعب ، وخيم السكون ، على ذلك الجمع الذي وقف عند قبر لمارر . جذبت أحاسيسهم وهم وقوف على ابواب العالم غير المنظور . وكما في حلم يروى يسوع يتعرف عنهم ، وكما في حلم ايضاً يعطي كل واحد منهم لحال سبيله وكأن على رأسه الطير . والاقفاط في هذا اللقائم تعبر ص كل بين « آمن كثيرون » . وكأثوا قد اوتوا وتسجوا ، وخافوا من الكهنة ، وخشوا حواقب الثورة التي قد يثورها يسوع هذا . أما الآن فلا الكهنة ولا رجال السياسة يستطيعون كبح حاصمهم . « ليس أحد يقدر ان يعمل هذه الآيات ان لم يكن الله معه » ولكن للزوخ بصيف الى ذلك ان بعضهم انصرف حافاً وأسرع الى القريسين لينفهم ما فعل يسوع . وهنا صعيد الى الذكر اذاره المريج في قعة لمارر والتي « ولا ان قام واحد من الاموات يؤمنون »

وان كان ثمة شيء ينجنا من انسانتنا المشتركة ، ويرز لنا شر العالم وصير الله ، فهو سوء للمامة التي لقيها يسوع من العالم . والعالم جعل يسوع الآن ما ضله به أهل اورشليم يرمثذ . ويرسم الشير روحنا صوراً متتابعة ، مصفرة ، لبيان ذلك : فهو قد اعلته نور العالم والظلمة لم تتركه ، وراسي الخراف لم يسموا صوته ، وحياته الناس وهم ياعدون بينه وبين انفسهم حتى لا تكون لهم حياة ، ومحبة الله وبسب هذا يزداد بنفهم له ، والحق الذي يطلق الناس اسراراً وهم يختارون أبا الاكاذيب ، والآن حين يجاهر انه القيامة والحياة يأتقون معاً للقضاء عليه

وفي ساعة من الزمن تقى رؤساء القريسين البأ . وقبل حلول الليل كانت اورشليم كلها تغوي بهذه الانباء . فاهتاج الشعب وعدا الوقف جد خطير . وخيل

الشائرين ان هذا الحادث مشعل نار المجلس في الشعب فيساق الى أن يجل
 يسوع الناصري ويتوجه ملكاً في مصر عظيم ويزج النير الروماني
 وكان ضرورياً أن يستدعى مجلس السهدريم على مجمل فاجتمع تلك الليلة
 في دار قيافا رئيس الكهنة. ولم يكن قد طرأ على اورشليم منذ سنوات أزمة حادة
 كهذه خضر جميع شيوخ السهدريم. وكان الخوف قد ملأ كل نفس خشية أن
 تشتعل نيران ثورة شعبية وعلى رأسها يسوع في ذلك الطرف الحقيقي الذي اجتمع
 فيه كل الشعب اليهودي في عيد الفصح. وعندئذ تحمل الطائفة الكبرى وتنت
 رومية القوية مغموم انتقامها فتهلر سلطة رجال الدين ويحرمون من تلك الحريات
 الوافرة التي كانوا بها ينعمون

وانت ترى في هذا المجلس وجوهاً مضطربة، مرتابة، حائرة. وجوهاً قد عليها
 صفرة الخوف المتوحشة بالنضب: «ماذا نحن فاعلون؟ هذا الانسان يسل معجرات
 كثيرة. وزمام الشعب بفلت من أيدينا. فان تركناه وشأنه يؤمن به الكل.
 وتلجأ جبابير الفصح الى التمرد والعصيان فتوجه ملكاً. وعندئذ يقوم الرومان
 فيدسرون هيكلنا وأمتنا»

اشتد الجدل والحوار في المجلس. وكل أبدي رأيه. ولم يكن ذلك الاخضع
 للجل، بل للعسل. ولم يكن في الوقت منزع للاخذ والرد. وهذا الانسان قد
 أمسى حطراً قومياً، ضل للمعجرات او لم يفعل

ثم نهض رئيس الكهنة، وهو رئيس المجلس، من مكانه. وكان رجلاً
 عيوراً اسمر اللون، زعياً للشعب، تكل سياه وجهه على ذكاه وطفة. نهض
 وقال:—

— اتم لا تدرون شيئاً. وليس الا مخرج واحد من هذا اللأريق. ألسنم
 ترون انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب حتى لا تهلك الامة كلها. هذا
 الانسان يجب أن يموت!

«خير أن يموت انسان واحد عن الشعب» — والشير يوحنا يقتبس هذه

العارة في لياقة. وكأن رئيس الكهنة قد تنبأ وهو لا يدري أن يسوع هذا سميت
عن الشعب، وليس ذلك الشعب قط بل عن كل أولاد الله للشكتين في كل أنحاء العالم
هذا هو القرار النهائي الذي صدقت عليه النية : يجب أن يموت يسوع في غير
ابطال ، سواء أكلن ذلك باغتياله سرًا أو عاكته قانونًا—خير الهيئة الدينية وخير
الامة يتشيلان هذا

وبعد أربعين سنة من ذلك التاريخ، تلم الشعب اليهودي بعد أن قاسى هول
المصار للمربع الذي لم يبق عليهم ولم يند — ذلك الدرس القاسي الذي تقتصر اليه
كل شعوب الأرض— ألا وهو انك لا تقدر بأن تحلص الهيئة الدينية أو الامة بفعل
الخطأ ، وأن الاخلاق السيئة المعوجة لن تصلح لأن تكون سياسة صائبة سليمة .
وذلك لأن الله يسيطر على شؤون الناس. وفي تلك القاعة ، قاعة للشردة الشريرة
الطاسرة ، جلب رؤساء اليهود قراراتهم لينة على شعبهم . وفي شرم ونخب قلوبهم
أجروا ولم لا يدرون مثبته الله بأن يموت السن واحد عن الشعب ، وان ينزل
الرامي الصالح نفسه عن الخراف
وكل عالم الروح يصجب ذاهلاً وهو يرى ما يعطه الناس بسيدم ورجهم .
والله في السماء قد صمت ! . . .

من تلك الساعة حكم على يسوع بالموت . ولكن كان على السلطات أن تسير
في حذر . وهم لا يقدرون أن يقصوا عليه جهرة . لأن كل محلوقة من هذا القبيل
وسط حماس الشعب والتمناه حوله بعد اقامة لعازر من الاموات — ستجبل التوراة
التي كانوا يحشونها . وقد هدأت حيرتهم قليلاً بعد اد علموا ان يسوع اخفى عن
الاظهار . والظاهر ان ذلك القرار الخطير قد نُسرت انساؤه . وهنا قد حكر في
نيقوديموس مرة أخرى ، ذلك الشيع العجوز الجبان ، الذي لم يفتو شعوره الرقيق
نحو ذلك النبي الشاب . فربما يكون قد أرسل اليه سرًا سيثًا إياه بهذا القرار .
ولذلك يهرع يسوع الى البرية ، الى مكان يدعى ابراهيم لا تنرف بالصمت مقره،
ليقتضي مع تلاميذه في هدوء أساييه الاخيرة ويمد نفسه لحائمة المصير . ولم يكن

بد من الاختفاء الآن لان كلاب السماء كانت تتبعه ، وقد صدرت الاوامر بان
يذل عليه من يراه ، ليذهبوا ويمسكوه

ولو عرفنا موقع ذلك للآوى الحلوي الذي لجأوا اليه في جبال افرايم لكن
اليوم في نظرننا مراراً متدعماً بحجج انبياءه . واعلم الطن انه كان في ناحية من رية
اليهودية على مقربة من المكان الذي وضع فيه برنامج حياته منذ ثلاث سنوات
يوم أصعد الى ابيرية ليحرب من ابليس . وقد استطاع يوشع أن يسترجع في
خيالاته أحداث الفترة التي عقيت ذلك . ولا بد انه تذكر قول الشيطان له : «لو
سجدت لي واتخذت الطريق المهين لوهبتك ممالك الارض وأبجدها» . والآن لو
لنرضى أن يسابر رعايب رؤساء الشعب ويتناضى من شرورهم ولا يمس كرامتهم
الكهنوتية فليس نمت داعم الى الصلب . ولكنه قد احتار الطريق الآخر وهو الآن
يجابه الموت ، وكان قد سبق ورآه ، وانتظره عن رضاء «نفسى» . . . ليس أحد
يأخذها مني بل أنا أصعب من ذاتي» — هذه هي الايام الاخيرة المهدئة التي يتأهب
فيها يسوع للصعود الى رابية الجلجثة ا

واذ يقترب الفصح الذي يُقيم فيه حمل الله ، يثبت وجهه نحو اورشليم ليوت



وألقى نظرة ها على صورة خيالية رائعة : المسيح كحاج بين الحجاج يسير فوق
آكام افرايم «مبتتاً وجهه» نحو اورشليم

والعالم اليهودي كله يردح لقلبه ، وهم لا يدرون . وكان عدد شعب اسرائيل
المنتش في رفاع الارض يربو على الساكنين منه في فلسطين . وكلهم يحسون
أضهم منفيين ، غرباء من أرض الوطن ، فكانوا يجتمعون معاً ربوات فوق
ربوات كل سنة في عيد الفصح . وارتق من كتب المجاهير المختلفة للتراحة من
كل رقة من رفاع الارض : ملأ السي الذي ظلوا في بابل ، والتزجين من
الستمرات اليهودية في الاسكندرية ، والتجار من رومية واليونان وآسيا الصغرى ،

من كل ميناء من موانئه البحر الابيض المتوسط، ومن كل بلد من بلدان العالم
 للتحضر — «فرتيون وماديون وعيلاميون والساكثون ما بين النهرين واليهودية
 وكلدونية وكنعانية وآسيا وفريجية وبغليية ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القير دان
 والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وهرب» — هؤلاء جميعاً تراحموا معاً
 وهم لا يدرون ليشهدوا على مسرح الحياة أروع «دراما» شهدتها التاريخ



الفصل الحادي عشر

نهاية الطريق

أوسكت الطريق الآن أنت تصل بنا إلى آخر مراحلها . وقد عرف يسوع أن ساعته قد دنت ، وأنه داهب إلى أورشليم ليؤتي وكان عيد الفصح على الأبواب . وتدل الدلائل على أنه سوف يكون من الخطر الأعياد التي شهدها عاصمة اليهود . لأن الجماهير وقد تأثرت بما فيه الكفاية ، تريد الآن استغرازها بسبب إقامة لمارس من الاموات . ولم يكن يقوم من حديث في الطرقات ، وفي الأسواق ، غير هذه المعجزة التي سهرتهم . وازدحمت طرقات قرية بيت عنيا بالفادين والرأسمين يشاهدوا القبر الفارغ ودار الرجل الذي عاد من الاموات . حقاً فقد افقد الرب شعبه ، وجاء للنسيا الذي سيطلق اسرائيل من قيوده .

اما الحكماء ، وهم لا يجرأون على انكار المعجزة ، فيذنبون الجهد لامتلاك قيادة الشعب . لانه اذا سرى هذا الاستغراز في الجماهير القادمة من كل أجناس الشعوب كان ذلك نهاية كل أمر . ورجلهم الوحيد الآن أن يختم يسوع عن الانتظار . ولكن السؤال الدائر على ألسنة الاصنفاء والأعداء في أورشليم : «مادا تفعلون ؟ هل سيحيي في العيد ؟»



نعم سيحيي . لا فقط لو رأته صيغتهم ا سيحيي ، ليس الزعيم الثائر الذي خشوا جانبه أو راموا دخوله في كبرياء القوة إلى عاصمة ملكهم . بل ذلك الانسان الهادي . اسلمت الوديع الذي تنبع من عينيهِ انوار الابدية وهو سائر متحرلاً في عالم خيبت له كل رجاء . وههنا صورة رائعة يرسمها بطرس من ذكرياته كما لفتها إلى مرقس :

«وكنّا في الطريق صاعدين إلى اورشليم . ويقدمنا يسوع . وكنّا تتحير . وفيما نحن تتبعه كنّا خائفين . وابتدأ يقول لنا عما سيحدث له»

هذه صورة واضحة . فامامنا الجليل و برية افرايم ، وجمع من التلاميذ الجياري الخائفين . وقد سفلوا عيونهم نحوه وهو سائر أمامهم في عزلة صامتة . ومن قُلّ ألغوا ان يفضّلوا معه في رجوع الحليل المائدة المنيشة . والآن قد تبدلت علاقتهم به . وتعمقت محبتهم له واعلمهم به حتى أصبح خشوعاً وتعدداً . واستولى عليهم شعور الرهبة والخيرة والتساؤل حول سرّ ذفين . وكأنّ أرمّة سوف تحملهم . وهو قد أخذ الآن يبتعد عن مدى ادراكهم وهم لا يعمون . ولا يعرفون ماذا يتوقعون . وأبعد الافكار تصديقاً ليسهم فكرة النقل وللولوت

وكنّا نعلن انهم لا يبحثون فيه الآن . ففي مرتين ، وان كان في الجحاز ، قد انذرهم بما سوف يحدث . ومع ذلك قد أساموا فيه وظفوا انه لا ينبغي ما يقول حرفياً . فهذا الموت ولهذا القيامة معنى خفي غير مفهوم ليسهم . فكيف يموت من أظلم تانز من الاموات ؟ وهم أنفسهم ، شأن بني قومهم ، ترقبوا فرجاً على الأمة ومعجزة بيت حيا قد قربت مجيء اللكوت المنتظر . ويوم مجد اسرائيل أصبح على الابواب . ولله مجي . الآن وسط الجماهير الزاخرة في اورشليم «وسيطيه الرب الاله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الابد . ولا يكون لملكه نهاية» — وفي وسط هذه التمامة الدهية لم يكن مستغرباً ان يسيء همه الفيورون المختصون

* * *

وبينا تتمتعهم في الطريق رى الى أي حد وصل بهم حناع الفكر والهم . وليس أذل على ذلك من الحادثة التالية التي وقعت بعد يوم أو يومين

وصل بهم المطاف الى المرتفعات في الشمال حيث التقوا في طريقهم بزافات الحجاج القادمين من الجليل . وها انا أرى أقوام كفرناحوم يلتفون معاً ويتسامرون سويًا في المساء . وفي ضوء القمر أرى امرأة تعترف نحو يسوع . وكنّا قد رأيناها

قبل سكين في طرقات كدونا حرم سائرة الى الجمع يوم السبت لتستمع عظه الاولي
ومعا زوجها رندي وانها . وفي قلبها للتكبر مطمح كبير ، مطمح غير جدير ، هو
مطمح امرأة أمية تبعت يسوع الى الصليب ، مطمح أم ، لا تطمح شيئاً لنفسها بل
لوالدها . وقد تميلت أن يوم التصري يسوع وملكوته قد أرف . وولدها بين الثلاثة
الذين حلهم يسوع موضع ثقته وعطفه . وقد ممتهم يتراهنون بها بينهم عن يكون
الاكبر والاوسط . تقلعت المرأة اليه وقالت :

— يا سيد ! هل لك ان تحبب سؤل قلب أم تلجأ اليك ؟

فجيبها بلهجة سامية كأنه ملك :

— ماذا تريدن أن افعل بك يا سيدتي ؟

— أرحو ان ينال ولداي حظوة لديك . فيكون الواحد من يمينك والآخر من
يسارك في ملكوتك ؟

ويا لها من نظرات اشفاق وعطف رفق بها الام وولدها ! وما أقل احراكمهم
لحقيقة الأمر للزعم وقومه !

— لستما تطلبان ما تطلبان ! أنتطيمان ان تشربا الكأس التي أشر بها أنا ؟
وان تصطبختا بالصبغة التي اصطبغ بها أنا ؟

ويعقوب ويوحنا يفكران ها في التناوب التي تنشأ عادة من الثوبات . وعن
تريض حيلتهما للدفاع عنه اذا لزم الحال . ولدا يمينان في حراة «لستطيع !»

وقد عرف هو انهما يستطيمان . عرف انهما يموتان لأجله ان اتخضى الحال .
عرفهما أفضل مما كانا يعرفان نفسيهما . وهو يرى فينا أشياء لا نعهدها نحن في أنفسنا .
وترى هل سبق مرأى فيهما في ذلك اليوم ، وهما امامه في موقف الأثرة وحب
الملك ، ما حل بها بعد سنوات يوم «قتل هيرودس يعقوب أخا يوحنا بالسيف»
ويوم خطا يوحنا الشيخ الى ميتة الاستشهاد بقدم ثابتة وقلب جريء في سبيل الوفاء
لسيده الحبيب ؟ ليس شك ان الحزن للنبعث من تلك الرؤيا قد بدأ في جوابه
الذين الذين :

وأما الكأس التي أشربها أنا فشرابها وبالصبغة التي أسطبع بها أنا تصطبغان.
 وأما الخلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم»
 ومع ذلك لم يفها! ألم تهم أسها؟ إن خريزة الأم حساسة دقيقة في الأمور
 التي يفتن لها قلبها. ألم تقط إلى هذا التحذير وهي تنظر في عجايب السيد المحبوب
 وقد زالت عنه عبطة كمرناحوم وافرأحها، وهذا أكثر جداً وورائة، وأكثر عدداً
 من عالم الأرض، وأشد ميلاً إلى العثرة. ولم يعد ذلك يسمى إلى مذكرة، بل كذلك
 ينظر إلى موته. وترى ما هي تلك الكأس، وتلك الصبغة للريشة التي يعد بها
 نفسه وللشيء؟

يا أم ابني زندي! سوف تتركين هذا كله إن لم تكوني قد مررت الآن.
 سوف تثمين أنت وولدك السلطان اللذان طلبت لهما أن يكونا عن يمينه وعن
 يساره. وعما قريب سيحل لك اليوم الرهيب يوم تخبثين عند قلبي السيد وهو
 ملقى فوق صليب المار، وعلى يمينه وعلى يساره لسان زنهان!

لم تنته القصة عند هذا الحد. وليس شك أن يسوع قد تصاعف ألمه في تلك
 الأزمة الخطيرة إذ يرى حب المذات حتى في الخلس خلصاته بين الاثنين عشر. وهو
 في الاحتكاك بنا، قد تعود خيبة الأمل فينا. لأنه «يعرف حبشتنا ويذكرنا
 تراب نحن» وهنا يبدو التمييز على باقي الرسل. ويقفون من يعقوب ويوحنا موقف
 التردد والكآمة فلو تلك الرسل بشريون، وشريريون جداً. ولكن هذه الليول
 لن يكون لها أثر في حضرة يسوع. فيدعوم إليه. وكان قد وُجَّع فحسدهم من قبل
 بأن اتهم في وسطهم ولنا صغيراً. والآن يكرر اتهامهم الفرس في تنيف ليس رقيقاً.
 وانصافاً لم لم ينسوا في المستقبل هذا الفرس:

«رؤساء الأمم يسودونهم. وعظماؤهم يسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم.
 لأن الخدمة هي مقياس السلطة الحقيقية: فمن أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم
 خادماً. ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً — لأن ابن الإنسان
 ابساً لم يأت ليخدم بل ليخدم ويذل نفسه قذبة عن كثيرين»

يسير اللوكب في طريقه

وبعد أيام تسو لنا صورة أخرى من أحداث الطريق . وهم قد اقتربوا الآن من أورشليم . واحد المجاح القادمون من الشمال يقتربون الى اريحا . يخرج أهل المدينة عند الأبواب لقتلتهم . لأن اشاعة طلوت في الجلبان يسوع الذي انظم لما زار في بيت عنيا من الاموات قادم معهم . ويقول الناس عنه ان السبا المرمع ان يتخذ اسرائيل من التبر الروماني . وهذا الاستقبال للخطر خير شاهد على مبلغ تعلق الشعب به فكيف يستطيع تلاميذه في مثل هذه الشاهد الجاسية ان يتقنوا شيئاً غير الفوز للدين لسيدهم ؟

وفي وسط تدافع الجماهير ، وصرحات المتناف والتهليل ، ترى العين رجلاً اعمى تكاد تدهسه اللوكب تحت مواطىء الاقليم . فيسأل قائلاً : علام هذا كله ؟ واذا يجيبه المبرون : « يسوع الناصري عابر من هنا » . يملأ قلبه بحماسة الرجاء . كيف لا ويسوع هذا هو الذي ابرأ الاعمى في اورشليم . وكرحل غريق يتعلق بأهذاب الرجاء الاخير يصرخ صرخة عالية تملو فوق صبحيح الجماهير قائلاً :

— يا يسوع ابن داود ارحمني !

مرة بعد اخرى تصاعدت هذه الصرخة من اصمات قلبه . وقد حاول الجمهور ان يسكته ولكنه لم يفلح — يا ابن داود يا ابن داود ارحمني !

وعندئذ رقى اليه قلب يسوع الحنون . وهو يرقى كنفك لكل نفس تلبجاً اليه في لحقتها . وصرائح الجماهير لن يمكن ان يسد سمعه . فأوقف اللوكب كله وقال :

— دعوه الي : فجاء الاصدقاء الى الاعمى وقالوا له :

— برتيلوس افرح وتهلل ! قم ! فهو يدعوك !

ثم تدثر ردائه القديم واقتادوه من يده وهو يرتجف بحو يسوع

— ماذا تريد ان افضل بك يا بني ؟

— اريد ان ابصر يا سيد !

والوقت عاد اليه بصره وتبع يسوع في طريقه

يسود على الجمهور صمت خلسم اذ اصابه الدهول امام حادث حارق للطبيعة
ثم يملوهم الحاس اشد مما كان وتآثر قلوبهم بهذا العمل الانساني العظيم . لازم
سياسة المسيح ان يرمح البشرية بالحية وليس بالقوة . وقد ذاع خبر قصة ريتامور
واجتمعت المدينة كلها لتشهد يسوع

وانت تبصروا . الجمهور الزاخرة شخصاً في ثياب فاحرة يحاول ان يراه لانه
كان «قصير القامة» ومع انه رجل غني لم يصح أحده له الطريق . وكيف يكون
ذلك وهو زكا الرجل العشار ، رئيس جباة الاموال في اريحا ، الذي يقولون
عنه ان ثروته جاءته بطريق الابتزاز والظلم . وظاهر القصة يدل على ان الرجل
يحاول مشاهدة يسوع لشيء آخر غير مجرد حب الاستطلاع لانه اراد التغلب على
كل الموانع . وانت ترى صبيان القرية ، كما هي العادة القديمة منذ اجيال التاريخ ،
يتناحون لتساق الاشجار لرؤية اللوكب من عل . وذلك الرجل الوحيد الزرين
صاحب الثروة والسكانة يضحى بكرامته فيصمد مع الثقلان فوق الشجر لرؤية
وجه يسوع . وليس شك ان قصة متى في دار جباة الاموال بكفر غلوم قد بلغت
سامع دار الجباة في اريحا . فكانت في قلب الرجل ميول واشواق لرؤية صديق
بيله متى

ادن هذا هو يسوع ! ذلك النبي ، الطويل القامة ، الناصع البياض ، الشجاع ،
الحنون ، يسير في هدوء وصمت ووقر وسط ذلك الجمهور الزاخر . هذا هو اليهودي
العظيم الذي لا يحضر العشارين والحطلة ! وما أقل ما نعرفه نحن من اشواق قلوب
الناس الصديين الذين نرهم ! ان ذلك النبي ، الوحيد في عزته ، حساً ناعمة جائلة ،
اشبه بكثيرين ممن يسرون حوائنا ونحن لا نصأ بهم . وليس أحد يشجع هذه
الرفاث الا الله نفسه . ولولا ذلك لما وقف يسوع ورفع صنيته الى الشجرة وتكلم
الى ذلك الرجل كأن لا غرض له من الحية . الى اريحا سوى لقاء ذلك الاساس .
« يا زكا اسرع وارمل لانه ينبغي ان أمكث اليوم في بيتك » وهنا عرف زكا

فصرط دعوته ما يجب ان نعلمه نحن : وهو ان كل نفس تطالب يسوع يعرف هو رغبته.

فكفري معنى هذا لفظك المثار المحتر - ان يجيء المسيح اليه و يأكل معه ويتحدث اليه ليعلم ليس فقط ما فيه من شر ، بل ما في قلبه من التعطش للتغير . وان في المحبة التي تفهم للشر وتثق فيه رغم عيوبه واخطائه — لقوة عجيبية ساحرة

وفي كل منا انسانان : الانسان الذي يعرفه العالم ، والانسان الحقيقي الذي يعرفه الله . فاهل اريحا عرفوا زكا رجلاً عشاراً حاشئاً ، لا يذهب الى مكان العبادة ، انساناً ابغضهم واغضوه . أما يسوع فقد عرف حبه ، وميله الى الصداقة ، وشوق نفسه الى الخير والصلاح . وعرف يسوع ايضاً لماذا لم يذهب ذلك الرجل الى مكان العبادة ليصلي بين الناس نظروا اليه وعشورته نظرة حقيرة دنيتية . فحتى أيها القاري ان الله لا يسيء فهمك حتى ولو اساء فهمك جميع الناس

وكل شر في نفس زكا قد تقبى وتضاعف بسبب احتقار جيرانه له وامتهانهم اياه . ولكن تلك القسوة قد تحطمت امام القلب الذي فهمه وأحسن الثقة فيه . ولنا نعرف ما دار بينهما من الحديث في تلك الليلة للأثورة . ولكن الذي نعرفه ان يسوع قد حل منه صديقاً ولياً من اخلص الاولياء مدى الدهر . وتظهر نتيجة ذلك في التذر الذي قطعه على نفسه عند اقرارهما في الصباح التالي : «هاأنا يارب اعطني نصف اموالي للمساكين وان كنت قد وشيت باحد أرد اربعة اصعاف »

* * *

ولكن هذا التصرف يفيظ اهل المدينة عيود حساسهم ويتهمون : « دخل ليبيت عند رجل حاملي ؟ » وفي هذا الموضع اللائق أضع مثلي الحروف انشال والان الصال اللذين يحسرها لونا صمن ذكريات الطريق . وانا اقرضنا ان زكا نهج خطة رعيته متى واقام مأدبة وداع للسيد دعا اليها اصدقاءه فالارجح ان تكون قيلت في تلك المناسبة كلمات الانجيل : « وكان جميع المشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه » فذكر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل خطاة و يأكل معهم .

هذه كانت مصيحه في نظرم: ان يأكل مع العشارين. وان صبح هذا الحديس،
وان كانت تلك للأدبة قد اخرجت منه قصتي الحروف الضال والابن الضال فانا
مدبثون الى « زكا » بدین أكبر مما نظن

وان كان انسان في المسيح فهو حقيقة جديدة . ولذا يقول يسوع : « اليوم
حصل خلاص لهذا البيت » . وبعد هذا افرق زكا عن صديقه الجديد ولم يعد
يرى وجهه مرة أخرى على الأرض لانه بعد اسبوعين ملته انهم قد صلبوه في اورشليم
وهذا كل ما نعرفه عن زكا . انما هناك اسطورة تاريخية تبثنا انه صار
شخصية بارزة في الكنيسة الاولى ، وانه صار فيا بعد اسقف قيصرية . وهناك أيضاً
اسطورة اخرى قرأتها ولا أزال محفظاً بها في لثافي ذاكراتي : وهي ان رجلاً
شيخاً ، قصير القامة ، كان يمشي كل صباح الأرض المحيطة بشجرة جميز شاحت
في الايام على مقربة من اريحا . فسأله مرة عامر سنبل : « أيها الشيخ ! ما بالك تعني
بهذه الشجرة الشائخة ؟ فيحييه الشيخ الحوز وفي عينيه يريق الشباب : « لان
من بين أغصان هذه الشجرة رأيت عينا ي ربي لأول مرة »



الى هنا تنتهي ذكريات الطريق. وحين تقع انظارنا على يسوع في المرة التالية
نراه داخلًا الى اورشليم ليوت.....



الكتاب السادس
أورشليم

الفصل الاول

الملك في موكبه

في الطريق بين اورشليم وأريحا على مسافة اثني عشر ميلاً ، حيث وقع
الساخر بين القموص في مثل السامري الصالح ، احتشدت جماعته
الحجاج والقرويين على حواشي الطريق لرؤية يسوع الناصري ، الذي اقام لعايز
من الأموات . وهناك تشهد وجوه افراد اسرة بيت عنيا وقد جاءوا للترحيب به .
ولذا يتخلف يسوع وجماعته عن اللوكب الذي يتابع سيره الى اورشليم . كان هذا
يوم الجمعة « قبل عيد الفصح بستة ايام »

وفي الساء التالي ، بعد انقضاء السبت ، تقام في بيت عنيا مأدبة تكريماً لمن
اقام لعايز من حفرة القبر . وحسب العادة « كانت مرثاً تخدم . واما لعايز فكان
احد الشككين معه » ، ورميم في عرقها الصغيرة تخرج من اللقائف فارورة طيب عالية
الغن . وقد شحبت لوف وجها من حرط الألم الشديد لانها أكثر من سواها قد
تتورت الى اعماق قلب السيد وأحست بقلب المرأة انه قادم الى اورشليم لينزل
حياته فيها . وكان الاثنا عشر من حواريه بين الدمويين . ويهيم تقع العين على
شخص لم يذع له صوت ولم يرتفع له شأن من قبل ، رجل أسمر الشعر تلو وجهه
مسحة الكآبة والتم ، رجل قد شاب اسمه ، قبل حتم الاسبوع ، وصلة عار لصحت
به اند النحر . وهو بطيئة الفتاحة ، وظلاله الحادعة ، وخيشة المرة ، لم يكن على
اتفاق أو حسن ودا مع زملائه الآخرين . وفي تلك اللحظة يزداد حقه عليهم
ويود لو يصب عليهم جلمات سخطة وخيش طويته

واذ يرى ذلك الانسان الساخط الحاقده ، مريم تبذل عطفاً ، وتهرقه مع الطيب

السكوب على قدمي السيد، لا يفعلن في هذا العمل الى شيء من الجلال، ولا أحست فيه الجليلة لمسة من لمسات العطف. وهذا العمل في نظره اسراف أحمق، وتذير عقوبت. «كان يمكن ان يباع هذا بأكثر من ثلاث مئة دينار ويعطى للفقراء». وفي خبث نية يلوم السيد نفسه بطريق غير مباشر لسهامه صعل كهذا.... أجل. كانت نفسية يهودنا في تلك الليلة خبيثة، سوداء، ككافية القرب الاسمح

أما يسوع فيؤنبه على ذلك، ويتندح هذا العمل الخليل. فان الاعتبارات للادية ليست كل شيء في الحياة. بل ان للعواطف الرقيقة مكانتها وشأنها. وبعض قصص التاريخ الشقية قامت على هذا الاتلاف «والضياع هباء». والحياة قد تحملت فزادات بما يذه السيدات من حياتهن في تصحية صارة، وضياع في الهواء، بدون نتيجة طاهرة. وضياع المحبة ليس ضياعاً، وسكبتها ليس اتلافاً. فان هذا الطيب قد أهرق عبثاً في ولاء عميق، ولكن عبقه الزكي قد عطر الهواء حوله. وملاً الجو اريجاً مستحاً. وهذا الاتلاف الذي لم يرق في عيون الناس قد أرضى يسوع فامتدحه وقبله. ولو دروا ان تلك كانت آخر مرة ينال فيها هذا العطف، وانه بعد أسبوع سيكون جسده المات في قبر الزامي، لما اسكروا عليه هذا «الاتلاف» الذي تحلل في امرأة تسك نفسها سكيناً عند قدميه.....

لم يعرفوا ذلك، اما هو فقد عرف. «اتركوها انها ليوم تكفيني قد حفظته. لان الفقراء معكم في كل حين ومتى أردتم تقدرون ان تصلوا بهم خيراً وأما انا فليس معكم في كل حين. قد عملت لي عملاً حسناً. وحينما يكرر بهذا الانجيل في كل العالم يحمر ايضاً بما فعلته هذه تذكراً لها»



وفي الصباح التالي استيقظت بيت عنيا متأثرة بنشوة الفرح. اد علم اهلوها ان قريبهم يحط الافكار. كيف لا وقد آوت يسوع الناصري نبي الله، الذي أقام ابن بلدتهم من الاموات، والذي يقول عنه الناس انه محرر اسرائيل. وكانت قوافل الحجاج تمرج في طريقها على القرية لتلقي نظرة عاجلة. وسكانت مصارب اليد

النصوبة على حواصب الجبل تقذف بالسكين فيها الى بيت عنيا . وساد المرح
والرج القرى المحيطة كلها . وحتى من اورشليم فاتها وقد جهزوا انظاراً الى تلك
النصبة التي أهدت بين ليلة ويوم عطف أنظار الماديين والرأسمين

وأي أنجيل يسوع في ذلك الصباح للشرق دارلاً من فوق الجبل بعد الصلاة
ليتناول طعام الافطار . أنجيله غابراً وسط الجموع وقد أقبل عليه تلاميذه لثقائه في
همة وترقب . فان سلطانه لم يبلغ أبداً ما بلغه في ذلك اليوم . ولم يظلمهم من قبل
شعور الرهو والقمار وسط العالم كما ظلمهم ذلك اليوم . ترى ماذا هو معتزم ان
يفعل ؟ ان شيئاً ما لا مد حادث الآن ! ويشد تأثرهم اد برون بطرس ويوحنا
فاديين وهما يقولان : «نحن مرسلان الى قرية بيت فاسحي لتستحضر حشداً لم
يركبه احد قط . لان السيد مرع ان يدخل اورشليم اليوم في موكب ا» وحالاً
سرى الخبر وسط الجماهير الثائرة وليس من محب ان يعلم التلاميذ الآن أحلام اليقظة
— ويشوقوا في أزمة عجيبة — حلول ملكوت الله عن قريب ! فان القصة في
اسرائيل قديماً ركبوها حيراً يسماء . وفي بطون السفر للقدس نبوة من المسيح :
« يا ائمة صهيون . هودا ملكك يأتيك وديسا ، راكفاً على ائان وجيش ابن ائان » .
فلا نوم على التلاميذ اذا هم طحوا أحلاماً في ذلك اليوم وسط جموع راخرة ثائرة
في بيت عنيا

وبطن الوادي للؤدي الى اورشليم حاشد بجموع هائلة لان الحجاج الثرباء
قد مجموا ما تطارح به أهل الحليل . وجس اسرائيل كان كله مثلاً في ذلك الفرح .
فالمدينة ماثمة بالثرباء المازحين اليها ، واكتاف التلال مغطاة بالمصارب للنصوبة...
ملعون من الوطنيين للتصمين للتحسين ، قد وفدوا الى تلك المدينة الخالدة من كل
رقاع العالم . وكل منهم يتحدث عنه . وكثيرون كانوا قد رأوه وسمعوا عنه في أعياد
سابقة واداعوا خبره في بلدان سحيقة . فكانت الاخبار عنه متصاربة . ولم تتأثر
تلك الجموع شيئاً حين بانهم ان السلطات الدينية فائمة عليه . والآن سرت انشاعات
سريان النار في المشيم ، وتناثرت القواعل في طرقات بيت عنيا ، ولم الجميع ان يسوع

التاسري ذاهب للميد ، وهو الذي أقام لعازر من الاموات والذي يقول عنه
الجليليون انه المسيح !

• • •

نم . ها هو قادم ، قادم ليقتل اللوث . مرتين جازف بالدخول في اورشليم ،
ومرتين طرده عنها وكادوا يقتلونه . أما الآن فسوف لا يتصوره عنها . فقد فرغ من
أساليبه المصادئة غير الزهجة . وهو اليوم يعلن في صراحة غرض بعثه كسبياً وبصر
على أن تعترف امته بذلك . وهو يعلم ما يؤدي اليه هذا

ولقد نراه يركب من بيت عنيا في مشهد وديع متواضع وحوله أنصاره وأنشاعه
يحملون الاحلام ويسيرون في رهو وخيلاء وسط المجلس الشعبي العظيم . وامامه
ووراءه جموع هائلة . ثم يتقدم جمهور آخر من المدينة للاحاطة به وهم ينجفون
بعضهم مساً عن اقامة لعازر من الاموات . وفي كل لحظة يتزايد المجلس . والطريق
العادي ليس صالحاً لسيره فيقرش الجليليون ثيابهم أمامه وتلوح الجمهور بالأغصان
الخضراء وترتفع الحناجر بأصوات الغتاف صارخة «أوصنا ! أوصنا ! أوصنا لابن
داود ! مبارك ملك اسرائيل الآتي باسم الرب ! أوصنا في الأعالي !»

وبينا تصاحج الجماهير هائلة « ملك اسرائيل الآتي ! » يسهل علينا ان نحيل
احلام اليقظة والأمال الكساري نفوس تلاميذه ، ولكن هذه كلها صرخات حادة
وأعدائهم يسمعونها في عيظ كثير . وبعد أيام تطلق هذه الاقفاط عنواناً فوق صليبه
امعاً في السحرة والمهزته منه . وهذه الصرخات بالأسف تنبئ عن سر المجلس
للشعب من النفوس الثائرة . فلم تكن صادرة عن شوق لرب ولا عن تحييد لمبادئه
ودعوته ، ولا حتى عن ميل اليه ولو ان هذا العامل الاخير كان من المواقف في
نفوس بني أهل الشمال . لا ، لم تكن الصرخات منبثة عن شيء من هذا القبيل ،
بل عن رجاء حار بترقب محي . ملك اسرائيل ، عن أحلام خيالية جموعية تلكت
عقول جماهير نسبت اتران العقل في هياج الساحة . عن أحلام حول خلاص شعب
اسرائيل على يد الله ، عن رؤى وخیالات حول صانع للمجرات العظيم الذي أقام

لما زلزل من الاموات ، وها هو الآن يهبط الى اورشليم العاصمة بقوة لا تدحر ، قوة يتخلص ايمانها بطش رومية الامبراطورية ، ويهرب امام وجهها يلاطس وجنده كعصافاة تحبها الرياح ومع ذلك ربما لم تلغ هذه المظاهر الباقية حد الجنون ونزوات الخيال كما نظن . فان بين الحاضرين من شهد بعد اربعين عاماً من ذلك التاريخ ثورة دموية عنيفة لم يكن فيها من الآمال والاحلام ما توهجه القوم الآن ولكنها اكتسحت على حين عرة قوة رومية من اورشليم . نعم اكتسحتها ولكن على ان تعود اليها بقمة مريضة شنيعة ، دمرت فيها المدينة الجميلة تدميراً



وكان يسوع قد عرف ما سيحل حيناً بشعب كهذا حاد عن مصيره الرفيع كقائد زوحي للعالم أجمع ، وآثر الدخول في منازعات مع رومية العظيمة حول السلطة الزمنية . ألم يسلط أحد وجهه وهو راكب في عظمة هادئة ؟ لم يكن وجهه ينم عن مرح الكبرياء الذي يلازم الزعيم عادة تتحارب حوله عتافات شعبه ، بل كانت على محياء امارات الاشفاق والعطف كأنه ينظر الى اطفال في جمل العقولة . وقد خرج من عينيه بريق لامع نظرات عميقة تمتد الى مسافات بعيدة . وعلت وجهه مسحة الكتابة الصامتة كوطلي صادق يحزن على وطنه ، وكذلك قد خاب أمله يساق الى حفرة

والآن تنحرف الطريق فجأة الى ناحية الشمال وهذا النحنى تبدو المدينة الجميلة التي كانت قد اختفتها عن الانظار اكتاف الجبال ، تبدو اورشليم في مجدها وجلالها ، مدينة احلام اليهود ، مدينة الله ومقدس البلي ، ومستودع الذكريات القومية لشعب اليهود ، « اورشليم بهجة كل الارض » . وليس منظر آخر يشير مكامن القلب اليهودي كمنظر هذه المدينة . ولذا تحيله الآن قد ثارت فيه ، انما بعوامل الحزن والألم لانه لم يقدر ان يخلص شعبه ومدينته العظيمة من قصاتها العارمة . ويا حبذا لو قبله ذلكم القوم الذين تعينوا منذ خسر تاريخهم لاسمى معمر بين البشر ! ويا حبذا لو رحبوا به رسلاً من قبل الله ليوقى بهم الى بلوغ هذا

الصير ! ما كان أوهـر مستقبل اسرائيل وهذه المدينة الجميلة ، مركز الامبراطورية
الروحية في العالم — لو كانوا قد فطنوا !

وها هو الآن ينصح عن افكاره بكلمات مسموعة فيضطرب اتاسعه اذ يسمعه
يقول : « انك نوعت انت ايضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك — ولكن
الآن قد أخفي عن عبيك ! فانه ستأتي ايام ويحيط بك اعدائك بمترسة ...
ويهدموك وبيك فيك لانك لم تعرفي زمان افتدك ! » وذا رهبة
معرعة تثلها امام عبيه . وقد رأها عياناً قوم ممن كانوا بين تلك الجماهير بعد اربعين
سنة فالمدينة كلها قد غمرتها المحافل والمسكرات الرومانية . وأمسّت للدينة
الجميلة خراباً ياباً ، تحوم فوق حرائنها للدمه العقبان والنسور لثتهم طامعاً شهياً
حشّ اليهود للمعة فوق صلباتها التي لا تعد ولا تحصى . حربت البلاد حراباً نهائياً ،
وقضي على الشعب قضاء مبرماً ، وبيع كثير منهم عبيداً في اسواق النخسة .
« وآسفاه لم تعرفي يا اورشليم زمان افتدك ! »



كان هذا التصريح شديد الوقع على من سمعه حتى كادت تجهد قلوبهم بين
أضالهم من شدة الصدمة . والارجح ان الذين سمعه لم يكونوا كثيرين . فان
الناشر الاولى لم تذكره ولم يبلغ مسامع نوحا النشير الا بعد مضي مدة طويلة . فسار
للكوب في طريقه في حاسة ولم يدرك القوم شيئاً . ثم اخذت المظاهرات تزايد حتى
اضطر نمر من التريسين الفاضلين الى التدخل قهوا له : « يا معلم اتهم تلاميذك ! »
فأجابهم : « انه ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ »

واذ تندفق الجوع الى ابواب المدينة يفرج الحاج الثراء متسائلين فيسمعون
اشودة الظفر « يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل ! » واخذ الكهنة والتريسيون
الحاققون يقولون فيما بينهم : « هوذا العالم قد ذهب وراءه ! »
وريس شك ان السلطات اوتبنت واصطربت قد كان زعم تلك الجماهير
للطاشدة الصاخبة مستطيعاً — لولاد — تطهير اورشليم من القوات الرومانية .

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . فلا نورة ولا هياج . وغل بيلاطس وجنده في طائفة لم يتعرض لم أحد . وأما يسوع فقد صرف الجمع لحال سبيله ودخل الى الهيكل . ولا يسع المرء هنا الا ان يتساءل عن شعور تلك الجموع . هل أصابها خيبة الرجاء ، أم تمت حدوث عظام الأمور منذ ؟

وليس لدينا بيان عما حدث في قبة ذلك اليوم . وينظر المرء حائرة ظاهرة لهذه الحوادث كتطهير الهيكل مثلاً وهي الحادثة التي بصمها البشرون الثلاثة في هذا اليوم، أو اليوم الذي يليه. وأما يوحنا وحده فيذكرها قبل ذلك بزمن. وأغلب الظن ان هذه الحادثة وقعت مرتين . وإذا استبعدناها من مشاهد هذا اليوم فإن خاتمة احد السعف تكون تلك الصورة الجميلة البديعة التي رسمها متى ليسوع مع الاولاد الصغار : « ودخل يسوع هيكل الله » ، الى بيت ابيه الذي جاء ابيه من قبل وهو صبي صغير في الثانية عشرة من عمره . ولا ريب انه استذكر ذلك اليوم اذ رأى على غير انتظار عند دخوله جمعاً من الاولاد الصغار كانوا قد اجتمعوا رعا لحضور حلقة فصيح للصغار . وتحت تأثير ما سمعوا في العرقات — كما هي عادة الصغار دائماً — وقهوا عند رؤيته واخذوا يهيمون : « اوصا ! اوصنا لابس داود ! » وكان هذا كل ما تذكروه من التذارات، فسرّ بهم يسوع ولكن الكمية اغتاضوا فقالوا له حاقين : « أنسمع ما يقول هؤلاء ؟ » فأجابهم : « نعم . اما قرأتم قط من افواه الاطفال والرضع هيات تسيحاً ؟ »



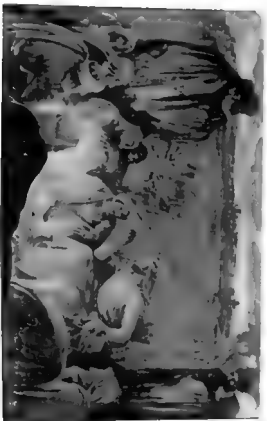
الفصل الثاني

اتهامات

ان موكب احد السف قد أدخل الرعب في قوس رؤساء الكهنة ، ودا
لم ان يسوع الناصري اقوى مما ظنوا وتوهموا . وخيل اليهم انه
مستطيع ان يجمع حوله الأمة كلها ويفتح نار الثورة ضد رومية . ورغم ما انطوى
عليه هذا من خطر محقق ، فلم يكن هذا وحده باعث خوفهم ومصدر هلعهم . ولو
كان هذا ما ربه لأُسرع الى نصرته الذين يسيرون أنفسهم لأنهم كانوا من علة
الوطنيين . اما الخطر الذي خشوه فهو تعرضه للدين وحيوحه الى قلب اوصاع النظام
الديني القائم . ولقد كان محطاً للاصنام ، ومصلحاً يقم الجنود والقروع معاً . وكان
في ميوله مخادعاً لنظام ديني جامد سيطر عليه طبقة من الكهان الجلمدين المتبدين
كان الامر واضحاً : فلما أن تنقلب وتُصلح اوصاع النظام الديني اليهودي ، أو
يموت يسوع الناصري ، وقد استقر بهم الامر : ان يسكتوا لصيانة هذا النظام ،
وإن يموت هذا الانسان !

وكانوا ما كرين حاذقين ، فان ألقوا القبض عليه جبهة اناروا عليهم ثائرة
الشعب . اذن فليترسوا ويتحينوا الفرص . وربما تستح لهم بعد القصح غضب عودة
الجلهبر الى اوطانها

ولكن ان اظفروا في الوقت نفسه بتشويه سمته امام الشعب وتصويره امامه
انساناً لا يالي بالآمال والزعاب القومية ، خائناً عهد الولاء لموسى والميثقة الدينية ،
ومجدفاً على الله رب الجنود . بل ان اظفروا في اعتصاح أمره امام الحكومة واظهروه
امانها بمظهر الانسان المحطر للكدر لمعوا الامس — إن اظفروا في شيء من هذا مهدوا



بعض المنحوتات الشهيرة مع الصربية

السبيل لانفسهم . وعلى أية حال فليهم أن يسبروا محدد و يقدروا لأرواحهم قبل
اتطلعوا موضعها

« حينئذ ذهب القريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة » . هذه كانت
الخطوة الاولى - ان يصطادوه بكلمة — ان يوقروا بينه وبين الشعب أو بين
السلطات الرومانية — ان ينصبوا له احولة يوكلمهم قد اغتروا سداجته الصادقة وقتلوا
أن فتنة لسان منه قد تُتخذ سلاحاً صده



ولذلك نراهم في يومى الاثنين والثلاثاء وقد دسوا اناساً من صنائعهم ليسألوه
وهو يدر في الميكل . وقد سجلت النشائر بعض هذه الاستف
وكانت فكرة الخزية ، الترفية ، فكرة ماجة حقاً . فاليهود كرهوا الضرائب
كما يكرها الكثير منا . ويزداد القمت للصربية متى كانت عربوناً للاستصاد تفرصها
قوة أجنبية دخيلة . ولم يذهب القادة للأكرون لالتقاء الأسئلة بانفسهم والأمكن
عملهم مضوحاً . ولكنهم بشوا بشيان من أنصارهم مع خصومهم المهوروسيين كأنهم
يتحاجبون فيما بينهم . ونحبي ، هذه الصنائع السخرة الى السيد العظيم ليعمل في ما
ينهم : « يا معلم تعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تقالي باحد لانك لا تنظر
الى وجوه الناس . قل لنا ماذا نعلن : أيجوز ان تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ »

أحولة محبوكه . فلن قل « نعم » حاج ضده الرأي العام . وان قل « لا » اتهموه
بميانة السلطة الحاكمة . وفي مرض الجدل قد يقال شيء ما في صالح الوطنيين ،
وقد يقال أشياء في صالح قيصر الذي يقوم بتكاليف الحكم وصيانة الطرق الكبيرة
للعباسة . ولكن يسوع محاشى هذا الجدل : « لماذا تجربوني يا مرثؤون ؟ ااروني معاملة
الجزية ؟ لمن هذه الصورة والكتابة ؟ » — « لقيصر » — « اذن باستعمالك عملته
تعترفون بسلطانه عليكم . فاعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ولم يجربوا أن
يتحدثوا شيء ما امام الشعب في هذا الأمر

وبعد قليل يجيء اليه المدوقيون ، الذين يتكرون قيامة الاموات ، ليجزأوا

منه بذكر أحذوتهم القديمة عن المرأة التي تروحت من سبعة أزواج. «في القيامة لن من السبعة تكون زوجة؟» ولم يكن يسوع في حالة هسية تسمح له بالغوص في هذه العساف. لان الشب كان يستمع اليه. وفي لحظة يسو بهم الى مستوى ارفع، الى ذلك الوسط الطاهر الذي تسفل وتهد في روابط المحبة. «تصلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لانهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون. بل يكونون كلائكة الله في السماء. واما من حبة قيامة الاموات افا قرأتم في كتاب موسى كيف كله الله قائلاً: انا الله ابرهم والله اسحق والله يعقوب. ليس هو الله أموات بل اله أحياء. فأنتم اذا تصلون كثيراً» — كان هذا القول حبة ايجابية لرعى لها الشعب. وحتى صمض الكتبة أنفسهم لم يسمعهم الا التصفيق له: «يا معلم حسناً قلت!»

ثم يتأثر القريسيون معاً ويوفدون اليه ناموسياً من رجال الشرع ليحرره بسؤال يحلو فيه علماء التاموس. فان دستور الكتبة والناموسيين تصمن ٦١٣ شذاً من الاحكام والوصايا كان بعضها هاماً وبعضها ثانوياً، وثار الجدل بين التعتيقين حول مراتب هذه الوصايا وأياها الاعظم وأياها الاصغر. فاردوا أن يحرر يوه علماً امام الشعب: «آية وصية هي العظمى في التاموس؟» وها أحب يسوع جواباً معجماً فتسي كل الماحكات والراونات الكهنوتية اد أنهم قولاً نبيلاً: «تحب الرب الملك من كل قلبك. هذه هي الوصية الاولى والعظمى. والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. وهاتان الوصيتان هما جوهر الدين وخلاصته»

تأثر السامعون في اعماق قلوبهم. وحتى السائل التاموسي نفسه، قد خجل من نفسه، والظاهر انه كان أبل حساً من التمارين الذين أوفدوه: «حيداً يا معلم. بالحق قلت. فحة الله من كل القربى، ومحبة القريب كالنفس هي افضل من جميع الحرفات والناسخ». ولاح يسوع في وجهه رجلاً أميناً محطماً فقال له: «لست سيدياً عن ملكوت الله» ولم يحصر أحد بعد ذلك ان يأنه ولكن يسوع لم يدعهم يفلتون من يديه بسهولة فالآن قد جاء دوره ليسانم:

« ماذا تظنون في المسيح ؟ ان من هو ؟ وان كان داود يدعو رباً فكيف يكون ابنه ؟ »

— واليك سؤال آخر : كان لاسنان ابنان . أمرهما ان يذهبا للعمل في كرمه . فالاول رفض ولكنه ندم أخيراً ومضى . وأما الثاني فقتل هاهنا يا سيد ولم يمس . فأي الاثنين عمل ارادة الأب ؟

— فاجابوا بعد تفكير وقد عرفوا مرماه : الاول !

— هم . الاول ! وانتم هو الثاني ! الحق اقول لكم ان المشارين والزواني الذين دسوا وذهبوا يسبقونكم الى ملكوت الله . ثم التفت الى الشعب المنصت له وأخذ يحدث اليهم بمثل فأس عن الاله العظيم الذي سلم كرم اسرائيل الى اولئك السكرامين الاشرار الذين رجوا عبيده عند ما حاموا يطالبون بالانعام ثم لوثوا أيديهم أخيراً بقطة شعاء بأن قتلوا ابنه المحبوب . فإذا يفعل صاحب الكرم ؟ يأتي ويهلك السكرامين ويسطي الكرم لله آخرين ؟

حاشا ! لا سمح الله ! — بهذا صرح اسامعون الباحثون

— كلا ! فيسمع الله ! « لذلك اقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويسطي لامة تعمل انعامه »

* * *

وقف أمامه اولئك الرعاة المأحورون الذين افاهم الله على شعبه منحوس خائرين . واذا تتأبج في قسه ثورة القصب للقدس يلمت اليهم ، وكسيد يؤنب عبيده الخوة يشهر بهم امام الجماهير ويلهم سياط غضبه اللاذعة ، حتى انهم لم يسوا قط في حياتهم ذلك الموقف الشائن :

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيين للراؤون لانكم تتلقون ملكوت السموات قدام الناس «لا تدخلون اتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، لانكم تطوفون ابر والبحر لتكسبوا دخيلاً واحداً . ومتى حصل تصنعونه انما لجهم اكثر منكم مصاعفاً . ويل لكم ايها القادة الصبيان الذين يصفون عن الموضة ويلعون اجل ، الذين

يسمرون النعنع والشبث والكفون ويتزكون اقل الماموس الحق والرحمة والايمان،
الذين يتقون خارج الكأس والصحة واما من داخل مملوء ان احتطافاً ودعارة .
ويل لكم ! لانكم تبثون قبور الانبياء الذين قتلهم ابائكم وتقولون لو كنا في ايام آبائنا
لما شاركناهم في دم الانبياء . فاملاوا انتم مكياك آبائكم . فانه مرسل اليكم انبياء
وحكام وانتم تقتلونهم وتطردونهم من مدينة الى مدينة . لكي ياتي عليكم كل دم
زكي سبك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي
تقتسموه بين الميكل والمذبح . الحق اقول لكم ان هذا كله يأتي على هذا الجيل !
» ثم خرج يسوع ومضى من الميكل « ولم يسلطه مرة اخرى !

* * *

بهنا تكلم المسيح الفاضل لقوم حانوا عهد الامانة والوكالة . وهما مظهر خطير
يمثل لنا ناحية من المسيح . عين اناء هذا العصر فكرة بليدة ناعمة ان الله لا ينصب
قط من خطيئنا ، لانه شقوق صالح طيب القلب ، يحكم على آثامنا وشروها كأنها
ضغبات قط ، وانه اشبه باب يريد ان يسكت ولله عن البكاء وكفى ! — حاشا
له ! انكلا تكلم قدماً يكلسا في هذا العصر ، يحس اناء هذا الجيل . وكم من انسان
في آلام المصير وحرارة الشاككة قد قال لنفسه اشياء قاسية جافية كهذه اذ سمع
صوتاً طلياً يحدثه من الداخل . ومثل هذا الانسان قريب من الله . فعطوبى لمن
يستمع وينتو عنه !



الفصل الثالث

الخان

وافه غادر الهيكل للمرة الأخيرة كان قد بصم يده صكاً الحكيم بموته . وهو قد كشف أمام الجماهير المجتمعة عورات الرئاسة الدينية ، فإذ تناضوا عن ذلك ليس لهم أن يرفضوا رؤوسهم مرة أخرى في اورشليم . فلما هو ارم و بينا كان ستر يحاً في تلك الليلة مع تلاميذه كان أحدهم غائباً . وكان رجال الدين والكهنة قد عقدوا جلسة مستعجلة ليفكروا في احماد صوت يسوع الناصري على عمل . ولكن ماذا يفعلون ؟ كان الشعب الفضة الكأداء . وقد خاب أملهم لانه لم يحدث شغب من جراء موكب يوم الاحد . نعم أن حماس الجماهير قد خُت حرارته . واخذ النمص يقف صده موقف النداء . ولكن ما برج يسوع متسلطاً على عواطفهم . فاذا كان لا بد من اقاء القبض عليه وجب ان يكون ذلك في غيبة الجماهير . ولم يكن سهلاً في ذلك الاسبوع الثير اتهل فرصة كهذه لان الجماهير كانت في كل مكان . و ربما كان ضرورياً أن يترشوا حتى تعود الجماهير الى أوطانها . وبتحينوا فرصة ملائمة لتنفيذ مآرهم

أما الفرصة فكانت أقرب مما توقعوا . ففي خارج قاعة الاجتماع كنت ترى شبحاً يتهاذى تحت ضوء القمر بين الظلال ويقف امام حارس المكان قائلاً له : « خذني الى الخلس . فان لديّ أمراً يتعلق بيسوع الناصري ! »

يدخل الخان في حضرة القائمين . ما أروع هذا الموقف ! واحد من صحابه الخلفين يقدم نفسه يمسه لم في غير عتاه . « ففرحوا وعاهدوه أن يظهروا قصة . فواعدتم ، وكان يطلب فرصة ليلسه اليهم حلواً من جمع »

وفي هذه انكلمات الوحيزة يروي الشير قصة افضع خيانة في تاريخ البشرية ، ويعمُ امام عالم مرتعد ذلك الانسان الذي حنث بيمين الولا للمسيح ، ذلك الخائن الذي مثل دور الصديق ، ليسلم للموت سيده الذي أحبه

وهل يمكن لانسان أن يسل هذا ؟ قيل لنا أن الطمع قد تملك شهوته فأسلم سيده الموت المرير لقاء ثلاثين قطعة من الفضة . وإن المرء ليردد كثيراً قبل التسليم بهذا التخليع الضعيف الواهي . والحق أن يهوذا كان خسيماً دينياً . ولكن الانسان لن يرتكب مثل هذه الخساسة لقاء قبضة رشوة دراهم معدودات يعود فليتها نادماً في أحضان مطيها . ثم إن هذا التخليع لا يقضى ووقائع الخيال وحالة الرجل

فلن ذلك الانسان لم يكن مجرد محب للمال ساذج وراهم . وثلاث سنوات حلت كان شاباً يهودياً تقياً ناهياً شغف بذيده وكبرت آماله في المسيا المنتظر . و يوماً ما التقى يسوع الناصري ومال كل منهما للآخر . والأول لما دعاه يسوع الى شركة الرسل ولما لمي هو هذا النداء . ولم يكن في ذلك التمر القليل القير حابوا لشر دعائهم ما بهر انظاره أو اشبع في نفسه شهوة الطمع . والواقع أن يهوذا ، اسوة بالآخرين . ترك كل شيء وتبعه واستمر سائراً معه بعد ما تركه الآخرون ولم يعودوا يتبعوه . فلم يكن ذلك الانسان وحشاً خبيثاً ، بل كان انساناً مثلاً فيه من سمكيات الخير الشيء الكثير ، ولكن فيه ايضاً من سمكيات الشر شيئاً كثيراً . ولنا محاول

ها أن نحلله بلون أبيض بل إن فهمه فقط

وليس شك انه كان طامعاً . ولكن هذا وحده لا يسل للوقوف . والآن هب أن الطامع كانت شهوته للالكة عليه ، وهب ان هذه الطامع الخالصة قد ملأت نفسه مرارة ، وساقته للارادة الى التفرقة من يسوع ، وأمسك التفرقة عداوة ، وتدهورت العداوة فاستحالت خيانة . لحل هذا هو التخليع الصحيح لهذه الحادثة . فقد ظن القوم ان يسوع جاء ليشتد دعائهم ملك ارضي فطمحت نفس يهوذا ، كما طمع يعقوب ويوحنا ، الى مرتبة عالية في هذا الملك ، ولكن حاب أمه وطمش سهمه . وأحس نفسه في مكانة وضيفة فلم يبلغ حتى مكانة الثلاثة الآخرين من زملائه . واستطاع أن انجيل ذلك اليهودي عرباً وسط تلك الزمرة الجليلية من اخوانه ، فتمثل نفسه غيرة وحسداً وهو يرى الآخرين يُعصون عليه ويؤخسون قبله — في بيت يابرس وفوق جبل التجلي . وعلى عمر الزمن يرى ذلك للالكوت أمراً

مشكوكاً فيه ويسوع نفسه راعب عنه فلم يظهر فرصة التفاف الشعب حوله لاجل هذه الرغبة ، ولما أرادوا أن يتوجوه ملكاً تركهم ومضى . ولهذا ازداد يهوذا ارتياكاً وتبرماً وغرة . واعطب الفتن أن مركب أحد السف قد قضى على كل أمل من هذا القبيل . فان ذلك اليوم قد أيقظ آمالهم الكامنة حين رأوا للوكب الشعبي العظيم واصوات المتناف للتصاعدة « ملك اسرائيل باسم الرب » . ونخيل اليهم انهم على قلب قوسين او احدى من تحقيق مطالبهم وآمالهم . ولكن يسوع لم يعمل شيئاً وتراه القرصة السامحة تقلت من يده ، ونار المجلس يحمت أوارها . ثم انه قضى على بلقية الباقية من أمل تحديه الرؤساء الدينية والكهنة وتسميه حياتهم علناً . وكأن يهوذا قد اصاع عليه جهه في خدمة قضية عقيمة وأحس الآن بالكره والنضب نحو ذلك الذي أقام عليه صرح أحلامه ، فحيب كل آماله

وشعر الآخرون هذه الخيبة ايماً ، ولكنها لم تلغ في قلوبهم حد المرارة . لانهم وثقوا في يسوع وتحمس ولاؤهم له ولم يسلوا بشيء آخر غيره . أما يهوذا فلم يكن كذلك وكان بينه وبين سيده شيء ما منذ زمن . ولعل ذلك كان راسخاً الى حلقة سرية اخرى غير طمعه وبخله ، خطية نخرت في عظام نفسه حثته ينكش امام يسوع ، ويكره الثول في حضرته ، وهو يعلم خفايا القلب وما تبطن الصدور . واذا قد باعد بين يسوع وبين نفسه فلم يكن امامه شيء سوى المدهور الى حضيض المداوية . ولنا قدر أن نتبع التطور السيكولوجي للنفس التي تستسلم لمؤثرات الشرير حتى نسمع احياناً تلك الكلمات الماثلة الصارخة التي قالها النشير « دخله الشيطان » . وكأن هنا خير تبصير عن حقيقة الواقع

ولم ير التلاميذ في حلمهم تليلاً آخر غير هذا الموقف الاليم الذي وقفه زميلهم . فقد تمكنه قوة شريرة آتمة ، فاض في نفسه الخيبة كأس المرارة والنضب والغرة حيال سيده ، فاعتزم أن يوقع به في السوء ، وقد ساقته تلك القوة الشريرة الملعنة الى مدى سيد فخرج عن صوابه ولم يفعل الى القطع الشفاء التي أقدم عليها وسلقاه مرة اخرى ، يوم تكون قد تفتحت عيناه !

الفصل الرابع

المساء الأخير

اما عن يوم الارصاد فلا نعرف شيئاً . لان يسوع لم يأت الى المدينة . وحاولت الملاحير عيناً ان تظفر برؤيته . والظاهر انه قضى اليوم في عزلة في بيت عنيا او في حلوة فوق الجبال ليمدّ فيه خلاصه للطائف . ولعله كان في قمرات على اتصال بالانبي عشر زودهم بتعليماته عن الايام الاخيرة . ولعل الاحايث الطوبية التي سجلها اليسير يوحنا لليوم التالي وقعت في هذه الحلوة الهادئة . لانها تدو لنا اطول مما تحمله جلسة واحدة عقب احداث المساء الاحمر

وكان مساء الخميس الوقت المحدد لمساء الفصح مسأله التلاميذ : « ابن تريد ان نمضي ونموت لئلا نكل الفصح ؟ » وترى لماذا لم يفهم صراحة عن هذا السؤال ؟ فان جوابه يذكرنا أنه كل تحت خطر مستمر ذلك الاسوع . وبني ، عن احتياط انسان حريص يخشى ان يلقى القبض عليه قبل الاوان . فانخذ الحيلة حتى لا يعرف انسان مقدماً مكان المساء لا سيما يهوذا الخائن . وحتى بطرس ويوحنا لم يعرفا للكان حين قال لهما : « اذهبا الى اللدبة حيث تستقي النساء . فيلاهيكما انسان حامل حرة ماء . هذه هي العلامة السرية ، اتبعاه الى حيث يدخل »

وكان رب البيت عطية الحال قليلاً . وانه لحسن شيق أن رجح انه أبو يوحنا مرقس الذي كانت عليه مكاناً مختاراً لاجتماع الرسل . وان صح هذا فانه يلقى نوراً على حادثة وقعت فيما بعد . وذلك لان انشور مرقس بروي قصة القصص على شاب كان لا بأس ارار التوم على عربة فلما اسكه المسكر ترك الازار في أيديهم وهرب عرياناً . ولقد تغير القراء في سبب دس قصة كهذه عرضاً دون سبب يدعو الى سردها . وربما كان مرقس هنا يرسم صورة عن نفسه بقيت عاتقة في

محيته . والذي يتبادر الى الذهن ان يهوذا الحائن اقتاد رحلته أولاً الى الطليعة حيث ترك يسوع وزملاؤه . ولما افاء قد خرج اسرع وراءه الى جثسياني . فما كان من الشاب مرقس الا ان نهض شياطين نومه وأسرع ليحذر يسوع وصاحته فامسكه الجند عندئذ . أليست القصة طبيعية شيقة والتعليل معقولاً ومقبولاً ؟ !

ولما دنت الساعة انكأ مع الاثني عشر رسولاً ليتناول معهم العشاء الوداعي بعد ثلاث سنوات قضاه معهم في غبطة وهناء . وقلبه في تلك الليلة يفيض حناناً وعطفاً « يسوع وهو عالم ان ساعته قد جاءت ليضل من هذا العالم الى الآب اذ كان قد احب حاصته الذين في العالم احبهم الى النشئ » — « شهوة اشتهيت ان آكل هذا القمح معكم قبل أن أتالم » — « انتم الذين نثمت معي في تجارتي » ولكنهم حتى في تلك الامة لم يسلخوا مسلك الحشدة والياقة والتواضع . بل كانوا اشبه باطفال صغار ، مجموعة من ذوي القلوب الطيبة والاحلاق المشية . لانهم حتى في تلك الليلة ، وحول تلك المائدة ، كانوا يتنازعون حول من يكون الاعظم فيهم . وحتى يهوذا ، وفي حبيبه الثلاثون من القصة نحن الهم البريء ، كان يصور الى مكانة رفيعة ! وقد ظفر بها هلاً اذ انكب الى جانب السيد نفسه . وودَّ بعدئذ لو لم يكن ما كان !

صمت يسوع عندئذ كأنه لم يلحظ هاشهم . ولكنهم عرفوا عاجلاً انه لحظ كل شيء . فانه في نهاية حلة العشاء عند غسل الايدي « قام عن العشاء وخلع ثيابه واحد مشعة واتزر بها وابداً يغسل ارجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متركاً بها » وكانوا قد دخلوا عالم مند دخول النرفة وانكأوا حول المائدة باقدام متعبة ساخنة علاها التراب . وجرت العادة ان يكون في مثل هذه الحفلات عبيد يقومون بمخدمة غسل الارجل . وليس في هذا المكان عبيد ، ولا انسان وضع يقوم بهذه المهمة — سوى رب الكون الذي طالما علمهم ان الاعظم فيهم هو الذي يخدم . وفي رهبتهم ودهشهم ولومهم لا تقسمهم لم ينبسوا بمنت شمة حتى جاء الى بطرس :

- « لن تغسل رجلي أبداً ! »

- « يا بطرس : ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب »

وهنا يتعرف بطرس في اصطافه المأثور الى الناحية الأخرى : « يا سيد : ليس رجلي فقط بل ايضاً يدي ورأسي ! »

وهكذا فعل الجميع . تصور يسوع يغسل رجلي يهوذا ، وهو يعلم سر ذلك الانسان الرهيب ، ويعلم أين سمعت نائك الرجلان في الليلة الفائتة ! ولما عاد الى مكانه احبهم هذا القوم الرقيق :

« ان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم . فاتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض . قد غسلتكم وانتم طاهرون ولكن ليس كلكم — بالأسف ليس كلكم ! » أكان هذا انذاراً منه الى يهوذا بأنه قد عرف سر الرهيب . أكان نداء أخيراً منه لينذره قبل أن يشد حبلوته الفاصلة ؟ لأنه بعد ذلك اضطرب بالروح وقال : « الحق اقول لكم ان واحداً منكم سيغسلني »

* * *

وليس شيء . يساً فينا كالمين العطف أكثر من شعور القهر الذي استولى على التلاميذ عند سماعهم هذا السأ الخطير . فكل شيء قد اهتلب ايمانهم . وعلا الهم في جسمهم ، واحس أولئك الساكنين عقب غسل أرجلهم بالتضاع وصغار وتصفير الصبور حتى حبل اليهم انهم قد يفعلون هذا ايضاً . وانتأ كل واحد يقول « هل انا هو يا سيد ؟ » وبعثت استذكروا ، والفزع يملأ قوسهم ، وقاحة ذلك الحائن الذي قال يذوره « هل انا يا سيد ؟ » ذكرى اليمة لن تنسى ! — ثم يلوح بطرس الى يوحنا ويقول له : « أسأله من عسى ان يكون الذي قال عه ! » وكان يوحنا متكئاً على يمين يسوع ويهوذا عن يمينه . أما يسوع فلم يجب صراحة ولعله راعى في ذلك واجب اللياقة نحو ذلك الحائن . « هو ذاك الذي اعس انا القصة واعطيه » واصطافها يهوذا الجالس الى جانبه . ويقول البشير : « بعد القصة دخله الشيطان » واما يوحنا فنه فلم يسمعه الا ان يشك فقط ، لان الآخرين تناولوا القصة عقب

يهوداً . ولو كانوا عرفوا من هو الثلثون لحاقوا بينه وبين الخروج من وسطهم . واما يسوع فقد عرف ان كل ابطاء هو عبث في عبث وقلبك قال : « ما انت تصنع فاعمله باكثر سرعة » وقال هذا في حرص وتحموط حتى غلب البلقون انه لوخذ يهوذا في هبة . واما يهوذا نفسه صرف أن هذا القول مصادمه عن هذه الجماعة « ولما احد القصة خرج للوقت . وكان ليلاً » . هذه هي الذكريات التي تزامت في تخيلاتهم فيما سد - النرفة للثيرة ، والباب للفتوح ، والظلام للنظم الذي غلب الثلثون في عياحه

والظاهر ان حروجه قد طهر جو المكان . فالتصت يسوع ليعزي هذه القصة المختارة التي اخذ اليأس يتلاعب بافتتها . فكل أمل في تلك الارضي قد بددته الرياح هباء . وها هم الآن يحشون ان يعقلوا السيد الذي أسوه كثيراً ، وها هو الآن يخرج من وسطهم خائفاً عاذراً عجبلاً . فليس شك انهم اختفوا الى المراء وهم يستظلون مكنون الطوادي المحبوة

وسيدهم ، كما هي عادته ، يضع نفسه في مكانهم ، ولا يفكر الا فيهم « الآن تمجد ابن الانسان . يا اولادي انا معكم زماناً قليلاً بيد . لا تضطرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي . انا اوصي لاحد لكم مكاناً . واتي ايضاً لآخذكم اليّ حتى حيث اكون انا تكونون انتم ايضاً . لا اترككم يتامى . انا آتي اليكم . وهما سأتهم باسمي فذلك افضل ليتجد الآب بالان . سلاماً اترك لكم . ليس كما يسطي العالم اعطيكم انا . لا تضطرب قلوبكم ولا تهرب »



وفي ختام عشاء الفصح ينهم يسوع في هبة وحشوع من مكانه وهم يرون على ملاعقه لب فكره مهمك بأمور خطيرة . فالصبح اليهودي الذي رمز الى خلاص اسرائيل قدماً سيلبس الآن لبوساً قشياً يمر الى خلاص أعظم . ومع هنا جاءنا النصيح للسيحي ، وسر العشاء الرباني ، واولى التقاليد التي تسلمتها من حوادث تلك الليلة هي التي تقينها من بولس الرسول في قوله : « الرب يسوع

هو الذي في تلك الليلة التي أسلم فيها اخذ خبراً وبعد ان شكر كسر واعطى تلاميذه ثلثاً خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم فاصنعوا هذا لذكري. وعلى مثال ذلك بعد الشاء اخذ الكأس وبعد ان شكر اعطاهم قائلاً : اشربوا من هذا كلكم فان هذا دمي لعهدي الجديد . فاصنعوا هذا لذكري كلما شربتم منه . وليس ههنا مقام التسط او الجدل حول هذا السر القدس . فكل المسيحيين يرون فيه شعاراً للشركة المسيحية ، وذكرى دأعة لم مات عن خطايهم . وكثرة المسيحيين يرون فيه ههنا اختلاف مصطلحاتهم واساليب تصويرهم عنه وسيلة لانسياب حياة المسيح في حياة البشر ، وتقوية وانعاش نفوسنا بمجد ودم المسيح كما تقوى وتنضج اجسادنا بالجيز والخمر

والآن قد اوتيتك الليل يتصف . ولا بد من كلمات الوداع الختامية . ولذا راء ، وهو مليء بالحنان والاشفاق نحو تلك الجماعة الصغيرة التي سيرتها عما قليل تواجه العالم ، يسكب نفسه امامهم ويستودعهم الى حراسة الآب وعنايته : «....» ورفع عينيه نحو السماء وقال : ايها الآب قد آتت الساعة . مجدك انك انا مجدتك على الارض . العمل الذي اعطيتني لافعل قد اكفته . انا انظرت اسمك للناس الذين اعطيتني في العالم . ولست انا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم . وانا آتي اليك . ايها الآب القدوس اعظمهم في اسمك . لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير . قدمهم في حقك . كلامك هو حق . كما ارسلتني الى العالم ارسلتهم انا الى العالم . وليعلم العالم انك ارسلتني وأجبتهم كما احببتني . ولست اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ابصاً من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم . ايها الآب اريد ان هؤلاء يكونون معي حيث اكون انا . ايها الآب البار ان اسمك لم يرفك هؤلاء عرفوا انك ارسلتني.... ليكون فيهم الحب الذي احببتني به وأكون انا فيهم »

وبعد ما مسحوا انشودة القمع (ورمعا كانت مرمر ١١٨) خرجوا الى جبل الزيتون

الفصل الخامس

في البستان

خروج المسيح بعد تناول العشاء الأخير مع تلاميذه . وكان عليهم ان يسيروا الموبوء في منتصف الليل تحت اشعة القمر القسوة وعلى

حذر لئلا يتقدم جواسيس الاعداء الى حلوتهم . وكانت الاخطار محدقة بهم من كل جانب ورائحة الحياة والتندر تملأ الجو المحيط بهم . ويذكر بطرس حادثة مؤثرة وهم يتسللون الى ظلال البستان ، حادثة لم يسهل عليه هو ان يساعدها وقد سمعها من مرقس مرات كثيرة في أخريات ايامه :

قال يسوع : « ان كلكم تشكون في هذه الليلة . لانه مكتوب اني اضرب الراعي فتتبدد الخراف » وهنا ثقلت قلوبهم في داخلهم . كيف لا وقد سمعوا ان واحدا منهم سيتقلب حائثا عادرا . أليس معنى ذلك ايضا انهم يفرقون ويهجرونه إيمان الخطر ؟ أما بطرس فلم يستطع صماع ذلك فيقول محمداً .

— « ان شك الجميع . فأنا لا اشك ! »

— « يا بطرس ! انك في هذه الليلة قبل ان يصبح الربك مرتين تنكرني

ثلاث مرات »

ولا يجب ان يجيب بطرس على هذا القول باكثر حدة :

— « ولو اضطرت ان اموت معك لا انكرك ! »

وهكذا قال ايضا الجميع

اما السيد فبصر على هذه الاقوال مر السكرام . لانه لم يكن في حالة نفسية تمكنه من القول الكثير . وكانت قد غاضت على نفسه عوامل أليمة لم يستطع احتياها ، وثارت في داخلها مازعات عنيفة شعر بها بفرقة بشرية الى الاختلاء

والصلاة . ومع ذلك يتوق بحسب طبيعته البشرية إلى صديق يؤسسه وقلب يحلف عليه ولما نسمعه يقول رفاقه : « سأذهب هناك وأحلي . ولكن لا تنتدوا عني كثيراً اقربوا إلي » أنتم الثلاثة واسهروا معي »
ثم يتصد عن الثلاثة نحو رمية حجر ويبحر على ركبتيه وسط غلال الاشجار وهنا يحل عليه أزمة حياته ومصيرها

وحدير بنا امام هذا للشهد ان نلقي التماع على وجوها ونحن نرى المسيح الاول الخالد يصارع آلامه التسمية للزيرة . ويكفي ان تصوره حائياً على ركبتيه ووجهه على الارض ، والرق يتساقط من على جبهته كقطرات دم . وتتساعد من نفسه المذبة تلك الصرخة الالهية المائلة — الصرخة التي طالما رددتها الانفس للكروية منذ ذلك الحين — : يا ابتاه أحرز عني هذه الكأس ان امكن !

ومن ذا الذي يستطيع أن يشرح لنا ذلك الدراع الربيع الذي صدع نفس ابن الانسان تلك الليلة ؟ وماذا كانت تلك الكأس المرة التي تقلص أمامها ؟ نحن نعرف الاختبارات الربعية الزهية التي جازها في اليوم التالي . ولكن هل يجرأ من يعرف حق المعرفة ان يتخيل لحظة ان تلك الآلام الجسدية هي التي ضيقت على نفسه الحناق تلك الليلة ؟ لا بد ان حباً قبيلاً وكابوساً صاعقاً داساً عليه في تلك الساعة الزهية من حره حمله حطاي الانفس البشرية وهو ذو النفس المصومة الحساسة . لا بد ان تلوعاً قتالاً ثار بينه وبين قوى الظلمة التي « تركته الى حين » بعد تهرته الاولى في الزيرة . وهل كان ذلك « الحين » قد مضى واقتضى ؟ وهل كان الشرير يكافح مرة ثانية في حرب مستمر مع الله في الجسد البشري ؟

كأن المسيح يتزعزع مع نفسه . ينازع لاستيالة ارادته البشرية الى طريق الواجب . واذا بشر يحور نراه يقول : « يا ابتاه ان امكن أحرز عني الكأس » . وليقف للملحدون الناقدون الموقف الذي يشاؤونه حيال هذا القول . اما لنا نحن هؤلاء من لمسات البشرية تقرب اليها المسيح كأخ بشري وتظهره انساناً كسائر

أخوته بني الإنسان . وبسبب هذا يزداد تقربنا إليه واعتراضا به . ولو لم نكتفه
 التضحية كل هذا الغناء لما كان في نظرنا كما هو الآن
 أما تلك الكأس فلن يمكن أن نجور عنه . وهو في نضاله فائز منصور . والى
 هنا لا نسمح لأنفسنا بالتطفل الى أمد من هذا الحد
 وأخيراً حامت النهاية وحاقمة الجهاد : « يا الله ! ان لم تغير هذه الكأس ما لم
 اشربها ، فلتكن لو أدتلك ! » هدأت العاصفة وساد السكون



وخلال صلاته يعود ثلاث مرات الى رفاقه ليستعين بفرهم وعظهم . ولكنهم
 في كل مرة يضيئون أمه . ادبراهم وهو يلزق الالم حارقين في التعلس وذهب
 عنهم ويطي بأكثر لجانبة ثم يعود اليهم ثانية وإذا بهم نيام . كان عليه أن يدوس
 للمصرة جيداً منهداً . وما أحرانا أن نتجه اليه نفلوب شاكرة وهو يحن ويطف
 على أولئك الناصحين البؤساء ! ونحن علم ماذا كان يقول المرء ما إذا أسيء في مثل
 هذا الموقف بالاهمال والترك : « لا يسأون شيئاً بي وبألامي ! » اما المسيح فلم يقل
 شيئاً من هذا . لانه عرفهم جيداً . عرف ان ذلك لم يكن أملاً منهم . ولكنهم
 كانوا منهوكة القوى بعد عناء ذلك اليوم . حتى قال هو نفسه « اما الروح فثقيط .
 واما الجسد فضعيف » . هذا هو يسوع الذي تتجه اليه . والذي يرى فيما الخير
 حين يسيء الآخرون فهمنا

ناموا طويلاً . وكان عليهم أن يبقوا ساهرين وهم يملون الخطر الذي كان
 يهدده في تلك الليلة . وكان هو أول من رآه . رآه من بعيد حين لمح الانوار
 الضئيلة ، وتسمع الاصوات الحشنة ، والشاب يركض في ثيابه البيضاء لتحذيره ،
 وجنود السنهدريم مقلين اليه من خلال الاشجار بمصابيح ومشاعل وعصي
 لم يقبض عليه الجلود الرومان لانه لم يكن ليلا ملس وحنوده شأن في هذا القصر .
 و بهذا تليده « حاء بجمع كثير وجند من عدد رؤساء الكهنة والقريسين » ...
 وهؤلاء هم الذين ألقوا القبض عليه . ولو كان ييلاطس قد بث مجنوده لكان لا

بدله ان يعرف سبب القبض أولاً . ولو كان جسد الرومان هم الذين أوثقوه لكانوا وضعوه تحت حراستهم واخفوه الى القسطنطيني الروماني ، ولما سلموه الى رؤساء الكهنة للحكم عليه . ولما ترى الذنب كله واقفاً على اليهود . والقانون الروماني لم يتعرض ليسوع الا بعد ان قلعه اليهود الى ملاط بيلاطس

« هذا الذي يسلمني قد اقرب ! » . لقد أحسن بهذا اختيار الساعة المناسبة . في منتصف الليل في بستان حنانيا ، في الوقت الذي كانت فيه الجماهير - التي ربما كانت تقتصر له - غارقة في النعاس . والتلاميذ انفسهم أخذوا على غرة وأحيطوا من كل جانب . والآن يتقدم الخائن بعد ان يزج القناع عن حقيقة نفسه . وربما لا نجد في رواية يهودا القديسة أشنع من قوله للجنود : « الذي اقبله هو هو . امسكوه وامضوا به بحرص » . يتقدم تحية ودية قائلاً : « السلام يا سيدا وقبله ! » وحرصاً على كرامة انسانيتنا البائسة عميل الى الاعتقاد ان حسننا العشري ان يمكن ان يتفعل الى هذا المترك . ولكن الخائن فعل فعله الشقاء لان « الشيطان دخله »

ولكن كرامة الانسانية لم يصنها أحد من الآخرين في ذلك الموقف . لان يسوع تقدم وأسلم نفسه اليهم قائلاً : « انتم تطلبون يسوع الناصري . انا هو . وليس لديكم أية شكاية ضد هؤلاء . فدعهم يذهبون »

ذهبوا ذهبوا ! ولو ان بطرس تهور فقطع أذن ملخص عدو رئيس الكهنة الا ان القصر قد تولاهم جميعاً . يا لها من قصة أليمة يكاد لا يصدقها الانسان : « فتركه التلاميذ كلهم وهربوا » !!



الفصل السادس

المحاكمة اليهودية

يسير في هيئة وحلال وقد وضع رجال علاظ من حرس الهيكل ،
إليهم على كتيفيه . وترى هل كان يسير معهم الخائف فحوراً بما
قال من ظفر ؟ أم هو قد صغته اليقظة فاحسَّ بجرمه وتسل ليخفي « بين اشجار
الحنة » كما فعل ابوانا الاولان ؟ وكان يسوع قد وضعه بظرة وقال له : « يهودا !
أقبلت لتسلم ابن الانسان ؟ » فهل تصرَّ في نفسه هذا سعي جهنم ؟
اقتادوا يسوع الى حنَّان اولاً ، وهو الرئيس السابق لكنية اليهود ، رجلاً
شيخاً ، جشعاً طامعاً ، قد أترى واسرته على حساب تدهور الهيكل وانحطاطه
— كما يقول التورود — وكان يسوع قد نعت الهيكل فقال عنه « متفارة لصوص »
وحان لي يسى هذا التهمك اللادع . ولم تكن هذه محكمة بالمعنى الصحيح بل جمعاً
غير رسمي من رجال يتشاورون معاً في انتظار جلسة السندريم عند الفجر . وهناك
في ظلمة الليل البهيم وقف امامهم يسوع بلا صديق ينشد له العدالة ، وهم يحاولون
ان ينزعوا منه قولاً يخذلونه أساس الاتهام . وطلق حنَّان يسأله عن تلاميذه وهم
تعليبه فاجابه يسوع : « ما حاجتك الى هذه الاسئلة ؟ انا كملت العالم علانية . انا
علت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع هؤلاء الشعيرون . طاسألهم ماذا
قلت انا »

وها أحس الرئيس اشيوخ انه قد أمتن فلم يكن مألوفاً أن يُخطب من أحد
بلهجة كهذه . فأسرع أحد رجال المحكمة واعلم السبعين على خدته قائلاً : « اهكفنا
تجلبوب رئيس الكهنة ؟ » . وان المرء ليذكرها شهداً مماثلاً لهذا في محاكمة بولس
الرسول عند ما أمر رئيس الكهنة رجاله ان يضربوه على فقه فاستشاط بولس واحد

وقال « ليصرك الله ايها الخائن للبيص ! » أما هذا فليس بولس . هي كرامة موقرة ، وهو هادي ، يحبه يسوع : « ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي . وان حسناً فلماذا تضربني ؟ » وفي هذا التحقيق السري لم يفوزوا بباطل . فقال حنان : « خذوه الى قيافا وجلس السهرديم للحكم عليه — وهنا رى ايضاً موقف الحرمان من العدالة والاعصاب . فان قيافا هذا « هو الذي اشار على اليهود انه خير ان يموت انسان واحد عن الشعب » كما يقول البشير يوحنا

نزّل يسوع على الدرجات محموراً الى القنا حيث كان رجال الجند والخدم يتسارعون . ووقع في ذلك القنا المكشوف مأساة لواحد من تلاميذه . لان بطرس ويوحنا قد خجلا من هر بهما فادا محاذرين الى دار حنان ليريا ما سيحدث . وكان يوحنا معروفاً للخدم هناك ، ربما سبب اشتغاله بتجارة السك من قبل ، فأدخل معه . ولكن البوابة الحاذقة لحظت بطرس عند الباب فانتدته : « أأنت انت ايضاً من تلاميذ هذا الانسان ؟ » واذا فوحى . بطرس بهذا السؤال اجاب كذباً : « لا . لست انا » ولكن البوابة لم تكف بهذا فاختت تهمه بذلك وهو مندفع ليخفي نفسه بين الجمع الواقف عند النار يصطلي . وتظاهر هناك كأنه احد للمصلين . اما البوابة فلم تدعه لحال سبيله وقال الماخررون : « أنت منهم لانك حليبي ولنتك تشبه لثهم » فاجاب بطرس محتداً : « لست انا ، ولا اعرف ماذا تقولون ! »

وهناك حدثت معاجزة أشد هولاً . فان احدهم ، وكان قريباً للمخس عبد رئيس الكهنة الذي قطع بطرس اذنه ، أحد يصرخ فيه ملياً وقال له :
- « ألم أراك في البستان معه ؟ »

وقديماً ، وهو سد صياد ، كان محتسلاً ان يحلف بطرس كفيوه ، والآن في رعبه وحله قد تملكته هذه المادة القديمة فاخذ يلحن ويحلف : « لست أعرف هذا الرجل ! »

ولكن هذه الكلمات تجمد بين شفثيه . وقبل ان يصبث الى الوراء أحس انه

قد سمع . وذلك لانه في تلك اللحظة عينها كان يسوع ماراً من القاء الى دار مجلس السندريم . وسمع ذلك يصيح خارجاً صيحة العجز : « قاتلت السيد ونظر الى بطرس .. وخرج بطرس وبكى بكاء مراراً — والآن يواجه يسوع تحقيقاً أوسع نطاقاً . فيجتمع مجلس السندريم في غرفة المشورة داخل حدود الهيكل ويرأس المجلس قيافا رئيس الكهنة

وقد صنعت المحادثات الضخمة عن مجلس السندريم هذا واحكامه الانسانية العادة واحراً أنه الضامنة للعدالة يوم كان بيده الحياة والوئ . واستنبت الكتاب للسيحيون منها ان محاكمة يسوع لم تغير حسب مدن العدالة للألفة في ذلك المجلس . وعلى قيس ذلك اتخذها اللحدون تكأة جرحاً لها صدق روايات الانجيل زعماً مهم انه لا يقل ان يخرج مجلس قضاء كندا عن نظمه القانونية ويتل رواية هرية في قالب محاكمة جدية . وحقيقة الموقف ان محاكمة يسوع امام السندريم لم تكن محاكمة جنائية بل كانت اشته تحقيق قام به محققون لاعداد عريضة الدعوة أو ورقة الاتهام وتقدمها للمحكمة الرومانية . وفي ذلك الزمن لم يكن للسندريم سلطة الحكم بالحياة أو الموت . ويقول الكتاب التأخرون في القانون الروماني - خصوصاً بعد اكتشاف آثار البردي في لوكيرنخس - انه لم يكن جائزاً قانوناً في ذلك العصر ان يُحكم على أي شخص في ولاية رومانية حكماً يمس حياته إلا أمام السلطة الرومانية المختصة

فكانت محاكمة قيافا اذن اشته «بهينة محفلين» بعدون عريضة الاتهام للتلتمها الى المحكمة الرومانية . وكان عليهم أن يقدموا تهمة تال رضى من يلاطس . فالتدنيات على انكته ، وكسروم السبت ، والعصيان ضد السلطة السياسية ، واخراج الشياطين — كل هذه مبررة وسخرية اذا رُفعت امام القضاء الروماني فكانوا في حرج من أمرهم . وكان اقوى ما استطاعوا ان يقيسوا عليه من اتهامات حتى بالشهود الزور انه هددهم بهدم الهيكل . وكان يسوع قد قال شيئاً من هذا ، وربما كان سائماً ان يستخلصوا منه نية ثورية يديرها يلاطس ادناً صاعية وكان قد اخرج

مركزه مرة مع السلطات الدنيا بسبب تعديلات صد الميكل اليهودي . ولكن هذه ليست تهمة قومية . أفلا يتكلم أن يستخلصوا من السجن نفسه تهماً يقيمونها عليه أمام الوالي

أما يسوع فما افكك هادئاً ، لا يحتاج شيء ، ولا يقول شيئاً . وهذا الصمت قد اقصيهم ففهم رئيس الكهنة في غيب وحق قائلاً . «أما تحيب بشي' . ماذا يشهد به هذان عليك ؟» اما يسوع فكان ساكناً . والظلم ان قياها الفاضح بدأ يشعر بخرج الموقف . وربما كان في سؤاله التالي شيء من الخوف والرهبة : « استحققت بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله ؟ »

فاجاب يسوع : « انا هو . يوماً ما ستبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وأتياً على سحب انساء » فرق حينئذ رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : « ما حاجتنا به الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه . ما رأيكم ؟ فالجميع حكموا عليه انه مستوجب اللوث »

وهذا انتهى التحقيق . ولم تكن هذه التهمة باقة درجة قصوى في قوتها ولكمهم لم يظفروا بأحسن منها . ولم يكن التعديف تهمة شنيعة امام المحكمة الرومانية وان كان تهمة على أية حال . لان الحكومة الرومانية الرشيدة كانت قد اصدرت تعليماتها الى بيلاطس ان يلتمز جانب الحرم والحظر في المسائل الخطيرة المتعلقة بدين اليهود . وكلمة «انا الـسيا» قد تنطوي على شيء كثير من سوء الظنة لان الحكومة كانت قد ذافت للتلعب من قبل على ايدي للسعاة الكاذبة

وبلنئذ حدث حادث شنيع رهيب تيج اذواقنا ذكره . فان ساحة المحكمة اقلبت فوضى بفعل الدعاة الذين أخذوا يسخرون بالسجين « وانتأ قوم يصفون عليه وينظرون وجهه ويلكونه ويقولون له تبا لنا ايها المسيح من صربك . وكان الخدام يلطمونه »

* * *

رأى قياها والمجلس كل هذا وظلوا صامتين . وربما رآه ايساً يوسف الرامي

ونيقوديموس ولم يقدرا ان يفعلوا شيئاً . وارجح أن يهوذا الاسخريوطي رآه ايضاً
 ضمن حنونه . لان هذا هو الوقت الوحيد الذي تنطلق عليه حاكه حين قيل عنه
 « حينئذ لما رأى يهوذا الذي اسلمه انه قد دين ندم »

واذ يتقدم الوكب الى دار بيلاطس ، والسجين للوقت في الوسط ، ألحق اساناً
 محمولاً ضائع العقل ، شاحباً زائغ العينين ، شعناً منكوش الشعر ، أواه يلزع حنط
 الهيكل ويتصاحج محتدأ في وجوه الكهنة وهو يقضي دوائه الثلاثين على ارض الهيكل
 عند اقدامهم . ها قد أمسك الضمير بتلايب الخائن الاثم واخذت نفسه تتلوى في
 سمير جهنم . واد يدغمه الجند باحتقار خارج ابواب الهيكل أراه يهرول مسرعاً
 كمن به مس من الجنون ، ويركض هائماً في طرقات المدينة اللوحشة الى حقل
 القهقري الحرب

« يا الله ! قبلة الخائن قد قبلته ! ظننت انهم لا يدينونه . ورعت ان الشعب
 ينقله من أيديهم بل ظننت انه يتخذ نفسه بنصه . لقد اضلأت ! سلت دماً
 بريئاً ! ستة بثلاثين من الفضة ! وها قد طرحتها عند اقدامهم فلم يسأوا شيئاً .
 وليس أحد يبأ الآن شيئاً إلا يسوع — الذي سقته الى الموت . قد عرف اني
 سأحونه ومع ذلك خاطر بحياته وقربني اليه . وقبلته قبلة الخائن ! »

ثم كانت الحاتمة : مضى وخلق فيه ! الصل الوحيد اللائق في هذه للأساة
 الشنيعة !

كلان ممكناً ان يفعل افضل من هذا . أجل ، كان في وسعه ان يحاطر
 في ثورته الجنونية لاقتاده وهو سائر في طريق الجليظة ويموت في هذا السبيل
 عطشنة خنجر روماني . بل كان في وسعه ان يطرح نفسه عند قدمي الصليب
 ليفضل به يسوع ما يشاء . نعم . كان في وسعه أن يفعل خيراً مما فعل . والاشجار في
 حد ذاته جريئة . ولكن كلان ممكناً ان يفعل اسوأ مما فعل كان ممكناً ان
 يحب ويثالب خطيته وينال الخطوة لئى الكهنة ويقنع نفسه بانه قد أدى خدمة
 للدين والوطن كان ممكناً ان يحفظ بدوائه الثلاثين ويسبها ويزداد حتى

وشحماً وكرامة . ولأنه لم يفضل هذا، ولأنه أحس في نفسه أنه غير جدير بالحياة،
 لا يسعنا إلا أن نشفق عليه قليلاً، ولعل الله أيمناً يشفق عليه بعض الاشفاق
 حازيهوتا من « باب الحياة » إلى العالم الآخر . ذهب إلى مكانه . ونحن
 علم أن حظيته تهلك أي انسان . اما إن كان في فوسا شيء من حسن الرضاء
 له، فذلك ليس راحاً إلى شخصه واحلافه بل إلى شيء ما تؤمن به في طبيعة المسيح



الفصل السابع

المحكمة الرومانية ١

نظر بيالي الآن قصة صديق قديم لم يكن يلد له في ليام دراسته الا موضوعان هما : « اصل من عايش من البشر » و « لسوا من دب » على الارض . فكأنه لم يعرف للاشياء الا لونين هما الالبص والاسود ويميل الكاثولون الى هذه الناحية عند سردهم وقائع قصة حياة يسوع . والتاريخ الصالح الحق لا يكتب بهذه الروح . وليس يوجد في الاحبار البشري من يصح اعتباره اسود صرفاً ومحضاً . كما انه لا يوجد من يصح اعتباره ابيض صرفاً ومحضاً — الا واحد وكان لبيلاطس الوالي الروماني سوات ظاهرة بدت عند محاكمة يسوع وكان اكثرها ظهوراً رعبه وفرجه من الامبراطور الروماني الحاسد الثيور . ولكن بيلاطس كان قاضياً عادلاً ، واكثر من ذلك أظهر عطفه وميله نحو الاسير اللائل بين يديه ، وحاول اتقائه من برائن المشتكين عليه

وكان مجيء يهوذا الى الكهنة ورؤساء الشعب والكهنة قد قطع عليهم ميل تفكيرهم للايقاع بفرعهم . ولكن عند اذ خرجوا في حل الى ساحة الوالي الروماني نسوا هذه الحادثة . وعرفوا ان المحاكمة الرومانية هي الكيفية بالقضاء على سجنهم والآن بلنا الساعة السابعة في الصباح وبعد التهيؤات الاولى حج الوالي الروماني ساحة القضاء ، فشرخاة انا في وسط جديد ، وسط هادي تعلوه الكهانة وقلمية القضاء . وكانت المدلة متوقفة دائماً في ساحة القضاء الروماني الا اذا تداخلت عناصر أخرى . وكان من عاتقهم رعاية صوامع المتهم والحرس على كافة حقوقه . وقد أجمع على ذلك سائر كتف وشرائح القانون الروماني . وفي محاكمة بولس الرسول — التي جاءت بعدئذ — نرى فتوس يضع اللدا العام في التحقيقات

الرومانية قوله : « . . . يوجد رجل تركه فيلكس أسيراً . وعرض لي عنه رؤساء الكهنة ومشايخ اليهود . . . طالبين حكماً عليه . فاجبتهم ان ليس للرومانيين عادة ان يسلموا احداً للموت قبل ان يكون للشكوى عليه مواجهة مع المشتكين فيحصل على فرصة للاحتجاج عن الشكوى » . وقد كان هذا المبدأ العادل من اصول الاجراءات الرومانية . ولما لا يصح ان نسلم اعتباطاً بما يثيره بعضهم من التهم حول ظلم وعدم شرعية المحاكمة امام بيلاطس ولو تبسنا وقائع المحاكمة كما سردها الشيرون واستنصنا على ذلك بنظام الاجراءات القانونية الرومانية التي كانت مرعية في محاكم الولايات الخاضعة لرومية استطعنا ان نخرج بالوصف الآتي .



كان للشهد في الهواء العلق ، في السراء ، في دناء قصر بيلاطس . وهناك نرى الوالي جالساً على كرسي الدبونة ، متيقظاً ، تلوح عليه امارات الخندي القاب للتسلط . يكره اولئك اليهود للمدين الذين اقاموا المصايب في طريقه اكثر من مرة ويحشى بأسهم . وكروماني يزدرى بمصيبتهم اللبني وافكارهم الصيقة . ولكن لديه من رومية تعليلات شديدة تحظر عليه التحكك بهم واتارة عواطفهم بدون داع ولم يكن في القانون الروماني اتهام عام « نيانة عمومية » بل كان على الافراد اقامة الدعوى لتحريك القانون . ولما يمثل امامه مندوو مجمع السهلديم اليهودي كدعوى لاقامة التهمة ، وبعث القاضي الاجراءات بالاسئلة العادية قائلاً :

« أية شكاية تقدمون على هذا الانسان ؟ »

وقد قيل ان نص هذا السؤال يدل على انه لم يكن يعرف شيئاً عن يسوع وهذا استنتاج غير محتمل . وعلى أية حال فان هذا السؤال لا يدل على شيء ما . وهو السؤال العادي لانتهاج اجراءات المحاكمة . ولما فهم معنى للجواب الوقح الذي أجاب به اليهود . « لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلطنا اليك » والظاهر انهم احصوا بصفت اتهمهم فلادوا اكتساب الوقت . ولكن بيلاطس يومهم قائلاً :

— « اذا لم يكن لديكم تهمة خطيرة لاثامتها امام المحكمة . وكانت المسألة في اختصاص عاداتكم القومية . خذوه اتم واحكموا عليه »
 فيجيئونه : « لا يجوز لنا ان نقتل احداً » وانظر من هذا الكلام انهم
 يقيمون صلة تهمة خطيرة . ولكن بيلاطس يصر على بيان تهمة معينة ربما بالكتابة
 وهذا ما يدونه لنا البشير لوقا : —

« وجدا هذا الانسان (١) يمسد الامة (٢) يمنع ان تعطى جزية لقيصر
 (٣) قائلاً أنه هو مسيح ملك »

والتهمة الاولى غامضة والراجح انهم يتوقفون مروراً دون أن يلاحظوا احد .
 أما التهمة الثانية فظاهر كذبها لان يسوع قال قبيض ذلك . واما التهمة الثالثة
 فهي تهمة خطيرة بحسب قانون يولييان في خيانة الدولة . وكان لزاماً على بيلاطس
 ان يعحصها جيداً

وبحسب عادة المحكمة يطلب الى المتهم ان يدافع عن نفسه فيأله : « أمذنب
 انت ام غير مذنب ؟ آأنت ملك اليهود ؟ » ويرى يسوع غموض هذا السؤال
 فيجيبه : « أس ذاتك تقول هذا أم آآخرون قالوا لك عني ؟ هل نسأل عن دعواي
 الملكية في عرفك انت ؟ أم تشير الى تقارير اليهود عن ادعائي بأنني السيد ؟ »

فيجيب بيلاطس هزئاً ساحراً : « أألمي انا يهودي ؟ أنتك وروساء الكهنة
 اسلموك الي . ماذا فعلت ؟ آأنت ملك ؟ »

« أحب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم
 لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتي من هاهنا
 ولكن بيلاطس يطلب جواباً صريحاً فيقول « مملكتي ؟ آأأنت اذاً ملك ؟ »
 — سم انا ملك املك الجاهدين الساعين وراء الحق وكل من هو من

الحق يسمع صوتي »

وهنا يتكلم الماعل الروماني قائلاً : « الحق ! ومن ذا الذي يستطيع ان يقول
 الحق ؟ ما هو الحق ؟ »

ولكن الظاهر انه استنتج من هذه الاستلة ان للسيا المائل امامه لا يفكر في أية خطة عنيفة ضد رومية . فوجه الى المتحدث مع اللذين الذين جاءوا اليه بهذا التهم ويصرحهم القول : « لست اجد علة في هذا الانسان ولا أرى سبباً حقيقياً لاتهامه تهمة الخيانة » . وهذا القول في النظم المادي هو النطق بحكم البراءة وكان منتظراً ان تنهي المحاكمة عند هذا الحد فكان ييلاطس اراد ان يقول لليهود : ان هذا الانسان ولو انه يدعي حقيقة بانه السيا ولا ينكر انه ملك ، ولو ان اتباعه واناء حلدته يؤولون هذا القول بمثابة عصيان ضد السلطة الرومانية . الا انه — اي ييلاطس — يعتقد انهم حاطثون في هذا الزعم . وان دية يسوع لا تعطوي على أي عصيان أو تترد ضد الامبراطورية . وقد يحفل اعتباره مذنباً من الوجهة القسرية القانونية ولكنه في الحقيقة يرى من تهمة الخيانة عدداً—هذا ما لواء ييلاطس حتى لا يشدد اللصون في تأييد التهمة

ولكنهم لم يرحعوا وشددوا التكبر . واحذوا اعتراف يسوع وما يعتقد فيه اتباعه وانصاره حريمة تقع تحت طائل عقوبات قانون خيانة الامبراطورية الذي سنه الامبراطور يوليان . وهم قد عرفوا ان في وسعهم نيل عرضهم من التشديد على هذه التاحية ولزهاب ييلاطس بسلطة الامبراطور فأخذوا يتصايحون : « من يجعل نفسه ملكاً فهو معاند قيصر »

وانه لما ان يقول هنا انه كان واحباً على ييلاطس ان يتجاهلهم . ولكن هذا التصرف يتطلب شجاعة . وقد عرف ان أخوف ما تخافه الحكومة الرومانية قيام اية دعاية من السيا في فلسطين . وهي دعاية كلفتهم كثيراً من قبل . ورأى يعني فكره مآل الامر لو دُفعت هذه القضية امام طيباريوس قيصر الذي لم يكن ييلاطس من محاسبيه . ويتلخص الموقف الآن في ان هذا الانسان قد اعترف علناً امام منصة القضاء انه السيا . وامامنا ايضاً دليل صريح بان الشعب اليهودي واتباعه احذوا هذا بمثابة ثورة وعصيان . والى جانب هذا الاعتراف وذلك التليل نرى رأي ييلاطس الشخصي بان التهم نفسه لم يقصد حقيقة ما فهم منه اتباعه وشعبه .

واستناداً على هذا الرأي الشخصي أراد أن يطلقه حراً. والواقع ان بيلاطس كان في مركز حرج فقد كان يمكناً ارغامه على الطق بحكم الموت صد رأيه وعقيدته لارتكابه على اسانيد قانونية قنية

* * *

والآن نرى انفساً أمام حادثة روائية صغيرة في الحكاية. رى القلام المحاسب ييجي برسالة من روجة الحاكم تقول . « اياك وهذا الدار لاني تأملت اليوم كثيراً في حلم من اجله » وكانت الاحلام والند ترعب اند الرومانيس شجاعة وأساساً . وقد فشل يوليوس قيصر لانه اهل حلم « كالبو رينا » ولذا لم تحصل هذه الرسالة الى بيلاطس شيئاً من راحة البال

وكان يتسمع التصايج حوله « يهيج الشعب مبتدئاً من الجليل » وفي حيرته يلتقط كلمة « الجليل » ويقول: « هل الرجل خطي ؟ في دائرة اختصاص هيرودس ؟ هل يمكن ان ألقى تبعة الامر على هيرودس وهو الآن في أورشليم ؟ »

وهكذا يرسله الى هيرودس لعل ذلك الوالي الجليلي يهتم بأمر النبي المخطي ويصدر قراراً في شأنه . وكان ذلك اليهودي السجور للذكر الحكم من ان يقع في هذه الاحبولة . ولم يرض ان يرح نفسه في قصة من اقصية الحياة . وحار في امره امام موقف السجين ورفضه قفوه . لان يسوع لم يفتح فاه امام جلاد الصندان . فأرسله هيرودس ورجاله دون ان يقولوا شيئاً بعد ان البسوه ثوباً لرجوانياً قديماً ازدهاء للملكية الفترعة . وامام هذا لم يجد بيلاطس لنفسه منفذاً

وفي فترة الانتظار تعاقب الامر خطورة . وكان الكهنة يهيجون الشعب . فاخذ بيلاطس يصف ويصفد توازنه . وفي لحظة من لحظات صمعه يلجأ للشعب ويقول لهم : « لكم عادة ان اطلق لكم كل عيد مسجوناً . فهل تريدون ان اطلق لكم يسوع الناصري ؟ » فتأني صرحات الشعب « كلا . ليس هذا . اطلق لنا باراباس ا باراباس ! باراباس ! »

لماذا باراباس هذا ؟ لانه كان سجيناً سياسياً ألقى في السجن لفتنة حدثت في

للدينة. ولو انه كان مشاغباً مشاكساً الا ان شجاعته قد حملته على القيام ضد رومية وكانت مواطف النوعاء تميل الى كل انسان تحبته نفسه بالانتقام على الحكومة. وكانت تهمة يسوع الحقيقية في طرم انه لم يثر الفتنة التي توقعوها هم بحسب رعائب قوسهم. وربما عرف بيلاطس ذلك في دخيلة نفسه

وهكذا تعود اليه تهمة تقرير مسير هذا الانسان. وهنا يتردد. والتردد هو للهواة التي يهوي اليها الخائر. وها قد بدأ جنوده يشعرون شيء من الخجل امام هذا الاحجام، وراموا ان يسموا قراراً عسكرياً فاصلاً ليخلوا ساحة القضاء الرومانية من جوع الرماع التي نذقت اليها. كان عليه ان يفصل في الامر ولم تتوفر لديه الشجاعة ليقول كلمة الشجاع. وفي حيرته يردد السؤال الذي كان يحالجه نفسه المائرة منذ الصباح: «ماذا تريدون ان افعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟» اما النوعاء قد عرفوا ماذا يريدون به. فصالت اصواتهم المائجة «اصبله!» وم لم تخامر انفسهم الافكار التي اضطرت لها فوس بيلاطس. لان ذلك الاسير الصامت قد غد بمؤثراته الى قلبه تكلم معه وتحدث اليه. وحار في أمره حتى لم يدرك ماذا يفعل به. وأحس انه لم ير انساناً مثله من قبل. وكأنه رأى في تينك الصيغتين المتلاذبتين سراً لم يستطع فهمه، سراً يجذبه الى كل ما هو جميل ورفيع. وفي الوقت نفسه يحيطه بسحب من الرهبة والاسرار الغريبة. ثم ان حلم روحه القريب يوقظ في نفسه شعور الحوف الخرافي

• • •

أصله | أصله |

يبحث بيلاطس وتحتاج نفسه: لا اصبله! ولكن لأؤدبه وأطلقه!
يصدر الامر الى غرفة الخرس: وفوراً يؤخذ السجين المصني، وتقطع ثيابه ويلقى على سارية التأديب. وهناك تسيل منه الدماء، وتنفض منه القرائص، تحت لثغات الجلاد الاليمية الكلاوية. وليس شك انه اجتمع في قشلاق الزوالي في صباح ذلك اليوم نهاية الجندية الرومانية. ومن عيهم تقاطعه اختسهم ان يلعبوا

مع ذلك الانسان المذبذذب الصامت دور الزراع البارد والصمكة السبعة ! صعدوا
أكليلاً من الشوك ووضعوه على جبهته . علقوا ثوب هيرودس الارحواني مرة
اخرى على كفتيه الدامييتين . وضوا قصبه في يده اليمنى وهزأوا به قائلين : السلام
يا ملك اليهود !

وفي ذلك الوقت كان بيلاطس (وربما سهل ما فعله عسكريه) يقوم بتجربة
اخيرة مستجدياً صلف الشعب . فأمر السجين بالخروج امامهم : « فخرج يسوع
خارجاً وهو حامل أكليل الشوك وثوب الارحوان . فقال لهم بيلاطس : هوذا
الانسان ! »

هل شهدت برهة من الزمن كهذه من قبل ؟ مسيح الله الابرار الظاهر ، الذي
جاء ليوت لاجل الانسان ، يقف في كرامة صابرة ورضة هادئة ، واللهم يسبل من
حسده ، وبه يهزأ اسحق خلقاته . ألم يكن في قلوبهم ذرة من الاشتياق ؟ وهل
« دخلهم الشيطان » ايضاً ؟

« اصله ! اصله ! »

يقف بيلاطس مراقباً ، متجبجاً ، حائراً . وتناوده محلوفه انثرافية عند ما برن
في اذنيه صوت عال يدوي في فضاء الساحة :

« يجب ان يموت لانه حل قسه ابن الله »

ابن الله ! « فلما سمع بيلاطس هذا القول ارتداد خوفاً . ودخل ايضاً الى دار
الولاية . وقال ليسوع من اين انت ؟ واما يسوع فلم يعطه جواباً « لانه لم يند
منسحق من الوقت للاجابة

وهذا الصمت يصاعف في محاوره . فيسأله قائلاً : « أما تكلمني ؟ ألسنتك تعلم
ان لي سلطاناً ان اصليك وسلطاناً ان اطلقك ؟ »

وكرنيس يتعطف على مرؤوسه ، وكقاضٍ يشل المجرم بنظرة من عطفه
وتسامحه ، يحبيه السبيح : « لم يكن لك هي سلطان البتة . لو لم تكن قد أعطيت
من فوق . ومع سوء ضلك . فان الذي اسلمي اليك له خطية اعظم »

وترى ماذا يعمل الآن ييلاطس يسوع هذا الذي يدعى المسيح ؟ يريد ان
 ينفذ الى جانبه . وصميره بحقه على ذلك . ولكن امام عينيه طيار يوس ذلك
 الشيخ المجور القاسي الذي تاور نفسه الاضطرابات ونجوم حوله الشكوك
 والشبهات . ويدرك خطورة التهديد الذي يندره به اليهود في قولهم : « ان اطلقت
 هذا فقلت محمداً قيصراً » . والآن ماذا يفعل ؟ عليه على الاقل ان يضمن كسوف
 وجهه ويقتي التهمة على مثيري الشكوى : « ظننا رأى ييلاطس انه لا ينفع شيء .
 بل بالهري يحدث شغب . اخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً اني بري من دم
 هذا البشر . ابصروا اتم . فاجاب جميع الشعب وقالوا له دمه علينا وعلى اولادنا ! »

* * *

والآن يكفي . نحن نعلم ختام الامر كله . نعلم كيف استسلم ذلك الجبان
 للسكين ، وعينا يسوع تغمض عليه في هذه الازمة وهو يقتي سلاح الجهاد من
 يديه . « ثم اسلمه اليهم ليصلب »

هذا ما فعله ييلاطس يسوع الذي يدعى المسيح . وبسبب هذا العمل
 الخسيس السافل اشتهر اسمه في الأفاق في حصة من الزمن امتدت الى ألقى سنة
 حينما يُنطق قانون الايمان للمسيحي : « تألم على عهد ييلاطس البنطي »



الفصل الثامن

الجلجلة

... وضعوه طائفاً دون ان يدي أية مقاومة على حشبة الصليب الحشنة السوداء. ودقوا بي يديه ورجليه للسامير القشمية القاسية. ثم رُفِع الصليب وُسب في ثمرته المنوعة في الارض. وفي هذه المرات المنيرة تشرق اعصاب وعصلات للطق عليه. وهو في هذه الآلام للبرحة ينظر بينيه الى اللدبة الجيلة التي حكبت عليه هنا الموت. والجنود صعد قدميه يقنون قرعة على ثيابه. والكهنة يشتمون بهذا الظفر القاسي. والشعب يصرخ على هذا المنظر للريح. وكأن العالم وقف امامه بسيرة ممطرة. . . العالم الذي يموت لأجله أما «العالم لم يعرفه» وسيأتي يوم فيه يعرف معنى هذا. وفي مدى الأحيال الطويلة المتعاقبة صارت تلك الحشبة السوداء للريمة شعاراً لآئيل الأفكار التي لامست البشرية وعنواناً للصعبة التي بذلها الله لأجل الانسان، بد ان كانت اداة الخجل والعار والامتهان الذي لا يوصف

وقعت المروع تشهد هذا المنظر. ومن العدالة ان نقول بان تلك الجماهير لم تكن كلها معادية ليعسوع. وليست البشرية سيئة على اطلاقها. لان للسبح وثق فينا وحسبنا أهلاً لهذه الصعبة. ولو كنا في حالة السوء الشاهية التي نسورها ألسنا لما كنا أهلاً لهذا الخلاص. وبما يقال لنا انه يصعب على الانسان ان يثق في غرائز الانسانية وميوها الطيبة، وان الجمهور الذي هتف قائلاً «أوصنا!» في موكب أحد السف هو الجمهور عينه الذي صرخ بعد أيام قلائل «اصليه اصليه!» هذا ما يقال ولكن لا تصدقه! «ان عونا» أو رسل للصعبة للسوقة بإسار رؤساء الكهنة لا تمثل قلب الجماهير الكبيرة التي وان لم تكن قد أثبتت للسبح قد أعجبت به

وحملت عنه ولم ترد ان يلقي عليه القريسيون الأثمة . لان الله هوذا قوياً
 على قلب الانسانية . وقد كانت عند الصليب جماهير أسيفة كالسنة الببال قادمة من
 الجليل . جماهير تذكرت يومئذ أيام كفرناحوم القديمة البريرة ، جماهير من الثراء
 أكثر فيهم هذا النظر أنبل عوامل التفكير ، وقائد مئة روماني حسه ابن الله ، وسات
 أورشليم القواني كن يمين ويندبن عليه ، وجعلت كانت قرع الصدور وهي
 قافلة ، واتباع لوفياء قد انكسرت قلوبهم . . . لم يكن يسوع وحيداً متروكاً
 في آلامه

ولكن ذلك الجمهور الواقف امام الجديعة والذي يمشي العالم بصورة مصغرة لم
 يحل من اعداء الداء . ورى المشيرين في مرارة قلوبهم قد خصوا هذا النفر للعادي
 بالذكر . كان هناك شامتون هازنون مرت في قلوبهم عوامل الانتقام لان عدوهم
 قد لقي النصيب الذي يستحقه . ولم يحل الكهنة والقريسيون وشيوخ اليهود من
 مشاركة التوبة في قولهم : «ان سكنت ابن الله فازل من على الصليب لينزل
 المسيح ملك اسرائيل فؤمن به اخلص آخرين اما نسه فلم يقدر ان يخلصها . . .
 والمسيح يسمع كل هذا . ويعرف كل هذا . ونسه لم يرد ان يخلصها ولا
 يبني ان يخلصها . ولكن قلبه يضرب لأجل أولئك الهازنين الشامتين . فهو لا
 يفكر في نسه وفي آلامه الريمة . ولكن يهكر فيهم وفي انحطاطهم ومذلتهم
 وخطيئتهم . وأخيراً يخرج عن صوته ويتحول عن إثم الهازنين ، الى الآب العظيم
 الذي خلقهم ويقول :

«يا ابتاه اغفر لهم . لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون !»

هوذا اعلان صريح لقلب الله ! هو عظيم للدرجة يحتمل معها هذه الالهاتات
 العظيمة . بل هو لا يغضب ولا يحقد عليهم ، انما يضرب لآلهم حساباً اياهم انهم
 يظفرون مظهر أسوأ من حقيقتهم

ويصغني ان تفكر - ايها القاري الكريم - في قلب يسوع المطوف
 للآثام . القلب الذي لا يفر قط . ولا يسلي قط . انما يلتمس العذرة ايضاً لصابيه

و ينطق حساً فيهم . لم يكن فيهم شيء من الخير ولكن يسوع تلبس هذا
الخير فيهم تلبس فيهم الجبل وعدم الرؤية بما يعملون حسب هذا عدراً لم .
ولم عرفوا لما فعلوا . فاعصر لهم أيها الآب !!

• وسئل كنّا امام كرسي المسيح . وهذا يذكرنا بالوقوف الذي اتخذه يسوع
عندئذ : « تؤمن بانك ستأتي لتكون دباناً »

ولا شك ان الصالحين الشامتين لم يسمعه . وفي وسط الجلبة والصوضاء
والصجيج لم يسمع هذا الكلام الا الاقربين من الصليب

سمعه واحد هؤلاء الذمير والرهبة . والظاهر ان هذه العبرة لا مست وترآ صامتاً
في نفسه ربما لم تحسه مرة ما منذ نومة انطافوه . وكان مصلوباً مع يسوع لسان
الواحد عن اليمين والآخر عن اليسار . وقد اشترك كلاهما في ماديء الأثر في الاستهزاء
بالمسيح . « ان كنت أمت اليسا فخلص نفسك وليانا » . والآن قد بدأ الصمت يستولي
على أحدهما . أراد عابساً متجهماً عنيداً ينظر مكشراً نحو جمهور النظارة . مهمكاً في
آلامه فلا يصكر في غيره . وبعد لحظة تحسه عزة نفس زميله الصامتة الناعلة وتغلبه
مضاطيسية يسوع . فيشعر بحجل في نفسه وحجل من الجمهور التدل الجبان الذي
يسخر بانسان عاجز لا يحسد له

يتكلم يسوع خفيف أتهام ذلك اللص ليتسمع ، لا صرعات الألم ولا لسان
اليأس التي تنهال على النفس في مثل هذا الموقف . « لا يعملون ماذا يفعلون . فاشقر
لم أيها الآب » . وههنا مسرحية حادثة! تغير ذلك اللص في لحظة . وأسرته بنته جبال
صغائر يسوع ، وفصل به ما عجزت عنه القوانين والشرائع طيلة السنين . وأيقظ في
نفسه روح التوبة للصالح والأسف على الماضي وأشرق عليه فجر ماضي جديدة
حياة . واستولى عليه شعور الرهبة والبهش امام اليسا للصليب

أما الزميل الآخر فيشترك في السخرية والازدراء . كيف لا وامله التودج ...
كهبة بلعاهم البيضاء وكتابة متطوون وأجبار موقرون . فهل كثير عليه ان يحضني

مثال هؤلاء الزعماء ؟ ولكن الزميل الآخر العابس المتجهم لم يعلق على ذلك صبراً
فاتهمه قائلاً : «أولاً تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم منه . أما نحن فنبذل
لأننا نتال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله !»
ما أعظم للمكثات في النفس البائسة التي يلبسها جمال المسيح ! وقاز ونوبة
وانضاع، ثم بزوغ غريزة اللايمان عريية ، والافتناع بأن هذا المصلوب ليس انساناً
عادياً - وها هو الآن يحمر ويصف في نزع اللوث . وشبح اللوث يقترب محم
فتساعد من قلبه المضطرب الحائر صرخة يائسة : «يا يسوع - اذكرني متى حثت
في ملكوتك !»

وهنا انجبه قلب يسوع الكبير الى تلك النفس البائسة وهي بأكورة ثمار موته
لأجل الناس . ولم يكن في مقنونه ان يحول رأسه محم . وشفتاه للتتهبتن لم تقويا
على النطق . ولكن هنا رى حلال لللك - حلال المسيح الثالث - في احابة هذا
النساء : «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس !»
وهكذا غفر ذلك اللص بالضررة والسلام ووعد الحياة الأبدية بعد اللوث .
وكأنني يسوع يقول له : «الليلة وأحسادنا للآمنة مطقة على الصليب سلتني معاً في
عالم الراحلين ونفوس الواحد الآخر كالشخصين اللذين علقا على الصليب في هذا
الصباح» وبعد ثلاث ساعات من هذا القول جاز رب العالم الى ديار المجد لينتظر
القص الثالث ا

* * *

خرج للمسيح عن صسته مرتين . في المرة الاولى ككاهن - لم يعهد البشر
لساحته مثيلاً من قبل - يقشع لاجل الذين امسكوا بأيديهم معاول قتله وتعذبه .
وفي المرة الثانية كذلك يطلق بالاعامات الملكية الكريمة وبعد اللص الثاني صديقاً
في ملكوته . والآن نسمعه يتكلم للمرة الثالثة - ليس ككاهن ولا كذلك - بل
كإنسان بشري يتحدث في ساعة موته مع أمه وصديقه موكللاً اليها التكليف
البشرية الواجبة . . .

وكانت عندئذ قد اشتدت ألمرة الظهيرة . وقضى للصلوب ثلاث ساعات ممدداً . وختت حفاف الجمهير . وملّ الناس هذا المنظر وانحسروا يشعشعون فوق التلال . وصعد الصليب وقف الجند في الحر للذبح وقادهم ممتطياً جواده كمثل منصوب . ولم يلمس الجند النفر القليل الواقف من الاقتراب في النهاية ليقنوا نظرة الوداع على صديقهم الثالث

«وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه واصداقؤها الاخريات . ولم يكن بها في القاط السخرية والازدراء التي انتهت على الصلوب . ولا انهجت عينها الى أحبار اليهود وهم يمدون امامها في مناظر الالهة . لاتها الام وليس لها من عراء الآن الا ان تقرب ابيه ولو انه لا يمكنها ان تسمح جبهة او تبعد شفاه للتهيتين . هناك تقف متألدة وقد حفر الدمع في مأكفها . تقف الام الحزينة والسيف يقطع يباط قلبها ويوسفها للثقة محصورة بالالم المرّ وهي تصرس في وجه المعلق على الصليب... هو السبا . وهو رثها . وهي لم تنسَ سعد هذا السر العتيق الذي يفرق ادراكها . ولكنه الآن قبل كل شيء ولدها وفدة كبدها هو الطفل الذي احتضنته بين دراعها مدة طويلة . هو الفلام ايبافع الجميل الذي تمرن في حانوت التجولة في الباصرة . هو الشاب القوي المعسل الذي اشتغل بيديه ليعملها بعد وفاة بعلا

كان ثقيلاً على قلبها ان تصرس في وجهه . اجل . ولم يتدّر لها أحد سواه سوقها هذا للرّ الاليم . والآن قد ادركته أزمة النزع المحتامية . ولكنه في آلامه المبرحة وغرة احكاره عن فداء السلم والحد الآتي لم يفته التكوير في أمه الارملة التي ستمسي شكى ايماً . وتنع عيناه على شخصين في ذلك الجمع الصغير الواقف تحت قدسيه : الام التي حلتها والزميل الاصلق به في الحياة واللوت

«أماه . هوذا ابنك ا» — «ايها الابن هوذا أمك ا» — «ومن تلك الساعة اخذها التليد الى خاصته»

* * *

و بكل رقة وعطف وتفكير يصحب نفسه من آخر الروابط الارضية ويتجه الى ما هو اعق منها ، الى اختارات أشد رهبة وهولاً . و ان الفكر البشري ليعجز عن فهم او ادراك هول الساعات الثلاث التالية . عندما اهترت الآلام البدنية بزراع عقلي مربع وزراع روحي غامض . وكان لا شك ان يسدل فوق هذا النزاع ستار الظلمة ، وبما ظلمة الرزلة القلعة . ونسحب على الشهد ضباب لم يلبث ان صار ظلمة حالكة اخضت فيها مساطر جبل الزيتون وقباب أورشليم «ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الارض كلها الى الساعة التاسعة»

هل كان هذا دليل سخط الله واحتجاج الطبيعة على اثم ذلك اليوم حين حاول البشر انقاذ نور العالم ؟ هل كان قناعاً مكرماً أسدل على مشهد ذلك الصراع الروحي المنيق ؟ هل كان دعوة أخيرة موجهة الى صميم تلك المدينة وشعبها ؟ ظلمة رهبة أهدت وشاحها الاسود على كل الارض !

لم يره احد قط في ذلك النزاع . ويقول الكتاب ان ساعات الظلمة الثلاث كانت ساعات صمت وسكوت . ولم يخرج من صمته الا في ختام هذه الساعات حين دنت آخرته ، وحين صرخ صرخة دلت على كيفية قصائمه تلك الساعات الرهبة وكان لها عمق الأثر في جمهور النظارة عند الصليب . وهي الكلمة الوحيدة التي دونت في البشارتين الاوليين في الانجيل . هي الكلمة الوحيدة التي سطت مقابلها كأل سامعيا لم يندروا على نسيانها وزرعها من رؤوسهم . ثلاث ساعات في ظلمة وصراع لا يدرك . وبعدها صرخة تدل على فرج لا يوصف . «وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع قائلاً : « إلوي . إلوي . لما شبنتي . الذي تسميه إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ » صرخة اقول عنها انها تدل على فرج لا يوصف . لان النمس لم يقل « لماذا تركتني ؟ » انما جاء في الاصل اليوناني للانجيل بصيغة للناسي «لماذا تركتني ؟» . كأن هذا الترك قد مضى واغضى ، وحل الآن الفرج بعد الصيق فكّر - ايها القارئ - في امانة وصدق البشار التي دونت هذه الصرخة كأنها الكلمة الاخيرة التي تقوه بها المسيح للثالث . ولا يجب ان يتعدها

للملحدون تكأةً لفترياتهم . ويزعمون أن الشاب الثيور التمحس قد عرف خطأه في نهاية الامر . وكان قد ضحى بكل شيء لاجل فكرة سلبية بديلة . وأمل ان يرضع الله من شأه ولكن انظر له الموت اخيراً خطأ فكرته فجاءت هذه الصرخة دليلاً على اليأس والخلداع . الله قد تركه فكانت تصحيته باطله لا طائل تحتها . ولم يكن هو المسيح !

ولكن من نص حتى فهم اسرار الاله القدير العميقة ؟ نحن نعلم ان المعلوم هو ان الله الابدي غادا حاولنا بروح الفرقار تفهم معنى هذه الصرخة لاجد الأ مفتاحاً واحداً لهذا السر : انه كان رافع خطايا العالم . ولنا نستطيع ان فهم تماماً معنى هذا . ولكننا نؤمن أن «الله جعل الذي لم يعرف خطية . خطية لاحتنا » وانه «جعل في جسده خطايانا على الخشبة » وانه «محروص لاجل معاصيتنا مسجون لاجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه ويجهه شعبنا »

هنا نجد سر انتراع الشيف خلال الثلاث ساعات الرهيبه . هنا نرى الكأس التي طلب أن نبرعه في صلاة حشيانتي ، الكأس التي كرس نفسه لان يشرها حتى الخلة

الى أبعد من هذا لا قدر أن تقترض شيئاً . وكل ما نعلمه انه قالى هذا الترك وتألم لاجلنا

والآن وقد انقضى النزاع الروحي تعود الرصلت الجسدية الى الظهور . وهذا دليل على أن روحه قد استراحت وفرفت من صراها . وكما حدث له خلال الاربعين يوماً التي حُرب فيها في البرية لم يعكر قط في الطعام ولم يمسّ الجوع الاً سد أن انقضى الصراع الروحي . كذلك هنا انفت الى الجندي الروماني الفظ وقال له «أنا عشتان !»

تفسير اسامي ، وثقة مريحة في انسانية ذلك الجندي الفظ اوحاك وضع الجندي اسمعجة مملوءة خلاً الى شفتيه المائتين ا وكل ما يود لو كان هو ذاك الذي رفضها فوق شفتيه !

ثم تدعو النهاية - الساعات الست فوق الصليب قد أنهكت قواه وأخذ يخفت نبض الحياة فيه . أما نفسه فكانت قد استراحت وجاءها الفرج . وأنا لتصوره قد علا بمخيلته لحظة إلى الماضي ليفكر في المهمة التي أوكفها إليه الآب : الظلال والنبوءات القديمة ، العالم العازل الناس ، الحجة السوداء ، النزع والعرق السموي ، الصليب والآلام ، بذل حياته لأجل البشرية البائسة . . . « قد أكل اكل » كل هذا . أكل عمله فصرخ صرخة الظافر للتصحر « قد أكل يا اخاه في يديك استودع روحي . ولما قال هذا أسلم الروح » ! . . .

* * *

ولكن ليس ليستريح ، أو يموت ، أو يذهب إلى السماء . فإن مهمته على الأرض لم تكن قد كملت بعد . وكان عليه أن يحصل انهاء حروبه إلى العالم الروحي ، إلى أنهاء الأرض الذين عبروا ببحر الحياة وها هنا فصل آخر من حياة المسيح . ونحن وقوف على أحماص اقداسنا فوق حافة هذا العالم ، نتطلع من وراء الاسوار بتلويح ذاهلة لنشبهه بالتفكر في هذا الفتح الجديد ، في العالم الآخر



الفصل التاسع

الفصل المجهول

ان الرحلة التي قام بها السيد المسيح الى عالم الأموات من اللوات البارزة في قانون إيماننا. وقد أشير إليها في متن القانون بمبارة «نزل الى الهاوية». ونظراً لعمومها قد يسوء الناس فيها ويحاولون احتياها. وهكذا أمتت العبارة بمثابة «البند المجهول» في قانون الإيمان. وتحتل علم اللاهوت الخوض فيها. والكلمة الانكليزية "Hell" المترجمة «الهاوية» تعني في الأصل «العالم غير المنظور» أو المحجوب عن الأنظار. ويصح ان يكون تأويل هذه العبارة «نزل الى العالم غير المنظور» الى عالم الراحين، الى حياة الانتظار بعد الموت.

ويتساءل الناس قائلين: «أين ذهبت روح يسوع عند موته؟» فيقول احدهم: «صعدت نوا الى السماء» اما السيد نفسه فيقول بعد قيامته: «لا، لم أعود بعد الى أبي» أين ذهبت روحه اذا؟

«لا يدري ذلك أحد» نعم، ولكن شخصاً واحداً استطاع ان يكشف هذا السر، شخصاً استطاع ان يروي أحداث فخرته المنزهة في البرية، وقد فعل. واستطاع أن يروي أخبار رحلته الى عالم الراحين، وقد فعل أيضاً. ونمل ان يسوع قضى مع تلاميذه بعد قيامته أربعين يوماً معهم عن الشؤون الخاصة بملكوت الله. ولا شك انه روى لهم حبر هذه الزيارة من التعاليم التي لم تدون تفاصيلها. ودليلاً على ذلك ان معرفة هذه الرحلة كانت ذائعة في الكنيسة الاولى، وليس أحد غيره يقتدر على اذاعتها.

ومن الافكار الشائعة انه ليس لدينا إلا بعض آيات غامضة جاء بها الرسل

بطرس وبولس تأييداً لهذا التعليم . بيد ان هذا الزعم يخالف الحقيقة . فلم يمكن بطرس وبولس الا اثبات من جهة المعلمين في العصر الاول الذين نادوا بتحسين في اذاعة بآ هذه الزيارة لليمونة التي قام بها رب^٤ المجد الى عالم الراحين وهي تشغل فكر الرسول بطرس في صفته الاولى . قسمه يقول : « فحسب لم نترك في الهاوية . وهذه الكلمات في حد ذاتها لا تدل على شيء ما . ولكن بعد ذلك بكثير نرى بطرس نفسه يذكر في رسالته الاولى انه بعد موت سيده بالجسد كان حياً بالروح . وبهذا الروح ذهب فركز للارواح التي في الانتظار (١ بط ٣ . ١٨) « فانه لأجل هذا بشر للوق » (١ بط ٤ . ٦) وفي هذا القول استتاج قوي على ان بطرس تلقى معلومات معينة عن هذا الأمر

ثم نرى الرسول بولس (أفسس ٤: ٩) وهو يتحدث في صدد الزنايا والملح التي يمنحها الرب الذي صعد، يذكر كلمة «صعد» ويقف عندها: «وأما انه صعد فما هو الا انه نزل ايضاً أولاً الى اقسام الأرض السفلى (أي عالم الراحين) . الذي نزل هو الذي صعد ابشاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل » فالهاوية والسماء قد امتلأتا بمجده وحضوره

على ان هناك دليلاً أنصح وهو ذبوع هذا انبأ في الكنيسة المسيحية الأولى وانتشاره عقب العصر الرسولي في المؤلفات المسيحية الأخرى غير الانجيل . وأنت اذا قرأت كتابات الأساقفة والمعلمين الأولين عقب موت القديس يوحنا — وهم الذين نعتمد على أقوالهم ومعلوماتهم في شؤون أخرى كالعمودية والشركة المقدسة وصدق البشائر رأيت هذا التعليم انخلص برحلة السيد الى عالم الأموات بارزاً في أقوالهم

فدري مثلاً «بوسطينوس مارتن» - الذي ولد حوالي التاريخ الذي مات فيه الرسول يوحنا — يؤمن إيماناً قوياً بنزول المسيح الى الهاوية لفرحة انه ينهم اليهود بقشور به نوة من نوات لرمياء امياً فيها عن هذا الحادث بالذات ونرى بعد ذلك بقليل «لارانيوس» أسقف ليون فرنسا يروي لنا كيف دخل

السيد عالم اللوق وكرز لأنفس الراحطين فنال نعران الخطايا كل من خلق عليه
الرجاء ونضع لأحكامه وتعاليمه

وفي مصر نرى القديس «أكليندس» الاسكندري — الذي ولد بعد موت
يوحنا بضمين سنة — يذكر أقوالاً طيبة في الفصل الذي عقده عن نزول المسيح
إلى عالم الأموات . ويؤيد لنا استناداً على التعاليم الكتابية أن يسوع كرز بالإنجيل
للوقى، ويصدق أن أرواح الرسل قامت مع هذه المهمة عقب إرسالها من الحسد
في التكرارة، ليس فقط لليهود والقديسين، بل للوثنيين أيضاً . وهذا حسب غلته هو
العدل الواضح ما دامت الفرصة لم تتوفر لدى هؤلاء لسماع الأخبار من قبل

ويأتي بعد «أكليندس» تلميذه الأكبر «أوريجانوس» فيقدم لنا دليلاً جديراً
بامعان النظر . وذلك أن أحد اللحدنين للذبح «كلس» كان يهزأ بهذه العقيدة
التي خاعت في الكنيسة الأولى وبتهم عليها قوله : «انظر إن سيدكم حاول في هذه
الهمة إتمام اللوقى بعد أن باء بالخيبة في إتمام الأحياء» ويدفع «أوريجانوس» هذا
التهمك اللاذع بقوله «سواء ارتضى كلس أو لم يرتض فنحن — أبناء الكنيسة —
نؤيد بأن روح السيد بعد أن سلخت من جسدها اتصلت بأرواح الراحطين لها
تهدي إلى الحق كل راحب فيه» ،

وفي أفريقيا الغربية ينادي معلم كبير آخر — هو «تروتيان» — بهذا التعليم عينه .
وكذا يكرزه في أورشليم الأسقف «كيرلس» ، في محاضراته عن العقائد المسيحية
وينادي بذلك برنات الفرح والفخر إذ يرى المسيح على اتصال ليس فقط بالأنفس
التي عصت يوماً وتعمدت عليه ، بل بالخطاهدين الساعين وراء الحق الذين لم يروا
وجهه قط على الأرض . وهو يسود في كلامه الأنبياء الأبطال يهرعون إلى السيد —
موسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وصوفيل ويوحنا الصديق يهرعون إليه صارخين .
«يا موت أين شوكتك؟ يا قبر أين صوفتك؟ لأن الفائز المصور قد اقتدانا !» ،

* * *

وهكذا مثر على «الفصل العجول» ، في حيلة يسوع . وقد كان هذا الخبر من

السيد عالم اللوق وكرز لأنفس الراحطين فنال نعران الخطايا كل من خلق عليه
الرجاء ونضع لأحكامه وتعاليمه

وفي مصر نرى القديس «أكليندس» الاسكندري — الذي ولد بعد موت
يوحنا بضمين سنة — يذكر أقوالاً طيبة في الفصل الذي عقده عن نزول المسيح
إلى عالم الأموات . ويؤيد لنا استناداً على التعاليم الكتابية أن يسوع كرز بالإنجيل
للوقى، ويصدق أن أرواح الرسل قامت مع هذه المهمة عقب إرسالها من الحسد
في التكرارة، ليس فقط لليهود والقديسين، بل للوثنيين أيضاً . وهذا حسب غلته هو
العدل الواضح ما دامت الفرصة لم تتوفر لدى هؤلاء لسماع الأخبار من قبل

ويأتي بعد «أكليندس» تلميذه الأكبر «أوريجانوس» فيقدم لنا دليلاً جديراً
بامعان النظر . وذلك أن أحد اللحدنين للذبح «كلس» كان يهزأ بهذه العقيدة
التي خاعت في الكنيسة الأولى وبتهم عليها قوله : «انظر إن سيدكم حاول في هذه
الهمة إتمام اللوقى بعد أن باء بالخيبة في إتمام الأحياء» ويدفع «أوريجانوس» هذا
التهمك اللاذع بقوله «سواء ارتضى كلس أو لم يرتض فنحن — أبناء الكنيسة —
نؤيد بأن روح السيد بعد أن سلخت من جسدها اتصلت بأرواح الراحطين لها
تهدي إلى الحق كل راحب فيه» ،

وفي أفريقيا الغربية ينادي معلم كبير آخر — هو «تروتيان» — بهذا التعليم عينه .
وكذا يكرزه في أورشليم الأسقف «كيرلس» ، في محاضراته عن العقائد المسيحية
وينادي بذلك برنات الفرح والفخر إذ يرى المسيح على اتصال ليس فقط بالأنفس
التي عصت يوماً وتعمدت عليه ، بل بالخطاهدين الساعين وراء الحق الذين لم يروا
وجهه قط على الأرض . وهو يسود في كلامه الأنبياء الأبطال يهرعون إلى السيد —
موسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وصوفيل ويوحنا الصديق يهرعون إليه صارخين .
« يا موت أين شوكتك ؟ يا قبر أين صوفتك ؟ لأن الفائز المصور قد اقتدانا ! » ،

* * *

وهكذا مثر على «الفصل العجول» ، في حيلة يسوع . وقد كان هذا الخبر من

لسان مطبها الاولين ، انه لم يسهم . وانه بعد خروج روحه من الجسد قد جار
نشاطاً في الروح لنشر مشارته المفرحة في العالم الذي انتظرت فيه اهل الراحين —
ادن هو اول واعظم مرسل قلم بصل الكنيسة ؟

ألسنا نرى هنا في وقار ما كان يتوقمه من وراء ذلك في كلماته الوداعية التي
قالها قبل قيامه بهذه البعثة الى العالم غير المتطور : « يا ابناء في يدك استودع
روحي (الى وحشي التي انا مرمع القيام بها) ؟ » — ألسنا نراه فيها كأنه يقول « الى
القاء ا لذلك العصر للصلوب الى جانبه — اليوم تكون معي في الفردوس ؟ »
ألسنا نحسها بالفرح والشكران والمحبة التي اهتم لها ذلك العالم وراء الحجب ساعة
استفاد ذلك الفاتح الطاهر ؟ ألسنا نقدر ان نتمه بالفكر في خشوع واحترام وهو
يعود الى الارض ثانية ليقتضي اربعين يوماً بعد قيامته منبثاً تلاميذه عن هذا الاختصار
المجيب للدهش ؟ والأ فكيف علم التلاميذ بأ هذا الحادث ؟

تأمل — ايها القارئ الكريم — اعجوبة هذا الفتح الذي قام به المسيح ا
في هذا العالم رى نراً من الاحياء يرضون حسداً ميتاً من فوق الصليب ، وفي عالم
آخر قريب رى بشراً يهتفون لقلوبهم في عالم الارواح وراء حدود للرنيت . الجليح
احوة له ، فلا تقصده حدود عن حاصته . لان المحبة تشق لها طريقاً « فانه لا موت
ولا حياتولا ملائكة ولا رؤساء ولا علو ولا عمق ولا خليفة اخرى تقدر ان تفصلنا
عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا »



الفصل العاشر

القيامة

ولنتناول القصة مرة أخرى من ناحية الأرض . وكان خليقاً بنا أن نلمح ذلك التوميس الخاطف في عالم الروح غير المنظور لأننا سنمر الآن إلى عالم يرمز فيه الأمل ويتصل فيه نور الرجاء . ولكن ذلك السعير يوماً مشؤوماً قتلنا الميذ الساكنين الحياري الذين تصدعت قلوبهم وانطأ حنوة الأمل فيها . كيف لا وقد رأوا حسداً ميتاً مطلقاً فوق السليب . ولم يرفوا شيئاً عن تلك الخطرة الجريئة التي ظم بها سيدهم في العالم غير المنظور . فهم الآن عرقى في أسواق اليأس لأن قلوبهم كانت قد تعلقت بيسوع الذي تركوا لاحتله كل شيء . ويسوع قد مات وفار أعداؤه بالقطر بعد الجهاد . وكانوا يتساءلون : كيف مات ؟ وكيف يغسل ، وما معنى كل هذا ؟ وفي ذلك اليوم بدا لهم محالاً أن ينصره الله أمام العالم . وتعلت قلوبهم وهم يسيرون إلى القلعة صرخة الموت المائلة : «إلهي لماذا تركتني؟»

ولم يذكر التاريخ في سطونه حالة أخرى تمثل فيها اليأس الحاقق المستحكم كتلك الحلقة التي وجد فيها حوار يسوع بعد أن استودعوا جثمان سيدهم قبر يوسف الرامي . وكان حجم حيرتهم قد أفل ورينها قد ولى ولم يعد ثمة عمل أو أمل . وأخذ الرجال يفكرون يائسين في احتمال العودة إلى مهنة الصيد التي هجرها . وأخذ النسوة التاجبات يمددن الحنوط لتحنيط الجسد الميت . يسوع قد مات ، فاتهى بذلك كل شيء !

* * *

وان وضعنا انفسنا في مكانهم لحظة نتألم قلوبنا لاجلهم . ولكننا نحن نعلم ما حدث بعدئذ

ألقى مطر عليهم بعد ثلاثة أيام ترامميهوتين من قرط الجذل ، وشدة التأثير . محضين بأشراق بحر الفرح الذي لا يبرعه — ترام في المدينة وخارجها يتراكمون ويتصايحون قائلين بعضهم لبعض : «الرب قائم ! قائم من الاموات ! ظهر لسمعان ! تحدث الى مريم ! است البنا برسائل ! جاء ما في العلية ! ونحن سنلاقيه في الجليل ! » لم يؤمنوا من شدة الفرح لان الحادث كان جيد التصديق . ومع ذلك أحبوا أن يستذكروا روعة الالاس ورجته ليقاربوا بها فرحة اليوم وبسطه . و بمرور الأيام وتوهم على حضوره معهم اقلبت حياتهم رأساً على عقب . فاصحوا خلائق حدينة ، يعيشون في عالم حديد ، وفي حو من الخيالات والذهشة . ثم عرفوا أن زميلهم هذا وسيدهم المحبوب هو الله في شكل بشري . وقوة هذه العقيدة الثابتة الاركان ، حرموا ليقبلوا العالم رأساً على عقب



وتسمى قصة القيامة في جو شعيع بالفرح . وهذا الفرح - لو عرفنا — من اقوى الادلة المسيحية . والآن قبل هناك تحليل آخر لتلك الحقيقة الماثلة ، البعيدة التصديق ، التي اذاعوها قائلين أن مسيح الله قد قام من الاموات ، فبناءً بأنييله برسالة الحياة والخلود ؟

وهناك قوم يقولون تلك الحقيقة بغير هذا والذين يسرب الريب الى قلوبهم في حقيقة القيامة يتحولون انهم لو وقفوا على آراء اللحدنين المتشككين قد يهاجموا ايائهم . ولكن حين يضاف الامثال من «النجيم» في الامانة المظلمة خير لم أن يتقدم من يريج الستار ويريه حقيقة هذا «الجمع» خطئ غوسهم . فلي هذا للنوال أردت أن اطلع الخائفين للرتابين على اسوأ ما كتبه للتشككون للحدودن — ولو كان في ذلك ومن لايمانهم — لكي يروا بأنفسهم ما ذهب اليه ذلكم القوم . فالتشككون للحدودن ، هما خلصت نواياهم وحقوا الى النعمة في الحكم ،

لا يسمع اجتناب الأثر المطبوع في قلوبهم من حراء الافتراضات الراسخة في أذهانهم بأن يسوع لم يكن الا انساناً بشرياً — وأن المعجزات لم تحدث — ولذا لا يمكن أن تكون القيامة حقيقة. ولكن ان لم تكن قصة الانجيل اكدوبة عديدة مصطنعة — وهم لا يسلون ذلك — فلا بد لهم من مجاهدة تلك المشكلة الخطيرة في تحليل الفرح الشامل الذي ساد الجور عقب قيامة المسيح

وهم لا يذهبون في تحليل هذا الى اعتباره اسطورة خرافية . لان الاسطورة الخرافية لا تعلل. فالاساطير قد تنمو سراعاً في جو مكهرب وكثير منها قد نال قبولا خلال القرن الاول . وأما هذه الحادثة ، أي القيامة ، فلم يكن أمامها متسع من الوقت مطلقاً يسمح لها بالنفاذ . فهي أقل من اسبوع اقتنع الحواريون النباسون وتبدل حزنهم فرحاً . وبعد شهرين من وقوعها رى بطرس يتحدث اليهود في اورشليم على مشهد من الجلجثة والقبر قائلاً : «اتم قتلتم رئيس الحياة الذي أقامه الله من الاموات» . وقبل ان نكتب اية بشارة رأينا نولس ، الذي كان معاصراً ليسوع ، يحاضر بايجله كله مؤثراً حقيقة القيامة على كل شيء عداها فيقول «ان لم يكن المسيح قد قام فاطلة كرارتنا وباطل أيضاً إيمانكم»

فليس هنا مجال للزعم بأن الحادثة اسطورة خرافية

* * *

واليكم نظرية أخرى خافت يوماً ما ، وهي نظرية لا يتصمم بها اليوم أحد من العلماء : قالوا ان دحشة يلاطس من موت يسوع السريع تدعو الى شيء من التشكك. والصلب عملية بسيطة ولا يموت المصلوب الا بعد معي وقت من الزمن. وربما لم يمت يسوع تماماً. وربما يكون قد استفاق الرجل المصنوط للصدوم في أعصابه من سكرة الموت بعد أن أحس ببرودة القبر ورائحة الطيب والمطوّر للعشة اياه من تحليل عريب لقصة القيامة! علينا أن نحل سبب ذلك الفرح القبحي الذي طفا موجه على الرسل ، وأن نحل سبب انقلاب الجبناء الخاضعين الى اساطير مجاهدين ، وتلك العقيدة الراسخة القوية التي قهرت العالم — فيقال لنا أن يسوع البصري

ورسله قد تسروا معاً على خدمة شقية . فأخذ ذلك الشبح المصيف يتهاشى ويتوارى ويتوارى من الاظفار حتى ماتت ثاية بعد بضع سنين ! ١١ ههنا ! أهنا هو الذي أيقظ مولات العالم فاستفاق في حمية وحسن لب الحياة ؟ أهذا هو الذي استشهد في سبيله يعقوب وبطرس وبولس ؟ أيمكن أن تقوم الكنيسة المسيحية المعطى على أسس واه كهذا ؟ وهل يضل أن ديناً كالمسيحية غرس محبة الصدق والحق في نفوس البشر ودعا أتباعه أن يسيروا في الحق . أيقبل أن ديناً كهذا ، وقوة أدبية رائعة كهذه ، تقوم على الكذوبة باطلاً وحديعة محزنة ؟

ان الذين يتقنون باحداث هذه النظرية انما هم قوم يميلون الى التهميم على المسيحية أكثر من ميلهم الى معرفة الحق . وهم متأهبون لاغفال حقائق الانجيل التي يحسها العلماء وقادة الرأي في هذا العصر من أصدق وثائق التاريخ

* * *

وأكثر النظريات ديوماً التي يتخرس بها الملحون وأعداء الكنيسة في هذا العصر ، نظرية « الرؤى والحالات » مبتدأً من مريم المجدلية . قال امرأة مصابة بالهستيريا أحببت حاكاً مفرطاً قد تخطى ، على نور القبر الصليب الباهت ، مسوقة الى ذلك بمواقفها وميوها . قول حق ! وهذا عين ما ظنه الرسل فيها وفي رميلاتها الاخرى . « تراهي كلامين لم كالمهلين ولم يصدقوهن » هذا ما يقوله الانجيل عن الرسل . وكان لا بد لهم من شيء أكثر من هذا حتى يؤمنوا وصدقوا

ويقول ثال للملحون انه لم يكن من الصعب اقناع الرسل انفسهم ، وانه بعد أن ذاع الخبر كلن طبعياً أن يتوقفوا رؤيته ، وأن معرفتنا بقصص الارواح وشواهد المناحة تدنا على أن البسطاء السذج يصدقون ما يتوقفه — ولكن ان صدقت قصة الانجيل فان قيامة يسوع كانت آخر شيء توقفه الرسل . وقد كان اولئك الصيادون على شيء من خشونة النفس وتوقد النهن فلم يكن هيناً أن يقفوا فريسة لهذه المواقف واختلاط الاحاسيس . وقد غلوا طول حياتهم يتادون في ثقافتين قائمين انه تحدث اليهم المرة تلو المرة ، وانما عاش بينهم حياة متقطعة مدتار بين يوماً يلثمهم

الامور المختصة بملكوته الله . وهذه الاربعون يوماً في حد ذاتها تقضي على فكرة الرؤى والاحلام الخيالية . وللمسلم به الاجماع انه قام في اليوم الثالث وبعد اربعين يوماً صعد عن الارض الى السماء . فلو كانت عدوى الرؤى الخيالية والاحلام قد امتلكت من شخص الى آخر لصعب جداً حصرها في هذا الثميين والتحديد الزمني هذه هي الطريقتان الشائعتان التي يدلي بها الملحدون تعليلاً « لقيامته بتعدد حدوثها » وكأن الخدعة والتستر ، او الرؤى والاحلام ، او الهذيان واختلاط العقل هي اساس اعتقاد العالم في قيامه للمسيح من الاموات 1

والى جانب هذه السلف ، حقائق بسيطة في قصة وضعت تحت محك الاختبار تسعة عشر قرناً ، وتلاميذ حواريون « بطيئو الفهم والايمان » آمنوا في غير شك أو اوتيا

فان حاكمك الشك يوماً ، قف امامه موقف الصراخة والاحلاس وادرس اقوال للحدثين للتكرين ، ثم عد الى الحقائق التي رواها الصيادون السذج : نحن الاثنى عشر قد عرفنا يسوع الناصري . ومعنا قد تربى وترعرع معه . وكلنا قضينا ثلاث سنوات معه . وأيامه مملوءة ، وميتاً . ورأيناه ثانية حياً في شكله الجسماني اياه . رأيناه مراراً وتكراراً . قضى معنا اربعين يوماً ، حدثنا وعظنا ، وبعثنا رسلاً لنشر دعيته ، وكثيرون منا رأوه مراراً في اورشليم ، ومعنا خمس مائة من الاحوة في الجليل حلهم احياء يرزقون . وانا نحن لعلنا يقين ثابت من صديق ما نقول ، وقول الحق لاجلكم ، لتؤمنوا ان الذي علش معنا هو ابن الآب الوحيد ، للملوء نعمة وحققاً واولئك الحواريون الاولون قد بذلوا حياتهم الواحد بعد الآخر في سبيل شهادتهم للمسيح المصلوب للتمام 1



الفصل الحادي عشر

ذكرات شيخ

لحم تتلق رواية معصلة عن مرات ظهور المسيح للقمام السماقية، وعن الأحاديث التي دارت خلال الأربعين يوماً التي قضاها على الأرض بعد قيامته . وكل ما لدينا مجموعة من القصص الصغيرة رواها هذا أو ذاك من الأفراد أو الجماعات . ويتضح ان هناك «ظهورات» أخرى أكثر مما دون في الابهيل . ويدكر بولس الرسول بعضها كما ان يوحنا الشير يقول في صراحة عند كلامه عن آية القيامة للعطاء لتوما المرتاب ان هناك «آيات» أخر كثيرة صمغ يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب . «واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أنهم» . ويؤخذ أيضاً من العبارة القائلة: «كان معهم أربعين يوماً يطلمهم الأشياء المختصة بملكوت الله» ان هناك أحاديث طويلة متكررة

وقد تركزت ذكريات هذه الأسابيع القليلة في عقول التلاميذ مدئذ . ولكن لم تكن هذه الذكريات ذات صفة واحدة، والصور العقلية التي ارتسمت في خيلة كل منهم تختلف اختلافاً بئياً . وها نحن نشرح الآن إحدى تلك الصور يصنها التقليد الشاهد سد حسين سنة من وقوع الحادثة

والذي نعلمه ان الشير يوحنا كتب بشارته بعد العشاء الأخرى سنوات كثيرة . وكان وقتئذ شيخاً طاعناً في السن يعيش سيداً عن الشاهد التي ألما في عهد صباه . وكان قد أصبح ذك القلاح الشاب الجليلي، الأسقف المحبوس لكنيسة أفسس . ولكن عينا الشيخ كانتا تنظران دوماً الى الماضي — وبالأخص الى تلك السنوات الثلاث التي قضاها مع المسيح في بروج الجليل . ولم ينس أنه «التقليد الذي

أحبه يسوع . وقد كانت محبة حقاً تلك البوابات وهو ينظر إليها ويتأملها على أنوار القيامة والصعود : «ورأينا محمداً كما لوحد من الآب معلوماً نعمة وحقاً»
وكي انخلان القدماء . وانتقل عنه يعقوب وبطرس واندراوس وفيلبس ولحقوا
بسيدهم في العالم غير المنظور . وهو الذي بقي وحيداً من بين أفراد تلك الجماعة .
يتأمل مفكراً كما يفعل الشيخ حول ذكريات الماضي اللذيذة القيّمة

أما شعبه فقد أحبوا كثيراً سماع تلك الذكريات يرويها لهم الأسقف الشيخ .
والمرجح انه كان بين أيديهم بشارة واحدة مكتوبة . ولكن فرقاً بين البشارة
الكتابية وبين الروايات التي سمعوها من شعبي أمتهم المحبوب . وكم تذكر
أشياء كثيرة لم تدون في البشارة الكتابية والمعروفة لسيدهم ... سنة بعد أخرى روى
لهم ما شهد وعين حتى صارت رواياته للتكررة قصة ذات شكل معين ، وصارت لنا
فيها جد بشارة يوحنا - وهي ذكريات شيخ هموز

ولا شك انه روى لم كثر من الأشياء غير ما جاء في قصة الانجيل : -
مقابته لأول مرة مع يسوع ، عرس قانا الجليل ، تعالجه السرية المقدسة من «خبر
الله التارل من السماء» ، الحديث والصلاة بعد العشاء الأخير وهو بمثابة اشركة
الأولى للقيامة معهم ، قصة ذلك اليوم الرهيب ، اليوم الذي أحس فيه بالوحشة
والياس بعد اذ رأى يسوع ميتاً وقضى على كل آماله ، ثم ذكرياته الشخصية عن
القيامة والأربعين يوماً التي تلتها

وفي انجيل ذكرياته لم يذكر شيئاً عن القيامة ذاتها . ولكنه يذكر قطع اليوم
الذي تسلمت فيه الى نفسه اليانسة الحاضرة أشعة الايمان بأن السيد المحبوب قد عاد
حيّاً اليهم

وليس ريب ان حدثاً ما وتحدث في نفسه هذا اليقين لأنه يقول : « رأيت
ولمئت»

وانجيل القوم يسألونه قائلين : «يا سيدي اقل لنا ماذا رأيت ؟ ولماذا آمنتم ؟»
يجيبهم : «اسمعوا : في أول يوم في الأسبوع ذهبت مريم المجدلية باكراً الى القبر

والقلائم باقى . ورأت الحجر مدرجاً والقبر فارغاً . فاصطربت وحافت وعادت
 مسرعة لتخبر بطرس وأباي . وعندئذ ركعسا بأوفر سرعة لترى جلية الحجر .
 وكنت انا الأصغر فوصلت قبله ونظرت الى القبر فوجدته كما أجبرتنا مريم . ولكن
 لم أستطع السحول . وبينما أنا أنظر من الخارج وصل بطرس فاندفع الى داخله ورأيت
 يعمرس مذهولاً في الأكفان الحاوية والتنديل مطويًا في ناحية بمفرده . وعندئذ
 دخلت أنا ، ولما رأيت ما رآه بطرس - آمنت ! »

والآن ما الذي حمل يوحنا على الايمان ؟ الأكفان الحاوية لم تكن لتحمله
 على الايمان ، كما ان مريم لم تؤمن لحرد رؤية ذلك . اذ يحصل ان يكون الجسد قد
 قتل من مكانه . ولماذا تفرس بطرس امام منظر الأكفان المطوية والتنديل في زاوية
 على حدة ؟ وماذا آمن يوحنا سريعاً حين رأى ما تفرس فيه بطرس ؟

منذ خمس عشرة سنة كان الدكتور «لائام» الاستاذ بجامعة كبردج في
 الاستانة . وبينما كان يور للدفن رأى مواكب جنازات تسير الراحلة أثر الأخرى .
 وكانت أجساد اللوى محمولة في عووش من الحشب على أكثاف الرجال ، ووجه كل
 ميت مرفوعاً الى فوق . وكانت الأكفان كلها متشابهة . فالوجه والرقبة والأكفان
 مكشوفة . وبين الأكفان التي يُلف بها الجسد ، وبين للتنديل الذي تلف به الرأس
 مسافة نحو قسم واحد عازية تماماً

وغير حافى ان العادات تتغير ببطء في الشرق ، وبالأخص عادات الدفن .
 تتطور ببطء شديد في كل مكان . وربما يكون الفرض صحيحاً لو افترضنا ان حصد
 يسوع كان ملفوفاً هكذا حين وضع في القبر

والآن صور لنفسك - أيها القارىء الكريم - ذلك الجسد الليث موصوعاً
 في القبر والأكفان تصل الى الكتف . ثم الاكثاف والرقبة عازية . ثم للتنديل
 حول الرأس . وسأل نفسك ماذا يكون وضع الأكفان والتنديل لو افترضنا ان
 الجسد تحول الى تراب أو اخفى أو أُخرج أو صار روحاً بدون ازعاج هذه
 القوائف

والآن تنبع بطرس وهو يدخل الى القبر - لحظ لساعته ان شيئاً غير عادي قد حدث. فما هي الاكفان موضوعة كأن الجسد لا يزال باقياً بها، الا انها ضمرت وانبطحت لان الجسد خرج منها بدون ان يتركها من موضعها أو يغير وضعها. وفضلاً عن ذلك فقد رأى للتدليل الذي نُقِست به الرأس موضعها عند الرأس بمفرده وطيانه لم تحلّ وبقي كما هو كأن الرأس انسحبت منه بهدوء.....

كل هذا استوقف بطرس. يوحنا نظر «ورأى sees» - وأما بطرس فلما دخل وتفرس استوقفه هذا للتفكير السجيب «ورأى behold» (وهي كلمة تعني في الاصل اليوناني غير ما تعنيه الكلمة الاولى) الاكفان موضوعة والتدليل ملتقاة في مكانه عند الرأس. ولو كان قد رأى اكفان الكتان مخلوطة من الجسد ومطوية وموضوعة على الحافة، ولو كانت قد رأى للتدليل في غير موضعه الاصيلي. لما استتج شيئاً سوى ان الجسد قد حلّ من مكانه، لانه كان ممكناً لأي يد ان تطوى الاكفان وتضعها سانية الى جانب. اما وقد رأى ما رأى فانه ايقن ان يداً لم تتسد الى هناك. وان الجسد قد تسال من بين اكفانه دون ارفعها أو حلّ عقدها وطيانه فضمرت وانبطحت كما هي. وان الرأس قد انسل من التدليل وتركه كما كان ملتقواً في مكانه. وظهر لها بوضوح ان الجسد لم يتقل وأنه قد قام دون أن تحسه يد انسان، وأنه قد قام بقوة الله!

«حينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً الى القبر ورأى قائماً». كأن مجرد علم رؤية الجسد في مكانه ليس كافياً للايمان. أما رؤية الجسد، قد تسال من بين اكفانه دون أن يزعمها أو يقلب أوصاعها ولقائها، والرأس قد تسال من التدليل الذي كان باقياً على طياته. هذا كان مبعث الايمان بأن يسوع قد قام من الاموات

سُت الرحال ولكم لم يصيروا صوابهم. فقد كانت لهم عيون تنظر وعقول تؤمن. وقد رأوا كل ما يمكن رؤيته وأخبروا بكل شيء. ومن غريب الامر اهم لم يقولوا شيئاً من الاطياب والحنوط الكثيرة التي سكنت بكرم وسجاء على جسد

يسوع . والعلوم ان حنوطاً قيسها مائة حنيه قد وصعت بناية بين طليت الاكمان
الكتانية فابن هي الآن ؟ ولوكات الاكمان قد نزلت زرعاً عن الجسد لسقطت
منها كيات كبير على أرض القبر . وواصح انها لم تسقط ولم يرها بطرس ولا يوحنا
لان الجسد قام بدون ارتطاح اللقائف وكانت الحنوط لا تزال محبوة بين طيتها



على هذا الخط يروي الرجل الشيخ لشعه حادثة زرع حجر الرحاء على نفسه .
ولكنني أنصور الشعب يسأله قائلاً : «هل هذا كل ما لديك ؟» — فيحييم : «كلا !
أنا أنكلم قط عن بداية ابائي بأن المسيح قام . ولكننا بعد ذلك رأينا المرة تلو المرة .
وفي مرات كمت أنا حاضرًا وفي غيرها لم اكن»

— «ياسيد ! حدثنا عن ذكرائك من ذلك الزم»

— «اني أذكر ذلك اليوم بعد ما رحت أنا و بطرس . كيف كما نروي ما
شهدنا ، وبسعة دخلت علينا مريم المجدلية مرتجفة مضطربة وهي تقول : رأيت الرب !
رأيت فضلاً ! وقد قلتي وأمرني ان أبلغكم الخبر . وأنا لم أعرفه في بادئ الامر وقد
تولاني الرعب حين رأيت القبر الفارغ وظننته البستاني فسألته لعله يعرف مقر
الجسد . أما هو فظهر اليّ حنيبة فجد قلبي في داخلني ! وصدت ناداني باسمي في
لهجته القديمة المعروفة «مريم» ! فرفته ! عرفته ! وسقطت عند قدميه قائلة : ربوني !
ربوني ! — وأمرني أن آتي وأخبركم ! ...»

«وفي ذلك الساء حين كنا نحتسبن معاً . واغلقنا الابواب خوفاً من اليهود لان
الشعور كان مرأعدنا في ذلك الاسوع . وكنا نتحدث فيما بينا ونسحب ونزحوا
خائفين . وكان بعض النسوة قد اخبرتنا عن رؤيتهن للملائكة عند القبر غير اننا
لم نصدقن . وبلغ ما الحال الى الفتن بأن رواية مريم ذاتها قد تكون مجرد خيال
تسلط عليها . ولكن بطرس جاء وفي عينيه نظرات عريية وأخبرنا جازماً هادئاً
ان الرب قد ظهر له . ولم يتكلم عن ذلك كثيراً ولكنه كان واثقاً . واثقاً جداً
حتى نحبرنا كلنا . وكانت دهشتنا شديدة حتى انه لما جاء تلميذان من عمواس بأخبار

حديثاً لم يستطعوا الكلام بسبب صرخات الفرح والحنان التي استقبلوا بها: «الرب قام! الرب قام! طهر لسمعان! » ولما اتيت لما انقضى خبرنا كيف انه قد قام في الطريق وتحدث اليهما وعرفاه عند كسر الخبز . فاصفيا نحن وتعبنا وأسلنا وفرحنا . وفترة ساد صمت عميق — ووقف في الوسط المصباح نفسه! لم يسمع احد وقع اقدامه ولم يفتح له احد الباب . وظننا ان هذا روحه . واسكنه ظننا انظرته القديمة وكلنا بصوته للألوف وسما نحيته للعروفة «سلاماً لكم! » فلم يسمعا بعد ذلك الشك . ولم يكن هذا الشيخ روحاً . بل كان هو نفسه في شكل جسدي باهر . ثم فتح فينا وقال «اقبلوا الروح القدس . كما ارسلني الآب ارسلكم انا » وكم كان فرحنا شديداً نحن التلاميذ بعد ان رأينا الرب!

«وأذكر كيف اخبرنا توما تلك الليلة ولم يصدق قائلاً: هذا مستحيل . انتم محطئون . ما لم أر الحروح وآثار السمع لا أؤمن .

«وطيلة ذلك الاسرع سرنا كأننا في حلم . وفي الاحد التالي طهر لنا الرب مرة اخرى . ولم نعرف متى وأتى جاء . وكان توما معنا في هذه المرة . ولن أنسى كيف كلم توما وابراه يديه ورجليه . وكيف انهض وكسر قلبه من الفرح حتى سقط على وجهه قائلاً: ربي والملي!

«نم! رأينا مرات كثيرة خلال الاربعين يوماً بعد قيامته . وأذكر بصفة خاصة احد تلك الايام — الذي لن ينساه بطرس ما دام حياً — عند ما امرنا الرب ان نسبقه ونلقاه في الخليل . فصدنا الى وطننا وسقط رؤوسنا الى كمر ناحوم على ضفة البحيرة بما فيها من ذكريات الايام السعيدة القديمة . وبينما نحن نترقب مجيئه للوعود به فوق الجبل حدث لنا اختار عجيب . اذ كنا نسطاد طول الليل في قارب بطرس — كنت انا و بطرس واسمي يعقوب وتوما وشاقييل — ولم يصادفنا السعد ليلتذ . اذ قد حاهدنا وأنشينا اشراك الليل كله فلم نمسك شيئاً كما حدث لنا منذ ثلاث سنوات يوم دعانا لأول مرة . وقيل بزورع العجر رأينا على الشاطئ . وقد

عرفت وشعرت انه هو ولكن لم استطع الكلام، اما الآخرون فلم يعرفوه لان نور القبر لم يكن قد لاح بعد

« ثم ممما صوته فوق المياه قائلاً : يا اولادي اطرحوا الشباك الى الجانب الايمن تجلبوا . فالتقوا الشباك مهوكين في قليل من الامل ولكن عند ما أخذوا في سحبها تولام دھول وخوف عظيم . لاسها كانت ثقيلة حتى لم يستطيعوا سحبها وعدند مرخت وقلت : هو الرب ا هو الرب ! فالتقى بطرس بنفسه في الماء لانا كنا قريين من الشاطئ . ونزلنا كلنا في القارب المنير وأسرعنا اليه . وهناك على الشاطئ رأيناه : يسوع ربي ولهي . . .

« وبعد ما أكلنا من السمك سأل يسوع بطرس قائلاً : يا سمعان بن يونا أتجني ؟ — سم يارب ا — اروع حرافي — ثم سأله ثانية : يا سمعان بن يونا أتجني ؟ حقيقة يا رب انت تعلم اني احبك — ثم سأله للمرة الثالثة وهنا لحظت كان بطرس قد أسيء اليه بهذا التكرار فأجابه : انت تعلم كل الاشياء . أنت تعلم اني احبك فقال له يسوع : اتبعني ا ثم تبأ عن أية مينة كان مرماً ان يتوسها • بطرس

« اما انا فكنت سائرآ الى القوراء . فالتفت بطرس اليّ — وكانوا يدعوني عادة « التلميذ الذي احبه يسوع » وقال بطرس للرب : وماذا سيحل بيوحنا ؟ وكنت أترقب الجواب بفرغ السبر : « ان كنت اشاء انه يبقى حتى أجيء . فاذا لك ؟ »

وهنا سأله ان الشعب قائلين : وهل معنى هذا يا سيد انك سوف لا تموت قط ؟ — « لست أدري قد عشت الآن طويلاً . وكلهم قد سبقوني . وقد ذاعت هذه الاشاعة بين التلاميذ اني سوف لا اموت . ولكي أعلم انه لم يقل ذلك بل قال « ان كنت اشاء انه يبقى »

* * *

هذه بعض ذكريات يوحنا الشخصية . وقد روى آخرون ظهوره ليعقوب

والخمس مئة في الجليل . وهل أُنقِىَ بأمه مرة ولم يدون احد هذه الحادثة ؟ ربما ا
 لان الاربعين يوماً التي قضاها في التعليم عن ملكوت الله كانت سلسلة مقابلات
 « وتطهرات » . ولو كان لدينا تفاصيل وافية عن احداث الاربعين يوماً لادررنا
 أكثر مما نذكر الآن . وتنوع المظاهر التي كانت اسساً لاختراع الكنيسة الاولى
 وصحة عقيدتها ، اختتاماً وطليداً حارماً لم يترمز ع



الفصل الثاني عشر

تدريب الاربعين يوماً

تبينا في كل حياة المسيح قصته الاسنى — ألا وهو اعداد وتدريب الرجال الذين كان رمزاً أن يهد اليهم بانشاء ملكوته على الارض بعد أن ينسحب مظهره المنظور عن الارض . وقد ظل هذا التدريب آخذاً سيره في الاربعين يوماً التي قصاها على الارض بعد قيامته وقل صعوده . بل قد ظل سائراً بعد صعوده مدى اجيال التاريخ « أنت لي امور كثيرة أيعاً لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يهيئكم بكل شيء ويدرككم بكل ما قنته لكم »
والآن لنلق نظرة عملي على تدريب الحواريين في الاربعين يوماً :



واول شيء نلاحظه هنا ان هذا الحادث لم يكن مظهراً علنيّاً أمام العالم . ولم يكن إعلاناً لكل انسان — لا لاعدائه ولا للجمهور غير المكتشفة في اورشليم . بل كان ظهوره خاصاً على تلاميذه . فيقول بطرس « هذا اقامه الله في اليوم الثالث وأعطي ان يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم . لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الاموات » (أع ١٠: ٤٠) فلم يكن المقصود من ظهور المسيح اقتناع المصادين انطوارج وراهبهم ، بل بالاحرى تقوية الرجال الذين توقف عليهم مستقبل الكنيسة وتقديم ايمانهم وترويض قلوبهم وتدريب حياتهم . وعلى أية حال فإن انطوارج والجمهور المتهامة في اورشليم لم يكونوا يستطيعوا ان يسموا أو يقدروا معنى ظهور المسيح . فكان لا بد من استعداد خاص وأهلية معينة لادراك هذا . والجمهور قد يهيم المعجزة الطبيعية غير المصقولة أما معجزة الحياة

الجديدة التي طهر بها السيد قفسو فوق أنفاسهم . ولو كان المسيح قد قام بحياته البشرية القديمة كما حصل للارر لمن الامر على أي كان أن يمه هذا ويختبره ، ولقام الجهور التهامل كله شهوداً على أن يسوع الذي صلب قام ثانية ، والاسنان القديم نفسه حي بعد

ولم يكن هذا كل ما حصل . والأ ما كان مظهرأ واعلاماً للاهوت المسيح ، ودليلاً على امكان حصوله بطريقة غير متطورة في كل انحاء العالم مدى حقب الدهر . ولو كان هذا كل ما حصل لما رأينا فيه عهداً للحياة الجديدة اللامهائية المسجدة ، ولبقيت الهوة قائمة بين السطور وغير للنظور

لا . ان الذي ظهر ضد القيامة ليس تمة الوجود السابق الذي عرفناه وألفناه ، بل وصع جديد من أوضاع الوجود لم يكن لنا من قبل علم به . وفي تدريج ودهشة أخذ البشر يرون الفرق بين الحياة القائمة ، وبين حياة الانسان الفقيرة العادية . وبفضل ما شهدوا من روعة في حياة المسيح للقام أخذوا يفهمون ان الحياة مستقلة عن ظروفها وملابسها الحاضرة ، وان في وسعنا الاحتفاظ بالأفكار والاحاسيس القديمة دون التقيد بالقيود التي تشكلت فيها



وقصة القيامة وما تلاها من الاحداث تبلى لنا مبشرة تتخللها ثمرات واسعة . ونحن لا نعرف الترتيب الزمني للحوادث . ولو كنا قد عرفنا كل شيء لرأينا صورة أبهى للقصد الالهي في ظهور المسيح للقام ، ولازددنا تقديرأ للترتيب الالهي الذي نصدت به هذه الحوادث الجليلة . ورغم هذا فان القصد واضح جلي :

١ — ان يُظهر للتلاميذ حقيقة القيامة ، ويثبت لهم «ذاتية» وشخصية يسوع نفسه التي قام من الاموات

٢ — أن يظم أهتمامهم لتوقع احداثه عنهم ، ويعدهم لادراك حضوره المستمر الخلق ، في مستقبل الايام حين يحصي عنهم شكله المائل امامهم عياناً وكان الامر الاول هيناً ، أما الثاني فلم يكن كذلك . أما فرحة القيامة فكان

مدارها : أن الرب قد قام ، عاد اليه الزميل والسيد المحبوب ، الذي رأياه ميتاً قد عاد الى الحياة ، والذي ظننته سيفندي اسرائيل لم يخيب لنا رجاء في نهاية الامر .
 يا لها من فرحة قوية ، حقيقة ، مشهورة ، هائلة اكلوا قد اضاعوا كل رجاء عند ما رأوا اعداءه يطغرون به ، وعند ما رأوه يسلم الروح أمامهم ، وعند ما هيأوا الخنوط والطيب لحفظ حسنه من الانحلال والتفنن - أما الآن قد رأوه حياً ، غلب شوكة اللوث ، وعاد اليهم فاراً منصوراً - فرحة هائلة مشهورة !

ولعلهم لم يسكروا في بادية الامر فيها اذا كانت عودته الى الحياة ، ورجوعاً عادياً بسيطاً خاضعاً للظروف والاضاع القديمة كما حدث للعارف . لعلهم لم يعرفوا ، ولم يبالوا أن يعرفوا ، أن القيامة كانت بداية وصح جديد ، حياة جديدة مبهمة قد اتضعت الرب للقام

انما لم يكن من مدن تقيتهم هذا ، والآ تندر عليهم فهم فسكرة وجوده معهم باستمرار في مستقبل الأيام ، وليس معهم قطع بل مع الكنيسة كلها مدى العصور ولو درسنا بلمحات حوادث ظهوره نراه يعطهم شيئاً فشيئاً عن تلك الحياة الجديدة على قدمها تشمل أفهامهم . فبدأ هذا الدرس في ظهوره للمرة الاولى (وكان ذلك لريم المجدلية) . فهي ، مأحونة بالروحة والذهشة ، قد ارتجت عند قدميه قائلة : « ربوبي ! يا معلم ! » وكأنها قد حظيت بذلك الصديق الكريم الذي قدته ليس الآ . ولم تعرف لقباً اسمي من اللقب المألوف لئسها « يا معلم ! » هو في نظرها يسوع البشري ميمنه ، وما قياته الآ حود للحياة القديمة . ولما تطرق قلمي به بدراعي الهبة والوقار أما يسوع في جوابها لما فيصحح موقعها ويرفع فكرها : « لا تسميني ! لا تسميني ! لا تسميني ! » فالاحوال قد تبدلت . ولكن اذهبي وقولي لاختوتي ليأتوا لقلتي ! « وكان هذا أول تلميح منه على أن العشرة القديمة تستأنف الآن بشركة أرقى وأسمى

وهكذا كان الحال مع التلميذين في طريق همواس ذلك المساء قد أحسا شيء من السري في حصوره معهما . والتعب قلها فيهما وهو سائر معهما يحسبهما .

ولسكه لم يطن ذاته هما الا في نهاية الطريق . ولما أن عرفاه بقيا معها فترة كافية لان يتحققا من شخصيته وذاتيته . ولما شرعا في الحديث القديم للألوف اخصى عن انظارهما . فبرز عليهما فخر الحق وعرفا أنه اتحد وصفاً حديداً لجانيه تمسكاً مع مطالب العالم غير المنظور ، العالم الذي لم يكن في طوقهما أن يتعاه اليه

ثم يظهر مرة أخرى في وسط التلاميذ المجتمعين فجأة وعلى غير انتظار « والابواب مغلقة » . ونحن في جهالتنا الحاضرة لا ندري ما هو التغيير الذي طرأ على جسد الرب القائم ومع كل "فها هاشي" من السر قد أستغل ، فالابواب والبلدران لم تعد مانعة من اظهار نفسه للناس . أما التلاميذ فقد جزعوا وحاولوا وطنوا أهم رأوا روحاً . ولسكه عراهم وطيب خاطرهم وأراهم أنه هو نفسه قد اتحد شكلاً جسيماً ، لامعاً ، معروفاً ، ولو أنه لم يعد خاضعاً للشروط والاحكام الارضية

وهكذا في كل مرات الطهور الاخرى . يرى ويُعرف متى شاء وكيف شاء . يظهر في الوسط دون أن يراه أحد قادماً . يظهر على غير انتظار ، وضجة يخفي عن الانظار . يرتب أن يلاقي التلاميذ في الجليل ولكنه لا يذهب معهم . وهناك يظهر بنسبة في وسطهم . ويكلم توما بالقائظ تدل على أنه كان حاضراً معهم يستمع وهم لا يدرون الى ما ابداه توما من أقوال الشك . ورويدا رويدا يقوى فيهم اليقين والايان بمجسوده غير المنظور معهم

وكما قصت الايام من هذه الاربعين تنصق في غوسهم أحاسيس الروعة والاستقرار ، فيرونه ولم يعد حاصلاً للحاجات البشرية ولا مقيداً بنواميس الارض الطبيعية ، ولم كان يمتد ويتشظ بالجود الى بيت عيا للراحة والمجدد — أما الآن فقد تبدل الحال غير الحال . ولم يعد للسبح المقام في حاحة الى مأوى يأويه ، او راحة تسري عنه . وقصى جائلاً في العالم أربعين يوماً في غير موطن أرضي ا حأصل في غوسهم يقين ثابت فان ربههم وسيدهم يعيش في شكل آخر من اشكال الوجود ، ارقى وأسمى مما عرفوه في أيامه القديمة وهو على الارض



أحدوا أنه يختلف عما كان ، ومع ذلك هو بيته كما كان . احتفظ بمواص
صوته وأخلاقه ، والاشارات الصغيرة التي تغير الانسان عن سواء . احتفظ بيب
حنيه بذات القلب النابض بالحلم . وليت محبة كما كانت في الايام القديمة ،
قوية لم يتورها بتبدل . وحيث ذكر ياته عن الحوادث القديمة حية فلم تهت
صورها . وعاود معهم الحديث بهدوء في اللوحات الثلاثة وكان هذا الموت
والايام الثلاثة التي فصلها في عالم الراحلين لم تؤثر فيه شيئاً . وكان قد أخبرهم قبل
موته «وعد ان أقوم أسبقكم الى الجليل» وهو الآن يقول : «اذعبا قولاً لاخوتي
ان يذهبوا الى الجليل . هناك يروني كما قلت لكم» . وقال لهم قل موتة : «الروح
القدس يعمل عليكم» والآن يأمرهم ان يلبثوا في اورشليم حتى يكمل هذا الوعد الذي
أخبرهم به . فالصلة بين الحياة القديمة والجديدة لم تنقسم عراها

وهكذا كان الحال في معالجته لشؤون الناس . حلوا بطرس مشلاً : ونحى
نصف طريقة تدريبه لبطرس في الجليل قبل موته . فلنظر الآن الى تدريبه اياه
بعد قيامته . وللق نظرة قبل كل شيء على تلك الرسالة المراسلة المؤثرة التي بثت
سها اليه عند القبر : اذهبي وقولي لتلاميذي — وقولي لبطرس خصوصاً — بطرس
الذي تحطم قلبه من جراء انكاره لي ، بطرس الذي لم يعد بحسب نفسه تلميذاً لي ،
قولي لبطرس — ثم اللقاء المخلص الذي خصه به والذي لم يضر بطرس ما دار فيه
من الاسرار . ثم اسؤال الثلث «هل تحيي؟» اشارة الى الانكار الثلث الذي
سقط فيه — الطرائق بينها في التدريب والتسليم ، واليد بدايتها الحاذقة الآتية ، في
الترويض والتهديب

وهكذا أيضاً مع توما . ضي كل مكان أدخل في روعهم ان السيد الذي عاد
من الموت مصوراً هو بيته كما كان مع أصدقائه . فهو يتنزل بقوة صعب الايمان
بلسة الرقة والدعة . وهو يؤنب ويربّخ بروح العطف والاشفاق . وهم يرون الآن
في كل عمل قلب يسوع الذي عرفوه على الارض : لم يؤثر فيه الموت شيئاً
وفحاة تلحظ بدلاً في موقفهم القديم المسيح روح العطف والاحترام حياله .

اد داخله عنصر التوقير والرهبة والعبادة الوادعة . قد كانوا من قبل أشبه بعضة من الاحوة يتحدثون في غير كلفة ، يجلسون معه ويأكلونه ، حتى ان واحداً منهم يشكى على صدره عند المساء . أما الآن فقد انتهت هذه العلائق القديمة الطليقة و نراهم يجلونه ويعفون به «رماً ولفاً»

وفي بطة ، وفي يقين ، تعلموا امثولة الاربعين يوماً بأن زميلهم وصديقهم هو ابن الله الازلي متخياً في شكل حسي ، وانه قد أخذ شكلاً أرقي من اشكال الوجود ، بحيث يستطيع ان يكون معهم دون ان يروه ، وان شركة روحية ابدية ستحل محل الصلة الزمنية للنظورة

وقد تأصلت هذه الامثولة من قوسهم حتى نراهم يرقبون فراقه العتيقي كثير من هلهو المال وراحة الفكر . وقصة الصمود القوي دليل على صدق ما قول . فذاك كنا نتوقع حرماً ووحشة وشعوراً بأن الارض أمست داراً بقما ، واداننا في موقف خلا من الحزن والوحشة ، واداننا بالارض تبدو لوهر خصاً واهر مقاماً . افترق صهم وحادوا همالي اورشليم فرحين ! لانهم تعلموا امثولة الاربعين يوماً وعرفوا انه سيكون «معهم الى اقضاء الدهر»



ألسنا نرى لاهنا شيئاً من امثولة الأربعين يوماً هذه — بعض التطبيقات عن الحياة للرتبة يوماً ما لشي انشر ؟ ان القوي نستخلصه من ظهور الرب للقام هو اننا حين نموت ، وأن أصدقاءنا الذين سقونا ، سنقضى وايامهم كما كما رجالاً ونساء وسنختلف ايماً عما كنا رجالاً ونساء . فحياتنا لا تشطر شطرين بل تتجلى في صورة أهى وصوف لا تفقد شخصياتنا وذاكرتنا ومحتنا . بل تبقى كما نحن نعرف ونعرف . ونحتفظ تلك الخواص والميزات الدقيقة التي تميزنا هنا ، انما تسجد اذ تبدل بولاعتنا وراميتنا

وليس حقاً ان في الحياة الاخرى يبقى كل شيء على الارض عامماً آمناً . ونحن لسنا نعرف الشيء الكثير «ولم يظهر بعد ماذا سنكون» ، ولكن الحياة المحبولة

ليست مجهولة تماماً لنا الآن . فاسبوع الآلام يحدثنا عن نزعته لله: البائس: اليوم تكون معي في القردوس ، حيث يعرف الواحد الآخر كما عرفنا ونحن على الصليب في الصباح . وظهوره بعد القيامة يحدثنا عن انسان مات كما مات اعراؤنا وعبر شهر الظلام كما فعلوا ، وبلغ الشاطئ البعيد ، البعيد . ومع ذلك كان عند عودته للقاء صحابته باراً بهم وصديقاً لهم كما كان . فمهر الموت لم يمنع ذكريات الايام القديمة ، ولم يؤثر في حبه وحده على اسدقائه القدماء . أليست لنا هنا مرقة للرجاء ، وايمان بان هذا هو حال اعراؤنا الذين اطلقنا عيونهم واسجيناهم في اكفانهم البيضاء ؟ أليس خليق بنا ان « نعزي بعضنا بعضاً بهذا الكلام ؟ »



الفصل الثالث عشر

العود الى الآب

هذا اللقاء السعيد العجيب لا بد أن يصل الى منتهاه . ونختتم
ولكنه تلك الزيارة القصيرة التي قام بها الابن الازلي الى عالم الارض
مبتدئاً من مذود بيت لحم . كما قال عن نفسه : « خرجت من عند الآب وقد أتيت
الى العالم . وايضاً اترك العالم واذهب الى الآب »

ولسنا نتوقع نهاية غير هذه . فرباً نكون حلّ رديحاً من الزمن في هذا
الكوكب السيار الصغير وهو الآن يخفي بجسده للنظور ليصبح أقرب بوجوده
الروحي الى جميع بني الانسان ، كي يتسنى لكل نفس بائسة ان تدخل الى مخدعها
وتشعر بوجوده معها في تلك المظلمة : « انه خير لكم ان أنطلق »

ونحن نؤمن ان تلك الحادثة المنظورة التي نسميها الصعود انما كانت بمثابة
تنزل وانطلاف منه للافكار البشرية الساذجة . قد تواضعنا على أن قرن الحياة
العليا في السماء بتلك القبة الزرقاء ، لو بنيت العالم المرصع بالكواكب الثلاثة فيما
وراء تلك القبة . وتمشياً مع هذه الافكار للتواضع عليها لم يرد المسيح أن يخفي
عن انظار صحابه ، كما تمود أن يخفي عنهم من قبل خلال الاربعة يوماً . بل
ظلمته سحابة امام أعينهم الشاغصة ولترتفع في مجد الى السماء وهم يشهدون . فليجاز
من هذا الوجود الذي نعرفه وتندركه الى وجود آخر لا تدركه الافهام

وبعد اربعين يوماً من قيامته . وبعد ما ظهر لهم مراراً في مناسبات شتى . حان
يوم اللقاء الاخير ، يوم الوداع . وبنينا كان يعلمهم الفرس الاخير عن ملكوت الله
ختم بهذه العبارة : « دفع الي كل سلطان في السماء وعلى الارض . فاذهبوا وتلدوا

جميع الامم . وعندهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلوم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به . وها أنا معكم كل الايام الى اقضاء العصر »
ثم اقتادهم خارج للدينة تجاه بيت عنيا للوداع الاخير ورفع يديه وباركهم .
وبعد ذلك افرق عنهم وصعد في سحابة الى السماء !
من السماء الى اللود الى الجلجثة الى السماء !

* * *

هنا تنتهي القصة . وهي قصة لانهاية . ولقد رأينا في الصفحات الاولى من هذا السر أن لا بداية لها ، فهي غارقة في الازلية البعيدة . والآن تنتهي ولم تكمل بعد اذ لا نهاية لها ، وتندد الى الاجيال اللاحقة ، الى أبدية الزمن الخالد .
وما رواية الانجيل الكريم الا قصة ثلاث وثلاثين سنة من تاريخ السيد المسيح وحياته وأعماله . ولكن وراءها فصولاً في بطون الازلية ، وأمامها فصولاً أخرى ستكتب في سجلات العالم الآخر

وقبل ثلاث وثلاثين سنة ، حسب العرف المصطلح عليه في تقدير الزمن ، هبط من عالم السماء الى عالم الارض طفل صغير ليحيي بين الناس ويموت لاجل الناس . وفي تلك الليلة الخالصة حوت في فضاء العالم اصدااء انشودة رنمتها أجواق من جند السماء « المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة ! »

ولمدة ثلاث وثلاثين سنة ظلت تلك الاجناد السماوية ترقب في دهشة حائرة ، وألم محض ، ما صنعه البشر برهبهم وسيدهم
والآن قد دنت الخلاعة . وبعد أن أكل مهمته على الارض ، يعود حاملاً
الانسانية البائسة في قلبه ، يعود غائراً منصوراً الى الحياة اللانهاية ، ليستوي بمجد وجهاء فوق عرش الملوك

